الصحافة الإسلامية
ودورها في الدعوة

فؤاد توفيق العاني

مؤسسة الرسالة



الصحافة الإسلامية
ودورها في الدعوة

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



مؤسسة الرّسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب: ٧٤٦٠ - برقياً: بيوشران

الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة

فؤاد توفيق العاني

مؤسسة الرسالة


بسم الله الرحمن الرحيم

قبس من (المصحف)

قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا " سديدا " * يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزا " عظيما " »

صدق الله العظيم

« الأحزاب – ٧٠ ، ٧١»



المقدمـــة

لقد شغلني كثيراً موضوع الصحافة الإسلامية ... وهناك جملة أسباب دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه - وأهمها إن لم يكن انعدام البحوث في هذا المجال فهي قليلة جدا .. وكذلك الواقع المؤلم لهذا النوع من الصحافة وواقع القائمين عليها فهي إلى جانب فقرها في الامكانات المادية والعلمية والفنية ، مهملة ومضطهدة ، وبعيدة عن وسائل الكمال المطلوب ، مضطرة ألا تستجيب لحاجات المسلمين متخلفة عن الصحف والمجلات الأخرى التي تخدم التيارات الفكرية السائدة حاليا - كالشيوعية أو الرأسمالية أو القومية - فهذه غنية في إمكاناتها المادية والعلمية والفنية - وتنال أيضا كل عناية ورعاية واهتمام ..

وقبل هذا وذاك فهي غنية بما تسخره الصحافة العالمية من الهجوم على الإسلام والحضارة العربية الإسلامية ومحاولة النيل من وجهها المشرق .. غنية بما تبثه وتنشره من سموم وأفكار وثقافات منافية لقيمنا وتعاليمنا في الداخل والخارج بموجات متلاحقة فظيعة ... مما يهدد بعدم الاستقرار والأمن والرخاء وإظهارها للباطل بصورة الحق والحق بصورة الباطل ...

بالإضافة إلى ذلك نجد - وبكل مرارة - أن الكثير ممن

أسند إليهم الإعلام عموما والصحافة بخاصة هم ليسوا على مستوى هذه المسؤولية النبيلة التي أنيطت بهم ... لقد اتخذوا من الدعوة إلى الله طريقا للكسب ووسيلة للربح ليس إلا ، مما يستوجب إعادة النظر والعمل بجهد وإخلاص لا أقول لإنشاء صحافة متخصصة وإنما لاحيائها بالصورة التي كانت عليها في الصدر الأول من الإسلام تستمد منهجها من كتاب الله وسنة رسوله ... ولنقف بها في وجه كل التيارات المعادية وكل التحديات ليظهر الحق ويزهق الباطل ..

لا يخفى على أي إنسان ما للصحافة من مكانة عالية ودور كبير في عالمنا اليوم ، فهي مهنة كريمة ترعى مصالح الأمم أفرادا وجماعات ، ومدرسة كبرى للتوجيه والإرشاد فرسالتها عظيمة وأهدافها كبيرة ... لا تقف عند حد البحث عن الخبر ونشره ، ولكنها تتجاوزه إلى التأثير والتغيير والتقويم والتثقيف ... تربي الأذهان وتشحذ العقول وتخدم الأمة وتقود المجتمع – كما سنبينه بين صفحات هذا الكتاب – .

وإذا كان الإعلام بمختلف وسائله المرئية كالتلفاز والسمعية كالمذياع والمقروءة كالصحافة تقوم على خدمة الدعوة ... فإني أرى أن الصحافة تتزعم – إن صح التعبير – كل هذه الوسائل ، ولعل سائلا يسأل كيف ؟

أقول : إن التلفاز لا يتمكن الانسان من رؤيته إلا في بعض الأوقات كأن يكون الإنسان في منزله مثلا ... كذلك فإن قيمة الخبر وقوته في التلفاز في تصويره ... وهذا ما قد يعجز عنه في

بعض الأحيان خاصة في الأخبار اليومية التي تحدث بعيدا ..

أما المذياع فشأنه شأن التلفاز ليس له من الانتشار ما للصحافة ، صحيح أنه يعطي الإنسان فرصة سماعه في كل وقت ومكان ، إلا أنه أيضا يقدم الخبر مجرداً من الصورة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى سمو أذواق الناس ورفعتها عن السابق .. مما يحتم عليهم عدم استماع المذياع في أوقات معينة وأماكن محددة ، إذ لا يصح وليس من المعقول أو المقبول أن نشاهد إنسانا يحمل المذياع في يده ويسير في الشارع وهو يستمع إليه إلا نادراً، إذ أن هذا الانسان يتخيل أن الناس تنظر إليه باستغراب ... بينما نجد الصحافة تقرن الصورة بالخبر ويستطيع الانسان أن يطلع عليها في كل وقت وحين وعلى أي هيئة ، وهذا ما لا يتسنى لأي وسيلة أخرى ، مما يجعل دور الصحافة أكبر وأهم من دور غيرها من وسائل الاعلام الأخرى في التغيير والتأثير ..

زد على هذا أن الصحافة هي الوسيلة الإعلامية الوحيدة التي يتمكن من تكوينها كل الطبقات والمجتمعات ، فكثيراً ما نرى مجلات وصحفاً مختلفة سياسيا وفكريا وثقافيا ، كما نرى صحفاً ومجلات على مستوى الدولة أو على مستوى مؤسسة حكومية أو منظمة أو حزب في حين يبقى التلفاز أوالمذياع – في الغالب – محصوراً على نطاق الدولة فقط ..

«أثر عن بعض البابوات المحدثين أنه قال» :[1]

(١) د. عبد اللطيف حمزة – الإعلام في صدر الإسلام – الطبعة الثانية. ص ١٣

«لو بُعث المسيح من جديد لاختار لنفسه أن يكون صحفياً» ... وهذا القول ينطبق على جميع الأنبياء على السواء فإن النبي إذا بعثه الله في أمة من الأمم وجب عليه أن يختار من وسائل الإعلام والإرشاد والاتصال بالناس أنجح هذه الوسائل في العصر الذي ظهر فيه ..

وقد كانت الوسيلة الإعلامية سحراً في عهد موسى .. وكانت طبّاً في عهد عيسى ... وكانت قرآنا في عهد خاتم الأنبياء محمد ﷺ وقد يعني هذا أن الإسلام دين إعلامي لأنه اعتمد على القرآن ، والقرآن آية الله تعالى في البلاغة وفي التأثير في نفوس البشر إلى الدرجة التي سجد لها العرب ..

ويقول أحد نواب البرلمان الأنجليزي «إنني إذا أردت أن أنقل للأجيال القادمة برهاناً على المدنية الأنجليزية في القرن التاسع عشر فلست بذاكر موانئنا ولا سككنا الحديدية ولا أبنيتنا العامة ولا البرلمان الذي نحن فيه ، بل أن عدداً واحداً من أعداد «التايمس» يكفيني»(١)

ولقد كان أكبر همي منذ بدأت في هذا البحث أن أطلع على أكبر عدد ممكن من الصحف والمجلات التي صدرت في البلاد العربية بعد منتصف القرن العشرين، فوجدت أن تأريخ الصحافة لم يسجل بطريقة تساعد الباحث على أن يجد ضالته وترشده... اللهم إلا مقالات موزعة هنا وهناك في الصحف.. وبعض البحوث

---
(١) عثمان حافظ – تطور الصحافة السعودية ص ١٧٤

في الكتب التى تتحدث عن الصحافة في البلاد العربية وتكاد تكون نصوص المعلومات المسجلة في هذه المراجع واحدة، وكثيراً ما تتشابه في الخطأ أيضا..

وفي ذات الوقت كنت حريصاً على أن أصل إلى المعلومات بصورة صحيحة ما أمكن. فاضطررت إلى مراجعة ما يتصل بالصحف نفسها التي تمكنت من الحصول عليها إما بالاتصال الشخصي مع من عاصروا هذا النوع من الصحف واهتموا بها في العهود الماضية... وإما بطريقة المراسلة والكتابة للمؤسسات الصحفية نفسها التي تحتفظ ببعض أعدادها ..

وقد واجهتني المشاكل والمصاعب الكثيرة في الحصول على بعض الصحف القديمة أو المعلومات الصحفية عنها ... ولم تكن المتاعب بأقل من سابقتها حينما أردت الحصول على المعلومات أو أعداد الصحف التي صدرت في العهد القريب ... أضف إلى ذلك أنه حينما يريد أي إنسان أن يستعرض تأريخ الصحافة الإسلامية في البلاد العربية لا يستطيع أن يورد أسماء جميع الصحف وما وصلت إليها أحوالها، إذ أن كثيراً من هذه الصحف لم تعش لأكثر من عدد أو عددين أحياناً أو لبضعة أشهر..

فركزت البحث عن الصحف ذات الشخصية المتميزة والتي كتب لها البقاء لفترة طويلة ربما امتدت حتى يومنا هذا..

وإذا كنت قد قصّرت في الكتابة عن بعض الصحف والمجلات الإسلامية من الناحية التأريخية فأرجو المعذرة والصفح عن هذا القصور الذي سببه عدم انتشار هذه الصحف وذيوعها ..

وليس هذا العمل المتواضع هو كل ما يجب عمله والقيام به لكى تظهر الصحافة الإسلامية ودورها الهام في الدعوة على الوجه المطلوب ، بل هو لبنة في أسس هذا الصرح الإعلامي الكبير ، لعلها تسهم في إنارة الدرب نحو الأفضل...

وأرجو أيضا المعذرة عما غفلت عن ذكره أو عن خطأ وقع سهواً في لفظ أو عبارة أو تقصير في فكرة ، وعسىٰ أن يرشدني البعض لما بهذا العمل من نقص حتى أكمله في فرصة أخرى .. «وفوق كل ذي علم عليم» ونحن جميعا بشر والكمال لله وحده..

وفي الختام فمن واجبي وقد وفقت إلى إتمام هذا الكتاب وعرضه في هذه الصورة أن أتوجه أولا إلى الله العلي القدير بخالص الشكر وجميل الثناء على ما وهبنا من حكمة وأعطانا من علم وهدانا إلى سبيل الرشاد ، وفتح لنا أبواباً من المعرفة طفنا حولها وقطفنا من ثمارها..

كما يقتضى العرفان بالجميل أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدّم لي مشورة أو جهداً من الاخوة والاصدقاء الاعزاء ... وأطلب من الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأن يثيبنا على أعمالنا .. إنه سميع مجيب..

فؤاد العاني

الرياض: ربيع الأول ١٤١٠هـ

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذي بين أيدي القراء هو مُؤَلَف يشتمل بالإضافة إلى المقدمة والتمهيد على ثلاثة أبواب وخاتمة ..

ففي التمهيد : تحدثت عن النقاط الآتية :

١ ــ فكرة الصحافة.
٢ ــ نشأة الصحافة عموماً.
٣ ــ مراحل الاصدار الصحفي عموماً قبل منتصف القرن العشرين الميلادي.
٤ ــ مراحل الاصدار الصحفي الاسلامي قبل منتصف القرن العشرين الميلادي.

أما الأبواب الثلاثة فجاءت على النحو التالي :

الباب الأول : جاء تحت عنوان : «**مفهوم الصحافة الإسلامية شكلا وموضوعاً**» ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : «المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الصحافة» أوضحت فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الصحافة ومشتقاتها ومعنى «الصحافة الإسلامية» وأهدافها.

الفصل الثاني : «التصور الموضوعي للصحافة الإسلامية»
بينت فيه كيف تمثل السياسة الإسلامية صورة عملية ناطقة بالمضمون العلمي لتصور معنى «الصحافة الإسلامية».

الفصل الثالث : «قواعد الالتزام بالمفهوم العلمي للصحافة الإسلامية»
وتكلمت فيه عن :
الصحافة الإسلامية والاعلام عامة ومكانة كل منهما
كما بينت :
١ ـ أهم مصادر التوجيه للصحافة الإسلامية والاعلام عامة.
٢ ـ تحديد المسار والهدف.
٣ ـ الاهتمام باصطفاء وتدريب وبناء رجل الاعلام.
٤ ـ اللغة الاعلامية والأسلوب الاعلامي الصحيحين.
ثم العناصر الأساسية للصحافة،
وأخيرا مراحل الاصدار الصحفي الاسلامي بعد منتصف القرن العشرين الميلادي.

البـاب الثـاني : وعنوانـه «الصحافـة الإسلاميـة والدعوة»

وقد قسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصـل الأول : «أهمية العمل الصحفي في ميدان الدعوة»

يقوم على بيان أهمية العمل الصحفي في ميدان الدعوة، حيث تضمن النقاط الرئيسة التالية :

١ ـــ المحتوى الصحفي لخدمة الدعوة.

٢ ـــ الصحافة والرأي العام.

٣ ـــ دور الصحافة في تحقيق التقدم الفكري.

الفصل الثاني : «توجيه الاعتقاد ودور الصحافة»

يفصل دور الصحافة في تثبيت العقيدة. وقد اشتمل هذا الفصل على الموضوعات الرئيسة التالية :

١ ـــ الاعلام المعاصر وأثره في تدعيم الاتجاه القائم وفي التغيير بوجه عام.

٢ ـــ منهج الاسلام في التغيير.

٣ ـــ الفطرة وعلاقتها بالعقيدة.

٤ ـــ الصحافة ووظيفة تثبيت العقيدة.

٥ ـــ أصول العقيدة الإسلامية.

٦ ـــ كيف ينشأ المجتمع المسلم ؟ وما منهج هذه النشأة ؟

٧ ـــ رابطة العقيدة وأثرها في توجيه الفرد والمجتمع.

٨ ـــ الثقافة الإسلامية وأهمية الترويج لها ونشرها.
٩ ـــ دور الصحافة في التغيير الاجتماعي.

الفصل الثالث : «الشريعة وواجبات الصحافة»

اشتمل هذا الفصل على النقاط الهامة التالية :

١ ـــ الشريعة وأهميتها بوجه عام ومكانتها في الإسلام بوجه خاص.
٢ ـــ شمولية الشريعة الإسلامية.
٣ ـــ الإسلام والجاهلية.
٤ ـــ عالمية منهج الشريعة الإسلامية.
٥ ـــ دور الصحافة الإسلامية بوجه عام وعلاقتها بالمجتمعات العربية والإسلامية.

الباب الثالث : جاء تحت عنوان «**الصحافة الإسلامية في موقف التحدي والمواجهة**»

«دراسة مقارنة»

وقد اشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول : «**الاتجاهات المعاصرة وأثرها في الصحافة**» «دراسة ميدانية»

تناولت فيه النظريات الاعلامية المعاصرة ـــ فلسفاتها والأسس التي بنيت عليها ومستنداتها ـــ ثم بينت فلسفة النظريات الاعلامية في ضوء الإسلام. والمسمى الحقيقي الذي يجب أن تسمى

به النظريات الإعلامية المعاصرة ... وبينت .
كذلك :
ـ المذهب الإسلامي في الاعلام.
ـ نتائج غياب الاسلام عن دراسات أبحاث الاعلام.
ـ ثم أثر هذه الاتجاهات في بعض الصحف الاسلامية.
وأوردت بعض النماذج لهذا الأثر.

الفصل الثاني : **«وظائف الصحافة الإسلامية في المواجهة»** «نماذج»
وقسمت هذه الوظائف إلى :
١ ـ وظائف ثقافية.
٢ ـ وظائف دفاعية.
٣ ـ وظائف هجومية.

فالوظيفة الثقافية تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه. وبمختلف المجالات.

والدفاعية ـ تتم بالرد على ما يثيره الأعداء من شبهات وأباطيل وما يرددوه من شائعات أو يطلقوه من محاولات للتشويش على عقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا وسلوكنا.

وأما **الهجومية** ـ فتتم بتبني سياسة الحق والاعلان

عنها وبيان وجهها الصحيح ومنهجها الواضح مع
الاهتمام ببيان أن ما يخالف أو يناقض عقيدتنا
وشريعتنا وأخلاقنا وسلوكنا باطل وزيف.

وقد أوردت لكل من هذه الوظائف ولكل مجال من مجالاتها بعض النماذج من واقع الصحافة الإسلامية.

وأخيرا اختتمت هذا الكتاب بخاتمة ضمنتها بعض المقترحات والتوصيات.

أبعاد أو «حدود» الكتاب :

تشكل رقعة العالم الإسلامي .. رقعة جغرافية مترامية الأطراف ، ويشكل التأريخ الإسلامي .. تأريخاً ممتداً عميق الجذور .. امتدت وتجذرت تبعاً لذلك مجالات الحياة وعلومها وآدابها وفنونها، وشمل ذلك أساليب ووسائل الدعاية والصحافة والإعلام .

لذلك اقتضى الأمر تحديد الأبعاد للإيفاء بجزء يسير من هذا الموضوع الواسع، فوقع «هذا الكتاب» في إطار البعدين التاليين :

١ ــ البعد المكاني «الجغرافي» .. وتمثل في تغطية جغرافية الوطن العربي .

٢ ــ البعد الزماني «التأريخي» .. تمثله الحقبة التي تلي منتصف القرن العشرين الميلادي .. وتحديداً الحقبة الممتدة من العام «١٣٧٠هـ ــ ١٤٠٠هـ» المصادف «١٩٥٠م ــ ١٩٨٠م» على أن ذلك لا يخلو من إشارات موجزة لما قبل هذه الفترة أو حتى بعدها .

التمهيد

مدخل تأريخي عام يتضمن :

١ ــ فكرة الصحافة.

٢ ــ نشأة الصحافة عموماً.

٣ ــ مراحل الاصدار الصحفي عموما قبل منتصف القرن العشرين الميلادي.

٤ ــ مراحل الإصدار الصحفي الإسلامي قبل منتصف القرن العشرين الميلادي.

١ ــ فكرة الصحافة :

خُلق الإنسان وخُلقت معه فطرة حب الاستطلاع والبحث ، وفطرة حب الاستطلاع نجدها في مختلف الطبقات والشعوب من ساكني القصور إلى ساكني الكهوف.

فالانسان يتطلع باستمرار لما هو حديث وجديد في الحياة فنجده يتحسس الأخبار والمعلومات من كل قريب وبعيد. وقد يضرب من أجل ذلك أكباد الإبل أو أجواء الفضاء للحصول على الخبر أو أي معلومات أخرى، لا يعير أي اهتمام لما يصادفه من عناء أو مشاق وهو – أي الإنسان في نفس الوقت – يجد دافعاً

قوياً لنقل ما حصل عليه من أخبار ومعلومات، كما يجد نفس الدافع لنقل عقيدته ومبادئه وآرائه وآماله.

والصحافة تقوم بدور كبير في إرضاء هذا الدافع وتلك الفطرة طوال تاريخها ، ابتداءً من شكلها البدائي وانتهاءً بشكلها الحضاري الحالي ، ومن هنا كان للصحافة شأن عظيم في العالم وكان الاقبال الكبير عليها. فقوي مركزها وسمت مكانتها. حتى اعتبرها البعض سلطة رابعة في الحياة بعد السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذيه.

وإذا كانت فنون الحياة العملية تكاد تنحصر في الزراعة، والصناعة، والتجارة، فالصحافة تعد سنداً ومرشداً ووسيلة أساسية لتطوير هذه الفنون والتأثير فيها.

كما أثرت هذه الفنون في الصحافة أيضا فاتسعت صفحاتها لمختلف أوجه النشاط البشري وأصبح كل من فنون الحياة العملية والصحافة مكملا للآخر، بل أن كلا منهما لا يستطيع الآن أن يحقق كمال العيش أو دوام التقدم بدون الآخر[1].

٢ ـــ نشأة الصحافة بوجه عام :

إذا قلنا بأن الصحافة عبارة عن سجل ووسيلة لنشر الأخبار وسرد للحوادث والمعلومات وروايتها وتعميمها بين طبقات الناس، إذا قلنا هذا فإن العرب ومنذ عصر الجاهلية قد عرفوا هذا الفن بجميع عناصره ، وكان تأريخهم حافلاً بتسجيل الوقائع التأريخية من غزوات وحروب وأمطار ومراع ورحلات ، وأخبار ورحلات

(١) أنظر – عثمان حافظ – تطور الصحافة – ص ٨.

الحكام وما يجري لديهم من أحكام وتوصيات وبلاغات. وقد كان العرب في البيئات المتحضرة يرسلون الرسل لتبليغ أمر رئيس القبيلة إلى أفراد قبيلته أو نقل أخبار من قبيلته لأخرى أو إبلاغ أمر خطير، أو حادثه هامة، شفوياً أو مكتوبة على رقعة من القماش أو قطعة من الحجر.

وقد تطورت مهنة هؤلاء الرسل فأصبحوا يسمّون «الرواة» حيث كانوا يجوبون الأقطار يروون الأخبار والأحاديث والأشعار إلى جانب نقل البلاغات والحوادث[1].

وكانت قصائدهم تسجل حوادثهم وأخبارهم وتنقلاتهم وحروبهم في العصر الجاهلي كوظيفة أساسية لهذه القصائد. وإذا ما ظهر شاعر في قبيلة من القبائل أخذ أفرادها يهنىء بعضهم بعضا بهذا الحادث السعيد. وكذلك تقوم القبائل الأخرى بتقديم التهاني لتلك القبيلة ، وذلك لأن الشاعر في القبيلة كان يقوم مقام الصحيفة بالنسبة للمنظمات والأحزاب في عصرنا الحاضر. فهو الناطق بلسان هذه القبيلة والمعبر عن أهدافها ومشاعرها وهو المكافح عنها والمشجع والحافز لهممها في أيام الحروب، والمصور لأخلاقها، ومكانتها بين القبائل الأخرى.

وكانت قصائدهم التي عُلق الكثير منها على الكعبة المشرفة تسجل قدرتهم البيانية وفصاحتهم وتنشر أنباء حوادثهم ومفاخرهم وأمجادهم ليقرأها كل من طاف بالبيت، ثم تتناقلها الأجيال بعد الأجيال وتروى في جميع الاندية والمجتمعات الأسواق.

---

(١) أنظر المصدر السابق – ص ٩.

وما أسواق «عكاظ» و «المجاز» و «مجنة» و «دومة» و «المشقر» و «هجر» إلا لون من ألوان العمل الصحفي في العصور القديمة[1].

كما كان قدماء المصريين يستعملون جدران المعابد وأعمدتها لتسجيل الحوادث الهامة والأخبار التي تتعلق بانتصارات ملوكهم وأخبارها.

وأعجب ما يرويه التأريخ عن ذلك «حجر رشيد» المعروف، وهم يسمونه بالصحيفة الحجرية الأولى، وقالوا إن هذا الحجر كتب بثلاث لغات هي :

١ ــ اليونانية لليونانيين.

٢ ــ الدمقراطية لعامة الشعب.

٣ ــ الهيروغليفية للكهنة.

ويعتبر هذا الحجر التأريخي الصحيفة الأولى لصحف الحائط الواسعة الانتشار الآن. وكانت «المناداة» وسيلة فطرية قديمة لنشر الأخبار، وما زالت في بعض البلاد العربية النامية. وكان المنادي يجوب الوديان والسهول والقرى والأطراف ويتجول في بعض المدن ينشر ويذيع الأخبار الحربية والرسمية كوصول حاكم جديد ونحو ذلك[2].

وهكذا يظهر لنا بكل وضوح كيف كان الانسان يتطلع للخبر، ويبحث عما يدور حوله من حوادث وأخبار بدافع من فطرته

(١) أنظر د. عبداللطيف حمزة – الاعلام في صدر الإسلام – ص ٢٦ الطبعة ٢ لسنة ١٩٧٨ – دار الفكر العربي.

(٢) عثمان حافظ – المصدر السابق – ص ١٠.

في المعرفة والتدوين والتسجيل والنشر منذ العصور القديمة، مما يؤكد لنا أن روح العمل الصحفي فطرة متغلغلة بين مختلف طبقات الأمم من قديم الزمان ومازالت تلعب دوراً في التطور والتحسن والتنظيم مع تقدم الزمن وتقدم حضارات الأمم، حتى أصبح للصحافة كيانها المستقل وشأنها العظيم ودورها الهام.

وهذا ما يؤكده الأستاذ أحمد خليل العقاد في كتابه «الصحافة العربية في فلسطين» الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ ـــ ١٩٦٦م إذ يقول :

«لعل من الممكن أن نصف الصحيفة بذلك التعبير المشهور ، ونعني به أنها «قديمة مثل الدنيا». وإذا ما سلمنا بأن وجود الصحافة جاء مع وجود الانسان ذاته، فإنه لابد من أن هناك وسائل تدوين وتبليغ بشكل أو بآخر - يفسرها مؤرخو الصحافة في وقتنا على أنها لون من ألوان الصحافة - كما أسلفنا.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الإنسان الأول في عصوره الحجرية، عندما بدأ في تكوين وسائل عيشه، والتي تمثل ضروريات حياته، التفت إلى ما يسمى بالكماليات حين تحركت لديه غريزة حب الاستطلاع والبحث. فشرع يفتش في محيطه ويستطلع ما حوله بوسائل يمكن تحديد أطرها من خلال تطور أحواله على ضوئها، وانتقل من مرحلة بدائية منعزلة إلى مرحلة تكون المجتمعات البشرية الأولى، والتي ظهرت مع تكونها الرواية الشفهية، ومع تطور هذه المجموعات وتشعبها تطورت أهمية الرواية الشفهية فيها بين أفراد المجموعة الواحدة من ناحية وبين كل مجموعة وأخرى من ناحية أخرى.

وعلى ضوء هذا التدرج التأريخي لتكوين المجتمعات البشرية، يمكن الوصول إلى ما يسميه علماء الاجتماع المحدثون بتكوين الرأي العام، فتبعاً لذلك نشأت حركة التبليغات فيما بين المجموعات، بغية نشر الأخبار عن حدث مرتقب أو حدث هام وقع فعلاً، أو حول شأن من شئون الحياة» إلى أن يقول :

«وقد عرف الانسان التدوين منذ خمسة أو أربعة آلاف سنة، ولكن تدوينه للأخبار بالسطور المكتوبة باليد كان قبل اختراع الطباعة بنحو ألف وخمسمائة سنة. وقد مرت وسائل التدوين هذه بمراحل منها : وسائل التدوين بواسطة النقوش والكتابة على التماثيل عديمة الفائدة. ثم الحفر على الحجارة كما هي الحال عند قدماء المصريين والأشوريين والكلدانيين. ثم حل رقم الطين محل الرقم الحجري الثقيل حتى وصلت أحوال التدوين إلى ورق البردي وظهور الورق المستحضر من جلود الغنم وجلود البقر. وقد اتخذت الكتابة أشكالا مختلفة قبل التوصل إلى تجميع الحروف الألف باء أو الحروف الأبجدية. ومن ذلك الكتابة الصورية وهي الكتابة بالصور. ثم ظهور نوع من الكتابة المختصرة الشبيهة بالاختزال والتي يمكن تسميتها بالأسلوب الرمزي، ومثالها الكتابة الهيروغليفية التي استعملها قدماء المصريين. ومن هذا الأسلوب وأسلوب الكتابة الصورية حلت حروف صوتية ما لبثت أن تجمعت بالألف باء أو الحروف الأبجدية محلها. وما هذه التطورات الانسانية في صناعة الحرف المعبر عن «العلوم والآداب» فيما بعد إلا بداية لمرحلة تأريخية عبرها ومازال يخوض خضمها، باحثاً عن مزيد من المعرفة بوسائله العصرية المتقدمة في

هذا الصدد، وإذا ما عدنا إلى الوراء قليلاً محاولين تحديد قنوات سير المعرفة الانسانية بمراحلها، وجدنا تطور التدوين قد أدى خدمات كبيرة في تسهيل سبل المعرفة التأريخية عن مراحل حياة الانسان ... وما الرواية التأريخية والشعر إلا وسيلة من وسائل هذه المعارف.

فالشعر عن الاغريق واليونان والرومان الأقدمين – بما يتضمنه من صور وخيالات – يعتبر في بعض جوانبه عن عصرهم – صحافة – و«هيرودوت» اليوناني في تدوينه لرحلاته الطويلة للشرق ـــ بما في ذلك وصفه لبعض النواحي والبلدان التي زارها وصفاً تفصيلياً ... و «الأوديسا» و «الالياذة»، فهم في بعض ما تضمنوه عن تلك العصور الغابرة والموغلة في القدم يعتبر «صحافة».

ويدلل – نفس الكاتب – على أهمية اعتبار النقوش والآثار صورة من صور العمل الصحفي – إذ يقول : «وعن تلك النقوش والآثار، وما تحكيه من أحوال حضارات الجنوب في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن (ق.م) .. وعن احوال تلك العصور وطرق عيش اهلها ... إنما يمكن أن نعتبرها في بعض جوانبها ضرباً من ضروب الصحافة لعدم استيفائها عناصر التقويم كأثر تأريخي لا يضفي عليه الاجتهاد والتعليل والبناء من حيث الصحة والخطأ .

وانطلاقاً من تقرير هذه المعرفة، فإن العرب شأنهم شأن المعالم الاخرى في مراحل التأريخ، وإن اختلفت مقاييس التقويم في جزئيات الحياة عبر هذه المراحل .

فقد عرف في تأريخ العرب – كما ذكرنا سابقاً – شغفهم بتناقل أخبار الأولين وروايتها فيما بينهم ثم تسجيلها لتكون مادة

قصصية على مرور الوقت، لغرض التسلية أو العظة والاعتبار من أحداث الأقدمين ... ومن هنا أيضا عرف التأريخ العربي قبل الإسلام وبعده ما يسمى بالرواة – وهؤلاء يمكن اعتبارهم صحافيين استطاعوا نقل صورة تقريبية عن الماضي».

ومن هنا يمكن القول : بأن الصحف على عهدنا بها ومعرفتنا لها شيء نشأ في حياة الجماعات دون مقدمات. كما أن حياة العالم الحديث ليست شيئا جديداً خالصاً ولكنها تطور لجيل تقدم، هو نتاج لأحداث أجيال وأجيال. والصحافة ملخص لحياة الأمة التي تصدر فيها، فهي سجل لأخبار وحوادث يومية أو أسبوعية أو ما إلى ذلك من أخبار محددة بوقت معروف. والخبر في ذاته يذاع في أول أمره ثم ينقل ثم تتلقفه الصحف فتدونه وتسجله وتعيده لتقرأه أكبر مجموعة من الناس أو الأمة ... فوظيفة الصحف الأولى : هي نقل أو نشر الأخبار إلى الرأي العام الداخلي أو الخارجي.

إصدار الصحف :

وقد تطور الوضع الصحفي حتى وصل إلى مرحلة إصدار الصحف بصور مختلفة (ففي كتب التأريخ يقال إن أول صحيفة صدرت في العالم على الاطلاق هي صحيفة «كين بان» وهي جريدة صينية صدرت عام ٩١١ ق.م، وهي صحيفة رسمية. وقيل أيضا (إن أول جريدة صدرت في العالم هي جريدة رومانية ظهرت سنة ٥٨ قبل الميلاد باسم «الأعمال الرسمية» وقد أسسها الامبراطور يوليوس مع كبار موظفيه)[1].

(١) محمد الدرع – معلم الصحافة والانشاء – ص ٢٣.

أما في أوروبا فقد صدرت صحيفة (Acta Diurna) بمعنى (السجل اليومي للأخبار) أو (Acta Populi) أي سجل أخبار الشعب كما يسميها بعض الكتاب اللاتينيين. وهي أقدم جريدة صدرت في أوروبا كما يعتقد، حيث أصدرها الامبراطور يوليوس قيصر عقب تسلمه السلطة وذلك في كانون الثاني من عام ٥٨ ق.م. وكانت تنشر في أول عهدها الكثير من جلسات مجلس الشيوخ. ولكنها لم تلبث حتى تنوعت أخبارها وأصبحت تشبع رغبات الجمهور في مختلف المجالات، كالأخبار القضائية وأخبار الحروب، ومتنوعات اجتماعية كثيرة.

ولكن بعد سقوط الامبراطورية الرومانية اندثرت الصحف، وحلت محلها (رسائل الأخبار) التي استمرت طوال العصور الوسطى. وكان يطلق عليها أصحابها (Les Nou Vellistes) وبعدها نشأت الأخبار المخطوطة حيث ظهرت في انجلترا في القرن الثالث عشر وبعد قرنين انتشرت الأخبار المخطوطة في ألمانيا وإيطاليا ثم ظهرت من عام ١٤٠٩م حتى عام ١٤٤٩م جريدة «بورجوازي باري» وكانت تحتوي على الأخبار والقصص والنشرات الجوية[1].

ويؤكد فوليتر أنه ليس هناك ما يثبت أنه كان في الصين منذ زمن قديم صحف ومجلات ولا يحدثنا التاريخ عن الطريقة التي استخدمها الأثينيون في تداول الأنباء اليومية. ويشير الاستنتاج إلى أن طبيعة الحياة التي كانوا يقضونها في الميادين العامة كانت تمكنهم

---

(١) أنظر محمد ناصر عباس – موجز تاريخ الصحافة – ص ٢٢–٢٥.

من تداول الأنباء شفويا، والتعليق عليها فيما بينهم دون أقل حاجة إلى تدوينها وتسجيلها.

وأما روما وفي خلال قرون عديدة فقد كان مصدرها في الاعلام هو الدوريات البابوية، فالبابا يجمع كل أحداث العالم ويدونها على (لوحة) بيضاء يعرضها في داره حيث يحضر المواطنون للاحاطة علماً بما جاء فيها، ولكن وبعد أن اتسعت رقعة الامبراطورية الرومانية أصبح لزاماً توجيه الرأي العام في الأقاليم الجديدة وإعلام الشعب بما يجري خارج حدود المدينة، فنشأت النشرة العامة وهي ضرب من الأوراق العامة التي تعد خصيصاً للجريدة الرسمية.

وبعد أن اخترع «جوتنبرج» الألماني الطباعة في عام ١٤م صدرت أول جريدة بمعناها الصحيح في أوروبا باسم «لاغازيت» وجاء في بعض الكتب العربية اسمها «غازيت» وكانت أسبوعية في ثماني صفحات شبه رسمية، ولا تحتوي على مقالات رئيسة، وكان صدورها في عهد الملك لويس الرابع عشر ١٦٣١م[1].

٣ ــ مراحل الاصدار الصحفي في العالم العربي :

أما الصحافة العربية منذ بزوغ شمسها فقد كانت متأثرة بنفس البداية التي بدأ بها الغرب هذا المجال. ورغم تأخرها بعض الشيء عن الصحافة الغربية بفعل النهضة الفكرية الحديثة، فقد تميزت بطابع رافقها طيلة مراحلها التي اقترنت إلى حد ما بأحداثها الخاصة.

---

(١) أنظر أحمد خليل العقاد – الصحافة العربية في فلسطين – ص ١٢ الطبعة ١. لسنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

كانت أول صحيفة صدرت في البلاد العربية حين نزلت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت – القائد الفرنسي – آنذاك أرض مصر فأصدرت الحملة جريدتين باللغة الفرنسية ١٧٨٩ «لوكوربيه دي جيبت» و «لاديكال جيسيان».

وفي عام ١٨١٣م وهي السنة التي فرغ فيها محمد علي من تنظيم الحكومة وإنشاء الدواوين صدرت «جورنال الخديو» إذ رأى محمد علي أن الشؤون المالية والزراعية وشؤون التعليم والعمران تحتاج إلى ملخص أو تقرير يقدم إليه باسم «جورنال» وينظر الوالي في هذا التقرير أو الجورنال مرة كل شهر على الأقل ثم أصبحت تصدر أسبوعيا. وكان هذا التقرير ينسخ بخط اليد في بداية الأمر واستمر على ذلك حتى أنشأ محمد علي مطبعة القلعة سنة ١٨٢١م فأصبح التقرير يطبع فيها. وكان عدد النسخ التي تصدر منها لا يزيد على المائة نسخة، وصدرت باللغة العربية والتركية. وكانت تشتمل على الأخبار الحكومية وبعض قصص من ألف ليلة وليلة.

بعدها صدرت صحيفة «الوقائع المصرية» إذ تبين للوالي أن الشعب المصري يجب أن يطلع على أعمال الحكومة وأن يقف على إصلاحات الوالي. و«جورنال الخديو» بالصورة المتقدمة ليس لها هذا الطابع. وصدر العدد الأول منها في سنة ١٨٢٨م وربما كانت تطويراً لصحيفة «جورنال الخديو»[1].

وفي عام ١٢٨٦هـ يوم الثلاثاء الموافق ٥ ربيع الأول – ١٦

---

(١) د. عبداللطيف حمزة – قصة الصحافة العربية في مصر – ص ٤٣–٤٤.

حزيران ١٨٦٩م صدرت أول جريدة في العراق. وقد أنشأها الوالي مدحت باشا في بغداد باسم (جريدة الزوراء).

ولكن في مقال بعنوان (تأريخ الصحافة في العراق) نشر للسيد رزوق عيسى في العدد السابع لمجلة (النجم) الصادرة في الموصل (نينوى) في ٣٠ أيلول ١٩٣٤ جاء فيه أن أول صحيفة ظهرت في بغداد كانت تعرف باسم (جورنال العراق) أنشأها داود باشا الكرجي عام ١٨١٦م عندما تسلم منصب الولاية، مستنداً في ذلك على ما ورد في بعض أسفار رجال الافرنج ومنهم الانجليز من تلميحات وإشارات إلى أن أول صحيفة ظهرت في بغداد (جورنال العراق)[(١)]... وإن صحّ هذا التخريج أو التقرير - وأحسبه كذلك - فيكون العراق قد سبق مصر في تأريخ الاصدار الصحفي العربي.

وفي الثامن من شهر كانون الأول عام ١٩٢٢ صدرت جريدة «الوقائع العراقية» وهي «جريدة الحكومة العراقية الرسمية» ظهرت في أول أمرها بشكل مجلة تصدر (ثلاث مرات في الأسبوع مؤقتا) وكان عدد صفحات العدد الأول منها (١٦) بالحجم الكبير. وكانت تنشر القوانين والأنظمة والمراسيم والارادات وسائر القرارات والإعلانات الحكومية ذات الصبغة الرسمية[(٢)].

وفي الجزائر، صدرت جريدة «المبشر» التي أصدرها الفرنسيون في مدينة الجزائر وكان العدد الأول منها قد صدر في ١٥

---

(١) عبدالرزاق الحسني - تأريخ الصحافة العراقية - ص ٤٩.
(٢) المرجع السابق ص ٥٠.

سبتمبر / أيلول ١٨٤٧ بأمر من الملك لويس فيليب. وهي جريدة عربية اللسان والموقع - فرنسية الأقلام والمصدر. وكانت موجهة خصيصا للرأي العام الجزائري[١].

وفي سوريا، انبثق فجر صحافتها عام ١٨٥٨ في بيروت بمجلة «مجموع فوائد» وكانت على أيدي المرسلين الأمريكيين. فقد أصدروها وطبعوها في مطبعتهم ناطقة باللغة العربية[٢].

وفي سنة ١٨٥٥ أصدر رزق الله حسون الحلبي جريدة «مرآة الأحوال العربية» في استانبول[٣].

وفي لبنان، صدرت أول جريدة بإسم «حديقة الأخبار» لخليل الخوري سنة ١٨٥٨م.

وفي تونس، صدرت جريدة «الرائد الفرنسي» سنة ١٨٦٠م.

وفي ليبيا، صدرت جريدة «طرابس المغرب» سنة ١٨٦٦م.

وفي القدس ، صدرت جريدة «القدس» سنة ١٨٧٦ وكانت أول جريدة تصدر في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر. وقد أصدرتها الحكومة العثمانية باللغة العربية والتركية. وكانت تنشر فيها (القرارات) والأنظمة والأوامر التي تصدرها الحكومة. وهي الجريدة الرسمية الأولى في البلاد وكانت شهرية من الحجم الصغير.

وفي المغرب، صدرت جريدة «المغرب» سنة ١٨٨٩م.

---

(١) الزبير سيف الاسلام - تأريخ الصحافة الجزائرية.
(٢) د. شمس الدين الرفاعي - تأريخ الصحافة السورية.
(٣) محمد ناصر بن عباس - موجز تأريخ الصحافة السعودية.

وفي السودان كانت «الغازيتة السودانية» أول جريدة سودانية، صدرت سنة ١٨٩٩م وكان أول عهد السودان بالصحف اليومية عام ١٩٣٥ حين صدرت جريدة «النيل»[١].

أما في شبه الجزيرة العربية فإن أول جريدة صدرت كانت جريدة «صنعاء» وتعتبر الجريدة الرسمية للدولة العثمانية في اليمن وكان صدورها في عام ١٢٩٧هـ - ١٨٧٩م.

وفي عدن صدرت أول صحيفة عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) وقد أسسها محمد لقماني باسم «فتاة الجزيرة» وهي جريدة يومية.

وفي حضرموت صدرت مجلة شهرية كانت تكتب بخط اليد لعدم وجود مطبعة في بلدة (سيوون) وهي مجلة «الاعتصام» عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

أما في الحجاز فكانت أول جريدة هي «حجاز» أسبوعية، وقد صدر العدد الأول منها في ٨/١٠/١٣٢٦هـ / ٣/١١/١٩٠٨م وهي مكونة من أربع صفحات. الصفحتان الأولى والرابعة منها كانتا تكتبان باللغة العربية. أما الثانية والثالثة فتكتبان باللغة التركية، وقد سميت النسخة التركية (حجاز). أما النسخة العربية فقد كانت تسمى «الحجاز» وخاصة الأعداد الأربعة الأولى منها. ولكن النسخة التركية قد اتخذت بعد ذلك اسماً دائما لها[٢].

---

(١) أنظر خليل صابات - وسائل الاعلام نشأتها وتطورها - ص ٦٢-٦٦ سنة ١٩٧٦ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

(٢) محمد بن عباس - تأريخ الصحافة السعودية - ص ٢٤-٢٥.

وفي الرياض (منطقة نجد) تعتبر صحيفة «اليمامة» أول صحيفة تصدر فيها وكان صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر. وقد ظهر العدد الأول منها في شهر ذي الحجة من عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٣م على هيئة مجلة شهرية وفي عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م صدرت على هيئة صحيفة أسبوعية. طبعت لأول مرة في مدينة الرياض بعد أن أنشئت أول مطابع فيها وهي (مطابع الرياض) إذ كانت من قبل تطبع في مكة، ومصر، ولبنان[١].

وفي الأردن كانت صحيفة «الحق يعلو» صدرت في «معان» في عام ١٩٢٠ وكانت تطبع (بالفالوطة) في مخيم الأمير عبدالله، ثم انتقلت إلى عمان العاصمة ... وأول صحيفة مطبوعة بالحروف صدرت بالأردن هي صحيفة «الشرق العربي» الرسمية في عام ١٩٢٣م.

وفي الإمارات العربية وبعد الاتحاد (صدرت عن وزارة الاعلام) جريدة الاتحاد ثم أنشئت جريدة «الوحدة» وهي صحيفة يومية أهلية[٢].

وفي البحرين صدرت صحيفة «البحرين» في سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م أصدرها عبدالله الزايد، وهي أسبوعية وظلت تصدر إلى عام ١٩٤٢م.

---

(١) المرجع السابق - ص ١٠٢.
(٢) أنظر - خليل صابات - وسائل الاعلام - ص ٦١-٦٢.

وفي الكويت كانت مجلة «الكويت» أول صحيفة صدرت فيها عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م[1].

الاصدار الصحفي الإسلامي :

وحتى لا نسترسل أكثر في تأريخ الصحافة وتطورها بشكل عام إذ قد يخرجنا هذا عن موضوع بحثنا وهو «المدخل التأريخي للصحافة الاسلامية في البلاد العربية».

نرى من المناسب وقبل تناول مراحل الاصدار بعد منتصف القرن العشرين (وهو ضمن مجال بحثنا – والذي سيأتي ضمن الباب الأول بإذن الله) أن نستعرض في هذا التمهيد بعض مراحل الاصدار في بعض البلاد العربية قبل الفترة المذكورة.

٤ ـ مراحل الاصدار الصحفي الاسلامي قبل منتصف القرن العشرين :

في مصر صدرت صحيفة «العروة الوثقى» وكان ذلك عام ١٨٨٤م في مدينة باريس، وقد كان من برنامجها وأهدافها – دعوة المسلمين كافة إلى التمسك بالأصول التي كان عليها أباؤهم وأسلافهم، وانه لا يصلح آخر الأمر إلا بما صلح به أوله. والمثل الأعلى للمسلمين في نظر الجريدة هو ما كان عليه الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين. وقد اشترك جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في إصدار هذه الصحيفة أيام الاحتلال الأنجليزي، وقد توقفت عن الصدور بعد ثمانية أعداد

---

(١) محمد ناصر بن عباس – تأريخ الصحافة السعودية – ص ٢٤–٢٥.

فقط من إصدارها وذلك في (تشرين الأول) من نفس السنة[1].

ثم مجلة «المنار» صدرت في عام ١٨٩٨م – وهي مجلة إسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي – وصاحبها هو محمد رشيد رضا[2].

فمجلة «مكارم الأخلاق الإسلامية» مجلة أخلاقية إسلامية أدبية تأسست في رمضان عام ١٣١٧ـ١٩٠٠م وتقوم بالدعوة إلى الله ونشر الفضائل ومحاربة البدع والرذائل[3].

ثم جريدة «الاخوان المسلمين» التي أصدرها الشيخ طنطاوي جوهري وكانت أسبوعية صدرت عام ١٩٣٣ ثم انتقل امتيازها بعد ذلك إلى «الشيخ حسن البنا» وتحولت إلى صحيفة يومية تهتم اهتماما كبيرا بالشؤون الاسلامية، وكان لها أعمق الأثر في الشباب المصري الذي وجد فيها متنفسا عما يشعر به من السخط أو الغيظ.

ثم صحيفة «النذير» وهي إحدى صحف الاخوان المسلمين، أسبوعية صدرت عام ١٩٣٨، وكانت دينية سياسية. ثم اعتزلت جماعة الاخوان المسلمين وانضمت إلى جماعة دينية أخرى باسم «شباب محمد».

فمجلة «الشبان المسلمين»: مجلة إسلامية علمية تهذيبية شهرية صدر عددها الأول في جمادي الأولى ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م عن جمعية الشبان المسلمين – بالقاهرة[4].

(١) د. عبداللطيف حمزة – قصة الصحافة العربية في مصر – ص ٩٧.
(٢) دكتوره إحسان عسكر – نشأة الصحافة السورية – ص ٥٢٩.
(٣) المجلة – العدد الأول.
(٤) المجلة – العدد الأول.

ثم «جريدة الجهاد» – وهي يومية أصدرها محمد توفيق دياب سنة ١٩٣١ وكانت ميولها واتجاهاتها عربية إسلامية[١].

وفي عام ١٩٤٥ صدرت صحيفة الثقافة الإسلامية «الرابطة الإسلامية»[٢].

وفي عام ١٩٤٦ صدرت صحيفة «الاخوان المسلمين» وكانت يومية – دعت إلى قيام حكومة إسلامية تحارب الاحتلال والفساد والحزبية وقد عطلت عام ١٩٤٨.

ثم مجلة «الشهاب» مجلة شهرية أصدرها الشيخ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين. وقد صدر عددها الأول في غرة محرم ١٣٦٧ – الموافق ١٤ نوفمبر ١٩٤٧م وهي كما جاء في افتتاحيتها (مجلة إنسانية الاتجاه إسلامية المنهج غايتها خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام والدفاع عن أحقية عقيدة (الايمان بالله) وقد عاشت من عام ١٩٤٧ – ١٩٤٩م[٣].

وهناك مجلات وصحف أخرى صدرت خلال هذه الفترة وهي : مجلة «الهداية» في عام ١٩١٠ وصحيفة «هدى الاسلام» عام ١٩٣٤ ومجلة «الهدي النبوي» عام ١٣٥٦هـ ١٩٣٨م ومجلة «منبر الاسلام» ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م[٤].

---

(١) د. عبداللطيف حمزة – قصة الصحافة العربية في مصر – ص ١٤٧ ــ ١٥٠.
(٢) المجلة – العدد الأول.
(٣) المجلة – العدد الأول.
(٤) المجلات – العدد الأول.

أما في **العراق** فمن أهم وأبرز الاصدار الصحفي خلال هذه الفترة ما يلي :

مجلة «العلم» وهي مجلة شهرية دينية فلسفية سياسية علمية، ظهرت في عالم الصحافة بعد إعلان الدستور العثماني : لصاحبها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من علماء الدين المعروفين في العراق – وقد صدر عددها الأول في ١٩١٠/٣/٢٩م ... ومما جاء في مقال لها تحت عنوان «الصحافة»: (أليست الصحافة عيناً مراقباً ولساناً ناطقاً وخطيباً صادقاً ودرعاً واقياً ومعلماً هادياً ومؤدباً ناصحاً وصراطاً واضحاً تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. لا تحمي في الباطل حميما ولا تهضم في الحق خصيماً، وكل صحيفة أخطأت هذا الصراط فعلى الأمة تأديبها ولو بالسياط)[١].

ثم مجلة «تنوير الأفكار» مجلة دينية سياسية خادمة للدين والعروبة، شهرية صدر عددها الأول في بغداد في ١٩١٠/٨/٢٦ لصاحبها عبدالهادي الأعظمي، وقد صبت جل اهتمامها على نشر مبادىء الدين الإسلامي الحنيف والتعريف بمشاهير العرب وتفسير آيات القرآن الكريم[٢].

ومجلة «الرصافة» مجلة دينية تأريخية أدبية علمية، شهرية أنشأها في بغداد السيد عمر صادق الأعرجي، وقد صدر عددها الأول في جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣/٤/٩م.

---

(١) أنظر منير بكر التكريتي – الصحافة العراقية واتجاهاتها – ص ١٤٢–١٤٣.
(٢) المصدر السابق – ص ١٤٦.

وهناك مجلات وصحف إسلامية أخرى صدرت في هذه الفترة وهي :

مجلة «سبيل الرشاد» عام ١٩١٢م – وجريدة «صدى الاسلام» في ١٩١٥/٧/٢٣م. ومجلة «المرشد» عام ١٩٢٥ ومجلة «الهدى» في ١٩٢٨/٨/١٧م. وجريدة «اليقظة» في ٥ صفر ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤/٩/٥م – أسبوعية. وصحيفة «الهداية» أسبوعية في ١٩٣٠/٣/٢م. وصحيفة «صدى الاسلام» أسبوعية أصدرتها جمعية الهداية الاسلامية – وكانت من الصحف الراقية. صدر عددها الأول في ١٣٤٩/٧/٢٩هـ الموافق ١٩٣٠/١٢/٢٠م. وصحيفة «الاعتصام» في ١٢ محرم ١٣٥٠هـ ثم «الصراط المستقيم» في ٢٠ صفر ١٣٥٠هـ[١].

وفي **المملكة العربية السعودية** فأبرز الصحف والمجلات الاسلامية فيها هي :

جريدة «القبلة» وهي جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الاسلام والمسلمين، وقد ظهرت في العهد الهاشمي بمكة المكرمة يوم ١٣٣٤/١٠/١٥هـ الموافق ١٩١٦/٨/١٥م وكانت تصدر مرتين في الأسبوع، ومديرها المسؤول السيد محب الدين الخطيب.

ثم مجلة «الاصلاح» وهي صحيفة دينية علمية اجتماعية أخلاقية تصدر بمكة المكرمة مرتين كل شهر، وقد صدر عددها الأول في ١٥ صفر ١٣٤٧هـ. وذكر مديرها السيد محمد حامد الفقي في

---

(١) عبدالرزاق الحسني – تأريخ الصحافة العراقية – ص ٢٨-١٠٠.

خاتمة الجزء الأول منها «أنه كان يتمنى أن يصدر صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلى صوت المصلحين وتتعاون وإياهم على ما هم بسبيله من دعوة إلى الحق وإرشاد إلى الصلاح.

ثم مجلة «الحج» مجلة إسلامية تبحث بوجه عام في الموضوعات الدينية والتأريخية وعلى الأخص فيما يتصل بالحج وشؤونه. وقد صدر عددها الأول في شهر رجب سنة ١٣٦٦هـ الموافق مايس ١٩٤٧م بمكة عن إدارة الحج العامة التي تحولت فيما بعد إلى وزارة الحج والأوقاف[١].

فمجلة «النداء الاسلامي» مجلة دينية اجتماعية صدرت في ربيع الثاني ١٣٥٦هـ تموز ١٩٣٧م بمكة المكرمة، واتخذت من الآية الكريمة ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾[٢] شعاراً لها، وهي مجلة شهرية تحرر باللغة العربية والملايوية، وقد أوضح المحرر في افتتاحية العدد الأول الغرض من إصدار هذه المجلة، وهو إيجاد التآلف والتعارف بين العنصرين الكريمين العربي والجاوي وخدمة للدين والاسلام والوطن[٣].

وفي **سوريا** : صدرت مجلة «التمدن الاسلامي» وهي مجلة إسلامية علمية أدبية شهرية، صدر عددها الأول في شهر محرم ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م عن جمعية التمدن الاسلامي بدمشق[٤].

(١) محمد ناصر بن عباس – موجز تأريخ الصحافة السعودية – ص ٣٠-٧٨-٩٦.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٣.
(٣) د. محمد عبدالرحمن الشامخ ـــ الصحافة في الحجاز ص ١٦١.
(٤) المجلة ـــ العدد الأول.

ثم مجلة «الاعتصام» شهرية أنشأها عبدالله المعتز وعون الله الاخلاص في حلب عام ١٣٤٩هـ / ١٩٢٩م.

ثم «المجلة الاسلامية» مجلة تصدر مرتين في الشهر، مديرها المسؤول محمد علي الكمال صدرت في عام ١٣٤٩هـ / ١٩٢٩م بدمشق.

ومجلة «الحقائق» شهرية، صاحبها السيد عبدالقادر الاسكندراني، صدرت في عام ١٣٣١هـ / ١٩١٠م بدمشق[1].

وفي لبنان صدرت جريدة «الاقبال» في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٢م وهي جريدة إسلامية ناهجة خطة الصدق في أخبارها والاعتدال في مشربها، وكان صاحبها الشيخ عبدالباسط الأنس[2].

ثم مجلة «التمدن الاسلامي» أنشأها عبدالحليم مراد وعبدالله الشامي في عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م[3].

وفي الجزائر صدرت مجلة «الاسلام» وهي مجلة أسبوعية صدرت في عام ١٣٣١هـ / ١٩١٢ بمدينة الجزائر.

ثم مجلة «الاصلاح» أسبوعية، مديرها الطيب العقبي، صدرت في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م بمدينة الجزائر.

فمجلة «السنة النبوية المحمدية» لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، صدرت في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م بالقسطنطينية.

(١) مجلة الدارة – العدد ٣، ٤ – السنة الثانية – شوال ١٣٩٦ هـ – ص ٢٥١ – الرياض.

(٢) طرازي – ج ٤ ص ٨.

(٣) أنظر يوسف أسعد داغر – قاموس الصحافة اللبنانية – ص ٩٦ منشورات الجامعة اللبنانية بيروت.

ثم «الصراط» عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م.
ثم «صوت المسجد» لسان حال رجال الديانة الاسلامية بالجزائر، صدرت في عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٨م(١).

وفي **تونس** صدرت مجلة «المنصف» في عام ١٣٢٨هـ/١٩٠٧م وكانت أسبوعية للسيد محمد الشريف التيجاني بتونس.

ثم مجلة «شمس الاسلام» شهرية لمحمد الصالح بن مراد صدرت في عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

ثم مجلة «الشبان المسلمين» لصاحبها محمد الصالح النيفر، صدرت في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

وفي **المغرب** صدرت مجلة «الارشاد الديني» لصاحبها محمد الطنجي عام ١٣٥٩هـ/١٩٣٩م، تطوان، المغرب.

أما في **الأردن** فقد صدرت مجلة «الحكمة» وكانت شهرية صاحبها نديم الملاح، عمان، وذلك في عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م.(٢).

وفي **فلسطين** : صدرت جريدة «الجامعة الاسلامية» يومية تبحث في المواضيع الدينية والسياسية والعلمية والأدبية، وكانت تنشر فكرة الجامعة الاسلامية في كافة البلاد الاسلامية، صدرت في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م، صاحبها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي.

---

(١) مجلة الدارة - العدد ٣ ، ٤ - ص ٢٥١ شوال ١٣٩٦هـ - الرياض.
(٢) مجلة الدارة - العدد ٣ ، ٤ - شوال ١٣٩٦هـ - ص ٢٥١.

تم جريدة «الصراط المستقيم» وكانت تبحث في الشؤون الدينية والسياسية والأدبية والعلمية، صدرت في عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م وكانت تصدر مرتين في الأسبوع ثم أصبحت يومية بتاريخ ١٩٣٦/٦/٥ واستمرت في الصدور حتى وقعت النكبة[١].

ومن هذا المدخل التأريخي العام نجد أن الصحافة بوجه عام وليدة الفطرة البشرية الباحثة عن الحقائق والمعارف والعلوم ولا يفترق في هذا الشأن شعب عن آخر ولا أمة عن غيرها إلا من حيث الهدف والغاية وشكل الوسيلة وأسلوب الآداء، فقد تنوعت أشكال ومظاهر العمل الصحفي خلال التأريخ الانساني لتحقق نزعة البحث ورغبة الدعوة والاعلام وتوسيع نطاق المعرفة وكسب التأييد والتعارف والانسجام، ولا شك أن الصحافة الاسلامية قد شاركت بصفتها الانسانية في تحقيق غاياتها بأشكال وأساليب متنوعة شأنهافي ذلك شأن بقية الصحف البشرية لا تختلف إلا في المضمون الذي يحمل مبادىء الاسلام الهادية، وحقائق الدعوة الراشدة مما سيتناوله هذا الكتاب في ابوابه وفصوله التالية :

---

(١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية – الصحافة العربية في فلسطين – ص ٧١-٩٠.

الباب الأول
مفهوم الصحافة الإسلامية
شكلاً وموضوعاً

نحتاج للوفاء بحق البيان في هذا الموضوع إلى معرفة المراد من الصحافة والمقصود بوصفها «إسلامية».

وقد تناولت هذا البيان في فصول :

الفصل الأول : بيان المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الصحافة ومشتقاتها ومعنى إضافة «إسلامية» إليها وأهدافها.

الفصل الثاني : التصور الموضوعي للصحافة الاسلامية، بينت من خلاله أيضا كيف تمثل السياسة الاسلامية صورة عملية ناطقة بالمضمون العلمي لتصور معنى الصحافة الاسلامية.

الفصل الثالث : قواعد الالتزام بالمفهوم العلمي للصحافة الاسلامية في هذا البحث، إضافة إلى العناصر الأساسية للصحافة ومراحل الاصدار الصحفي بعد منتصف القرن العشرين الميلادي.



الفصل الأول

مفهوم كلمة الصحافة وأهدافها

ويتضمن النقاط الرئيسة التالية :

١ ـ الصحافة لغة :

«الصحافة» مشتقة من مادة «صحف» المشتقة منها مادة «صحيفة» وقديماً استعملت الصحيفة في معنى كل ما فيه خبر أو إعلان أو معلومات وغيرها.

ففي بداية الدعوة المحمدية سمى المشركون وثيقتهم التي نصوا فيها على مقاطعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه «صحيفة» وعلقوها على جدار الكعبة ليطلع عليها جميع الناس ... وفي القرآن الكريم وردت دالةً على ما كان ينزل على النبيين والمرسلين من أخبار الأمم ومن الشرائع السماوية :

﴿إن هذا لفي الصُّحُفِ الأولى * صُحُف إبراهيم ومُوسَى﴾[1].

قال الأزهري : وصحيفة الوجه بشرة جلده، وقيل هي ما أقبل عليك منه.

ويجوز أن يكون أراد بالصحيف الصحيفة. وهذا على التشبيه بالصحيفة التي يكتب فيها.

(١) سورة الأعلى – الآيتان ١٨، ١٩.

فكلمة «صحف» : الصحيفةُ التي يكتب فيها والجمع صَحائفٌ وصُحُفٌ وصُحْفٌ.

وقال الجوهري : الصحيفة : الكتاب، وفي الحديث أنه كتب لعيينة بن حصن كتاباً فلما أخذه قال : يا محمد : أتراني حاملا إلى قومي كتابا كصحيفة المُتَلمِّس ؟[1] [2].

وفي قاموس «محيط المحيط»[3] : الصحيفة: قرطاس مكتوب جمعه صحائف وصحف، وتطلق أيضا في العرف على وجه أو ورقة من الكتاب، وجمع الصحيفة على صُحُف نادراً لأن فعيلة لا تجمع على فُعُل قياساً.

وقد ورد في سورة البينة ﴿رسولٌ من الله يَتْلُواْ صُحُفاً مُطهَّرةً﴾[4].

وجاء في «متن اللغة»[5] : الصحافة : حرفة نشر الصحف وعملها، والنسبة إليها صَحَّاف وهو أجودها – وصِحَافي وصَحَفي.

وفي «المعجم الوسيط»[6] : ١٩٦٠م. عرف الصحافة –

(١) الصحيفة : الكتاب، والمتلمس : شاعر معروف واسمه عبدالمسيح بن جرير. وكان قدم هو وطرفة الشاعر على الملك عمر بن هند. فنقم عليهما أمرا. فكتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما، وقال إني قد كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة. فأعطى المتلمس صحيفته صبيا فقرأها فإذا فيها يأمر عامله بقتله. فألقاها في الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة : افعل مثل فعلي فإن صحيفتك مثل صحيفتي. فأبى عليه ومضى إلى عامله فقتله فضرب بها المثل.

(٢) لسان العرب المحيط – المجلد الثاني – باب الصاد.

(٣) المجلد الثاني – باب الصاد.

(٤) سورة البينة – الآية ٢.

(٥) المجلد الثالث – حرف الصاد.

(٦) خليل صابات – الصحافة رسالة واستعداد وفن ــ ص ١٣-١٤.

بكسر الصاد – بأنها مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة.

والصحيفة : إضمامة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك. وجمعها صحف وصحائف.

قال الأزهري في «لسان العرب المحيط» : والمُصْحَفُ والمِصْحَفُ : الجامع للصحف المكتوبة بين الدَفتين. كأنه أُصْحِفَ، والكسر والفتح فيه لغة.

قال أبوعبيد : الضم لتميم والكسر لقيس و لم يذكر من يفتحها، إنما ذلك عن اللحياني نقلا عن الكسائي.

واستطرد الأزهري قائلا : وإنما سمى المصحف مصحفا لأنه أُصحِفَ، أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين.

قال الفراء : يقال مُصْحَفٌ ومِصْحَفٌ كما يقال مُطْرَفٌ ومِطْرَفٌ.

قال : وقوله مُصْحف من أُصْحِفَ، أي جُمِعت فيه الصحف. وأطْرِف جعل في طَرَفيه العَلَمان.

وفي «محيط المحيط» والمُصحَف : اسم مفعول، والكرّاسة وحقيقتها مَجمعَ الصُحُف. أو ما جمع بين دفتي الكتاب المشدود وقد غلب على القرآن حتى صار كالعَلَم لهُ.

ومنه قول الشاعر :

بغداد دارٌ لأهل المال طيبةٌ
وللمفاليس دار الضنكِ والضيقِ

ظللتُ حيران أمشي في أزّقتها
كأنني مُصحَفٌ في بيتِ زنديقِ

وبمقارنة التعريفين لأبي عبيد والأزهري نجد أنهما اتفقا في التعريف للمصحف غير أن محيط المحيط أتى بالمعنى اللغوي لكلمة مصحف وعبر عنها بقول «اسم مفعول».

كما جاء في «محيط المحيط» أن الصَحَفيُّ من يخطىء في قراءة الصحيفة، ومن يأخذ العلم من الصحيفة (لا من أستاذٍ) وهو منسوب إليها بحذف الياء على القياس.

وفي «المصباح المنير»[1] الصَحَفي – بفتحتين ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ كما ينسب إلى حنيفة وبجيلة، حنفيّ وبجليّ.

وجاء في «المعجم الوسيط» قال : والصحفي : من يأخذ العلمَ من الصحيفة لا عن أستاذٍ.

وعليه نجد أن معاجم اللغة وقواميسها قد اتفقت على «تعريف» واحد وإن اختلفت تعبيراتها.

فالصحفي (مَن يأخذ العلم من الصحيفة لا عن أستاذٍ).

والصحيفة : قرطاس مكتوب جمعه صحائف وصحف أو مجموعة من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة تحمل أخباراً سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وما يتعلق بذلك.

والصحافة هي مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة.

---

(١) الجزء الأول – باب الصاد.

وأود أن أشير قبل انتهائي من هذه العجالة الشيقة إلى القول بما ورد في قاموس «محيط المحيط» إلى أن كلمة صحّف أي صحّف الكلمة تصحيفاً، يعني أخطأ في قراءتها وروايتها في الصحيفة أو حرّفها عن وضعها، وأصحف الكتاب جعل فيه الصُحُف.

وتصحّفت عليه الصحيفة تغيرت عليه الكلمة والقارىء أخطأ في القراءة. والصلة بين القراءة من صحيفة وعدم الأخذ عن الأستاذ وبين التصحيف غلبة الخطأ في القراءة إذا لم يكن الأستاذ موجوداً.

كما ورد في القاموس نفسه أن التصحيف : قراءة الشيء على خلاف ما أراد كاتبه أو على غير ما اصطلحوا عليه.

وفي «المصباح المنير» التصحيف : تغير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الموضع. وأصله الخطأ : يقال صحّفه فتصحف أي غيّره فتغير حتى التبس.

ويقول فيليب دي طرازي في كتاب «تاريخ الصحافة العربية»[1]: إن أول من استعمل كلمة الصحافة - بمعناها الحالي هو الشيخ نجيب الحداد منشىء جريدة «لسان العرب» بالاسكندرية، ويعرف :

الصحافة بأنها صناعة الصحف.

والصحف جمع صحيفة وهي قرطاس مكتوب.

والصحافيين : القوم الذين ينتسبون إليها ويعملون فيها.

---

(١) الجزء الأول - ص ٥ - المطبعة الأدبية - ١٩١٣م - بيروت.

٢ ـ المفهوم الاصطلاحي لكلمة الصحافة :

إن الصحافة في معناها المبسط : هي رواية الأخبار وعرضها بطريقة ما على القراء.

وبعبارة أخرى هي : أوراق محدودة مطبوعة يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً أو دورياً، تحمل الدين أو الأخبار أو الأدب أو العلم أو الاقتصاد أو كل ذلك أو بعضه، وتوزع على القراء للاطلاع والالمام بما تنقله إليهم.

وهذا التعريف المبسط يشمل الصحافة، الجريدة، والمجلة. والجريدة أشبه بالنشرة الدائمة، والمجلة : أشبه بالكتاب.

وكما ذكرت في التمهيد أن «براعم» الصحافة كانت موجودة في العصور القديمة لدى الأمم المختلفة. فكان الشعر عند عرب الجاهلية هو صحافتهم السيارة وديوانهم الحاوي لأخبارهم وحياتهم الخاصة والعامة.

وفي ضحى الاسلام كانت صحافة العالم الاسلامي هي : المؤلفات الأدبية والتأريخية الجامعة مثل: كتب الجاحظ والمستطرف والعقد الفريد وعجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبدالرحمن الجبرتي وغيرها من الكتب ذات الطابع الاخباري والاجتماعي الشامل.

يقول الدكتور عبداللطيف حمزة : «إن الجاحظ صحفي القرن الثالث الهجري وإنه صحفي ناجح و لم ينقصه غير اسمه الصحفي».

ويضيف : «إن أدب الجاحظ كان صحافة كاملة لـذلك العصر»[1].

ويقول عبدالحميد سرايا معرفاً الصحافة بأنها «خبر ومقال» ... الخبر الذي يعكس بصدق وشرف صورة الأحداث اليومية في مجتمعنا الداخلي وفي العالم الكبير. والمقال الذي يدفع عنّا حملات الافتراء في الخارج ويكشفها للناس، ويعرض وجهة نظرنا، والمقال الذي ينقد الأخطاء في الداخل»[2].

وقد عرف الدكتور / محمود عزمي - الصحافة بمعناها الاصطلاحي العام بأنها «وظيفة اجتماعية» هي توجيه الرأي العام عن طريق نشر المعلومات والأفكار الخيّرة والناضجة مفعمة ومناسبة إلى مشاعر القراء في خلال صحف دورية.

فهي تختلف عن الكتب من حيث مواعيدها وشمولها لشتى الموضوعات وعنايتها بالأخبار قبل ما سواها، وهي تحمل القيم المعنوية ما يؤثر في الرأي العام، فتوجهه التوجيه الصالح وتنير له سبيل الرقي في خضم هذه الحياة[3].

وكلنا يعلم أن الرأي العام عنصر أساسي من عناصر تكوين الجماعة وتكييف الأجيال الحاضرة والمقبلة.

فالمادة الخام للصحافة هي الأخبار والأفكار والمعلومات. والقيم المعنوية الدينية بضاعتها. والأمانة التي يشعر بعظمها قادة الفكر

---

(١) كتاب / ندوة المحاضرات - رابطة العالم الاسلامي - ص ١٨٧ ـ عام ١٣٩٠هـ.

(٢) خليل صابات - الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم - ص ١٦.

(٣) محمد الدرع - معلم الصحافة والانشاء - ص ٦.

المخلصون ويبذلون في سبيل أدائها كل نفيس هي رسالتها. فالصحافة مهنة هدفها الأول السعي نحو الكمال. وفن لأن نجاحها وفشلها يتوقفان على نوع الأسلوب الذي يعالج به ما فيها من أخبار وآراء. ورِسالة لأن الصحفي المخلص في إيمانه بحقوق أمته وفي اندفاعه المتوهج للسير بها في ركاب العزة والمجد والسيادة أشبه بالمصلح الروحي الذي يجعل قلبه وفكره وقفاً على سعادة أمته وسراجاً ينير لها طريق الحياة.

إذن ليست الصحافة سلعة تعرض في الأسواق للاتجار والربح الباهظ، بل هي مظهر من مظاهر النشاط الفكري وحريته، وربما تأثر إلى حد ما بسياسة الدولة وتكييفها للصحف والمجلات وبالوعي الاجتماعي والسياسي واليقظة الروحية والمادية لجمهور القارئين.

كما أنها أداة فعّالة وصالحة للتجديد وتنوير الأفكار، وهي ميدان للجدل العلمي ونشر الآراء بأسلوب سهل وجذاب يقبله الكل ولا يقتصر نفعه على البعض، كما هو الحال في الكتب والمؤلفات.

إن الصحيفة كتاب دوار وسيّار يصيد كل ما تقع عليه شباكه مع حرصه على الوقت والفرص، ثم يعرضه بإيجاز ولهفة، فيجد فيه القارىء بغيته من الأنباء والبحوث المركزة، ويجد التاجر ما يهمه من أنباء الأسواق التجارية ورأي الاختصاصيين في الاقتصاد، ويحيط السياسي عن طريقه بتطورات السياسة المحلية والخارجية فيبني ما يتعلمه من خطته ويحدد موقفه.

والطالب يجد فيه ما يصله بالعالم الخارجي عن عالم مدرسته أو جامعته، وكذا الرياضي والعامل والمزارع وغيرهم. فلكل إنسان

مهما كان عمله نصيب في الصحيفة، يمنحه الفائدة أو الترفيه على الأقل. لأنها حياة كاملة تحفل بكل ما في الحياة الكاملة من نشاط[1].

تقول د. إجلال خليفة في كتاب «الصحافة»[2]: لم تعد الصحافة مجرد ألوان من الكلام والأخبار تنقل إلى القراء وترضي عواطفهم ورغباتهم بل إنها قوة تصنع الرأي العام في الأمة وتربط الأمة بمصالحها ومقوماتها وتصنع المجتمع الذي يعرف كيف يشكل الحياة ويتفاعل معها سواء في الداخل أو الخارج.

وبما أن للصحافة هذا المركز العظيم من القوة والتأثير لابدّ لها من قواعد وأصول تحميها وتصونها حتى لا تنحرف عن الطريق كأي قوة أخرى وتتأرجح مهمتها بين الوسيلة والغاية فتنقلب إلى قوة مدمرة. ولهذا فلابدّ للصحافة من قواعد وأصول كي ترتبط بمهمتها الصحيحة والسليمة في توجيه الرأي العام وإرشاده، تخدم الحقائق وتنقل الأخبار دون تحيز وتدافع عن خطط سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية هي مصلحة الأمة، ملتزمة بالقانون الأخلاقي الجامع الذي تخضع له جميع الأشياء وتدفع بالأمة كلها إلى طريق التقدم والقوة والخير.

وليس من المقنع ولا المفيد أبداً أن تُعّرف الصحافة بما يقال من أنها أداة الاتصال بالجماهير والنافذة التي يرى الفرد منها العالم.

---

(١) محمد الدرع – معلم الصحافة والانشاء – ص ٢٢-٢٣.
(٢) ص ١٠، ٣٠.

إنها ليست هكذا. وإنما هي قوة فعالة مؤثرة. إنها قوة الكلمة التي تستقر في العقول والأذهان وتتجاوب مع آمال الأمم وتطلعاتها.

الكلمة التي نزلت بها رسالات الأنبياء وصنعت عقائد البشر وأنبتت في نفوسهم الايمان وأصبحت خالدة بخلود الدهر. وما بقي عقل يفكر ووجدان يشعر ... الكلمة التي صنعت حركات التأريخ وأشعلت الثورات وحكمت ضمير الأمم. على هذه القوة كانت ومازالت حتى يومنا هذا.

إنها الكلمة هذا الشيء المقدس الذي يتمثل اليوم في الصحافة قوة وتأثيراً أو توجيهاً وإرشاداً على كل مستويات المجتمع والأمة جميعها والعالم بأسره.

هكذا وبهذه القوة تصنع الصحافة حياة الأمم نفسياً واجتماعياً واقتصادياًوعسكرياً وثقافياً وسياسياً. صنعت هذا على أساس من الماضي والتأريخ ولم يقتصر على نطاق الحاضر وفي نظرة عميقة إلى المستقبل الذي تنشده الأمة في حياتها وتطمح أن تصله في غدها فهي قوة صنع وبناء لا يمكن لأي أمة الاستغناء عنها.

الصحافة : هي الصوت الذي تتمثل فيه إرادة الأمة ورغبتها وطموحها وآمالها. الصوت الذي تجتمع فيه إرادة المجتمع والأمة، الحاكم والمحكوم على طريق العمل والحياة، الصوت الذي يذيع الحقائق صريحة بما فيها من خير أو شر وصلاح أو فساد.

وأول واجبات الصحافة أن تنقل الأخبار دون تحيّز لشخص عادي أو شخص معنوي، حكومي أو صاحب سلطة مهما كانت

نوعية هذه السلطة : تجارية، صناعية، حزبية.. وأن تحترم الحقائق وترتبط بقانون أخلاقي أون تلتزم بهذا في إطار ما تقدمه من توجيه ونقد وتقويم وربط الحاكم والمحكوم بالمصلحة الكبرى التي هي مصلحة الأمة.

فيما تقدم عَرَّف جميع الكتاب «الصحافة» بما يجب أن تكون عليه، في الوقت الذي نجد أكثرها عكس ذلك تماماً.

ولو إننا نرى أن ما جاء بتعريف أو مفهوم الصحافة لاجلال خليفة هو أفضل وأنسب التعاريف وأقربها إلى الشمول.

إلا أننا نرى أيضا أن يكون التعريف على النحو التالي :
الصحافة : وسيلة نقل الأخبار والمعلومات والحقائق وعرضها على الناس وفق ضوابط وقواعد أخلاقية ووظائف إنسانية شريفة تتأثر وتؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية وتساهم الاسهام الفعلي في ترقية اهتمامات الناس قبل تلبيتها. لأن تلبية اهتمامات الناس على ما هي عليه أو بعد افسادها لا يمثل إلا منطق الباطل والهلاك ... متحرية الصدق والأمانة والحق، لا تخشى بالحق لومة لائم، وإنها المعبرة بحق عن أصالتنا ومعتقداتنا وفكرنا.

وإن كانت الصحافة قديمة قدم التأريخ إذا سمينا بها رواية الأنباء والنقوش والاعلانات والأخبار وإذاعتها كما عرف عند العرب في الجاهلية وفي مصر والصين وغيرها من الأمم القديمة بسبب كونها ترتبط بالصفات الانسانية والاجتماعية وتمس غريزة حب الاستطلاع عند البشر منذ وجدوا، فهي بمعناها الحديث وبالشكل الذي نعرفه لا ترجع إلى أكثر من قرنين، حيث كانت وقبل اختراع المطبعة

مختلطة بالكتابة وبالبريد. بل إنها بدأت – كما أسلفنا – على هيئة الأوامر والتبليغات التي كانت الحكومات تذيعها عن طريق الرسل إلى أقاليمها أو عن طريق نقشها على الحجر كما هو الشأن في «حجر رشيد» المشهور في مصر وكالقطعة الحجرية التي يرجع تأريخها إلى ما قبل المدنية اليونانية والموجودة الآن في معرض الصحافة في «كولونيا» بألمانيا. ولم تنفصل الصحافة كعمل مستقل بذاته إلا بعد اختراع المطبعة بقليل ...

ويقال أن أول جريدة صدرت في العالم هي جريدة رومانية ظهرت سنة ٥٨ قبل الميلاد باسم «الأعمال الرسمية» وقد أسسها الامبراطور يوليوس مع كبار موظفيه – كما سبق[١].

ما تقدم لم يكن سوى مفهوم إصطلاحي للصحافة بصورة عامة، وزيادة في ايضاح مفهوم الصحافة نجد من المناسب وقبل أن نتطرق إلى «المفهوم الاصطلاحي للصحافة الاسلامية» أن نعرض هنا بلمحة موجزة طبيعة الصحافة قديماً وحديثاً وكذلك تقسيماتها :

أ – لمحة عن طبيعة الصحف في العصور القديمة :

١ ـــ صحف مخطوطة : وأول من اعتمد عليها كسند لرواج التجارة هي إيطاليا وذلك لمكانتها وموقعها الجغرافي الممتاز.

٢ ـــ صحف دورية إخبارية : وأول ما ظهرت في كولونيا من مدن ألمانيا سنة ١٤١٥، كما عرف نوع من هذه الصحف في مصر إبّان العصور الوسطى.

(١) محمد الدرع – معلم الصحافة والانشاء – ص ٢٢-٢٣.

٣ ــ رسائل إخبارية : وقد ظهرت لفترة من الزمن مخطوطة مع وجود المطابع، وكانت تضم موضوعات مختلفة على هيئة رسائل صغيرة وذلك لقلة تكاليفها وفداحة تكاليف المطبعة.

٤ ــ صحف أدبية مخطوطة : وقد عرف هذا النوع من الصحف في العصر الجاهلي عند العرب حيث نشروا أشعارهم التي اشتهرت بالمعلقات على جدار الكعبة وذلك اعترافا بتفوق الشاعر وليطلع عليها الناس. وكانت مخطوطة بالطبع وقد اتخذ هذا النوع من الصحف اتجاهات مختلفة باختلاف تطور الحكم بعد انتشار الاسلام، نراها في كتب الأدب القديم.

٥ ــ رسائل سياسية واجتماعية مخطوطة : وهذا إطلاق على نوع خاص من الرسائل التي ظهرت بين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وبين الملوك في زمنه كما فعل مع النجاشي. وبينه وبين الصحابة الموزعين في الأمصار أثناء الفتوحات وغيرها. ثم سلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من خلفاء الاسلام – ولا سيما في العصر العباسي – طريقة الرسائل الحرة في اقناع الرأي العام وأصبحت صلة الوصل بينهم وبين عمالهم في الولايات في كل أمر يهم الدولة أو الأمة. ويقوم هؤلاء بدورهم بإذاعتها على الناس، كرسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأحد عماله في تنظيم القضاء، ورسالة عبدالملك للحجاج في السياسة. وكان يكتب هذه الرسائل أدباء وعلماء لهم مكانتهم في عصرهم في السياسة والدين والاجتماع والأدب، مما يكاد يشكل صحافة كاملة آنذاك. وقد كان هؤلاء مصدر خطر على الدولة حيناً

ووسيلة أمن ودعم حيناً آخر. ولو نظرنا إلى انتاج الجاحظ مثلا وهو من كتاب القرن الثالث الهجري، لحكمنا على صاحبه بأنه صحفي من الطراز الأول في مجتمعه وفي عصره الذي عاش فيه.

٦ ــ صحافة مطبوعة : في أواسط القرن الخامس عشر وعند ظهور المطبعة بدأ هذا النوع من الصحف. وكانت وسيلة لنشر الآداب والعلوم وتوجيه الرأي العام أولا، ثم لتوزيع فطرات الفكر الانساني وتبادل آرائه وتعميم الروابط العالمية بين مختلف الأمم ثانياً.

ب - الصحف في العصر الحديث :

يقسم محمد الدرع في كتابه «معلم الصحافة والانشاء»(١) الصحف في العصر الحديث إلى التقسيمات التالية :

١ - تقسيمها الدوري :

أ ــ يومية : وهي إما جرائد أخبار : تهتم بالرواية دون التعليق عليها أو الوقوف في هذا التعليق عند رأي أو مبدأ معين حتى ولو كتبت في السياسة الداخلية أو الخارجية أو شؤون الاقتصاد والاجتماع.

وإما جرائد رأي : تهتم بالمقالات أكثر من الاعلانات، للدعوة إلى مبدأ أو رأي خاص، وتستند عادة إلى حزب أو منظمة معينة.

---

(١) ص ٤ــ٢٨.

أو جرائد إعلان : تعني بتقديم مختلف الاعلانات التجارية.

ب ـــ أسبوعية : تهتم بالتعليق على الحوادث السياسية والاجتماعية، دون ضياع صفة الحالية فيها ... وهي إما عامة وتعرض للأمور السياسية والاقتصادية المذكورة وتعلق عليها أو خاصة وتعرض لنوع معين من البحوث.

ج ـــ شهرية : يعتبر فيها التحقيق في الدرس والتعمق في البحث والتخصص في باب من أبواب المعرفة البشرية كدين أو ثقافة عامة أو سياسة أو اجتماع أو أدب أو علم، وإلى مختلف أمور الحياة، ومنها فصلية (ربع سنوية) ونصف سنوية وكذلك سنوية.

٢ – تقسيمها الموضوعي : تقسم الصحف بالنسبة لموضوعاتها إلى الآتي :

أ ـــ الصحف الجامعة : وتكون سياسية أو غير سياسية.

ب ـــ الاختصاصية : كالمجلات الخاصة بعلم النفس أو الزراعة أو التجارة أو الشعر وغيرها من المعارف.

ومنها الصحف الأدبية والفنية والفكاهية، ومجلة خاصة بالشباب، وأخرى بالمرأة، وهناك الحزبية التي تعبر عن رأي حزب معين.

٣ – تقسيمها بالنسبة لموضع إصدارها :

أ ـــ المركزية : وتصدر عادة في العواصم والمدن الكبيرة الآهلة بالسكان، المتضمنة النشاط السياسي والاجتماعي وتعنى بالشؤون العامة.

ب ــ الاقليمية : وتصدر في غير العواصم من مدن الأقاليم وتعنى بشؤون الأقليم الخاصة وأحياناً بما تعنى به المركزية كذلك.

٣ - مصطلح الصحافة الاسلامية :

يقول الدكتور عبدالحليم عويس «مصطلح الصحافة الاسلامية» مصطلح حديث الاستعمال بالنسبة لنشأة الصحافة في العالم الاسلامي والعربي، ويرى أن السبب في ذلك هو نشأة الصحافة في العالم العربي وتطورها أيضا قد ارتبط بأمرين :

أولهما : الظروف السياسية التي يتحكم في مسيرتها الاستعمار الصليبي ويستغل «العملية التربوية والتثقيفية» وقد أبعد الاسلام عن مجالات التوجيه وعلى رأسها أو في مقدمتها (الصحافة).

وثانيهما : أن النشأة الصحافية قد قامت على أيدي أناس ليسوا من المسلمين في جملتهم ولم يشذ عن هؤلاء إلا قليلون ضاعت أصواتهم وسط أصوات الكثرة التي تساندها القوى الاستعمارية.

ويضيف الدكتور عويس قائلا : إنه في هذه المرحلة ظهرت بواكير العمل الصحافي، ممثلة في جهود البعض على رأسهم محمد فريد وجدي، الذي أنشأ في عام ١٩٠٧م جريدة خاصة به هي (الدستور) وكانت تضع تحت إسمها لافتة صغيرة تبيّن أنها لسان حال الجامعة الاسلامية، وهذه واحدة من بواكير الصحف التي اتخذت «الخط الاسلامي» سياسة لها تسير عليه وتدعو إليه[1].

(١) مجلة الفيصل - العدد ١٩ - ١٣٩٩ هـ - ص ١٠٥.

ولكن إذا اتفقتُ مع الدكتور عويس للأسباب التي ذكرها والتي حالت دون تطور الصحافة الاسلامية ... فلا اتفق معه في كون (مصطلح الصحافة الاسلامية، أو نشأة الصحافة الاسلامية كانت حديثة العهد).

إذ أن الصحافة الاسلامية ظهرت منذ ضحى الاسلام ممثلة في الرسائل السياسية والاجتماعية المخطوطة المتبادلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الملوك، وبينه وبين الصحابة الموزعين في الأقطار. كما ظهرت في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خلفاء الاسلام. وكذلك ظهرت ممثلة في المؤلفات الأدبية والتأريخية الجامعة مثل كتب الجاحظ والمستطرف والعقد الفريد وعجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي وغيرها من الكتب ذات الطابع الاخباري والاجتماعي الشامل.

شمول مصطلح الصحافة الاسلامية : قد يتبادر إلى الذهن – ومن البداية – بأن «الصحافة الاسلامية» هي تلك الجريدة أو المجلة أو الدورية التي تتخذ «شارة الاسلام» شعاراً أو إسماً لها وتلتزم بالخط الاسلامي منهجاً وهدفاً.

وقد يتبادر أيضا أن «الصحافة الاسلامية» هي التي تلتزم بالخط الاسلامي منهجاً وهدفاً حتى ولو لم تتخذ «شارة الاسلام» شعاراً لها أو تتخذ كلمة أو جملة تدور حول معنى إسلامي أو منظمة إسلامية لأن العبرة بالمضمون لا بالشكل. وقد يذهب إلى هذا الكثير على أساس أن حالها هذا هو كحال الصحف الأخرى، أو مفهوم الصحف الأخرى، عربية تخص العرب وتضع شعاراً أو شارة العروبة

والقومية عنوانا لها أو صحافة مختصة بحزب معين أو منظمة معينة وتتخذ من أهداف ذلك الحزب أو تلك المنظمة شعاراً لها ... وهكذا.

إذن «ماذا نعني بكلمتي صحافة وإسلامية» ؟

في المفهوم الغالب – وكما أسلفت – أن كلمة «صحافة إسلامية» تعني جريدة أو مجلة أو دورية تدعو إلى الاسلام بأسلوب تقريري وكأنها مجلة «إعلانات» والحقيقة أن هذا المفهوم يقضي على «أسس الصحافة» كفن ويجعلها منبراً للخطابة فقط وذلك لأن المبادىء والقيم وعلاج المشكلات عن طريق الصحافة وهي – كما اعتبرها البعض – السلطة الرابعة في أي أمة، والوسيلة الأكثر تأثيراً والأكثر فاعلية في التعبير تختلف اختلافاً كبيراً عن الأسلوب الخطابي أو التقريري، خاصة وإن النفس البشرية ومثلها العقل الانساني كائنان معقدان قد لا يصلح معهما أحيانا الأسلوب التقريري بل يحتاجان في أغلب الأوقات إلى أسلوب في العرض وطريقة في الحوار والاقناع غير الطريقة المباشرة التقريرية التي تفترض الايمان المطلق والتسليم البدهي.

يقول الدكتور عويس[1] معرفاً **الصحافة الاسلامية بالمفهوم الاصطلاحي :ـ**

إن «الصحافة الاسلامية» ليس شرطاً أن تضع «لافتة» تبين خطها الفكري الواضح وليس شرطاً كذلك أن تقيّد نفسها «بأسلوب

(١) المصدر السابق ص ١٠٦.

تقريري» قد يكون منفراً أو إعلامياً وليس شرطاً أيضا أن تلتزم في عملها بشكل معين أو قضايا معينة وإنما يجب ألاّ تحمل لافتة تتناقض مع أساسية في التصور الاسلامي أو أساسية في الفكر الاسلامي العام وأن تكون ملتزمة بتدعيم القيم الاسلامية متعاطفة مع قضايا المسلمين غير منتمية لأعدائهم تصوراً أو أهدافاً، وملتزمة أيضا بالشروط الاسلامية في الأعمال الفنية، فلا تعلي من الشكل على حساب المضمون، ولا تبيح بالتالي الصور العارية ولا «الكذب الصحافي» ولا «الاثارة» دون فائدة، ولا تعطيل الناس واستغلال أموالهم وأوقاتهم بلا مقابل.

وفي هذا الاطار – كما يقول الدكتور عويس – تستطيع أن تتحرك أية جريدة أو مجلة دون أية قيود أخرى، واثقة من أن كل كلمة وضيئة صادقة وكل توجيه سياسي أو اجتماعي يعتمد القصة أو الرسم أو المقالة أو التحليل الاخباري أو التعليق على الأحداث أو ما سوى ذلك هو من باب «الصحافة الاسلامية».

و«المؤلف» يرى هنا أن المفهوم الاصطلاحي للصحافة الاسلامية أوسع وأشمل مما ذكر. فلا شك أن الصحافة مرفق هام في كل أمة، فهي لسان حالها المعبر عن آرائها وأفكارها. وفي عالمنا الاسلامي العربي ما أحوجنا إلى الكلمة الحرة والرأي الحر المعبّر بحق عن أصالتنا ومعتقداتنا، المبين للناس في دنيا الناس سماحة ديننا الاسلامي وأصالة فكرنا .. ولا أبالغ إذا قلت بأنه لا يقوم بهذه المهمة وخاصة في عالمنا اليوم إلا الإعلام بكل وسائله مسموعة ومرئية ومنشورة ومكتوبة وفي المقام الأول تأتي الصحافة.

فالصحافة الاسلامية التي تبتغي بعملها وجه الله، متحرية الصدق والحقيقة في كل ما تنشره متصفة بالأناة والحكمة في كل ما تكتبه من معلومات وأخبار، مراقبة الله في آداء رسالتها السامية، ملتزمة بالقيم والمبادىء وتعاليم الاسلام، لا تخشى في الحق لومة لائم، تؤدي الأمانة، وتقول الصدق ولو كان مراً، مبتعدة عن الكذب والتضليل والخداع والنفاق.

وعلى ضوء هذه المعاني التي أشرتُ إليها مجملاً .. وجدت أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يؤكدان دائما على قول الحق، وآداء الأمانة.

وهل هناك شيء أو مصدر أفضل من كتاب الله وسنة رسوله، تستمد منهما الصحافة الاسلامية رسالتها ؟

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ...﴾[1].

ويقول : ﴿قولٌ معروفٌ ومغفرة خير من صدقةٍ يتبعُها أذى والله غنيٌ حليمٌ﴾[2].

ويقول : ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾[3].

---

(١) سورة النساء - الآية ٥٨.
(٢) سورة البقرة - الآية ٢٦٣.
(٣) سورة الأحزاب - الآية ٧٠.

ويقـول : ﴿يـاأيها الذيـن آمنـوا اتقـوا اللـه وكونـوا مـع الصادقين﴾[1].

ويقول : ﴿ألم تر كيفَ ضربَ الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء * تُؤتي أكلها كُلَّ حين بإذن ربها ويضربُ الله الأمثالَ للناسِ لعلهم يتذكرون * ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثت من فوقِ الأرضِ مالهَا من قرارٍ﴾[2].

ويقول : ﴿إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمُنكر والبَغي يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتُّم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنَّ الله يعلم ما تفعلون﴾[3].

ويقول : ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحُوا على ما فعلتم نادمين﴾[4].

ويقول ربنـا لنبيـه : ﴿فـأصدع بما تُؤمـر وأعـرض عـن المشركين﴾[5].

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكثيرة، منها :

* عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى

(١) سورة التوبة – الآية ١١٩.
(٢) سورة إبراهيم – الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦.
(٣) سورة النحل – الآيتان ٩٠، ٩١.
(٤) سورة الحجرات – الآية ٦.
(٥) سورة الحجر – الآية ٩٤.

الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بطعانٍ ولا لعانٍ ولا فاحشٍ ولا بذيء»[2].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[3].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمُت»[4].

* وفي حديث طويل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ... ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال : كف عليك

---

(١) رواه البخاري – الكتاب ٧٨ في الأدب – باب ٦٩ في «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» ومسلم برقم ٢٦٠٧.

(٢) رواه الترمذي برقم ١٩٧٨ في البر – باب ما جاء في اللعنة – ورواه أحمد في المسند برقم ٣٨٣٩ كما في جامع الأصول ج ١٠ ص ٧٥٧.

(٣) رواه البخاري كتاب ٨١ في الرقاق باب ٢٣ في حفظ اللسان، ومسلم برقم ٢٩٨٨ ومسلم ص ٢٩٨٨ وفي الزهد باب ما يكره من الكلام.

(٤) رواه مسلم برقم ٧٤ في الايمان باب الحث على إكرام الضيف.

هذا قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ؟ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم»[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان»[2].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع»[3].

* عن عدى ببن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ»[4].

فمدرسة النبوة فيها الكثير والكثير وما أحوجنا إلى أن نتتلمذ من جديد في إطار هذه المدرسة من أجل صحافة مسلمة وصحفي مسلم، بل وإعلام مسلم. والمدرسة والحمد لله مفتوحة على مصراعيها تنادي الجميع وترحب بالجميع.

---

(١) رواه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح رقم ٦١٩ في الايمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. وورواه أحمد في المسند وابن ماجة في سننه.

(٢) رواه البخاري كتاب ٢ في الايمان باب ٢٤ علامات المنافق – ومسلم برقم ٥٩ في الايمان باب بيان خصال المنافق.

(٣) رواه مسلم ١/١٠ في المقدمة – باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. وأبو داود ٤٩٩٢ في الأدب باب في التشديد في الكذب.

(٤) البخاري : ٦/٤٥٠، ٤٥١ في الأنبياء – باب علامات النبوة في الاسلام – متفق عليه.

* وعلى ضوء ما تقدم من هدي واضح في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وزيادة في إيضاح مفهوم الصحافة الاسلامية ... «فالمؤلف» يرى من المناسب وقبل اختتام هذا الموضوع أن يعرض :

٤ - أهم الأهداف والوظائف التي تتصف بها الصحافة الاسلامية :

١ - لاشك أن من أهداف الصحافة .. إعلام الناس بما يهمهم ويتصل بحياتهم العامة والخاصة. أو بعبارة أخرى تلبية رغبات الناس في الاجابة على تساؤلاتهم بشأن ما يجرى من أحداث داخلية أو خارجية تتصل بشؤون حياتهم المختلفة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

وبما أن الاسلام يحرص في كل معالجاته ـ الخاصة منها والعامة ـ على بناء الانسان وتربيته وإعداده إعداداً صالحاً، إيماناً بأن صلاح الانسان شرط صلاح الحياة الفردية والاجتماعية، وفساد الانسان ضمان فساد الحياة الفردية والاجتماعية ... فمن هذا المنطلق تصبح الوظيفة الرئيسة والهامة للصحافة الاسلامية[1] «هي ترقية اهتمامات الناس قبل تلبيتها، والسبق لهذه الترقية من أهم مبادئها لأن مجرد تلبية الاهتمامات على ما هي عليه دون قيد ولا شرط أو بعد افسادها لا يمثل إلا منطق الباطق والهلاك. فالتعبير أولا عن الاهتمامات الراقية للمجتمع الاسلامي وحفزه على أعمال الفضيلة والخير وإبعاده عن ممارسة الرذائل وشيوع الفواحش».

٢ ـ التفسير والتوضيح والارشاد والتوجيه وفق القيم

---

(١) الدكتور - عمارة نجيب - محاضرات في الاعلام ووظائفه - ص ٤٩.

والمبادىء الاسلامية، حيث أن مجرد الاعلام عن وقوع حادث مثلا لا يكفي وبخاصة إذا كان هذا الحادث مرتبطاً بحياة الأمة أو بوضع من أوضاعها الأساسية، فلا بد من التوضيح أو التعليق على ما ينطوي عليه هذا الجانب، وما يمكن أن تكون له من نتائج وما قد يجر إليه في المستقبل. والاسلام لا يمنع من استخدام الوسائل المشروعة[1] كافتها،لافهام الناس وتوسيع دائرة ثقافتهم. لكنه يحرص الحرص كله على ضرورة انتقاء الأخبار، تأكيداً بأنها تلعب دوراً هاماً في الوجيه والتقويم، وبالتالي يحرص على أهمية كون التفسير أو التعليق ممثلاً للتشريع الاسلامي مستنداً إلى قواعده. فلا بدّ أن يكون هذا التفسير والتعليق صادراً عن عدل ودقة وتحرٍ وصدق.

وأيضا لابد للصحافة من أن ترشد وتوجه إلى الطريق الصحيح حتى تكون مهمتها إيجابية، فهي بالارشاد والتوجيه تعطي الجزء الايجابي وتنشر في المجتمع الوعي الاعلامي وتساعد الرأي العام في معرفة طريقه إلى العمل الصالح ومعايشة الأحداث بوعي.

وقد حرصت[2] أوجه النشاط الاعلامي الاسلامي على نقد كل تصرف أو سلوك اجتماعي أو سلطوي نقداً علمياً، دون أن يتعرض صاحب النقد للعقوبة أو للأذى أو للحرمان من حق هو له بمقتضى الشرع الاسلامي.

وإذا كان الأسلوب التجاري للصحف والمجلات يجعلها تعمد إلى الإثارة وتخشى السلطة أو تخاف من جماعة ما، نجد أن الاسلام

(١) الدكتور – عمارة نجيب – محاضرات في الاعلام ووظائفه – ص ٥٤.
(٢) المصدر السابق – ص ٥٧.

لا يكتفي بتحقيق ضمانات التعبير عن كل رؤية وكل وجهة نظر بل يذهب إلى أبعد من هذا حين يستحث الآراء على الخروج والاعلان بشرط واحد هو عدم ابتغاء الفتنة.

٣ ــ خلق مجتمع متعارف، بما تقدمه من قضايا اجتماعية، ومن أنشطة إنسانية وخبرات فكرية أو سلوكية شريفة لابطال الأحداث، والتقويم الصحيح للعلاقات والأعمال والعاملين بتكريم ما كرم الله ورسوله، ونبذ ما نبذ الله ورسوله وتولي من تولى الله ورسوله ومن أمرنا بتوليتهم، ومحادة من حاد الله ورسوله ومن أمرنا بمعاداتهم ... فبهذا تؤثر في السلوك الاجتماعي لجماهير الصحافة والممارسة العملية النزيهة في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

٤ ــ التثقيف والتعليم : لقد وصلت الثقافة الفكرية في حدتها ورقيها حداً جعل من الابتكار العلمي والأدبي شيئاً رائعاً جداً ولو بحثت عن الصورة التي تنطبع عليها بجلاء مظاهر هذه الثقافة المختلفة الألوان والمناحي لوجدتها في الصحافة. «فإذا أردت أن تستشف روح أي أمة أو تحكم حكماً تاريخياً وحضارياً على أي عصر، فإنك لا تستطيع أن تفعل ذلك بكل ثقة واطمئنان، إلا إذا بحثت وتوخيت ذلك من الصحف، لكونها المعبرة عن نفسية الأمة وسياستها أصدق تعبير. وهي التي تكشف لك بوضوح وصراحة كل ما قد ظهر في حينها من مكتشفات ومؤلفات وحوادث وأخبار. بل أن الصحيفة الجيدة تقدم لقرائها ما تقدمه الجامعة لطلابها من أنواع الثقافات»[1] كذلك فهي تقوم بمهمة التعليم. غير أنها لا تعلم الطب

(١) محمد الدرع – معلم الصحافة والانشاء – ص ٧.

أو الهندسة أو أي نوع من فروع التخصص العلمي في فروعه الدقيقة. ولكنها تقدم للقراء معلومات عامة عن هذه العلوم وعما يجدّ فيها من اكتشافات جديدة.

إلى جانب ما تقدم نرى أنه من صميم أهداف صحافتنا الاسلامية : نشر وتأصيل الثقافة الاسلامية فكراً وسلوكاً، ونشر المبادىء السامية والأخلاق الرفيعة، ومحاربة الثقافات المنافية لقيم وتعاليم ونظم الاسلام داخلياً وخارجياً. فإنها الجامعة العملية التي تلقن طلابها من الرأي العام مختلف العلوم والمعارف.

٥ ــ هدف عقائدي : وهو هدف هام بل وظيفة هامة تقوم بها الصحافة وبخاصة في وقتنا الحاضر، حيث انتشرت عقائد مذهبية وايديولوجيات متباينة، وما يلاحظ على تقصير وسائل الاعلام أو عدم اهتمامها بمهمة التفسير والتحليل والتوضيح على أسس موضوعية علمية سليمة لما ينشر من أخبار وما يذاع من أفكار وآراء لأصحاب السلطة في الداخل وفي العالم الخارجي، مما ساعد على إشاعة الغموض وبلبلة الأفكار وخصوصاً بين الشباب ومحدودي الثقافة والخبرات.

فواجب الصحافة هنا أن تفسر وأن توضح للشباب ما يجب أن تكون عليه حياته السياسية والأخلاقية واعتقاداته في شئونه الأخرى.

«وهذا ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغه الرسالة للناس. فقد استطاع أن يرشد ويوجه عقولهم ووجدانهم وأحاسيسهم وسلوكهم إلى عقائد جديدة أيضا مئات السنين، ويوجههم إلى عبادة الإله الواحد بدلاً من عبادة الآلهة المتعددة، وحررهم من عادات

ومن سلوك اجتماعي واقتصادي كان راسخاً في أعماقهم، مثل وأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر وإقراض الناس بالربا .. الخ.

ولقد أوتي من الصفات المطلوبة لنجاح رجل الاعلام وأحسن استخدامها بفضل الله سبحانه وتعالى، مما مكنه عليه الصلاة والسلام من القيام برسالته الاعلامية على خير وجه»[1].

فللصحافة الاسلامية الدور الكبير في هذا، والاسهام في استمرار الترغيب في العمل الصالح والاستمساك بالكتاب والسنة والترهيب من العمل أو الأعمال الفاسدة والانحلال والبعد عن منهج الله.

٦ ــ الاسهام في إرساء قواعد التقويم على أساس تكريم المخلصين والمنتجين ونبذ الكسالى والمفسدين، وقبول الأعمال الصالحة المفيدة، واحتقار الأعمال الفاسدة الضارة وإرساء قيم الحب والمودة والتعاون والبذل، وخلع وإهمال قيم الصراع والأنانية.

٧ ــ الاسهام في تحريك الطاقات وإشراكها مع بعضها ومع ولاة الأمر في تحقيق هدف الأمة الاسلامية وإقامة حبل التواصل عن طريق متابعة الأخبار لخطط التنمية وللمساهمين فيها.

٨ ــ الاسهام في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المستويات المحلية والداخلية والخارجية، الفردية والأسرية والاجتماعية[2].

---

(١) إجلال خليفة – الصحافة – ص ٥.

(٢) أنظر الدكتور عمارة نجيب – محاضرات في الاعلام ووظائفه – ص ٥١.

٩ ــ الاسهام في تحقيق عوامل الاستقرار والأمن والرخاء للمجتمع، واستنفار الأفراد لاعداد العدّة والجهاد في سبيل الله، وإرهاب أعداء الله وأعدائهم وآخرين من دونهم لا نعلمهم الله يعلمهم.

١٠ ــ التعرف على مشكلات الناس ومعرفة احتياجاتهم وميولهم ومحاولة صبغتها صبغة إسلامية لجذبهم إليها بدل أن تجذبهم الصحف القومية أو اللادينية «العلمانية» والماركسية الأخرى إلى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم، وكل هذا يتم بالنزول إلى الناس صحافيا.

١١ ــ الاهتمام بالطفل والمرأة في هذه الصحافة، وإبراز دورهما الهام صحافياً وفي مختلف مناحي الحياة : إجتماعية، تعليمية، ثقافية، فكرية، وفي إطار القيم والمبادىء الاسلامية.

هذه بصورة عامة أهم الأهداف والوظائف المناطة بالصحافة الاسلامية، أو بعبارة أخرى أهم الأهداف التي تستطيع وفقها أن تؤدي الصحافة الاسلامية رسالتها السامية، وهي بلا شك سمات واضحة للمفهوم الصحيح لما يجب أن نصطلح عليه لتمييز مفهوم الصحافة الاسلامية عن غيره من مفاهيم الصحف الأخرى.



الفصل الثاني

التصور الموضوعي للصحافة الإسلامية

سبق «للمؤلف» أن ذكر ضمن الفصل الأول من هذا الباب، معنى الصحيفة في اللغة والاصطلاح. وعَرفنا أن الصحافة : عبارة عن وسيلة نقل الأخبار والمعلومات والحقائق وعرضها على الناس وفق ضوابط وقواعد أخلاقية ووظائف إنسانية شريفة تتأثر وتؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، وتساهم الاسهام الفعلي في ترقية اهتمامات الناس قبل تلبيتها لأن تلبية اهتمامات الناس على ما هي عليه أو تلبيتها بعد افسادها لا يمثل إلا منطق الباطل والهلاك.

والمفروض أن تكون الصحافة متحرية الصدق والأمانة والحق ولا تخشى في الحق لومة لائم، وإنها المعبرة بحق عن أصالتنا ومعتقداتنا وفكرنا.

كما بينتُ أيضا المفهوم الاصطلاحي للصحافة الاسلامة والمعاني الأساسية التي ترسم هذا المفهوم، منبثقة من التصور والفكر الاسلامي، المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتعنى بالخبر والتعليق على الأحداث وعرض مختلف الآراء في إطار هذا التصور ولكل ما يجرى على الساحة، ونشر التحقيقات بكل صدق ونزاهة

دون مداهنة أو مبالغة. وباختصار القيام بكل ما يخدم نشر الدعوة بين المسلمين وغير المسلمين في الداخل والخارج.

وعلى ضوء ما تقدم يكون مفهوم الصحافة الاسلامية في ضوء الاسلام : هو «الصحيفة التي استخدمت لكشف الحق وبيانه وتزيينه للناس بكل أساليب الايضاح اللازمة، مع تقبيح الباطل وكشف أساليبه وترهيب الناس منه ومن عواقبه، فهي تشمل مكاتيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاتيب صحابته رضوان الله عليهم. وكل صحيفة تلتزم بقضية بيان الحق وتقبيح الباطل».

حجم الصحيفة : ولأن حجم الصحيفة لم يكن مساعداً على شمولها لأنواع وأساليب الكتابة، فكانت تقوم بحجمها المتواضع على خدمة نوع أو أسلوب محدد يشمل مضموناً إسلامياً عاماً، فكانت الوفود والبعثات تقوم بعمليات الشرح والتعليق والتحقيق مما تستطيع الصحافة الحالية أن تقوم به.

وقبل أن أورد نماذج مما كانت تقوم به هذه الوفود والبعثات يحسن أن أبيّن **مكانة وأهمية الاعلام والصحافة بوجه خاص في الدعوة إلى الاسلام** :

صحيح أن الاعلام بمختلف وسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة لم يكن معروفا وقت نزول الوحي وتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله. لكن على الرغم من هذا وإذا أخذنا بنظر الاعتبار المقاييس العملية الحالية وتطبيقها على الدور الملقى على عاتق الدعوة الاسلامية وصاحبها، نستطيع القول إن للاعلام عامة أهمية

ومكانة مرموقة في الدعوة الاسلامية، بل كان أداتها ودعامتها الأساسية.

فالدين الاسلامي دين دعوة - والدعوة عمل إعلامي - يخاطب العقل ويستند إلى المنطق والبرهان، ويعمل على الكشف عن الحقائق وإيصالها نزيهة وسليمة إلى الناس.

كما أن الاعلام يتفق بتعريفه ومفهومه مع الدعوة، إذ أنه أيضا يقوم بتزويد الناس بالأخبار والمعلومات والحقائق في أمر من الأمور أو في حادثة من الحوادث.

وهناك حقائق بارزة تؤكد مكانة وأهمية الاعلام في الدعوة إلى الاسلام، يمكن إجمالها بما يلي :

١ ــ لقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته الداعية الأول لهذا الدين حياة إعلامية حافلة، وحقق من خلالها منجزات عظيمة وجبارة في حقل الدعوة الاسلامية استجابة لنداء ربه، وتحقيقاً للمهمة التي كلفه الله بها وهي مهمة إعلامية صرفة، حيث حدد الله تعالى له هذه المهمة في كلمات دقيقة واضحة لا تحتمل لبساً ولا غموضاً في كثير من الايات الكريمة :

يقول تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾(١)

تؤكد لنا هاتان الآيتان أن الدعوة إلى دين الله هي مهمة الرسول الرئيسة والأولى.

---

(١) سورة الأحزاب - الآيتان ٤٥، ٤٦.

كما حدد الله تعالى مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ما على الرسول إلا البلاغ ...﴾[1].

وقال جلّ وعز : ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ...﴾[2].

والمقصود بالبلاغ هنا هو الاخبار والاعلام برسالته تعالى، إعلام الناس بالرسالة التي كلفه بها ربه. وهي رسالة مقدسة جاءت من لدن الحكيم الخبير[3].

أسلوب أو نهج هذه المهمة :

إن أسلوب هذه المهمة الاعلامية لم يقم على الاكراه بل كان قائماً على مخاطبة العقل والاقناع بالكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى، وكثير من الآيات يؤكد ذلك .. حيث يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ..﴾[4].

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ..﴾[5].

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ..﴾[6].

﴿... فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾[7]

---

(١) سورة المائدة – الآية ٩٩.

(٢) سورة المائدة – الآية ٦٧.

(٣) أنظر – محيي الدين عبدالحليم – الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٤٠، ١٤١ – ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٤) سورة النحل – الآية ١٢٥.

(٥) سورة القصص – الآية ٥٦.

(٦) سورة البقرة – الآية ٢٧٢.

(٧) سورة الرعد – الآية ٤٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ﴾[1].

﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾[2].

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[3]

وإذا كان الله تعالى قد جعل الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وكلف رسوله بتبليغها دون استخدام العنف والاكراه وذلك في فجر الاسلام فلا بديل إذاً لنشر الدعوة وتبليغها للناس من الاعلام بالحكمة والكلمة الطيبة والابلاغ بالحقيقة الإلهية الخالدة. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم خير داعية لنشر الدعوة من خلال المهمة الاعلامية التي كلف بها من واقع القرآن الكريم ونهج في دعوته منهجاً إعلامياً خاصاً.

٢ ــ مسؤولية الدعوة إلى دين الحق لم تكن قاصرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي عامة. بمعنى أن المسؤولية الاعلامية في الدعوة إلى الاسلام قد كلف الله بها جميع المسلمين، وهذه المهمة والمسؤولية لا تقل في أهميتها عن سائر العبادات الأخرى التي كلف الله بها عباده كالصوم والزكاة.

يقول الله عز وجل ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..﴾[4]. والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) سورة الشورى – الآية ٤٨.
(٢) سورة الغاشية – الآيتان ٢١، ٢٢.
(٣) سورة البقرة – الآية ٢٥٦.
(٤) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

المنكر لم يتأت إلا حينما يأخذ كل مسلم على عاتقة أداء المهمة الاعلامية التي كلفه بها ربه والمتمثلة في الدعوة إلى الله.

كما أنه تعالى قد ميّز وقرّب وفضّل الذين يتصدرون هذه المهمة، حيث قال تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين * ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[1].

وبهذا فقد ميّز الله تعالى أمة الاسلام على سائر الأمم الأخرى وخصها بالدعوة إليه «بصفتها خير أمة أخرجت للناس» مما يستوجب على كل مسلم ألاّ يفرط في هذه الدعوة وألاّ يتهاون في تحمل هذه المسؤولية الاعلامية ورعايتها ونشرها لأن فيها صلاح أمته، وبالتالي صلاح البشرية جمعاء لكونها رسالة مقدسة من لدن حكيم عليم رب السماوات والأرض والناس أجمعين «لكون هذه الديانة المقدسة لم تشارك في صنعها وإعدادها يد البشر»[2].

وفي ذات الوقت يتطلب من المسلم الداعية أن يكون داعياً ورجل إعلام بسلوكه، ومثلاً حياً للدعوة الاسلامية والاعلام بها، ويكون لديه نصيب كاف من المعارف الاسلامية تحصن فكره وتصون عمله وتحمي إيمانه من أساليب الضلال والخداع والانحلال. فإذا ما تمتع المسلم الداعي إلى الله وتمتعت الدعوة معه بهذه الخصائص

---

(١) سورة فصلت – الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥.
(٢) أنظر المصدر السابق – الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية – ص ١٤٥.

والصفات الاسلامية، كان الطريق إلى القلوب أيسر وإلى العقول أقرب[1].

ثم أن التقصير في تحمل هذه المسؤولية الاعلامية من أي مسلم عاقل ينذر بغضب من الله عز وجل وبسوء العاقبة.

قال تعالى ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾[2].

هذه بإيجاز بعض الحقائق التي تؤكد لنا المكانة البارزة والمهمة لدور الاعلام عامة في الدعوة الاسلامية.

وقد سبق وأشرنا إلى الأساليب والوسائل الاعلامية التي كان يستخدمها عرب الجزيرة قبل الاسلام كالشعر والخطابة والمناداة والأسواق وغيرها، التي كان يغلب على نهجها نشر الفوضى وإثارة الفتن والخلافات والقتال وتعميق الشرور المنتشرة بين عرب الجاهلية. لكن بعد أن أرسل الله رسوله الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم وكلفه بالدعوة إلى الله ودين الاسلام، أدرك الرسول بفطرته وثاقب نظره أنه من المناسب استثمار هذه الوسائل بعد أن عدّل وهذّب منهجها ومسارها وطور أهدافها في خدمة الدعوة الاسلامية، كما أنه لم يكن لدى عرب الجاهلية الوسائل الحديثة من تلفاز ومذياع

(١) أنظر د. عمارة نجيب – الاعلام في ضوء الاسلام – ص ١٨٤.
(٢) سورة البقرة – الآيتان ١٥٩، ١٦٠.

وصحافة متطورة، كانت كذلك في ضحى الدعوة الاسلامية ولكن أُستخدم الشعر والخطابة والكتاب والمناداة والأسواق، والوسائل الاعلامية التي اختصت بها رسالة الدعوة الاسلامية، كالخطبة والوعظ والارشاد والآذان والاقامة والمكتبة الاسلامية والاتصال الشخصي والقدوة.

ومن الأهمية بمكان الاشارة إلى عملية الاتصال الشخصي والقدوة باعتبار أن الذين حملوا كتب الرسول صلى الله عليه وسلم وشرحوها وحلّلوها وعلقوا عليها. كان لعملهم الاعلامي هذا صلة بهاتين العمليتين لما لهما من تأثير قوي وفعال في هذا المجال، خاصة وأن عمل الدعوة إلى الله تعالى يتطلب في مراحله الأولى المواجهة المباشرة بين المرسل والمستقبل بما لا يسمح للمستقبل أن يتجاهل هذا المرسل الذي أمامه. فتتاح الفرصة أكثر لتبادل الآراء والأفكار من ناحيتين، كما يعطي الفرصة للمتلقي في الاستيضاح والسؤال عما يعن له من تساؤلات يود التأكد منها وتمحيصها، وكثيراً ما يؤثر الاتصال الشخصي هذا في السلوك.

ومن المعلوم أن مصادر المعلومات الشخصية تمتاز أيضا بسهولة الاتصال بها وإمكان تصديق ما تأتي به من معلومات طالما أن مصدر هذه المعلومات محل ثقة من قبل المستقبل. والرسول صلى الله عليه وسلم مارس الاتصال الشخصي، بل أن الاتصال الشخصي أول خطوة من خطوات العملّ الاعلامي الكبير الذي قام والتزم واهتم به صلى الله عليه وسلم إلى أن توفاه الله.

ومن الشواهد أو النماذج البارزة على اهتمام الرسول بهذه الوسيلة واعتماده عليها ما يلي :

١ ــ الاتصالات السرية التي كان يجريها مع أصدقائه وأهل بيته في مراحل الدعوة الأولى.

٢ ــ لقاءاته الشخصية مع أفراد القبائل التي كانت تقدم إلى مكة في مختلف المواسم وأشهرها : لقاؤه مع طائفة من الخزرج في يثرب حيث تمت على أثره البيعة الأولى والتي كانت مقدمة لهجرته إلى المدينة.

٣ ــ رحلته إلى الطائف ولقاؤه بأهل ثقيف سادة القوم هناك.

٤ ــ الرسل الذين بعث بهم إلى الملوك والأباطرة في الممالك المجاورة، بعد عودته من صلح الحديبية في العام السادس الهجري، حاملين معهم رسائله وتعليماته إلى هؤلاء الملوك يدعونهم للاسلام.

القدوة الحسنة : إلى جانب الاتصال الشخصي كانت القدوة الحسنة وسيلة إعلامية لها أثرها في الدعوة الاسلامية، وبعبارة أخرى للعملية الاعلامية الاسلامية.

وهي تقوم على فطرة التقليد أو المحاكاة في الانسان. ولهذا الفطرة الدور الفعال والمهم إذا ما أريد غرس فكرة أو الاقتناع برأي أو تقويم سلوك معين لدى الناس، فهي تغني عن بذل جهود إعلامية كبيرة وتختصر الطريق.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعي والاعلامي الأول للاسلام مضرب الأمثال في هذا المجال. ويكفي أنه عرف بين قومه قبل نزول الوحي بأنه «الصادق الأمين» وهاتان صفتان

يجب توافرها في رجل الصحافة والاعلام الاسلامي بوجه عام.

فهو أيضا الذي تحمل سفاهة قومه وسخريتهم وإذائهم له. ولكنه كان صابراً وأتبع صبره بالرحمة والعطف والدعاء لهم، فلم يكن قاسياً أو غليظ القلب[1].

قال تعالى ﴿... ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[2].

وقال جلّ وعزّ : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[3].

وما أكثر الصفات الحسنة التي تحلى بها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم واستحق بها أن يكون قدوة حسنة للجميع.

قال تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[4].

وعلاقة الحب والتقدير والاعجاب التي بثها الرسول في قلوب أصحابه قد انبعثت آثارها وانبعث مداها عبر القرون، وتم اثارتها وغرسها في قلب كل جيل.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم قدوة حسنة حيث نهجوا نفس المنهج الذي سلكه رسولنا صلى الله عليه وسلم فاتسع الاسلام واتسع نطاق معتنقيه إيماناً منهم بصدق نوايا هؤلاء الأصحاب المخلصين وأمانتهم وصفاء سريرتهم ورجاحة عقولهم.

(١) انظر د. محي الدين عبدالحليم – الاعلام الاسلامي وتطبيقاته – ص ١٥٨، ١٦٠.
(٢) سورة فصلت – الآية ٣٤.
(٣) سورة القلم – الآية ٤.
(٤) سورة الأحزاب – الآية ٢١.

وهكذا فقد نجح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ممارسة هذين الاسلوبين الاعلاميين الاتصال المباشر والقدوة، مما كان له الأثر الكبير في التأثير في الناس.

نموذج : وما دمنا في مجال الحديث عن أسلوب الاتصال الشخصي المباشر على يد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن المناسب الاشارة إلى نموذج من نماذج اتصاله الشخصي.. أعرض هنا **لقاءه برجال من الخزرج في البيعة الأولى** :

«... خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب - كما كان يصنع في كل موسم - فبينما هو عند «العقبة» لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. وكان الخزرج في نزاع مستمر مع الأوس في داخل يثرب. وكانوا يخرجون من وقت لآخر للبحث عن قبيلة من قبائل العرب تساعدهم وتقف معهم ضد الأوس، ووصلوا في ذلك إلى العقبة. ولقيهم النبي صلى الله عليه وسلم هناك فسألهم قائلاً : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج. قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام، وتلا عليهم القرآن. قال : وكان مما صنع الله بهم في الاسلام، أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيّاً مبعوث الآن، قد أظل زمانه. نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وأرم.

فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض : يا قوم، تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حتى إذا كان العام المقبل قدم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا الرسول «بالعقبة» فبايعوه وكانت البيعة الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم»[1].

وعن ابن مسعود قال : وعدنا رسول الله ﷺ في أصل العقبة يوم الأضحى ونحن سبعون رجلاً، فأتانا رسول الله فقلنا : يا رسول الله سلنا لربك وسلنا لنفسك وسلنا لأصحابك وأخبرنا مالنا من الثواب على الله تبارك وتعالى وعليك. قال : أما الذي أسأل لربي فأن تؤمنوا به ولا تشركوا به شيئا. وأما الذي أسأل

(١) سيرة ابن هشام – الجزء الثاني – ص ٧٠ وما بعدها.

لنفسي. فأن تطيعوني أهدكم سبيل الرشاد. وأسألكم لي ولأصحابي أن تواسونا في ذات أيديكم وأن تمنعونا مما منعتم منه أنفسكم. فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة فمددنا أيدينا فبايعناه.

وهكذا كان الاتصال المباشر الذي نهجه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أول خطوة من خطوات العمل الاعلامي الذي قام والتزم به الرسول إلى أن توفاه الله عز وجل.

ولقد مارس رسولنا الكريم الاتصال المباشر في أغراض كثيرة كالمحافظة على الوحدة بين الأنصار والمهاجرين وإطفاء نار الحقد والبغضاء والفتنة في قضية فيّ هوازن حيث أعطى الرسول منه لقريش ولم يعط منه لأحد من الأنصار، فغضب الأنصار لذلك غضباً شديداً وفشت فيهم الشائعات المسيئة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكان الرسول يستخدم الاتصال المباشر في معالجته للأمور التي قد تطرأ له. وطريقته في إطفاء الفتنة تلك الطريقة المبنية على الصدق والصراحة والرحمة والتقرب إلى الناس والتودد إليهم.

وكان من نتيجة هذه المعالجة لهذا الموقف أن رجع القوم من عند الرسول الكريم أكثر صفاءً في النفوس، وطهارة في القلوب وتعلقاً بالرسول وحباً للمبادىء الانسانية التي دعاهم إليها.

إن اعتماد الرسول على هذا الأسلوب الاعلامي في الدعوة الاسلامية يدلّ على حسن سياسته وعظيم حكمته في نشر دين الله وفي معالجة المواقف الحرجة التي كانت تمر به في حياته، وكادت تفسد العلاقات الطيبة بينه وبين أصحابه وأنصاره.

نموذج الوفود والبعثات :

كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك عمان كتاباً وبعثه مع عمرو بن العاص :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي – سلام على من اتبع الهدى أما بعد :

فإني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالاسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

قال عمرو فخرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً. فقلت إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك، فقال أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة. قلت : مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم. وددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام. قال : فمتى تبعته. قلت : قريبا. فسألني : أين كان اسلامك ؟ قلت : عند النجاشي. وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ فقلت : أقروه واتبعوه. قال : والأساقفة والرهبان اتبعوه ؟ قلت : نعم. قال : أنظر يا عمرو ما تقول أنه

ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت : ما كذبت وما نستحله في ديننا. ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي ؟ قلت : بلى. قال : بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجاً فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال : لا والله لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته فبلغ هرقل قوله. فقال له النياق أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً ويدين بدين غيرك ديناً محدثاً. قال : هرقل رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال أنظر ما تقول يا عمرو. قلت : والله صدقتك. قال عبد : فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنى وعن الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت : إنه إن أسلم ملّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم قال : إن هذا لخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل. قال : يا عمرو تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه. فقلت نعم. فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا. قال : فمكثت ببابه أياما وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري ثم أنه دعاني يوما فدخلت عليه

فأخذ أعوانه بضبعي فقال : دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختوماً ففض خاتمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أني رأيت أخاه أرق منه. قال : ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : تبعوه أما راغب في الدين وأما مقهور بالسيف. قال : ومن معه. قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم. إنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقيّ غيرك في هذه الخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه توطئك الخيل والرجال. قال : دعني يومي هذا وارجع إلي غدا فرجعت إلى أخيه. فقال : يا عمرو إني لأرجو أن يسلم أن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت إلى أخيه فأخبرته إني لم أصل إليه فأوصلني إليه فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وإن بلغت خيله لقتُ قتالا ليس كقتال من لاقى قلت : وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه. فقال : ما نحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل إليه قد أجابه فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني[1].

---

(١) ابن قيم الجوزية – زاد المعاد في هدي خير العباد – الجزء ٣ ــ ص ٦٢–٦٣ – ١٣٧٩هـ المطبعة المصرية.

ومن خلال هذا الكتاب الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك عمان مع عمرو بن العاص نجد أن أول ما اشتمل عليه هذا الكتاب دعوة موجهة من الرسول إلى هذا الملك وأخيه يدعوهما إلى الاسلام وأنه رسول من الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيّا ويحق القول على الكافرين، فإن استجبتما إلى دعوتي وآمنتما برسالتي بقيتما على أمركما وإن أبيتما الاقرار بهذا الدين فملككما زائل ولابدّ من أن ينصرني الله عليكما.

إن مضمون هذه الرسالة واضح. وهي الدعوة إلى الله والايمان برسالة الاسلام السمحة ونبذ ما عداها. فهو مضمون إسلامي. ونلاحظ أن رسول الله في كتابه الذي يوجهه إلى غير المسلمين يقول «سلام على من اتبع الهدى» وليس السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هذه التحية شعار المسلمين وفيها الأمن والأمان فملقيها مسلم والموجهة إليه مسلم معصوم الدم والمال، كما نلاحظ في هذا المضمون الاسلامي معنى القوة لأن موجه الرسالة نبي مرسل ورسول أمر بالتبليغ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس..﴾[1].

حقا عاصمة وناصرة ومؤيدة وحافظة. لذا ينذر الرسول بكل ما أوتي من قوة في قوله «فإنكما إن قررتما بالاسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالاسلام فإن ملككما زائل عنكما».

وما أعظمه من شرح وتعليق وتوضيح لهذا المضمون وذلك

---

(١) سورة المائدة – الآية ٦٧.

من خلال الحوار الذي دار بين حامل الرسالة والملك وأخيه حوار المؤمن الواعي، الفاهم الأمين على ما أئتمنه الرسول عليه وأوفاه حقه.

وضّح الاسلام وبينه، وأظهر محاسنه، وأبان كل خفي بالشرح والتعليق، وأجاب على كل سؤال خطر في بال المتلقي لهذه الرسالة، مهّد أولاً، ووضّح ثانياً، وأقنع وأكد وكان الهدف سام والنتيجة محمودة، والغاية أن يصل الاسلام إلى قلوب هؤلاء، فآمنوا موقنين وأذعنوا لله مخلصين.

وبعد فإذا كان الاعلام بوجه عام في عهد النبوة قد قام بواجبه على الوجه المطلوب، أفلا نكون اليوم في حاجة ماسة إلى إعلام قرآني وصحافة إسلامية تنهج هذا النهج وتسلك هذا الأسلوب الذي سلكه عمرو بن العاص في الشرح والتعليق والتوضيح من أجل نشر الاسلام وتبليغه لتزيل الغشاوة وتعيد الناس إلى الطريق بدلاً من أن يعيشوا على مفترق الطرق ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[1]. وبهذا تكون قد أدت رسالتها المرجوة.

نموذج في عهد الخلفاء الراشدين :

بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، تبعه من بعده خلفاؤه الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين. فالجميع ترسم خطى رسول الله في المجالات الاعلامية التي ظهر فيها نشاطه ... وعلى الرغم مما ظهر من بعض

(١) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

الزيادات في مجالات أخرى حتمتها ظروف معينة واجهت كل واحد منهم. بقي الاطار العام للمنهج الاعلامي ووسائله في عهد الرسول الكريم خير قدوة اقتدى بها الخلفاء الراشدون ولم يحيدوا عنها. فكان القرآن الكريم والسنة المطهرة والاتصال الشخصي والقدوة الحسنة والفتوحات الاسلامية الواسعة والمكاتبة والوفود والبعثات، أهم الوسائل الاعلامية التي ركّزوا عليها في سبيل نشر الدعوة الاسلامية وحمايتها في الداخل وفي الخارج.

وحسب «المؤلف» في هذا المجال أن يختار نموذجاً في هذا العهد الزاهر - عهد الخلفاء الراشدين :

«بعثة أسامة بن زيد» :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته قد أعدَّ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد وأمره أن يستعد للخروج من المدينة والوصول إلى تخوم الروم وذلك لتخويفهم من الاغارة على حدود المسلمين.

فلما ولي أبوبكر أمر الخلافة عزم على الابقاء على هذا الجيش، وعلى تنفيذ المهمة التي مات عنها الرسول. ولم يهتز إذ ذاك بالاضطرابات التي أعقبت هذا الحادث العظيم وهو وفاة الرسول. ولم تأخذه الردة التي عمت الجزيرة العربية بعد هذا الحادث. وثبت أبوبكر على موقفه من هذا الجيش كما ثبت على موقفه من حركة الردة، وخوّفه المسلمون من عواقب هذا الثبات على موقفه، وأنذروه بالخطر على المدينة وعلى الجيش نفسه في تلك الظروف.

وكانوا يقولون له لما عزم على قتال أهل الردة والخروج إليهم

بنفسه «يا خليفة رسول الله ننشدك الله ألا تخرج إليهم بنفسك، فقد عرفت الحال فإن هلكت فهو هلاك المسلمين، ولكن أكتب إلى عمر بن العاص، وأقم أنت في المدينة، فليقدم عليك من عمان، واكتب إلى أبان بن سعيد يقدم عليك من البحرين، واجمع إليك العساكر، ثم ضمهم إلى رجل .. فوجّهه إلى أعداء الله المرتدة[1].

ولكن أبا بكر قال لهم جميعاً :

«والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة. وما عليّ أن أغير قدمي ساعة في سبيل الله». وجهز أبوبكر هذا الجيش، وخرج ماشياً على قدمه معه وأسامة راكب إلى جانبه.

وقال لأسامة : إصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصر في شيء من أمره.

وشاع في الجزيرة العربية أمر هذا الجيش، وكان لا يمر بقبيل من الناس يفكرون في الارتداد عن الاسلام إلا استشعروا الخوف والهيبة وآثروا السكوت والهدوء وقال بعضهم لبعض لو لم يكن المسلمون على قوة حقيقية لما خرج من عندهم هؤلاء. وعاد جيش أسامة من تخوم الروم بأسلاب وغنائم كثيرة، ولم ينقض عليه وعلى حملته العسكرية أكثر من شهرين، ولم يقتل من جيش المسلمين أحد .. وإن جيشاً يذهب إلى تخوم الروم ثم يعود غير مسحوق

(١) د. محمد حميد الله – مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة – ص ٢٩٢ – الطبعة ٣ – ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م – دار الارشاد – بيروت.

من الأعداء كيف تهزأ به قبائل العرب الهائمة في الصحراء ؟ وكيف تخفى دلائل ذلك على حملة الأخبار والقادرين منهم على استنباط مواطن القوة والضعف في كل من المسلمين والمرتدين على السواء ؟.

يتضح من هذا أن الغرض الأساسي لهذا الجيش منذ أن فكر الرسول في إعداده ومنذ أن صمم عليه أبوبكر كان هو الحرب النفسية قبل كل شيء، فلقد أراد الرسول كما أراد خليفته أبوبكر أن يلقي الرعب في نفوس الموالين للروم، وفي نفوس القبائل العربية التي لم تزل ترى لها من القوة والمنعة والعزة ما يجعلها تتربص الدوائر بهذا الدين الجديد وتعلو بنفسها عن الخضوع لأحكامه .

وهكذا كانت الطاعة للرسول العظيم وهكذا كانت المحافظة على نهجه وتراثه. بل وهكذا كانت القدوة الحسنة والاتصال المباشر والالتزام التام. بل وهكذا كانت قوة الايمان والعقيدة في أصحاب رسول الله من بعده. وهكذا كانت الوجهة الاعلامية احتذاءً كاملاً ونهجاً لكل خطى الوسائل الاعلامية ونشاطها في سبيل الدعوة الاسلامية، ولقد أدرك أبوبكر بحاسته الاعلامية الفذة الخطورة التي خلفتها حركة الردة واستقل وتمسك برأيه عن إيمان ويقين مخالفاً مشورة أصحابه، وصمم على محاربة حركة الردة. كما وضع لنفسه بهذه الحاسة قاعدة سياسية وإعلامية لم يحد عنها وهي «طاعة الرسول الكريم واقتدائه به في كل أموره صغيرها وكبيرها والقيام بكل ما فيه مصلحة الدعوة وصيانة العقيدة».

وبهذا الايمان وبهذه العقيدة الاسلامية التي اتصف بها أبوبكر

وبهذه الحركة الاعلامية الرشيدة، عضدت الدعوة وقوي الاسلام وحفظ تراث رسول الله، وتأدب المرتدون وتوقفوا عند حدهم من النيل والعبث بهذا الدين، وما أحرانا اليوم أن نتبع الطريق، ونسير على الدرب والنهج بل ما أحرى صحافتنا الاسلامية الالتزام بهذا المنهج والاقتداء به.

إن السياسة الاعلامية الرشيدة لأبي بكر رضي الله عنه وبكل وسائلها فاقت كل سبل الاعلام في عالمنا الحاضر، لأنها صادرة عن يقين وإيمان وعقيدة وإخلاص.

ويوم أن تلتزم صحافتنا وبقية وسائل الاعلام بهذا المنهج وذاك الأسلوب تكون بحق الأمل المرجو والغاية المطلوبة والمضمون الصحيح للتصور العلمي لعبارة الصحافة الاسلامية.

«وإذا كانت السياسة هي مدار العمل الصحفي»، فإن السياسة الاسلامية تمثل أيضا صورة عملية ناطقة بالمضمون العلمي لتصور معنى الصحافة الاسلامية كما يتبين من المبحث التالي :

السياسة الاسلامية والصحافة الاسلامية :

لا يريد «المؤلف» هنا أن يُلقي الضوء على مفهوم «السياسة» بالذات ولا على أسسها وأصولها وقواعدها ومفاهيمها ومناهجها وإنما غاية الأمر هو إضافة توضيح لمفهوم الصحافة الاسلامية، المفهوم الموضوعي والعلمي ببيان الاساليب والوسائل التي استخدمت ويمكن أن تستخدمها السياسة الاسلامية لتحقيق المضمون الاسلامي للصحافة الاسلامية من أجل الوصول إلى غايات السلطة والنظام

وما تهيئه لها الصحافة من وسائل الدعاية والاعلام، ولا شك أن مثل هذا البيان يحتاج إلى التعرّف السريع على مفهوم السياسة ومعرفة الوصف الاسلامي لها ومتى يتحقق ذلك ؟

مفهوم السياسة :

إن مفهوم كلمة السياسة : ما هو إلا أسلوب أو منهج أو وسيلة يحصل من يتبعها على منشوده ومبتغاه بغض النظر تماما عن النتائج المترتبة عن استخدام هذا الأسلوب مهما كانت دناءته أو نظافته.

والسياسة استخدمت منذ الأزل، ولكن ربما بدون مفهوم أو معنى أو أسس أو استخدام وسائل الدعاية، بل بمبدأ الوصول إلى الغاية التي كان من العسير الوصول إليها وتحقيقها بدون استخدام هذا الأسلوب أو الوسيلة، ثم تطورت «السياسة» بتعدد الغايات والأهداف فمن استخدام «السياسة» للوصول أو الحصول على لحم طير أو ظبي لسد رمق العيش أو للحصول على جلد للكساء قديماً إلى استخدامها للحصول على لحم الشعوب والتدمير والتخريب في عصرنا الحاضر، وشاع استخدامها حديثاً، ووضعت لها القواعد والأسس، وهيئت لها الوسائل المختلفة والأجهزة المتنوعة.

لقد استخدم الحكام المسلمون – ولا أريد أن أقول هنا العرب – قبل مئات السنين قد استخدموا «السياسة» الحقة الشريفة بأسلوبها القديم بوسيلة تكتنفها النية الصادقة والصافية ليصلوا بالسياسة إلى غاية الاسلام والمسلمين ألا وهي نشر الاسلام والسلام على ربوع

الأرض لا نشر السلطة والنفوذ والسلطان والاستكبار. وقد تحقق لهم ما أرادوا لأن الغاية سليمة والمُقصد شريف والهدف رفيع ونبيل.

أما اليوم وقبل عشرات السنين، يحاول بعض الحكام العرب ولا أقول المسلمين، وبشتى أساليب «السياسة» ووسائلها الحديثة المتطورة، نقيها ودنيئها الوصول إلى غايات «السلطة والنفوذ والجاه والاستكبار والبقاء» منها ما هو معروف ومنها ما هو باطن مخفي تحت ستار غايات العرب والمستعربين، ثم غايات الاسلام والمسلمين ومع هذا كله لم يصلوا.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال .. ما سر وصول المسلمين قديما إلى أهدافهم وغاياتهم ولم يصل الحكام العرب الآن إلى تلك الغايات ؟

والجواب ببساطة هو أن أساس الغاية القديمة كلي جماعي في الخير العام للأمة، أما أساس الغايات الحديثة فهو فردي نفعي أناني — عند غالبيتهم — وشتان بين الغايتين غاية فيها فائدة عامة وشاملة وغاية فيها ضرر للجميع.

بعد هذا التقديم الموجز أتطرق الآن إلى وضع الصحافة والاعلام عموماً في بلاد العرب والمسلمين لنتعرف من خلاله عن الحالة التي كانت عليها وسائل الاعلام من قبل وحالها الآن، وما يجب أن تكون عليه في ضوء المضمار السياسي، مشيراً إلى أهم القضايا والأحداث والمشكلات التي تواجه عالمنا العربي الاسلامي وأسلوب معالجتها.

«أسباب البعد عن الموضوعية في الصحافة الاسلامية»

١ ــ الاحتلال والسيطرة الأجنبية :

ما كادت البشرية تعرف وسائل الاعلام الحديثة عامة والصحافة على وجه التحديد إلا وبلاد العالم الاسلامي ترزح تحت نير الاستعمار الأجنبي.

ولم تنشأ الصحافة ووسائل الاعلام[1] عامة إلا لخدمة الاحتلال الكافر ووسيلة لنشر أفكاره ... وتوضيح غاياته في السيطرة على ديار المسلمين .. وضح ذلك جلياً في الدور الذي لعبه الاستعمار الغربي في اصطناع العملاء الحاقدين على الاسلام في الصحافة العربية والداعين إلى إشاعة الفكرة القومية وتمزيق الوحدة الاسلامية.

ففي **مصر** لما حاولت الصحافة الوطنية الاسلامية أن تقاوم أثر الجرائد المأجورة، وقف الاستعمار يتصدى لأقلام الحق وصادرها واضطهد كتابها، وارتفع صوت الاستعمار والباطل وانخفض صوت الاسلام والحق، وانتشرت الصحف التي أسسها المستعمر واصطنعها لنفسه، تبث سموم دعوته وتدعو لتأييدها وسرى هذا الوضع حتى على تلك الجرائد التي كانت تتظاهر بمساندة وموافقة الحركات الوطنية والاسلامية وأصحابها يضمرون العداوة والبغضاء للاسلام والمسلمين ويشنون حربهم عليهم بأسلوب غير مباشر، ويعملون بكل قواهم – من خلال الصحافة – على نشر الثقافة الغربية والدعوة بأسلوب

(١) الصحافة ووسائل الاعلام – المقصود بها هنا غير الصحافة الاسلامية وخلال فترة الاحتلال.

خبيث على تغيير القيم والأخلاق وتحطيمها وبث روح الحضارة الأوروبية في المجتمع بأسماء ولهجات مختلفة، فتارة بدعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وتارة باسم التحرر من التخلف أو الجمود[1].

وعملت الأقلام بأساليب ماكرة وخبيثة .. يرسم ويخطط لها المستعمر، فهذا «كرومر» ممثل الاحتلال الانجليزي في مصر هو الذي وضع للصحافة سياسة ونهجاً ماكراً ترمي إلى إطلاق الشحنة الوطنية[2]، مما وصف بعد بعبارة «رفع الغطاء عن الاناء الموضوع فوق النار لتصريف البخار.»

ولقد طغت أقلام الباطل فوق أقلام الحق، بل وأصبحت أقلام الحق تخشى ظلم الباطل بدرجة لم يألفها الناس و لم يعرفها الحاكمون من قبل حتى أصبح الناس يسمعون للمرة الأولى في تاريخ مصر الحديث عن تعطيل الصحف، واضطهاد رجال الصحافة وكثر حديث الناس عن الظلم والظالمين[3].

وفي **العراق** أيضا لم يكن حال الصحافة يختلف عنها في مصر. فخلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ احتل الانجليز مدينة «البصرة» وانصرف اهتمامهم في التركيز على الصحافة والسيطرة والضغط عليها حتى تكون في خدمتهم. فبادرت السلطات المحتلة بإصدار صحف جديدة وألغت صحفاً قديمة.

فقد صدرت جريدة تنطق باسم بريطانيا هي جريدة «الأوقات

(١) أنظر - الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية - ص ٤٢٧-٤٢٨.
(٢) أنور الجندي - تطور الصحافة في مصر - ص ٢١.
(٣) د. محمد حسين - الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ص ١٣٥.

البصرية» التي اتبعت ونهجت الأسلوب البريطاني في الصحافة.

وعند احتلال «بغداد» اختفت أيضا الصحف الموالية للحكم العثماني وأصدرت السلطات المحتلة جريدة باسم «جريدة العرب» بتاريخ ١٩١٧/٧/٤م التي جذبت إليها كثيراً من الكتاب والشعراء، وكانت تتظاهر بالدعوة للعرب والعروبة. كما أصدر الانجليز صحيفة ثانية باسم «جريدة العراق» وثالثة باسم «الشرق» وكلاهما يعملان للسياسة البريطانية.

وفي الموصل أصدرت السلطات جريدة «الموصل» باللغة العربية ووجهتها الوجهة السياسية التي تريدها[1].

هذان نموذجان لحال الصحافة في أي بلد عربي اسلامي احتله المستعمر سواء في الشرق أو في الغرب.

ولا شك فقد ظهرت خلال هذه الفترة حركات مناهضة من وقت لآخر تدعم العقيدة وتنير للناس دروب الحق. ولكن هذا الأمر واجه بل واصطدم بوسائل إعلامية مختلفة وأبرزها الصحافة، تبث السموم والأفكار الهدامة وتنشر كل ما يحطم الأخلاق والقيم الاسلامية وتزرع بذور الفرقة والفتن بين المسلمين وفق سياسة «فرق تسد»، مما نشأ عنه تربية أجيال في ظل هذه الوسائل أو المؤسسات الاعلامية المختلفة تؤمن بالقيم والأفكار الغربية وتفكر وتدعو لها أكثر من دعوتها لأمتها ودينها.

بل جعلت هذه المؤسسات تلك الأجيال تعرف الكثير عن

(١) أنظر – نعمان ماهر الكنعاني – مدخل في الإعلام – ص ٢٤-٢٧.

ثقافة الغرب والشرق، ولا تعرف إلا اليسير عن بلادها وحضارتها وتأريخها وقيمها.

وهكذا أضحت الصحافة ومعها بقية وسائل الاعلام في يد الغرب – سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة – تخدمه وتدعو لمبادئه.

صحافة فيها انفصام بين الدين والدنيا، غلب عليها التقليد وابتعدت عن الأصالة. صحافة تقرأ فيها المنكر حتى أصبح عند الكثير معروفاً وتقرأ فيها الباطل حتى ظن البعض أنه الحق. كل هذا انتشر بدعوى حرية الكلمة والفكر.

٢ ــ أنظمة الحكم :

نجد بكل أسف استمرار الكثير من الصحف حتى يومنا هذا على الرغم من رحيل المستعمر من الأرض – في النفاق والتضليل والخداع . بل سار هذا النوع من الصحف في طريق إرضاء السلطات الحاكمة «سواء كانت فرداً أو حزباً» حتى لو خالف نهجها كتاب الله وسنة رسوله. فأضحت هذه الصحافة لعبة تحركها النزوات والأهواء السياسية، تخدم الحكومات فقط، تنافق وتكذب وتضلل ولا تبالي، بل ولا تعير أي اهتمام أو احترام لعامة الناس وأفكارهم.

فارتبطت أشد الارتباط بنظام الحكم القائم وظروف الحاكم وأفكاره وقام بعض الحكومات ولا يزال بالاشراف التام على الصحافة ومعها وسائل الاعلام الأخرى. وجعلت هذه الحكومات الصحافة أداة طيّعة في أيديها تحركها وتستخدمها في أغلب الأوقات في صرف أنظار العامة عن القضايا والمشاكل السياسية، وتوجهها إلى النشاطات

العامة، كالأندية الرياضية ودور الملاهي، وهذا أسلوب استخدم قديماً وحديثاً، بل أضحى اليوم أسلوباً مخابراتياً. وقد زاد اهتمام السلطات الحاكمة بوسائل الاعلام أكثر بعد أن ظهرت أساليب الأخبار وسرعة انتشارها من بلد إلى آخر[1].

الصحافة علينا لا معنا : نعم لقد أضحت غالبية الصحف في عالمنا العربي الاسلامي – وبكل أسف – سلاحا فتاكا ضدنا وضد قضايا أمتنا استخدمها أعداؤنا الذين يتربصون بنا ولا يريدون أن تصحو هذه الأمة المفرقة وتستيقظ من غفلتها وسباتها. فلو تتبعت ما تكتبه هذه الصحف وتخرج به يوميا علينا من أخبار وتحقيقات وتعليقات فستصدم بواقع مرير، ولن تجد فيها سوى بلبلة الأفكار وتحطيم الآراء وخداع وتضليل العقول ومنهج نحو الانحراف والفساد. إن هذا الواقع يتمثل في السلطات المتعددة هنا وهناك والمقامة حسب ما يريده الأعداء. وكل هذه السلطات تشن الهجمات وتكيل الاتهامات وتثير الأباطيل ضد بعضها البعض مما نشأ عنه التمزق والتفرق بل وقيام الحروب بينها، في حين نجد العدو يشن الهجمات ويفتك بهذه الأمة.

والصحافة باعتبارها أهم وسائل الاعلام أصبح الكثير منها لا يمثل المواطن بقدر ما يمثل الأنظمة، وبعض هذه الأنظمة سيء جداً. فتجد كل نظام يصرف الأموال على صحافته بسخاء لتدعو له تنادي به نظاماً ليس له مثيل، وهو يحكم بالعدل والحرية، وتنادي

---

(١) أنظر – الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية – ص ٤٣٢، ٤٣٣.

له بالبقاء كرمز وضرورة، وتقف بحزم بوجه كل التهم الموجهة إليه. وإذا لم تفعل هذا فمصيرها الاغلاق والزوال. ونسيت هذه الأنظمة أو تناست أنها تقدم الخدمة لأعداء هذه الأمة وتنفذ أغراضها نتيجة لهذا الوضع الذي تنهجه مع الصحافة.

وعلى رأس هذه الحصافة يأتي أناس ليس لهم أي شعور أو إحساس تجاه هذه الأمة ومصالحها ولا يهمهم من أمر هذه الأمة شيء سوى ملء بطونهم من المال الحرام، وقبل هذا إرضاء هذا الحاكم أو ذلك الحزب. فهم محاطون بين الاغراء المادي والتخويف بالبطش والقتل أو المحاربة والتشريد. فغابت الحقيقة وطمست، وانتكست قضايا أمتنا المصيرية العادلة.

رسالة الصحافة ومسؤوليتها :

من أجل أن تؤدي الصحافة رسالتها الصحيحة والمرجوة، يجب أن تكون منظمة بأصول أو قواعد قانونية على أساس ما أمر الله به لا وفق أهواء الحكام والمنظمات الحزبية، بقواعد تلتزم بها الصحافة ويلتزم القائمون على شؤونها بها أيضا، وتضع حداً للفوضى أو الحرية المطلقة وللأهواء المتناقضة المتضاربة.

فالاسلام حدّ للناس حدوداً تنظم الاتصال بينهم على المستوى الفردي والجماعي، من أجل ألا يعم الفساد والفوضى في الأرض ونهى عن نشر الكذب وإذاعته.

قال تعالى ﴿إنما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله

وأولئك هم الكاذبون﴾[1]. كما نهى الاسلام عن الغش والخداع والنفاق بين الناس، وربط القرآن الكريم الايمان بالعمل الصالح ونهى عن التنابز بالألقاب، فلا ينبغي لقوم أن يسخروا من قوم آخرين ﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾[2].

وكتاب الله وسنة رسوله سجلان حافلان بالنظم الاعلامية بوجه عام بَعدُ المسلمون عنهما ونسوا أو تناسوا أن كل الأمم أدركت أهمية تنظيم وسائل الاعلام فأسست النظريات ووضعت النظم والقوانين كي تحفظ إعلامها وتبعد عنه كل استخدام سيء، وطورت هذه النظريات والنظم من أجل أن تتمشى مع مبادئها وأفكارها في كل مجالات الحياة : السياسية منها والاجتماعية وغيرها، فإذا ما أردنا الوجهة الحقيقية والمسار الحقيقي السليم لصحافتنا - لكونها أبرز وأهم وسائل الاعلام الأخرى - فلا بدّ من تنظيمها داخلياً وخارجياً وفق مبادىء وسياسة الاسلام التي جاءت حافلة في كتاب الله وسنة رسوله، تنظيماً يكفل نشر الحق والحقيقة بين الناس، ويكفل الحرية الحقيقية التي تحفظ للمسلم الأمن والاستقرار ومقارعة الباطل بكل أشكاله وأساليبه، وإذا ما نظمت على هذا الأساس فإنها ستكبح

(١) سورة النحل - الآية ١٠٥.
(٢) سورة الحجرات - الآية ١١.

جماح الأهواء المتنافرة والنزوات والأفكار المتعارضة من أصحاب السلطة والنفوذ(١).

المسئولية :

إن الأفكار والمفاهيم السياسية الجائرة السائدة التي يعتنقها الكافر المستعبد – في الشرق أو في الغرب – ويقوم عن طريق الأعوان والعملاء من أبناء جلدتنا – سواء على مستوى الأفراد أو الأحزاب – بنشرها وبثها في عالمنا العربي الاسلامي عبر الصحافة اليسارية والقومية والاشتراكية وغيرها راحت تبث وتروج لمفاهيم دخيلة على ساحة عالمنا الاسلامي بعيدة عن قيمه وأصالته وتراثه إلى يومنا هذا. وعالمنا العربي الاسلامي في الغالب يرزح إما تحت السيطرة الرأسمالية أو تحت السيطرة الشيوعية بطريق مباشر أو غير مباشر.

فالشيوعيون أو الاشتراكيون وأعوانهم عرفوا الطريقتين الاكراهية والخداعية حيث يقوم نظامهم الأساسي على التحكم في حاجات الناس الأساسية من طعام أو كساء ومأوى، فضلا عن التحكم في الحاجات المشتقة كالصحة والأمن واستعمال وسائل الاكراه المادية ضد الكيان البشري مثل التنويم المغناطيسي والارجاع المنضبطة والأشعة، وكل وسائل التعذيب والاضطهاد.

وبعبارة أدق يقوم نظامهم على التحكم في الحاجات الضرورية لحياة الانسان وفي التحكم بمصيره، و لم يكن لهذا الانسان أدنى حق

(١) أنظر المرجع السابق – ص ٤٣٤.

في الطلب لأبسط وأهم حاجاته أو التعبير عمّا يدور في فكره.

كل هذا يتم بقصد ارضاخ الناس لآرائهم ليدخلوا بعدها عقيدتهم الخاطئة. ولا ريب أن الخداع يسبق هذا كله حتى يتم تجنيد دعاة مدربين، وحتى يتم تكوين الخلايا القادرة على احداث الانقلاب والتغيير.

ثم أن ايهام العاملين في الدعوة الشيوعية بمناصب قيادية وحزبية وحياة أفضل لهم ولأسرهم هي التي تجعلهم يتفانون في سبيل نشر هذه الدعوة .. ويقوم هؤلاء بدورهم في ايهام الناس وتقديم الوعود لهم بالغد المشرق والجنة على الأرض مستغلين شهوات النفس وهواها وشرورها كالحقد والكراهية والتعصب من أجل كسبهم وإدخالهم في شراك الاشتراكية والشيوعية وبالتالي ترويضهم بالولاء لها ولمفكريها.

وفي المجتمع الرأسمالي تستعمل أساليب الخداع والتضليل بقدر أكبر، وتستغل الحاجات المادية بقدر أقل.

فقد زيفت حاجات الانسان الفكرية بل فكره بالذات، وما يميز المجتمع الصناعي القائم الطريقة التي يحرص بها على تلبية حاجات كاذبة ومفتعلة ومفروضة فرضاً بفعل الدعاية والاعلان ووسائل الاتصال الجماهيري كالجنس والشهوة وغيرهما(١).

إســتطـراد : ولا بأس أن أشير هنا بإيجاز إلى الاستعمار : حقيقته وأساليبه، وكشف ألاعيبه لأني اعتبر ذلك من أبرز وأهم مسؤوليات الصحافة التي نريدها.

---

(١) أنظر – د. عمارة نجيب – الاعلام في ضوء الاسلام – ص ١٨٥–١٨٦.

الاستعمار في أي لون من ألوانه أو في أي صورة من صوره قبيح وليس هناك أي فرق بين استعمار شرقي أو غربي، فالاستعمار هو الاستعمار، سلب لإرادة الشعوب وتعطيل لقدراتها وتجميد لانسانيتها ولحقوقها المشروعة في الحياة الكريمة وممارسة السيادة على أرضها...

وقد يقال إن هناك نمطين من الاستعمار أو أن هناك استعماراً قديماً وآخر حديثا. فالقديم معناه الاحتلال بالقوة العسكرية، سواء كان مباشرة عن طريق حاكم عام أجنبي ومعاونين من بني جلدته، أو كان هو الحكم عن طريق العملاء من أبناء الوطن، وفي كلا الأمرين يكون جيش الاحتلال مرابطاً في البلد المستَعمَر.

والاستعمار الحديث بدأ وتطور على مراحل، عن طريق تصدير الأيديلوجيات والعقائد والسيطرة الاقتصادية والثقافية، وإقامة الأحلاف والقواعد والمعاهدات والتسهيلات العسكرية. كل هذا يتم أيضا بمعاونه التابعين والأذيال من أبناء أمتنا، عن طريق الأفراد أو الأحزاب .. ففي ساحتنا اليوم أنماط من الهيمنة الاستعمارية، هي دائرة النفوذ والتبعية لواحدة من القوتين العظميين في العالم، الولايات المتحدة في الغرب والاتحاد السوفيتي في الشرق.

ومنّا من يعتقد أن الاستعمار الغربي هو الأكثر شراسة، ومن يعتقد أيضا بأن المعسكر الشرقي هو المعسكر الذي يقف إلى جانب الشعوب المستعمرة والمستضعفة ويشد من أزر الدول المسماة بالنامية.

لكن غاب عنا أو عن الكثير من أبناء أمتنا ذلك الاعصار

الشيوعي العاصف والمدمر الذي يجتاح أجزاء من الوطن الاسلامي في قارتي آسيا وافريقيا الآن ... الذي يكشف حقيقة الدور الذي لعبته ولا تزال تلعبه الشيوعية خدمة للصليبية والصهيونية في مقابل الفتات أو ما دون الفتات ... وأخيراً .. وليس آخراً .. ذلك النهج الجديد الخبيث الذي يلعبه المعسكر الشيوعي اليوم، والذي يتمثل بتلك الهجرة المنظمة المقصودة الشرسة الى أرض فلسطين المسلمة .. دعماً لليهود والصهيونية – وترسيخاً لابناء يهود في الاقامة والاستطيان بغير وجه حق. وكل هذا يتم بالاتفاق والتنسيق بين المعسكرين أو الدولتين المسميتين بالعظميين .. مساعدة وعوناً لاسرائيل، ولليهود .

وحقائق التاريخ .. تقول لنا أن الدول الرأسمالية وعلى رأسها أمريكا هي التي سربت «الشيوعية» إلى بلدان أمتنا العربية والاسلامية واتخذتها معول هدم للعقيدة الاسلامية. وكان اليهود هم الذين أسسوا جميع الحركات الشيوعية في هذه البلاد .. وفي ربع القرن الأخير ... أعطت أمريكا للاتحاد السوفيتي .. زعيم المعسكر الشيوعي دوراً لعبه تنفيذاً. للاستراتيجية الأمريكية في بلادنا الاسلامية – وفي منطقة الشرق الأوسط بالذات – عن طريق الحكومات العسكرية والدكتاتورية الفردية منها والحزبية .. ولعل نكسة يونيو ١٩٦٧م خير شاهد على هذا. ولعب السوفيات هذا الدوز مقابل حفنات السلاح المكدس في مخازنهم .. لا يجد من يشتريه.

وإلى يومنا هذا .. تترك أمريكا الشيوعيين المرتزقة والسوفيات والكوبيين يدمرون ويهددون بالتدمير أقطاراً إسلامية .. لتطويع

شعوبها.. كي تقبل في نهاية الأمر بالاستعمار الأمريكي الجديد .. كما يحدث الآن في أفغانستان ومحاولاتها الأخرى المفضوحة وغير المفضوحة في بلاد اسلامية أخرى.

فواجبنا اليوم عرباً ومسلمين أن نحافظ على وجودنا ونحمي تراثنا وحضارتنا وسيادتنا وعقيدتنا وألا نسمح باستيراد نظم الحكم – فردية وجماعية — والايديلوجيات الغربية عن واقعنا وبيئتنا...

وما المعاهدات والاتفاقات والأحلاف على أنواعها إلا صور جديدة للاستعمار الحديث. وعلينا جميعا شعوباً وحكومات شريفة مقاومة هذا النوع من الاحتواء الاستعماري .. ونحن نملك الفلسفة والايديلوجية الاسلامية، فالاسلام هو الاطار والجوهر وهو الدين والدولة والحياة اليومية. فلنحذر جيدا الأنماط والصور الجديدة للاستعمار بكل أشكاله وأنواعه ولا نجد أفضل من يقوم في توضيح هذا الأمر وذاك وتحمل الواجب والمسئولية إلا الصحافة، إذ أنها تعلب دوراً بارزاً وهاماً في تفهيم القارىء العربي المسلم حقائق الأحداث العربية والعالمية، وما يجري حوله وما يحاك له في الظلام وخلف الكواليس.

وبعد .. فالمشكلة لا تكمن في انعدام الحق والحقيقة، وإنما في عدم وصول هذا الحق وهذه الحقيقة إلى الناس. بينما يصل في المقابل الزيف والخداع والضلال إلى كل فرد بل إلى كل أسرة .. ومن الذي يتحمل مسؤولية ما يحدث ؟ إنها الصحافة وبقية وسائل الاعلام قبل أي شيء آخر .. نعم قد يقول قائل كيف؟ والصحافة ومعها وسائل الاعلام الأخرى مغلوب على أمرها .. وأمر القائمين

عليها، هذا صحيح .. ولكن لابدّ للمسلم - إذا ما أراد اعلاء كلمة الله وإحقاق الحق - من أن يجاهد .. الجهاد بالنفس والمال والولد .. وجهاد اللسان أو القلم نظنه أهون أنواع الجهاد. فهي القادرة على التأثير والتوجيه نحو الحق والحقيقة بصدق وأمانة وكشف مناهج الباطل الشرقية منها والغربية وبيان أن منهج الاسلام هو المنهج السليم الذي تنتظره كل الشعوب المغلوبة على أمرها، وإن دعوته، هي دعوة العقل وهداية القلب، وصوت الحق لا تحتاج إلى التواء ولا تركن إلى زيف، ولا تميل إلى إكراه من أي نوع وهذا ما يميزها عن سائر الدعوات الوضعية كما يتميز الانسان بفطرته عن سائر فطر الكائنات الحية الأخرى[1].

الصحافة الصهيونية والتخطيط لتحويل الصحافة عن واجبها الموضوعي :

لأن منطلق الحرية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيم والمبادىء الانسانية، فقد اتخذه اليهود سلاحاً يصولون به على الفكر والقيم والمبادىء لدى أي مجتمع إنساني، طالما هي تتعارض مع مصالح الصهيونية العالمية ... وهذا ما يعلله لنا الدكتور عمارة نجيب حيث يقول «من منطلق الحرية والتحرير ورفع الاستغلال تبدأ الصولة ضد الفكر الانساني عامة، ولأن هذا المنطلق يرتبط بالقيم والمبادىء لدى أي مجتمع إنساني، فقد اتخذه اليهود سلاحا للصولة على جميع هذه القيم والمبادىء، طالما كانت تتنافى أو تتعارض مع مطالب الصهيونية

(١) أنظر المرجع السابق - ص ١٨٣.

العالمية. أما ما يساهم في سيادة شعب الله المختار - من وجهة نظر اليهود - فهو مباح وهو الحرية بعينها، والطريق المفتوح إلى تأكيد هذه الحقيقة هو أجهزة ووسائل ومضامين الاعلام»[1].

إن بروتوكولات حكماء صهيون توضح لنا حقيقة ذلك المخطط الرهيب والتخطيط الدقيق في السيطرة على أهم وأبرز وسائل الاعلام في العالم ألا وهي الصحافة.

فقد حدد البروتوكول السابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون - المطبوعة في سنة ١٩٠٥م - أهداف الصحافة اليهودية[2]. ولناشر هذه البروتوكولات كلمة هامة قال فيها :

«إن حكومات العالم أجمع خاضعة اليوم، سواء أكان خضوعها بإرادتها أم بغير إرادتها لأوامر هذه الحكومة العليا حكومة صهيون، لأن القيم جميعها تحت يدها، ولأن الدول كلها مدينة لها بمبالغ لا تستطيع سدادها».

كما ورد في البروتوكول السابق «إن صحافتنا تقوم بفضح حكومات وهيئات غير اليهود الدينية وغير الدينية، بشتى أنواع المقالات الكاذبة التي حررت بقصد الحط من قدرها».

ذكر لنا المجاهد الفلسطيني عبدالله التل في «كتابه خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية» :

كيف استطاعت اليهودية العالمية وحكومتها المستوردة بأسلحتها

---

(١) الاعلام في ضوء الاسلام - ص ٢٨٣.

(٢) أنظر محمد عبدالعزيز منصور - كتاب صحافة بني إسرائيل - ص ٤٨ وما بعدها.

الرهيبة التي تتركز في الماسونية وجمعية بناي برت والصهيونية والشيوعية من السيطرة على أغلب دول أوروبا وأمريكا، وكيف تمكن اليهود من السيطرة على كل مواردها ومصارفها «بنوكها» والسيطرة على جميع المنظمات والأحزاب والحكومات على اختلاف مذاهبها.

وبالتالي كيف تمكنوا من السيطرة على الصحافة وجميع وسائل الاعلام الأخرى من إذاعة ودور نشر وتلفاز ومكاتب عامة ودور الطباعة ومصادر الاعلان.

أصدرت «جمعية نشر المسيحية بين اليهود» نشرة بتاريخ نيسان ١٨٤٦م تقول فيها : «إن الصحافة اليومية السياسية في أوروبا واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود. وإذا حاول أديب ما أن يجازف ويسعى للوقوف في طريق اليهود للاستيلاء على القوى السياسية فإنه سرعان ما يتعرض لهجوم إثر هجوم من قبل الصحف الرئيسة في أوروبا» .

وصحيفة «الجرافيك اللندنية» خير شاهد على هذا، حين اعترفت وذكرت بتاريخ ١٨٧٩/٧/٢٦م قائلة :

«إن صحافة القارة – أي أوروبا – واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود.

ففي **بريطانيا وإيطاليا** .. سيطر اليهود على الصحافة وبسطوا نفوذهم عليها بواسطة المال.

وفي **فرنسا** أسهموا في جميع الصحف الفرنسية، وفرضوا عليها

رؤساء التحرير والمحررين المسؤولين عن الشئون السياسية والاقتصادية.

وفي روسيا : كانت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م التي كان من ورائها قولاً وعملاً وتمويلاً وتخطيطاً كبار اليهود أمثال «لينين» و «تروتسكي» و «مينيف» و «ستالين» المتزوج من يهودية وغيرهم.

وفي **الولايات المتحدة الأمريكية** منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين احتشد اليهود فيها حتى بلغ عددهم أكثر من ستة ملايين يهودي وأصبحوا ملاك المال فيها واستولوا على كل مواردها بل سيطروا ومازالوا على رؤساء الجمهورية والبيت الأبيض والكونكرس ومجالس البلديات وجميع المؤسسات الهامة. فهم الذين يرشحون رئيس الجمهورية ويساعدوا بالدعاية على انتخابه. إضافة إلى هذا وذاك بسطوا نفوذهم وسيطرتهم على الصحافة في التمويل والتحرير والتضليل وكذا بقية وسائل الاعلام، وحركوها ويحركوها وفق أهوائهم.

لقد سمعت من إذاعة إسرائيل خلال ما يسمى بأزمة الجولان التي أعلنت إسرائيل عن ضمها في ١٤٠٢/٣/١٨هـ الموافق ١٩٨١/١٢/١٤م المذيع يقرأ رسالة من الرئيس الأمريكي «ريجان» إلى رئيس وزراء إسرائيل الارهابي (بيغن) يقول في مقدمتها : «عزيزي بيغن» ويختمها «المخلص ريغن» ... والمذيع نفسه يعلق على هذه الرسالة مستغرباً ويقول بأنها «الرسالة» الأولى من نوعها في التاريخ التي تصاغ بهذه الصيغة الودودة، تصدر من رئيس أمريكي إلى رئيس دولة أو حكومة في العالم. فلم يسبق أن حدث مثل هذا، أي أن

يبعث رئيس أكبر دول العالم إلى أي رئيس في العالم مثل رسالة الودّ والمحبة هذه التي تبدأ بـ «عزيزي» وتنتهي بـ «المخلص».

ولعله من المناسب أن أسجل هنا النص الكامل لآخر رسالة من هذا النوع، بعثها الرئيس الأمريكي ريجان إلى مناحيم بيجين والمتعلقة بمسألة اعتزام الولايات المتحدة الأمريكية تزويد الأردن بصواريخ هوك أرض - جو المتحركة وطائرات أف ١٦.

يجدد فيها الرئيس الأمريكي عهداً قطعه على نفسه بالمحافظة على إسرائيل متفوقة عسكرياً وتقنياً «تكنولوجياً» على جاراتها العربيات في الشرق الأوسط مطمئنا إياه بأنها ستبقى في نظره ونظر إدارته الحليف القوي والأساسي للولايات المتحدة، وإن العلاقة الفريدة القائمة بين الجانبين ستظل راسخة وقوية.

وجاء هذا العهد والتأكيد رداً على حملة عنيفة شنتها إسرائيل عقب الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الأمريكي - أنذاك - كاسبار واينبرغو للأردن في منتصف الشهر الثاني من العام ١٩٨٢م وأعرب خلالها مسؤولون أمريكيون عن اعتزام أمريكا تزويد الأردن بالأسلحة المشار إليها آنفا، وكذلك ردا على الرسالة التي بعث بها بيجين إلى ريجان والتي أعرب فيها عن أسفه والكنيست الاسرائيلي حيال عرض وزير الدفاع الأمريكي لتزويد الأردن بهذه الأسلحة والتصريحات التي أدلى بها، التي كما يدعي بيجين معادية لاسرائيل.

نص الرسالة :[1] عزيزي مناحيم :

(١) عن صحيفة الشرق الأوسط - العدد ١١٧٨ - تاريخ ١٤٠٢/٤/٢٤هـ الموافق ١٩٨٢/٢/١٨م.

عرضت أنباء صحفية حديثة تعليقات غير صحيحة ومبالغ فيها في ما يتعلق بسياسات المساعدة العسكرية الأمريكية للشرق الأوسط.

وأريد منك أن تعلم أن سياسة أمريكا تجاه إسرائيل لم تتغير وستتم المحافظة على التزاماتنا، وأنا مصمم على أن أرى التفوق التقني «التكنولوجي» النوعي لاسرائيل وقد حوفظ عليه كما وإنني واع لاهتمامكم في ما يتعلق بعوامل الكم وأثرها على أمن إسرائيل.

وستبقى سياسة هذه الحكومة كما أعلنت أمام الملأ من قبلي، كما أن تصريحات الوزير هيغ والوزير وانبرغر المعلنة هي الأخرى جلية وليس هناك أي تغيير في ما يتعلق بعلاقة إمداداتنا العسكرية للأردن. كما أن الوزير وانبرغر لم يأت بأي طلب جديد وإن أي قرار حول مبيعات مستقبلية للأردن أو لأي بلد آخر في المنطقة سيتخذ ضمن إطار التزام إدارتي القوي نحو أمن إسرائيل والحاجة إلى إحلال السلام في المنطقة.

وتبقى إسرائيل صديق وحليف أمريكا. وعلى أي حال فإني أعتقد أنه لصالح كلا بلدينا أن تعزز الولايات المتحدة من علاقاتها مع دول أخرى في المنطقة وإنني لمدرك للصلة الفريدة من نوعها بين الولايات المتحدة واسرائيل وللمسئوليات الخطيرة التي تمليها هذه الصلة على كلينا. المخلص / رون.

فعلام يدل هذا التصميم وهذا التأكيد وهذا الوعي تجاه أمن إسرائيل وتلك الصلة الفريدة التي تضمنتها رسالة هذا المخلص «ريجان» ؟ إن ذلك يدل ويؤكد لنا دون أدنى شك على مدى تحكم

الصهيونية العالمية بأكبر دولة في العالم ولها اليد الطولى في إدارتها وفق ما تريد. بل يؤكد لنا أن الصهيونية وراء تعيين أي رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ،وهي التي تتحكم بقراراته وبمصيره.

فكيف نسمح لأنفسنا – ولو للحظة واحدة – أن نعتقد أو نظن خيراً بأمريكيا وغيرها من دول الكفر الصليبية .. بأنها تريد نشر العدل والأمان على ربوع العالم « ببدعة النظام الجديد » ... هذا النظام – الذي تدعي فيه – أنه يمنح الحرية للشعوب ويحقق السلام للجميع.؟ إنها لا تريد ولا تنشد سوى مصلحتها ومصلحة اسرائيل والصهيونية .. في أي عمل أو قرار تتخذ أو تتفاوض من أجله ..

عمق الدعاية الصهيونية وخبثها :

علمنا كيف تستولي الصهيونية على الصحافة وتبسط عليها نفوذها وكيف تمولها وتعيّن المحررين لها ليقوموا بالدعاية والتضليل لها. فهم يحركونها وفق ما يشتهون ويخططون له، كما أرى من المناسب أيضا أن أذكر هنا شيئاً بسيطاً عن الأوصاف التي تتصف بها والعلامات التي تتميز بها الصحافة أو الدعاية الصهيونية عن غيرها.

(فمن ذلك على سبيل المثال : تزييف الأخبار وبث الريب والشكوك في الأذهان ... حديث توجه به الرئيس الأمريكي «جون كندي» إلى الصحفيين والناشرين في أمريكا وهم «من اليهود» وناشدهم فيه أن يراعوا المصلحة العامة ومصلحة الدولة نفسها في كل ما يكتبون وينشرون وأن يفرضوا على أنفسهم «رقابة تلقائية»

على الأخبار التي تتسرب إلى صحفهم وكتبهم، وأن يسألوا أنفسهم دائما : إلى أي حد يتعارض هذا الخبر أو ذاك مع أمن الدولة (أي أمريكا).

ثم ضرب الرئيس الأمريكي كندي على ذلك مثالا قال فيه :

«إن بعض الصحف الصفراء في أمريكا نشرت أسرارا ما كان يستطيع أعداء الولايات المتحدة والعملاء الأجانب فيها أن يحصلوا عليها مهما بذلوا في ذلك من جهد، ولو كان ذلك عن طريق الرشوة أو السرقة أو الجاسوسية».

يقول الحاخام «رايشورن» في أثناء اجتماع سري لليهود على قبر قسيسهم «سيمون بن يهودا» في براغ عام ١٨٦٩م عن المذهب الصهيوني في السيطرة على العالم :

«إذا كان الذهب هو القوة الأولى في العالم، فالصحافة هي القوة الثانية، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى، فعلينا بالذهب للاستيلاء على الصحافة وبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة. وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين»(٢).

وهكذا نجد أن أمريكا أكبر دول العالم تصبح مستعمرة يهودية تديرها وتلعب بها كيف تشاء ومتى تشاء. كما نجد كيف أصبح الشعب الأمريكي شعباً كادحاً مستضعفاً واليهود هم أصحاب الجول والصول، وهم المتمتعون بخيراتها والمستكبرون على هذا الشعب،

---

(٢) صحافة بني إسرائيل - مرجع سبق ذكره ص ٧٠.

وكيف استطاعوا بخبثهم ومكرهم من السيطرة على الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى لبث سمومهم وأفكارهم وخدمة مصالحهم أينما كانت في الشرق أو الغرب حتى أن عالمنا العربي الاسلامي لم يفلت من هذه السيطرة. فقد حاولت وما زالت الدعاية الصهيونية بمختلف الأساليب اللاأخلاقية من الخداع والتضليل وبالاقناع أو التهديد الاجهاز على وسائل الاعلام في عالمنا العربي الاسلامي والتمكن منها. فعند الصهيونية وفي عرفها أن كل شيء مباح مادام يصل بها إلى تحقيق أهدافها وأهداف أدواتها التنفيذية الماسونية والصهيونية، فكان سلاح الدعاية والصحافة خير معين لها على تحقيق أغراضها منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م إذ نبه إلى استغلال هذا السلاح لتعبئة يهود العالم «لفكرة تأسيس الكيان الصهيوني».

قضيــة ومــوقــف :

لدى قيامي بمراجعة الصياغة النهائية لهذا الفصل، قبل البدء بالطباعة أصيبت الأمة العربية والإسلامية بنكسة أخرى وعدوان جديد وذلك حينما قامت إسرائيل بتاريخ ١٤٠٢/٢/١٨هـ الموافق ١٩٨١/١٢/١٤م بضم «مرتفعات الجولان السورية» للادارة المحلية الاسرائلية. وقد تتبعتُ وسائل الاعلام عامة والصحافة خصوصاً وما تبثه وتنشره بشأن هذه القضية الجديدة، لعلي أجدُ جديدا بعد هذا الصلف الزائد والمستمر من قبل إسرائيل تجاه أمتنا وديننا. بل لعلي أجد يقظة إعلامية وصحوة، وأجد موقفاً مشرفاً وحاسماً يتخذه أصحاب الشأن من الحكومات تجاه هذا العدوان الجديد إلا أنني

وللأسف لم أجد جديداً لا عند الصحافة والإعلام ولا عند القيادات السياسية العربية. فالمواقف هي هي لم تتغير ولم تتبدل.

ولكون هذه القضية جديدة ــ وكما يقولون «الشيء بالشيء يذكر»، فرأيت من المناسب أن أشير إليها هنا، وهذا لا يعني أنها أهم من القضية الأساسية ــ قضية الشعب الفلسطيني وأرضه، ولا أهم من قضية القدس الشريف، ولكن كما قلت لكونها جديدة وأردت أن أبرهن أكثر على مدى الصلف والعدوان الإسرائيلي المتحدي لمشاعر العرب والمسلمين وبذات الوقت أدلل على الموقف اللامبالي من قبل إعلامنا العربي عموماً وبعض قياداتنا السياسية اللهم إلا ترديد نغمات الشجب والادانة والاستنكار، ثم مع هذا فهي مكملة للقضية الأساسية والحقيقية التي لا غبار عليها وهي الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين المسلمين والكفار الصهاينة.

العرب والأمم المتحدة والبعد عن الموضوعية :

وكالعادة ذهب بعض الحكام العرب يشكو إسرائيل في الأمم المتحدة ومجلس الأمن لبحث قضية الجولان السورية العربية التي ضمتها إسرائيل إليها. والكل يظن بعد هذا الصلف والغرور الاسرائيلي وخطورة ما أقدمت عليه إسرائيل بأن الأمم المتحدة ستطبق بحق إسرائيل أنظمتها التي أسست أو قامت عليها هذه المنظمة في إحقاق الحق والعدالة الدولية ولكن ما الذي تم ؟ بعد التداول والتشاور صدر قرار بإدانة واستنكار الاجراء الإسرائيلي إدانة وافقت عليها جميع شعوب العالم باستثناء اليهود بالطبع. وماذا استفاد العرب من

هذه الإدانة. إنها لم تكن سوى مواساة من شعوب العالم لنا نحن العرب المسلمين بسبب ما أهدر من ماء وجوهنا وما أهدر خلال عشرات السنين من دماء قلوبنا وما أهدر من كرامتنا وعزتنا.

ولقد كشفت لنا مناقشات مجلس الأمن التي استمرت شهراً تقريباً أن الخطر الحقيقي الذي يواجه العرب والمسلمين هو سلبية السياسة الأمريكية وعدم تمكنها من اتخاذ مواقف حاسمة تجاه سياسة إسرائيل. وهذه السلبية هي التي شجعت وتشجع إسرائيل على ضم الكثير من الأراضي العربية الاسلامية، ونظنها - بوافر من الثقة - أن الجولان لم تكن المحطة الإسرائيلية الأخيرة. فمنها إلى الضفة الغربية وجنوب لبنان وبيروت وغيرها[1].

و لم يكن وقف العمل باتفاقية التعاون الاستراتيجي مع إسرائيل سوى رد فعل غاضب ومحدود ومؤقت - للاستهلاك المحلي والاعلامي - على التصرفات الاسرائيلية وللاهانة التي لحقت بالادارة الأمريكية

(١) وقد شاءت المصادفة ففي أثناء طباعة هذا البحث ــ كرسالة ماجستير ــ أي قبل طباعته ككتاب ــ تم ما توقعناه ــ حيث هاجمت إسرائيل لبنان في صباح يوم ١٩٨٢/٦/٦م وعملت ما عملته من القتل والتدمير وبمؤازرة أمريكية كاملة لها. ولا تعليق لي هنا... بل مطلوب منا جميعا أن نعتبر وأن نفيق ويكفينا أن نقول إن هذه الحرب ــ سميت (بحرب الألكترون) فاستخدمت أسلحة الكترونية تذيب الحديد قبل الانسان، وبقنابل تفتك وتدك كل شيء ــ تدك الأرض لتغور في جوفها الانسان العربي المسلم. إنها حرب الفرد العربي المسلم. فالذي يتصدى لهذا الغزو فوق أرض لبنان اليوم ليست الجيوش العربية ولا الحكومات العربية بل هو الفرد العربي المسلم، متطوع، وفدائي أقفل المذياع وألقى الصحيفة العربية لا يريد أن يسمع أناشيد ولا تصريحات ولا شجب ولا استنكار، بل يريد أن تكون التصريحات رصاصة ومدفع وقنبلة توجه إلى صدور أعداء العرب والمسلمين.

ورئيسها شخصياً، والتي بلغت ذروتها في رسالة ريجان الشهيرة لبيجن.

ولكن لم يمر وقت طويل وإذا بأمريكا تتراجع عن مواقفها المحدودة والمصطنعة. وتبدأ واشنطن تلمح بإيماءات صريحة مؤداها أن الإدارة الأمريكية لا تريد تصعيد الأزمة مع إسرائيل وأن وقف العمل باتفاقية التعاون الاستراتيجي ما هو إلا إجراء مؤقت.

وفي داخل ما يسمى بمجلس الأمن تلعب أمريكا أدوارها الخبيثة وكلها طبعا في مصلحة إسرائيل، ولكن كما قلت إنها – أي أمريكا – تحاول أحيانا المحافظة على ماء وجه الحكومات العربية. فلم تتخذ موقفاً علنياً ضدهم، وذلك لما يدور على الساحة العربية من مساومات وتراجعات حول القضية الأم فأخذت تستأجر أصوات الدول من أجل الاطاحة بمشروع الأنظمة العربية الذي يقضي بمعاقبة إسرائيل ومقاطعتها دولياً. فاستأجرت كلا من زائير وبناما لحرمان المشروع العربي من الحصول على النصاب القانوني دون الحاجة إلى الفيتو الأمريكي وهذا ما تم لها بالفعل. وبعدها اختارت الدول العربية طريق التنازلات في مجلس الأمن قبل أن تنقل قضيتها إلى ما يسمى بالجمعية العامة.

وهكذا تبدأ المشكلة وتنتهي ولم يتغير من الأمر أي شيء، ونسيت الأنظمة العربية أو تناست أن الأمم المتحدة وهيئاتها هي من صنع الدول الكبرى كي تفرض سيطرتها على العالم. ونسيت الأنظمة العربية أو تناست أن الأمم المتحدة هي التي قررت إقامة

الدولة الإسرائيلية في قلب العالم العربي الاسلامي ... والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ماالذي ستفعله أمريكا والأمم المتحدة إزاء المخططات الإسرائلية القادمة بعد الجولان ؟

تساؤل :وهنا نطرح تساؤلاً ونوجهه للقيادات العربية مؤداه «ممن نستمد الأمن؟» هل نستمده من هيئة الأمم المتحدة ومجلسها «مجلس الأمن»؟ ألم يكن الأحرى بنا وبعد عشرات السنين من المناورات والتراجعات الاستسلامية أن نستمد الأمن من الله .. الذي يقول في كتابه المجيد الحاوي للعلاج الناجع لكل قضايا أمتنا ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[١].

كما ندعوهم لقراءة قوله جلّ وعز ﴿فليعبدوا رب هذا البيت * الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[٢] .

واقرأوا قوله ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[٣].

ثم اقرأوا قول رب الأمن والآمان ورب كل شيء ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾[٤].

فهل نتدبر ونتعظ ؟!

---

(١) سورة الأنعام. الآية ٨٢
(٢) سورة قريش. الآيتان ٣ ، ٤
(٣) سورة النحل. الآية ١١٢
(٤) سورة النحل. الآية ٤٥

موقف الصحافة من القضية :

وكالعادة أيضا فلم نسمع ونقرأ سوى عبارات الشجب والاستنكار وصياغة المقالات على أوراق الصحف والاعلام عامة ... واستجداء أمريكا أو روسيا والأمم المتحدة.

فحين أعلنت أمريكا عن إيقاف العمل باتفاقية التعاون الاستراتيجي مع إسرائيل لمص نقمة الرأي العام العربي الاسلامي. خرجت علينا الصحافة العربية والمجلات بعناوين عريضة وبارزة تبارك هذا الموقف وتعتبره موقفاً مشرفاً لأمريكا، ونسينا أو نست صحافتنا أن إسرائيل منذ أكثر من أربعين عاماً إلى يومنا هذا تتحدى وتعتدي - بدون اتفاق التعاون هذا - إن أمريكا تمدها ومنذ نشأتها بكل ما تحتاجه بدءاً من لقمة الخبز الى الطائرات والقنابل النووية.

فرددت صحافتنا ما ترده الأجهزة السياسية في البلاد العربية، وراحت تكيل المديح لأمريكا وراحت صحافتنا ووسائل إعلامنا الأخرى تدعو إلى الاجتماعات وعقد المؤتمرات بين الأنظمة العربية لمناقشة هذه القضية. وكلما يحدد موعد لمثل هذه الاجتماعات - التي نظن أنها لم تخرج بجديد اللهم إلا ما يملىء الصحافة ووسائل الاعلام من الاستنكار والاستجداء والتهديد بالكلام - نقول كلما حدد موعد ويقترب المؤتمر من الانعقاد نفاجىء بالتأجيل.

لقد نقلت لنا جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ١١٥٨ وتاريخ ١٤٠٢/٤/٤هـ الموافق ١٩٨٢/١/٢٩م خبراً يقول :

«علم في تونس - مقر جامعة الدول العربية - أنه تم تأجيل موعد انعقاد الجلسة الطارئة لمجلس جامعة الدول العربية من جديد

إلى الثاني عشر من شهر شباط/فبراير ١٩٨٢م بدلا من يوم السابع من الشهر نفسه وذلك بالاتفاق بين الحكومة السورية والأمانة العامة للجامعة.

وقالت مصادر مقربة من الجامعة أن سبب التأجيل يعود إلى ضرورة تركيز الجهود العربية حاليا على الاجتماع الطارىء للجمعية العامة للأمم المتحدة التي ستناقش قضية ضم إسرائيل لمرتفعات الجولان السورية بعد أن فشل مجلس الأمن في فرض عقوبات على إسرائيل.

وأضافت هذه المصادر أن من بين أسباب التأجيل وجود وزراء الخارجية العرب أو من يمثلوهم في الاجتماع الطارىء للأمم المتحدة ... وكذلك انعقاد المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي يوم السابع من الشهر القادم في تونس.

وتضيف الصحيفة قائلة : وهذه هي المرة السابعة التي يؤجل فيها الاجتماع الطارىء الذي سيعقد على مستوى وزراء الخارجية – لاحظ المرة السابعة – كانت سوريا دعت إلى عقده في أعقاب القرار الإسرائيلي بضم الجولان، أي في خلال شهر ونصف فقط.

وهكذا نجد التخبط والضياع للقرار السياسي العربي – ولا نقول القرار العسكري. قرار القوة ضد العدو المفروض بالقوة – لأنني أحسب أن روحه زهقت تماماً.

يقول تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم﴾[1].

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٩٤.

ويقول سبحانه ﴿وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[1].

وأين نحن اليوم من هذا، يعتدي علينا وتهان كراماتنا، ولن نجد إلا الصياح والصراخ بل لن نقابل هذا الاعتداء وهذا الهجوم الشرس إلا في الدفاع : كلاماً وشجباً واستنكاراً على صفحات صحفنا وعبر أجهزة إعلامنا الأخرى.

بل والأمرّ من هذا وذاك، نجد صحافتنا ووسائل الاعلام الأخرى تدعو إلى التعقل في الأمور واستخدام أساليب متحضرة غير أسلوب القوة حفاظا على السلام العالمي وكأننا نحن المعتدين وليس المعتدى علينا.

وعلى هذا النحو يتم تسويف بل وتمويت قضايا أمتنا العربية الاسلامية بانتظار قضية أخرى جديدة وهكذا ... إلى أن يتحقق حلم إسرائيل في الدولة الكبرى من النيل إلى الفرات.

ولعل التحقيق الذي نشرته مجلة «المجلة الأسبوعية» في عددها ١٠٣ وتاريخ ١٤٠٢/٤/٥هـ الموافق ١٩٨٢/١/٣٠م التي كشفت فيه القصة الكاملة المفصلة للخطة التي تنفذها السلطات الاسرائيلية والهادفة إلى ضم الضفة الغربية وغزة تدريجياً ونهائياً إلى الدولة اليهودية يؤيد حقيقة ما نقوله.

وعلى الرغم ما في هذه القصة من تفاصيل خطيرة ومعلومات هامة، نجد صحافتنا تقف موقف المتفرج وكأن الأمر لا يهمها بشيء، فلم تعالجها وتتصدى لها. اللهم إلا ما قامت به المجلة نفسها حيث

---

(١) سورة الأنفال – الآية ٦٠.

أوفدت إلى الضفة الغربية صحافياً أمريكياً متخصصاً في شؤون المنطقة ليجمع المعلومات الكاملة عن هذه القضية، وأمضى هذا الصحفي أربعة أسابيع هناك والتقى بكثير من الشخصيات العربية الدبلوماسية وحصل على معلومات وتفاصيل مهمة استند إليها في كتابة هذا التحقيق لـ «المجلة» والذي يروي فيه قصة الضم التدريجي بكل مراحله وخطواته لهذه الأرض العربية المحتلة.

والبعض من حكامنا العرب يعتذر لأن وقته لا يسمح بحضور هذا الاجتماع أو ذاك أو أنه ينتظر ما يقرره مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، وكأن مصائرنا ومصائر أمتنا لا تحلها إلا هيئة الأمم المتحدة أو أمريكا وروسيا.

فلا ندري ما إذا كانت هناك غيرة عربية إسلامية لا تسمو فوق الدني من الأحداث أو الخلافات، إن كانت هناك خلافات تستحق الذكر أو هي تخص صلب القضايا وبسببها .

لابدّ من يقظة صحافية وإعلامية للنهوض بالمستوى الموضوعي للصحافة :

إن هذا العدوان الإسرائيلي وغيره من الاعتداءات السابقة ليس بشيء جديد أو غريب على إسرائيل، ولكن الأمر الغريب هو موقف صحافتنا وإعلامنا المتهالك أو يكاد. إنه لمن دواعي الحزن والأسى وما يبعث على الاشمئزاز حقاً، هو موقف صحافتنا وإعلامنا الضعيف في مواجهة المواقف.

فلا تقوم إسرائيل بهجمة شرسة أو غارة همجية أو بعدوان

جديد على أمتنا وأراضينا حتى تطالعنا الصحافة ووسائل الاعلام كافة في عالمنا العربي الاسلامي بتبجحها وهي تحاول أن تثبت لنا أن إسرائيل تحب العدوان والقهر والعيش على القتل والدمار والتخريب وكأن الأمر خاف علينا. لقد عانينا الكثير وما زلنا من عدوان العصابات الصهيونية اليهودية منذ عدوانها عام ١٩٤٨ تحت حماية المظلة البريطانية مع تغير بسيط للمظلة لتصبح مظلة الدعم الأمريكي العسكري والاقتصادي والسياسي.

إن هذا العدوان لا يخفى علينا. وبذات الوقت لا تخفى علينا مهازل الأمم المتحدة وما تصدره من قرارات متناقضة.

وإذا ما أصدرت هذه الهيئة المشبوهة قراراً أخذت صحافتنا وأجهزة الاعلام الأخرى تحسب وتجمع وتكسر الأرباح والخسائر والمؤيدين والمعارضين والممتنعين عن التصويت، وكأننا بهذا القرار أو ذاك حررنا فلسطين والقدس والجولان وغيرها.

المطلوب من صحافتنا وإعلامنا ومن قبلهما حكوماتنا العربية - الإسلامية ... أن ينفض الجميع أيديهم من الأمم المتحدة وأمريكا وروسيا وغيرهما من الدول الاستعمارية. فهيئة الأمم هي التي قبلت دويلة إسرائيل في عضويتها ووصفتها بالدولة المحبة للسلام «قرار رقم ٢٧٤ بتاريخ ١١/٥/١٩٤٩م» وأمريكا وروسيا هما اللتان اعترفتا بها بعد الاعتداء مباشرة، مع أن إسرائيل قتلت الآلاف وشردت الملايين ودمرت وخربت المنازل واعتدت على المحارم

والأعراض وارتكبت الكثير من الجرائم البشعة والتي كان على رأسها مذبحة «دير ياسين» بزعامة الارهابي بيكن.

إن الأمم المتحدة – ومن هم على رأسها – ما هي إلا مصيدة رهيبة ومخدر فعّال لتخدير الآلام وتهدئة الهائجين والقضاء على ثورة الثائرين وفق القاعدة – المذكورة سابقاً – : «ارفع غطاء الاناء الذي على النار كي يخرج البخار». ما هي إلا مظلة أسستها الدول المسماة بالعظمى بغرض السيطرة على العالم وعلى خيراته بصورة غير مباشرة.

إن ما يجب أن تقوم به الصحافة والاعلام عامة نحو قضايا العالم العربي الاسلامي هو طرح هذه القضايا على الساحة الداخلية والخارجية والتعرف على أسبابها الحقيقية، والاسهام بطريقة إيجابية في حل تلك القضايا والمشكلات بالخبر والمقال والتعليق والتحقيق والوقوف على حقيقة الأمور ومجرياتها من مواقع الأحداث الساخنة – أي الذهاب إلى «مواقع العمل الصحفي الحقيقي – ولو بخطر الموت وعدم الاعتماد على الصحفيين الأجانب مراسلي «التايمز» و «الجارديان» و «نيويورك تايمز» و «والواشنطن بوست» ووكالات الأنباء العالمية، فهم الذين أصبحوا الصلة الوحيدة بيننا نحن القراء العرب المسلمين وبين ما يدور في العالم من أحداث ساخنة سواء على ساحتنا العربية الاسلامية أو العالمية، في حين نجد وكالات الأنباء العربية التي تدفع لها دولها الملايين قابعة في مكاتبها تلتقط أنباء الاذاعات ووكالات الأنباء العالمية ويجلس أصحابها في المكاتب الفخمة

أو يسافرون إلى الرحلات الأنيقة. قد يعزو البعض السبب في قصور الصحافة إلى تدخل الحكومات .. فهذا ليس بعذر أبدا، أما يوجد في مهنة الصحافة رجال وشباب متحمس للذهاب إلى مواقع الأحداث الساخنة ولو أدى ذلك بحياته ؟

وتقوم الصحافة أيضا بالدعوة المستمرة إلى التضامن الاسلامي ووحدة المسلمين وبيان ما كان عليه السلف الصالح، ونقد ما نحن فيه الآن نقداً بنّاءً، وشرح ما يترتب على هذا وذاك من قوة مادية وسياسية، وما سيؤثر في مجمل القضايا العالمية والانسانية والوقوف بوجه كل ثغرة من شأنها فتح باب الفرقة والبغضاء والشحناء، والدعوة المستمرة أيضا إلى «الجهاد في سبيل الله» وفي سبيل تحرير الأراضي المقدسة .. وقبل كل هذا وذاك الاعتصام بحبل الله، والسير على نهج رسوله، وهو ما يجب أن توضع له القواعد وتؤسس له الأسس في إعلام إسلامي صحيح، له صفة العالمية بخدمته للبشرية وفتح أعينها على طريق السعادة الحقيقية والرفاهية الأمنية، بالنهج الموضوعي العلمي.

ولعل الفصل التالي من هذا الباب يمثل تصوراً لهذا الطموح.

الفصل الثالث

قواعد الإلتزام بالمفهوم العلمي للصحافة الإسلامية

يتضح – وكما أسلفنا – أن قواعد الصحافة الاسلامية قد أرسيت منذ جاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته وقام صحابته رضوان الله عليهم أجمعين على تدعيمها بالاتباع. فكانت في حجمها المتواضع وسيلة لخدمة الحق وبيانه وإذاعته ونشره كما كانت وسيلة لهدم الباطل وإزهاق روحه.

إلا أن تطور الصحافة في عصرنا الحاضر وما تعتمد عليه من أصول ومبادىء وما تنهجه في تحديد الأهداف والغايات وأساليب البيان فيها، ومالها من مكانة، كل هذا يجعل «المؤلف» يفرد مفهومها بهذا الفصل.

وأستطيع أن أقرر ومن البداية بأن «مفهوم الصحافة الاسلامية» – الذي نتصوره – لا يتعارض مع ضرورة المحافظة على الموضوعية والتصور العلمي لصحافة تكون وسيلة لخدمة الاسلام مع تطورها واتساع حجمها وتعدد صفحاتها وتنوع أساليبها وأهدافها وفنونها وكثرة موادها. ونعني «بالصحافة الاسلامية» تلك التي تضع خدمة

الاسلام غاية لها وهدفاً لكل ما تنشره، وهو ما يعني أن تلتزم في الوقت ذاته بقواعد الحلال والحرام في كل ما تنشر وتذيع. وهو ما لا يتعارض مع الموضوعية والمنهج العلمي.

بمعنى أن أبواب وتعليقات وتحقيقات الصحيفة وما إلى ذلك من العناصر يجب أن تكون كلها التزاما بقواعد الاسلام...وهو ما حرصت على بيانه في هذا المبحث ليكون نبراساً ألتزم بهديه في هذه الدراسة .. وأتطلع أن يلتزم غيري بهذا الهدي أيضاً.

الصحافة الاسلامية والاعلام عامة ومكانة كل منهما :

١ ــ التعرف على مصادر التوجيه للصحافة وغيرها من وسائل الاعلام :

طالما نحن في مجال ذكر التزام الصحافة بقواعد الاسلام خصوصا بالمضمون الاسلامي المتمثل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة – وبالمنهج – منهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ... فمن المناسب أن أتكلم أولاً عن أهم مصادر الصحافة الاسلامية – باعتبارها أهم وسائل الاعلام – ومكانتها في الدعوة الاسلامية:

يعتبر «القرآن الكريم والحديث الشريف» أهم مصادر التأسيس والتقنين لإعلام إسلامي ملتزم بمبادىء وأهداف وغايات، وذلك لمكانتهما الكبيرة في الدعوة الاسلامية، حيث نستقي منهما منطلق الاختيار للموضوعات وأسس التعامل مع الأخبار، كما نأخذ الحجج والبراهين لتحديد أسلوب ومنهج هذه الأمور.

لِمَ لا وكتاب الله الكريم هو الدستور الشامل الجامع المنظم

لشئون الحياة في الدنيا والآخرة، وفي شتى المجالات لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ووضع لها المنهج الصحيح.

يقول تعالى ﴿... ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1] فهو الذي وضع العلاج وحدده لكل أمور الحياة. والأمر نفسه فيما يخص الحديث الشريف.

إن القرآن الكريم رسالة عالمية ودعامة هامة لتوجيه الصحافة الاسلامية والاعلام عامة.

فإذا ما أرادت الصحافة معالجة أمر من الأمور، وجدت التوجيه العلمي لمعالجته وأسس المنهج الصحيح للاستفادة منه.

فإن تطرقت لموضوع «كالجهاد» مثلاً نجد آيات القرآن الكريم تتعرض له وتحدد أصوله.

وإذا تناولت «قضية المرأة» فستجد أيضا الآيات الكريمة التي تتعرض لها .. وعموما ستجد الصحافة ضالتها في كل أمور الحياة، وقضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية..

والحديث الشريف هو الآخر يلعب دوراً إعلاميا كبيراً لأن هذه الأحاديث في جملتها جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[2] مؤكدة ومفسرة لمعاني آيات القرآن الكريم مبينة أو مخصصة لكثير من آيات القرآن الكريم، التي جاءت مجملة ومطلقة

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٣٨.

(٢) سورة النجم – الآيتان ٣، ٤.

أو عامة، مثلا : بيّن الحديث أوقات الصلاة وكيفيتها وفصّلها حيث جاء بها القرآن الكريم مجملة، ووضح المراد «بالخمر» وأي المقادير يحرم إلى غير ذلك[1].

كما أن القرآن الكريم هو مصدر الأخبار والأنباء. فأخبار الاسلام تأتي من لدن حكيم عليم، تنزل من السماء إلى الأرض عن طريق الروح الأمين الذي عرف بالأمانة والدقة في النقل.

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾[2].

تبين هذه الآيات الأسس المتينة التي جاء بها القرآن الكريم... كما أوضحت القواعد العامة التي يجب أن تسير عليها صحافتنا اليوم والمتمثلة في الآتي :

١ ــ قوة المصدر وعظمته، فالأنباء تصدر من عند الله رب العالمين.

٢ ــ صدق المبلغ وأمانة (حامل الرسالة الاعلامية) فقد نزل بها الروح الأمين.

٣ ــ معرفة الذي سيقوم بتبليغ هذه الرسالة ونشرها، وهو الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم.

٤ ــ مدى اقتناع المبلغ بالرسالة وبالأنباء التي وردت إليه.

٥ ــ وضوح الرسالة، حيث أنها نزلت بلغة القوم بلسان عربي واضح مبين[3].

---

(١) أنظر – د. محي الدين عبدالحليم – الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٦٢ – ١٦٣

(٢) سورة الشعراء – الآيات من ١٩٢ – ١٩٥.

(٣) أنظر – الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٤٣٩.

ولا أريد الاستطراد كثيراً في ذكر الميادين التي تناولها القرآن الكريم والسنة المطهرة فأظنها غير خافية على أي إنسان يهمه أمر الدعوة الاسلامية، ولا هي بالمسألة الصعبة حين يريد معرفتها والاستزادة منها.

٢ ــ تحديد المسار والهدف :

كلنا يعلم أن الصحافة بل الاعلام عموماً أصبح في مطلع القرن العشرين علماً له قواعده وأصوله ونظرياته لما له من دور كبير وهام في حياة الناس – أفراداً كانوا أو جماعات – وأخذت كل أمة تحدد الغاية من وجوده، وصارت صحافتها ووسائل إعلامها تسير في الداخل والخارج وفق ما ترمي إليه من سياسة، مدركة أن كل شيء له هدف، فالكلمة لها هدف والخبر له هدف والفكاهة أو الكاريكاتير لها هدف .. فلابدّ أن يكون لكل خبر غاية ولكل كلمة هدف. وكثرت النظريات حول تحديد الأهداف وفقا لأغراض الاتصال، هل هو هدف إعلامي يؤثر في الفعل، أم هدف ثقافي أم ترفيهي يهدف إلى التسلية ؟ وسارت كل أمة وفق خطتها التي رسمتها وأهدافها التي حددتها.

ولكن – وهذا ما يؤسف له – جهل أو تجاهل أبناء أمتنا الاسلامية أنهم أصحاب رسالة ودعوة لابدّ أن تبلغ إلى الناس جميعا، فهي أمة تهدي للحق .. وتنطق به وفق ما رسم لها من الله تعالى «فالاسلام يسَّر عمل الداعية ورجل الاعلام الاسلامي، حينما جعل الدعوة إلى الله متوائمة مع الفطرة وإجابة حقيقية مقنعة توضح

وتنظم علاقة الانسان بالكون وما يشتمله من ملايين الأشياء والأدوات، وعلاقته بما وراء الكون وما يتصل بذلك من تكاليف وواجبات.

ولقد حرص دعاة الاسلام من السلف الذين تأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم على إثارة الفطرة الباحثة عن الحقيقة بأحد طريقين، حسب ما تقتضي الحكمة :

أولهما : القدوة الصالحة في كل الأعمال والتصرفات، حتى تتحرك الفطرة المتسائلة لتسأل عن سر هذا السلوك الذي لا ينقاد لهوى النفس، وشهوات الدنيا، وتزيين الشيطان، والمنافع العاجلة. وتكون الاجابة التي يحملها الاعلام الاسلامي عبر وسائله المختلفة : «دين الاسلام» هو سر هذا السلوك لأنه دين الله الذي يحض على الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يربي النفس على مقاومة شهواتها، وعلى صد هواها، ويوجهها إلى العمل النشط المخلص الجاد المثمر، لتنال ثواب الدنيا والآخرة، ثواب الدنيا بالاطمئنان والايمان والرضا بقضاء الله وقدره، وثواب الآخرة بالنعيم المقيم.
﴿ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[1].

وثانيهما : تحريك الفطرة بالهجوم على ما اعتادت عليه النفس، وبيان ضلال هذه العادة والانذار بخطر الاستمرار عليها، فتصدر الأسئلة عن الذي هو الأفضل، ووجه الأفضلية، وعن الحق وبرهان

(١) سورة الفجر — الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠

الحقيقة. وتكون الاجابة بلا تعقيدات فلسفية، ولا إغراق في متاهات كلامية. إنما تكون نقلاً للمضمون الاسلامي على نحو ما يلي :

الاسلام يحرص على تكريم الانسان وعلى تنمية مقومات إنسانيته، وتوجيهها إلى طريق الخير والحق، ثم يبين الداعية أو رجل الاعلام ما يراه الاسلام، ويحاول أن يقارن بين الوجهين ليتبين فضل الاسلام في الحرص على تكريم الانسان وعلى تنمية مقومات إنسانيته من خلال مضمون يوافق حال السائل ونوع الأسئلة التي يطرحها، ذاكراً تفاهة الدنيا، وسرعة لقاء الانسان لربه في الآخرة، منبهاً إلى أن التهوين من أمر الدنيا لا يعني تركها واعتزال العمل فيها، وإنما يعني بذل الوسع والجهد والنفس لله والدار الآخرة، فلابدّ من الزاد، وخير الزاد التقوى، والتقوى جهاد متواصل من أجل العقيدة والمبدأ والفوز بالنعيم الخالد في الآخرة، فالتقوى جماع الفضائل الفكرية والسلوكية، وإشاعة التقوى ونشر أسبابها وإذاعة حوافزها من المهام الأساسية لرجل الدعوة والاعلام في نظر الاسلام»[1].

وهكذا يظهر لنا أسلوب تقديم المضمون الاسلامي، بالفطرة المتوائمة مع الدعوة إلى الله، والقدوة الحسنة بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، وبيان مزايا الآخرة وفضلها على الدنيا الفانية، مع وجوب الاستزادة من هذه الدنيا بالصلاح والخير والتقوى وعدم التواكل، وما هذا الأسلوب إلا نهج في المسار نحو الهدف السليم.

---

(١) د. عمارة نجيب – الإعلام في ضوء الاسلام ص ١٨١ – ١٨٢.

ولكن مما يؤلم النفس أن صحافتنا ومعها بقية وسائل الاعلام سارت شوطاً طويلاً لا هدف لها إلا التقليد والسير وراء كل جديد دون أصالة إعلامية .. ونحن أمة لها تأريخها ولها رجالها الذين ضربوا المثل الأعلى في حمل رسالة السماء إلى الناس في دقة وأمانة. وقبل هذا وذاك فنحن أمة لها دستورها العظيم وسنتها الشريفة. وكلاهما حافل بتحديد المسار والهدف الاعلامي فلابدّ من العودة والالتزام بتحديد الهدف وفق المبادىء والقيم الاسلامية.

٣ ــ الاهتمام باصطفاء وتدريب وبناء رجل الاعلام :

لقد اهتم ديننا الاسلامي الحنيف باصطفاء وتدريب واختيار الرجل القائم بالاتصال، فالله سبحانه وتعالى كان يتخيّر من الناس رُسلاً يصطفيهم ويربيهم تربية خاصة، حتى يكونوا نوراً وهداية وقدوة للناس، سلحهم بالصبر لعلمه جل وعز أن الناس لا يستمعون الذكر إلا وهم يلعبون وقلوبهم لاهية.

﴿ماياأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسرّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾[1].

كما أنهم كانوا أحسن الناس خلقاً وأصدقهم قولاً. فالصدق من العناصر الأساسية الذي يجب أن تتميز به وتقوم عليه الصحافة وبقية وسائل الاعلام في عالمنا.

فالله سبحانه وتعالى يختار الصادقين لحملة رسالته الذي يبلغون

(١) سورة الأنبياء – الآية ٢، ٣.

رسالات السماء. فكان النبي صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين منذ نشأته وقد عرف في مجتمعه بهذا قبل أن يأتيه الوحي، وكذلك كان الأنبياء والمرسلون.

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾[1].

وكم من خبر كاذب كان سبباً في قطع الصلات وإثارة العداوة والبغضاء. بل أمرنا الله أن نأخذ الحيطة فيما ينقل إلينا من أخبار وأن نعرف مصدرها ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2].

فالله عز وجل يعلم الاثر السيىء من إثارة الشائعات والأخبار الكاذبة، فإن من أكبر الجرائم وأخطرها أن تسرق العقول بالأخبار الكاذبة والأحاديث المفتراة فيصدقك الناس وأنت كاذب ... يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «كبرت خيانة أن تحدث أخاك بحديث هو لك مصدق وأنت له كاذب»[3].

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اهتم وعني بمسألة بناء وإعداد رجل الاعلام بوجه عام، فبدأ بإعداد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجال من الأصدقاء الخلص أمثال الصديق أبي بكر وعلي

---

(١) سورة مريم – الآية ٤١.

(٢) سورة الحجرات – الآية ٦.

(٣) رواه البخاري بالأدب المفرد وأبوداود عن سفيان ابن أسيد، ورواه أحمد في مسنده والطبري في الكبير عن النواس (الفتح الكبير الجزء الثاني ص ٣١٦).

أحمد الجزء الرابع ص ١٨٣ – والأدب المفرد باب ١٨٤ ص ١٤٢ رقم الحديث ٣٩٣ ... وهو متفق عليه.

ابن أبي طالب، ونساء مخلصات أمثال السيدة خديجة وعائشة. من الذين كان لهم قدم راسخ في نشر هذا الدين الحنيف وتبليغ دعوة الله، لعلمه صلى الله عليه وسلم أن للاعلام أهمية خطيرة .. وإنه يعتمد على الأمانة والصدق في القول والعمل حتى يثمر الاتصال ثمرته المرجوة منه[1].

كل هذا يدعونا إلى تنظيم وبناء صحافتنا ووسائل الاعلام كافتها وفق مبادىء وقيم ديننا الحنيف، مما يستوجب العودة إلى كتابنا الكريم وأسلوبه الاعلامي ومنهجه، وأسلوب ومنهج السنة المطهرة، وننظر أيضا إلى تأريخ هذه الأمة، لنرى كيف كان أولئك الرجال مضرباً للمثل الأسمى والأعلى في حمل رسالة السماء إلى الناس في صدق وأمانة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والذين اتبعوه بإحسان ... ونشيد صحافة مؤمنة غير مقلدة ترتفع بالحق وتقوم به وتنشره، أساسها الايمان والقول الصادق والعمل الصالح.

ولا ريب أن هذا النهج يربط القارىء بالصحيفة، كما يجعل الصحيفة قادرة على ترقية الحياة الفردية والاجتماعية.

يقول العقاد في كتابه «على الأثير»[2] من الأحاديث التي رويت عن النبي عليه الصلاة والسلام حديث يلخص دستور السياسة والاجتماع في كلمات معدودة وهو قوله عليه السلام «كما تكونوا يولَّ عليكم»[3].

---

(١) انظر الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٤٣٦-٤٣٨.

(٢) ص ١٣٩ – الناشر. دار الفكر العربي.

(٣) عن أبي بكرة – عن الديلمي في مسند الفردوس – وعن أبي اسحق السبيعي مرسلاً عند البيهقي في شعب الايمان (الفتح الكبير الجزء الثاني ص ٣٣٢).

ومن آيات الصدق في هذا الحديث الحكيم أنه يصدق على كل حالة اجتماعية تتمثل فيها مواصفات الأمم، ولا يقف عند مشابهة الحكام للمحكومين أو مشابهة نظام الحكومة لأطوار الأمة وأخلاقها.

وعلى هذا القياس، وفي حدود الواقع الملموس نستطيع أن نذهب كما ذهب العقاد ونقول معه «كما تكونوا تكن صحافتكم».

لأن الصحافة تابعة للأمة التي تعيش فيها، وليست بسابقة لها ولا مترقية عليها. وإذا اتفق في موقف من المواقف النادرة أن تقدمت الصحافة على أمتها فتلك ولا ريب عارضة لا تدوم، لأن الصحافة إذا تقدمت أمتها على الدوام انقطعت عنها وليس في وسع صحيفة من الصحف أن تنقطع عن قارئها وعن البيئة، التي تكتب لها.

وهي مضطرة إلى الرجوع إليها يوماً بعد يوم أو أسبوعاً بعد أسبوع أو شهراً بعد شهر كما تضطر جميع الصحف اليومية والمجلات الدورية.

ويضيف العقاد قائلا : قد يستطيع الكاتب أن يسبق الأمة بكتاب لأنه يصدر مرة واحدة أو بضع مرات، وقد ينتشر بين أفراد الأمة لأنه يغضبها ويخالف أهواءها، كما ينتشر بينهم لأنه يرضيها ويوافق مزاجها. أما أن يسبق الكاتب أمته بصحيفة دائمة فذلك أمر عسير يستبعده العقل [كما تدلنا التجربة الواقعة على أنه بعيد جد بعيد].

٤ ــ اختيار اللغة الاعلامية والأسلوب الاعلامي الصحيحين :

لقد اتجه المنهج الاعلامي إلى دراسة الأسلوب الذي يؤثر في

قابلية اللغة الاعلامية للقراءة أو الفهم، وعلى اعتبار أن الرسالة الاعلامية هي العماد والأساس، بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بعناية تامة. فكان على المنهج الاعلامي أن يقيس قابلية الرموز المطبوعة أو المذاعة للقراءة والفهم من حيث :

«العوامل التي تميز الرموز التي يسهل أو يضعف قراءتها أو فهمها، والاختلاف في الأسلوب ومدى سرعة القراءة لدى القارىء ومدى التركيز على الكلمات أو مجموعات الكلمات ومدى ما يستوعب في ذاكرته من المعاني المؤقتة حتى ينتهي من قراءة المجلة».

وكان المنهج الاعلامي يركز في البداية على «الكلمة» في قياس قابلية القراءة فقسمت الدراسات الأولى للقابلية لقراءة المواد إلى نسبة الكلمات «السهلة» إلى «الصعبة» الموجودة، كما تدل على ذلك قائمة مقننة للكلمات مثل قائمة « ثور ندايك» وفي السنوات التالية أضيفت عناصر أخرى لبحثها مثل «طول الجملة» «الجملة البسيطة، والجملة الناقصة التي لا تحتوي على فعل» والجملة ذات الفعل والفاعل فقط. ثم تبع ذلك ما لا يقل عن «٨٢» عنصراً من عناصر الصعوبة التي زعم بحثها، أختير منها أخيراً خمسة على أساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهي :

«الكلمة المختلفة، والكلمات الصعبة المختلفة، والضمائر الشخصية، والجملة الناقصة التي تتضمن حرفاً للجر، وطول الجملة».. ووضعت في صيغة تعد تعبيراً مباشراً عن القابلية للقراءة على أساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة. وفي

نفس الفترة من الوقت تقريباً اشتملت صيغة أخرى منتشرة على مجموعة من ثلاثة عوامل هي :

«طول الجملة، والتفضيلات الشخصية، وضمائر الوصل» ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة، ذلك أنه يتحقق من صدقها عن طريق قراءة القارىء العام لاختبارات الفهم. وهذا القارىء يمثل جماعات تعليمية مختلفة، لذا فهي تنطبق على القارىء العام ذي الاهتمام العام. ولا تضع في حسابها أثر اهتمامات القارىء الخاصة على قابلية قراءته للمادة. فالقابلية للقراءة إذن تعتمد على اهتمام القارىء وخبرته»[1].

كما أن الدارسين تناولوا مسألة الأسلوب الاعلامي بالتحليل الكيفي على هيئة أسئلة مثل :

– ما هو الفرق بين الأسلوب الاعلامي والأسلوب الأدبي ؟

– ما هي الأغراض التي يهدف الأسلوب الاعلامي إلى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الأسلوب الاعلامي من علم «الأسلوبيات» أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديث. ويعتمد هذا المنهج في دراسة الأسلوب الاعلامي على المناهج اللغوية الحديثة. بل أن بعض الباحثين في تحليل المضمون يذهب إلى تجربة التحليل الكمي للأسلوب. فاتجه هذا التحليل في اتجاهات أربعة :

١ – هو اللغة كلها، وقد أجريت دراسات مختلفة للطابع

---

(١) د. إبراهيم امام – دراسات في الفن الصحفي.

العام لطريقة الكلام، كتحليل بناء قواعد معينة، على أساس تكرار انماط الاستخدام التي تظهر في الكتابة والكلام.

٢ – هو التمييز بين أنماط الأسلوب في الفترات المختلفة، وكان هذا مركز اهتمام أحدث التطبيقات وأشملها للتحليل الكمي للأسلوب الاعلامي وخاصة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة.

٣ – هو تمييز الأسلوب بنماذج الكلام، أي بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمي.

٤ – هو العادات والسمات اللغوية التي تميز شخصاً ما وبخاصة كاتباً من رجالات الصحافة .. فحين نقول أسلوب العقاد الصحفي أو أسلوب الدكتور هيكل الصحفي مثلاً، يقفز إلى أذهاننا بعض السمات التي ينفرد بها العقاد أو الدكتور هيكل لا كل العادات اللغوية التي يتميزان بهما»[1].

كما أن الباحث في الأسلوب الاعلامي يطرح فروض عدة – حسب ما يقوله الكاتب السابق – منها :

– هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها في الأسلوب الصحفي وبين الوظائف التي تؤديها هذه الصيغ في السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه ؟

– هل يتعين علينا أن نفرق في الوظيفة اللغوية بين ما يمكن أن نسميه «بالاسلوب المعرفي» أي الذي يؤدي إلى معلومات وبين

(١) د. عبدالعزيز شرف – المدخل إلى وسائل الاعلام ص ٢٠٢، ٢٠٣ – الطبعة ١ – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

ما يمكن أن نسميه «بالاسلوب اللامعرفي» الذي يؤدي إلى انفعالات وأوهام. وبتعبير آخر هل تفيد في دراسة الأسلوب الاعلامي من وراء التمييز بين الأسلوب المعرفي الذي يستعمل للتعبير عن المعارف والأحداث بدقة ووضوح، وبين الأسلوب اللامعرفي الذي يستعمل لإثارة العواطف والانفعالات في نفوس الناس.

وصفوة القول في هذه المشكلة، إن دراسة الأسلوب الاعلامي تقتضي التمييز بين هذين النوعين من الأساليب لتنقية الأسلوب الاعلامي من الاستعمال التخديري للغة في السياسة والدعاية، لأن الأسلوب الاعلامي يستعمل التعبير العقلي الفكري والمناقشة الواضحة الناضجة[1].

وفي هذا الصدد يمكن القول إن «الصحافة الاسلامية بمفهومنا» التي تلتزم بمسؤلياتها الخطيرة إزاء الأمة والناس جميعا، تبتعد كل البعد عن أسلوب إثارة الغرائز ونشر الأنانية والأخبار المزيفة الفاسدة والحقد واليأس وعدم الاستقرار. أي أنها تحجم عن الرموز اللامعرفية أو الأسلوب اللامعرفي الانفعالي الذي يخاطب الغرائز ويثيرها.

فهي تساهم في ترقية اهتمامات الناس وإعلائها ولا تنزل إلى مستوى حيوانيتهم وغرائزهم الجنسية بدعوى ارواء اهتماماتهم وترفيههم. وتنشر الفضيلة وتدربهم عليها وتحببها إلى نفوسهم وتجذبهم إليها. بل وتعمل على تدريب الناس على حب الخير بتعريفهم طريقه وتحبيبه لهم، وتنوير الناس إلى الحق والحقيقة. فبهذا هي تفضل وتنهج الأسلوب المعرفي الذي يؤدي إلى الوعي والادراك والتفاهم والمحبة.

(١) المرجع السابق ص ٢٠٤.

لغتنا والمسؤولية الاعلامية :

يقول الله عز وجل ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾[1].

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام «من تكلم بالعربية فهو عربي ومن وجد له أبوان في الاسلام فهو عربي»[2].

إن العربية هي لغة إسلامية وهي لغة كل مسلم، وكل من دخل في دين الله يجب أن يعرف اللغة العربية، لغة القرآن الكريم ولغة أشرف الخلق وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ليتمكن من المعرفة المباشرة لمنابع دينه القيم الخالد، ويتمكن كذلك من ايجاد التفاهم والتقارب الفكري مع إخوانه في كل مكان.

ومما لاشك فيه أن اللغة العربية بخصائصها التي تميزت بها دون سائر اللغات تمثل أرقى مستوى تعبيري يستطيع أن يبين عن مكنون الخواطر بأسلوب بليغ يأخذ الألباب .. ولذا اختارها الله تعالى لتكون لغة كتابه وشرعه المهيمن على سائر الكتب والشرائع.

فمن هذا المنطلق يجب أن يحرص عليها كل مؤمن بذلك الكتاب، ويحافظ عليها، إذ أن المحافظة على هذه اللغة مما رغّب فيه الشرع الحكيم.

لذا انبرى عدد كبير من أبناء المسلمين يتدارسونها ويقنّنون لها أحكاما وقواعد تضبط النطق والكتابة بها. فلا لحن ولا تصحيف

---

(١) سورة يوسف – الآية ٢.

(٢) أرى أن هذا الحديث لا أصل له. حيث حاولت كثيراً في تخريجه ولم أصل إلى نتيجة.

ولا تحريف ... بل راحوا يقننون أيضا لاسرار تراكيبها ليبينوا أسباب السحر في أساليبها، وامتلأت المكتبة العربية بنفائس الكتب وذخائر المصنفات في هذا الميدان.

وإذا كان التأريخ يشهد بهذا كله فإنه في ذات الوقت يشهد بأن اللغة العربية حوربت فيما مضى كما تحارب اليوم على الرغم من اختلاف طبيعة هذه الحرب عن تلك، فبالأمس البعيد كان يقود هذه الحرب أعداء العربية والاسلام من غير العرب حيث وقفت الشعوبية في وجه العرب ولغتهم لتقضي على هذا الميدان، ولكنها استطاعت أن تحتفظ بقوتها وتصمد وتنتصر لأن أبناءها كانوا معها. فردّوا على الشعوبين من مغول وصليبيين غيظهم.

واليوم تواجه لغتنا مشكلات ومتاعب وحملة رهيبة تريد الكيد منها، وعلى الرغم من تصدي بعض المخلصين والغيارى من أبنائها لهذه الحملة ألا أنها تركت أعوانا وأذناباً تتحرك، حتى يومنا هذا، تعمل في السر والعلن من أجل تقويض صرح اللغة الفصحى .. ومن أبرز مظاهر هذه الحملة :

الدعوة الصريحة إلى اللغة العامية، لغة الشعب باعتبارها لغة مفهومة وسهلة، فهي خير من الفصحى. ولأن اللغة الفصحى جامدة ومعقدة ولا تساير التقدم – حسب زعم هؤلاء الأذناب ـــ. كما أن الأدب العربي – قديماً وحديثاً – أدب محصور في نطاق الحدود العربية، لا يستطيع أن يصل إلى الأدب العالمي. ولن يصبح عالمياً إلا إذا تخلى عن قيوده وحدوده. وهذه الحرب أفظع حرب تواجهها

اللغة الفصحى لأن أعداءها اليوم هم أبناؤها وسدنتها الذين تقع عليهم مسؤولية صيانتها والحفاظ عليها، فنرى سريان اللحن على ألسنة الكثير من المدرسين والمتحدثين - سواء الاذاعيون أو الخطباء -.

وكذا كثرة الأخطاء اللغوية التي أصبحت شائعة على كل لسان ويجري بها كل قلم. وأصبحت لغة الصحافة اليومية هي ثروة الكاتب أو الأديب الناشيء رغم ما بها من ركاكة وضعف، زد على ذلك أن وسائل الاعلام كافة تصور مدرس اللغة العربية بصورة هزيلة، فيظهر فيها ساذجاً أبله حتى أصبح كل من يحاول الكلام بالفصحى مثالا للسخرية والتفكه.

إن الحفاظ على لغتنا العربية أمانة في أعناقنا جميعاً يوجبها علينا إيماننا بالله وتمسكنا بكتابنا الكريم وديننا الحنيف، فالمسئولية تقع على الجميع سواء كانوا متخصصين أو غير متخصصين، ويأتي في المقام الأول من هم على رأس مسئولية الثقافة والصحافة والاعلام بوجه عام.

لقد أصبح الاعلام في يومنا هذا بمختلف وسائله من صحافة وإذاعة وتلفاز مصدراً من مصادر تعلم اللغة، بل مصدراً مؤثراً في لغة الخطابة والكتابة والحياة اليومية. ويزيد من أهمية الاذاعة مع الصورة وبغيرها انتشارها وسماعها من المتعلم والأميّ.

كما أن الصحافة أصبحت مصدر الثقافة والعلم لقطاع كبير من المتعلمين بعد أن قل عدد قراء الكتب والصابرين عليها، بحيث أصبح الحصول على شخص قارىء للكتب ظاهرة لافتة بين الناس، حتى بين من ارتبطت معيشتهم بالكتب تعليماً وطبعاً ونشراً وبيعاً.

ولأن الاعلام أصبح مصدر ثقافة الكثيرين وزادهم العلمي الذي يعتمدون عليه، فإن خروج لغة الاعلام على لغة القرآن والتساهل في ذلك يعد من القصور في هذا الجهاز الضخم عن أداء واجبه في نشر لغة القرآن وجعله لغة الحياة اليومية.

«ومسئولية الكلمة» كما نعلمها أكثر خطراً وأعظم تأثيراً في حياة الأمم، ولولا ذلك ما أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم والدواة بل جعل في أولى آيات القرآن الكريم ذكراً للقلم الذي كان وما يزال أخطر أداة عرفتها البشرية وستعرفها في حياتها.

﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾[1].

والتهاون في أمر اللغة قد يصمنا بالعجز والخوف، ويعده البعض مظهراً من مظاهر ضعف الشخصية الثقافية والحضارية[2].

هـدف اللغـة :

يقول الدكتور إبراهيم درديري في كتابه «لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط» : اللغة العربية تهدف .. منذ نزول القرآن الكريم إلى بناء الانسان المسلم الفاضل وهو بدوره المستقيم اللسان، المرهف الحس بلغته، وبالتالي هو الواعي لما ألقيّ على عاتقه من تبعات أخلاقية واجتماعية من خلال هدي التنزيل الحكيم والسنة المطهرة، وما تعارف عليه الناس من أعراف وتقاليد وقيم.

(١) سورة العلق - الآيات ٢، ٣، ٤، ٥.

(٢) أنظر د. عباس محجوب - مقال « لغة الاعلام ولغة القرآن » - صحيفة المدينة العدد ٤٨٣٥ تاريخ ١٤٠٠/٤/٣هـ.

وهذا يعني أنها مرتبطة بالدين والتقاليد والقيم الانسانية العليا، إن اللغة عماد أساسي من عُمد كل مجتمع سوي يطمح إلى النهضة والتطور بمعناها الأصيل، أي الحفاظ على التراث الموروث من طرف، ومسايرة عوامل التطور والتغيير من طرف آخر في خطين متوازيين، تبقى اللغة إذاً نبعا أصيلا لاستقلال شخصية الأمة التي تلهج بها، فبها تستشعر العزة، وتعرف معنى الكرامة، وتأخذ بأسباب المنعة والقوة. ولا يمكن أن تستكمل أمة من الأمم سلامة شخصيتها بغير استقلال لغتها، واستقامة تفكيرها اللغوي ومنطقه»[1].

كما يعلل نفس الكاتب ذيوع الأغاليط والأساليب الخاطئة بما يلي :

أسباب ذيوع الأغاليط والأساليب الخاطئة :

من أسباب ذيوع الأغاليط والأساليب الخاطئة في لغة الصحافة والاعلام اليوم الآتي :

١ ــ طابع السرعة الذي يتسم به العمل الصحفي، ومع ذلك نظن أن العناية بأجهزة المراجعة والتصحيح والمعلومات من شأنها أن تقلل من أخطاء اللغة والفكر في الصحيفة إلى حد كبير.

٢ ــ إن الصحافة نشأت وتطورت وهي تتكىء على مستويات ثقافية متباينة تبايناً شديداً، وكانت في المراحل الأولى تقوم على الهواية والتطوع، ولم يكن فيها متخصصون وغلب عليها الجانب الأدبي[2].

(١) ص ٥ - ٦ طبعة ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - الرياض.
(٢) المرجع السابق ص ٩.

وعلى الرغم من الحملة الشرسة التي تواجهها لغتنا وفصاحتها في هذا الوقت، فلا خوف عليها – كما قلنا سابقا – فهي منتصرة حتماً لأنها لغة حفظها القرآن الكريم إلى الأبد.

الشيء الذي يعوزها اليوم هو غيرة وإحساس أبنائها عليها واعتزازهم بها وتمسكهم بأصولها وتراثها أولاً، والتزام الصحافة والاعلام عموما بها، والحفاظ عليها والأخذ بقواعدها وأصولها، إضافة إلى بثها ونشرها في كل أنحاء العالم الاسلامي ثانياً، لأن الظروف تتطلب ذلك، حيث إدرك المسلمون كل الادراك أن الوحدة الاسلامية هي دواء لكل أدوائه. فالواجب معرفة لغة الدين والعقيدة ولغة العرب والمسلمين في كل مكان وزمان.

ولعله من المناسب ونحن نتكلم عن أسباب شيوع الأخطاء في الصحافة والاعلام، أن نورد هنا بعض الملاحظات عن ذيوع الأخطاء والأساليب الخاطئة التي توشك أن تحل محل التعبير الصحيح الفصيح بفضل لغة الصحافة والاعلام عامة كنموذج، ولا نستطرد كثيراً في حصر كل الأخطاء إذ قصدنا الأساسي في هذا الصدد، هو تحديد المسئولية الاعلامية تجاه لغة الاعلام، وما يجب نحوها من التزام، من ناحية الأخذ بقواعدها وأصولها ونشرها والحفاظ عليها وإحساس جميع وسائل الاعلام بعظمة هذه المسئولية.

ويذكر لنا الكاتب نفسه جملة من الأخطاء الصحفية الشائعة نختار هنا بعضاً منها.

من الأخطاء الصحفية الشائعة :

يرد في الصحف مثل هذه التركيبات الخاطئة:

ـــ «مع أن الأمر واضح إلا أنه يخفى على الكثيرين»

ـــ «على الرغم من وضوح الأمر إلا أنه ...»

والمفروض في الحالتين القول:

ـــ «مع أن الأمر واضح، فإنه يخفى ...»

ـــ «على الرغم من وضوح الأمر، فإنه يخفى»

ومصدر الخطأ في التركيبين الأولين، أن المقام في الكلام مقام جمع بين صفتين في شيء واحد. ولكن الصياغة الخاطئة جعلته مقام استثناء، ومخالفة ذلك أن قاعدة الاستثناء هي أن يأتي المستثنى مخالفاً في الحكم المستثنى منه، مع أنهما من جنس واحد ومشتركان في المعنى ... جاء في الكتاب الحكيم ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس...﴾[1].

ومن قبيل ذلك أيضا :

ـــ «وضعت الوثائق فوق بعضها»

والصواب :

ـــ «وضعت الوثائق بعضها فوق بعض – أو ... بعض الوثائق فوق بعض».

لابدّ إذاً من تكرار كلمة «بعض» في مثل هذه العبارات ليصح المعنى، والسبب هنا عقلي فلو حللنا المثال الأول نجد أن الوثائق «كل»

(١) سورة الحجر الآيتان ٣٠-٣١

ولا يتصور عقلا وضع «كل» على جزء منه ولو كان هذا الجزء وثيقة مفردة، لأنها أصلا جزء من هذا الكل.

ولنفرض أن هذه الوثائق عشرون فكأننا وضعنا هذا العدد على الوثيقة الواحدة المشار إليها، فيصبح العدد احدى وعشرين وثيقة، وليس عشرين وهذا خطأ.

ومثل : «طالبت الأمم المتحدة بوقف الحروب الباردة بين الدول وإلا لنشبت الحرب العالمية الثالثة».

والصواب : «... وإلا نشبت الحرب العالمية الثالثة» .. وذلك لأن اللام لا تدخل على إلا.

وجدير بالذكر أنه لا حرج من دخول اللام في جواب الشرط في «لولا» و«لو» و«لوما» لأنها حروف شرطية غير جازمة.

قال تعالى ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً﴾[1].

وقال : ﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾[2].

– لوما جئت لحدث شيء خطير.

ومثل :

«وصل فلان أمس الأول» والمفروض «أول أمس أو أول من أمس».[3]

---

(١) سورة يونس – الآية ٩٩.

(٢) سورة الصافات – الآية ١٤٣ – ١٤٤.

(٣) ذكر ابن منظور في لسان العرب – مادة : وأل «وتقول» ما رأيته منذ أمس، فإذا لم تره قبل أمس قلت رأيته منذ أول من أمس «يتضح من ذلك أن الكلام العربي الفصيح يقضي بأن يسبق (أمس) بحرف الجر. منذ أو مذ فيقال منذ (أو مذ) أمس، ومنذ (أو مذ) أول من أمس.

وهذا الاستعمال قريب إلى حد ما من الاستعمال الفصيح.

ومثل :

استخدام كلمة «صدفة» كثيراً في الأخبار عن الحوادث الفجائية ونحوها.

ويقال : وقع الحادث صدفة أو نجا فلان من الموت صدفة أو قابلت فلانا صدفة ... الخ. والصواب أن يقال «مصادفة» لا «صدفة» من صادف يصادف أي قابل يقابل، ومنه صدفا المحارة لتقابلهما، ومنه صدف عن الأمر إذا أعرض عنه.

أذن كلمة «صدفة» الشائعة في صحفنا عامية[1].

ومثل :

«مدير» تجمع على «مدراء» فيكتب على مدراء المدارس أو المصالح، والكلمة من أدار الرباعي وجمعها «مديرون» وأحيانا يكون التخلص من خوف خطأ الاضافة هو السبب في ترك الصحيح إلى غيره، ولعل الخطأ راجع إلى قياس الكلمة على وزراء وسفراء ووكلاء وخفراء وغيرها.

مثل :

ـ «الأمر الملفت للنظر»

والصواب هو – «الأمر اللافت للنظر».

لأن اسم الفاعل كما هو معلوم يأتي من الثلاثي على وزن «فاعل» ومن الرباعي على وزن «مفعل» بكسر العين ولأن «لفت» فعل ثلاثي فاسم الفاعل منه «لافت» وليس «ملفت»، ثم أن في الحس اللغوي

(١) أنظر درديري – لغة الاعلام اليوم – ص ١٩ – وما بعدها.

والذوق اللغوي نجد أن تعبير «لافت» أجمل وألطف وأخف من «ملفت» التي تحتاج إلى جهد أكثر في مخارج الحروف وتنوعها[١].

وخلاصة القول : إن الاسلام يضع القواعد والأسس لصحافة هي غاية في التقدم العلمي والعملي، تتمثل في صحافة متميزة في قواعد انطلاقها وأسس عملها وهدفها وهي الصحافة المثلى بلا جدال.

الصحافة المثلى :

إن الصحافة المثلى هي صحافة مستقلة في آرائها، مخلصة أمينة في أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

بل قل إن الصحافة المثلى هي صحافة الأمة المميزة الرشيدة، والتمييز في الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.

فإذا كانت الأمة متعلمة قويمة الفطرة فلا تشترط فيها شروطاً للصحافة، لأنها لن تروج فيها إذا هي خالفت شروط الاستقلال والأمانة وخدمة الصالح العام وتفضيلها على مصالح الأفراد والأحزاب.

في الأمم التي يعوزها العلم والدراية السياسية – كما يقول العقاد – يصدقون الرأي الأعوج، ويكذبون الرأي المستقيم، ويقبلون الباطل السخيف، ويعرضون عن الحق المبين، لأن تمييز الحق يحتاج إلى كفاءة ذهنية وفضيلة خلقية، ولا يصل إليه المرء إلا بعد الموازنة بين الأسباب والمقابلة بين الأسانيد والبراهين والرجوع إلى المعلومات والسوابق المأثورة.

---

(١) راجع مقال – الدكتور عباس محجوب – سبق ذكره.

أما قبول الباطل فلا يحتاج إلى شيء من ذلك، كل ما يحتاج إليه جهل وكفى ... والجهل لا يتعلمه الجهلاء بعناء.

وفي الأمم التي يعوزها العلم والدراية الفطرية تستعر الخصومات الحزبية وتتجاوز الحدود، لأن الرأي العام لا يحسن الحكم الفاصل بين الخصوم، ولا يدرك حقيقة الدعاوى والأقاويل، فلا تزال الخصومات قائمة، ولا تزال الأباطيل شائعة والحقائق مجهولة. ولو عرضت هذه الخصومات على جمهور يفطن إلى صوابها وخطئها لقضى على الخطأ وأخذ يناصر الصواب في ساعة ظهوره، فأراح نفسه وأراح المختلفين من لجاجة الخلاف.

ونحن نلمح أثر التقدم في صحافتنا كلما لمحنا أثر التقدم في أقوامنا وجماهيرنا، فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس ونحن غدا — فيما نرجوه — خير مما نرانا اليوم[1].

[والتقدم كما اراه هنا هو التقدم نحو تحقيق صحافة إسلامية خالصة ملتزمة بالمضمون الاسلامي — القرآن والسنة — والالتزام بالتشريع أي بتحريم ما حرمه الاسلام وإباحة ما أباحه من عبادات ومعاملات وغيرها.]

وإذا كانت الصحافة لا تسبق الأمة دائما فهي قادرة على أن تسبقها في بعض الأوقات. وإذا كانت لا تعدو أمامها بخطوات فساح فعليها أن تمشي معها وفي مقدمة صفوفها، ولا تمشي وراءها وتقعد مع الخوالف في آخر الصفوف.

(١) المرجع السابق — ص ١٤٠.

وإذا كانت الصحافة تروج بمخاطبة العدد الأكبر من الغوغاء، فهي لا تخسر إذا خاطبت النخبة القليلة من الممتازين، بل تجمع بذلك زينة الاحترام إلى منفعة الرواج.

واجب الصحفي :

ولهذا فكثيراً ما يقع اللوم على الصحفي الذي يتوانى عما يستطيعه وهو غير عسير. إنه لا يستطيع أن يسبق أمته في كل نسخة من الصحيفة، ولكنه يستطيع أن يسبقها في بعض الأيام.

وهو لا يستطيع أن يهمل حساب الدهماء ولكنه يستطيع أن يحسب حساب النخبة الفضلاء. وهو لا يستطيع أن يثابر على المسير أمام الصفوف، ولكنه يستطيع أن يتجنب المسير في الصف الأخير[1].

إنطلاقا من هذا التصور وتأسيساً على هذا الفهم نتكلم عن «البيان بالصحافة» وهو ما يقابل «البيان بالكتاب» في البلاغة العربية، والذي قال عنه ابن وهب[2]: «ثم إن الله عز وجل لما علم أن بيان الأشياء مقصور على الشاهد دون الغائب، وعلى الحاضر دون الغابر وأراد - تعالى - أن يعم بالنفع في البيان جميع أصناف العباد وسائر آفاق البلاد وأن يساوي فيه بين الماضين من خلقه والآتين، والأولين والآخرين، ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا

---

(١) نفس المرجع - ص ١٤٢.

(٢)أبوالحسين بن وهب الكاتب «البرهان في وجوه البيان» تحقيق د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي ص ٦٦ - ١٩٦٧م بغداد.

عليها فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم، وعبروا به عن ألفاظهم وقالوا به ما بَعُدَ عنهم، وكملت بذلك نعمة الله عليهم. وبلغوا به الغاية التي قصدها عز وجل في افهامهم وإيجاب الحجة عليهم. ولولا الكتاب الذي قيد على الناس أخبار الماضين لم تجب حجة الأنبياء على من أتى بعدهم ولا كان النقل يصح عنهم. ولذلك صارت الأمم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب، وقد امتدح الله عز وجل تعليم الكتاب في كتابه وبين احتجاجه على الناس، فقال:

﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾[1]

وقال عز وجل ﴿... أوَلَمْ تأتيهم بيّنةُ ما في الصُّحفِ الأولى﴾[2]. وقال: ﴿... ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾[3].

وتشير نتائج الدراسات والتجارب التي أجريت حول خصائص كل وسيلة من وسائل الاعلام والتي قام بها «لازرسفيلد» و «دوب» و «وايلز» و «بيرلسون» إلى أن المطبوعات كالكتاب والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على غيرها من الوسائل الأخرى.

وأهم هذه المميزات أن القارىء يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التي تلائمه. فهو يستطيع أن يطلع على الموضوعات التي

---

(١) سورة العلق - الآيات ٣، ٤، ٥.

(٢) سورة طه - الآية ١٣٣.

(٣) سورة الأحقاف - الآية ٤.

يرغب في الاطلاع عليها، ويراجع ما يريد أن يراجعه بالسرعة التي تناسبه، وفي أي وقت، فليس غريباً أن تكون الوسائل الطباعية ملائمة لنشر الموضوعات المعقدة في الدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة.

وغني عن البيان أن المطبوعات تمكن الناس من النقد المدروس والعناية بالتفاصيل الدقيقة التي تزد عادة في الدراسات المسهبة والموضوعات الطويلة، ويكفي أن نقارن مثلا بين طول الأخبار الصحفية وطول النشرة الاذاعية. أو نقارن بين المقال الصحفي والتعليق الاذاعي[1].

ولما كانت الصحف تصل إلى الجميع فيما عدا الصغار جداً، فأنها تجتذب جمهوراً مختلفاً في تجانسه اختلافاً كبيراً. ويقرأ حوالي «٩٨٪» من جميع القراء شيئاً من الصفحة الأولى، ويقرأ نحو «٥٨٪» من القراء فقرة من أي صفحة أخرى، ولكن بعد الصفحة الأولى، يكون الموضوع أهم من رقم الصفحة في تقرير ما يقرأ. لأن مختلف القراء يبحثون عن مختلف المواد.

(١) المرجع السابق – نفس الصفحة.

الاحصائيات التالية من عام ١٩٧١ توضح نماذج من الصحافة اليومية في بعض أقطار العالم العربي.

القطر	مجموع الصحف	عدد النسخ الموزعة	المعدل للألف
مصـــــر	١٥	٧٧٢,٠٠٠	٢٣
الجـزائـــر	٤	١٨٥,٠٠٠	١٤
المغــــرب	١٤	٢٤٣,٠٠٠	١٦
لـبنـــــان	٥٢	١٨٠,٠٠٠	٧٧
الكـــويـــت	٥	٢٨,٠٠٠	٣٥
السـعـوديـة	٥	٥٦,٠٠٠	١٠
اليمن (الجمهورية العربية اليمنية)	٦	٥٦,٠٠٠	١٠

والسن والتعليم، والجنس، والمركز الاجتماعي والاقتصادي، هي جميعاً عوامل تقرر ما يقرأ، وذلك وفقا للدراسات التي أجراها «ولبرشرام» و «دافيد مانتج هوايت».

وبوجه عام، يميل الشباب إلى قراءة الصحيفة للترفيه، وكبار السن للإعلام، والمتواضعون في التعليم للترفيه.

ويزداد مقدار ما يقرأ من الصحيفة بزيادة التعليم... ومع التجارب التي أجريت في مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة، قد أثبتت أن ٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الاذاعة على الصحافة، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها. ولعل هذا

بسبب ارتباط تأريخ الصحافة المصرية بمواقف الجهاد الوطني المشرف - كما يقول الدكتور امام[1].

«ولعل في ذلك ما يشير إلى أن «البيان بالكتاب» والصحافة امتداد له، جاء ليخرج الانسان من «سلطان الذاكرة ويحفزه على التصدي إلى «الذاكرة المنشدة» إذ أن - «البيان بالكتاب» يعمل على تحرير الفكر البشري ويدعوه إلى كسر أسر العادة والتقاليد المكبلة للابداع والمقيدة لحوافز التقدم والرقي. ذلك أن «البيان بالكتاب» رمز للواقع الذي نريد تصوّرهُ، وأكثر من ذلك هو محاولة لمزج العالم بهدف السيطرة عليه وإبداعه من جديد عن طريق السيطرة على الكلمة وخلقها.

ولعله من أجل هذا خلق مع الكتابة «النشر» الذي ولدت معه القراءة.

والقراءة نوعان : نوع، لعله هو الذي بدأت به البشرية، ينحصر في القراءة بالانشاء والتغني وهي من باب التعلم والتدرب.

ونوع هو القراءة الصحيحة الكاملة التي تعتمد العين وتعتمد الجرس في طرفة عين، خلال مجاهل هذا المخلوق المتقلب المتموج المصنوع من الحروف المسطورة بحكمة وإتقان ألا وهو النثر[2].

---

(١) د. إبراهيم إمام - الاعلام والاتصال بالجماهير - ص ١٧٦.

(٢) البشير بن سلامة - اللغة العربية ومشاكل الكتابة - ص ٤٠.

عناصر الصحافة :

للصحافة عناصر رئيسة وأساسية تتمثل في :

١ ــ الخبر.
٢ ــ المقال ــ وفيه الكلام عن التحقيق أو الحديث.
٣ ــ التعليق.

١ ــ «الخبر»: نشأته، تعريفه، وظيفته:

يكاد يكون الخبر هو الوظيفة الأولى والأساسية للصحافة بل هو حجر الأساس في بناء الصحف قديمها وحديثها. فهو المادة الأصلية والأساسية التي تقوم عليها الصحافة بجميع عناصرها وألوانها الأخرى، كالمقال والتعليق والتحقيق والحديث، إذ لولا الخبر ما عرفت هذه الألوان الصحفية.

إن الصحافة ترتبط في الواقع بالصفات الانسانية والاجتماعية في نفوس البشر، فكانت المجتمعات البدائية تتناقل الأخبار بطرقها الخاصة والمتيسرة منذ القدم .. فقد كانت تتناقل أخبار الصيد والقنص وأخبار الحرب والسلم، وأخبار الزواج والعبادات والدين ونحو ذلك بطريقة النقش على الصخر أو بطريق الأبواق أو بطريق المنادين الذين يجوبون الأماكن االآهلة بالسكان أو بطريق الرواة الذين يروون الأخبار والأشعار في كل مكان، أو بطريق الرسل الذين تناط بهم مثل هذه الأمور... بعد هذه المرحلة الصوتية ارتقت الصحافة إلى مرحلة الكتابة الخطية التي ظهرت أولا في شكل خطابات دورية،

ثم في شكل كتيب صغير... وهكذا منذ القدم ووسائل الحصول على الأخبار متنوعة تنوعاً ظاهراً، فمن شعراء ورواة أشعار إلى سفراء تبعث بهم الحكومات إلى البلاد البعيدة، ومن تجار وبحّارة يركبون متن البحار ليجلبوا فيما يجلبون إلى بلادهم «مادة الخبر» إلى غير هؤلاء وأولئك.

وبقي الحال على هذا حتى ظهرت المطبعة والتي انتفعت بها الصحافة في أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر... وفي القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٣٢ ظهر مبدأ عالمية تغطية الأحداث ومبدأ الأخبار الدولية[1].

من هذا يتضح أن الصحافة قامت في الأساس على تلبية رغبات الجماهير في الاجابة على تساؤلاتهم بشأن ما يدور ويجري من أحداث داخلية أو خارجية لها اتصال بشئون حياتهم المختلفة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

فمن منطلق تلبية هذه الرغبات والاهتمامات حرص الكتاب ورجال الصحافة على التأكيد والاهتمام بجمع الأخبار وصياغتها بالأسلوب الذي يشبع هذه الاهتمامات ويرضيها.

وإذا ما سألنا عن وظيفة الأخبار وجدناها في ظاهر الأمر مجرد تلبية لاهتمامات الناس وإجابة على تساؤلاتهم التي تطرحها أحداث وتغيرات داخلية أو خارجية.

---

(١) أنظر د. عبداللطيف حمزة – المدخل في فن التحرير الصحفي ص ٥٠، ٥١ الطبعة ٤، دار الفكر العربي – ١٩٧٠م.

وهذه وظيفة اجمالية متوارثة وقديمة حيث كان الهمجي من سكان الكهوف والأوكار يتلهف على سماع ومعرفة الأخبار المتصلة بطّعامه أو شرابه أو أي من حاجاته الأساسية، وطريقة الحصول عليها. واليوم نجد المدني يتلهف على سماع ومعرفة الأخبار التي تتصل بالتربية والتعليم والثقافة(١).

ما الخبـــــر ؟

درس الكتاب والصحفيون موضوع «تعريف الخبر» وعقدوا الندوات من أجل وضع تعريف صحيح للخبر الـذي ينشر في الصحف، وكثيراً مااختلفوا في هذا اختلافاً كبيراً واستقل كل واحد منهم بتعريف للخبر.

والخبر في اللغة : هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أما في الصحافة فهو رواية حدث حالي يثير الاهتمام.

وبما أن الخبر الصحفي مادة أساسية بل من أهم مواد الصحيفة التي تهم القراء من جانب والصحيفة من جانب آخر:

ونظراً لوجود تقارب بين كل التعريفات، أرى في هذا المجال اختيار أربعة منها، علّها تفي بالغرض، ثم نشفعها «بالخبر الاسلامي»:

١ ـــ «الخبر الصحفي: هو الجديد الذي يتلهف القراء على معرفته، والوقوف عليه بمجرد صدوره في الجريدة، ومعنى ذلك أن أحسن الأخبار الصحفية هو ما أثار اهتمام أكبر عدد ممكن من الناس».

---

(١) أنظر د. عمارة نجيب – الاعلام في ضوء الاسلام ص ٢٤٣.

٢ ــ «الخبر : هو كل ما يتعلق بالصالح العام، وكل ما يهم القراء أو يترك أثراً في علاقاتهم ونشاطهم وآرائهم وأخلاقهم وسلوكهم».

٣ ــ «الخبر : كل ما يحدث وكل ما توحي به الأحداث وكل ما ينجم عنها».

٤ ــ «الخبر الصحفي : تقرير عن حادث معين ترى الصحيفة في نشره وسيلة للربح المادي».

والمتأمل لهذه التعريفات ولغيرها، يجدها لا تخلو من ضرورة اهتمام الناس بهذه الأخبار حتى يطلق عليها وصف الخبر، أما تنوع هذا الاهتمام واختلافه فلا يهم الكاتب، ولا يجبره على شيء إلا أن يستجيب لهذا الاهتمام دون تحفظ، فالاستجابة لاهتمامات الناس تمثل تلبية لرغباتهم، كما قد تساهم في الربح المادي للناشر إذا كانت جريدة أو مجلة.

ووفق هذا المفهوم لابدّ أن يكون لنا تحفظ على مثل هذه التعريفات، ذلك أن الخبر، تقرير أو وصف لحادث، بصرف النظر عن اهتمام الناس به أو عدم اهتمامهم، فهذا هو الشيء المقبول والمفهوم من إطلاق صفة الخبر على كل تقرير أو وصف لحادث يهم الناس أو لا يهمهم.

ولعل مرجع التمسك باهتمام الناس كشرط لاطلاق صفة الخبر على كل وصف أو تقرير عن حدث، هو تمسك الاعلاميين وتجار

هذا الميدان بهذا الشرط حتى تروج بضاعتهم، فصار اصطلاحاً إعلامياً بين رجال الصحافة ومن بعدها كل أجهزة الاعلام[1].

وقد لعب هذا الشرط دوراً خطيراً في حياة المجتمعات، إذ أدى إلى انصراف هذه الأجهزة عن الأخبار الجادة المفيدة، وانصراف الناس معها إلى أخبار الرقص والغناء والراقصين والمغنيين وأمثال أولئك وهؤلاء.

وعلى هذا الأساس قيست أهمية الخبر وقيمته بعد أن حصرت وظيفته في تلبية اهتمامات الناس، بهذا الاطلاق غير المتحفظ، ولهذا روعي لانجاح هذه الوظيفة وضع شروط لكون الخبر ملبياً لاهتمامات الناس على النحو التالي :
الجدة، السرعة، التشويق، البروز أو الأهمية أو الشهرة، قرب اتصال الناس بنوع الحدث أو بنتائجه، صدق الحدث، مراعاة طبيعته وظروف واتجاه الصحيفة أو المجلة وكذلك مراعاة طبيعة وظروف واتجاه السياسة العامة[2].

يتضح مما تقدم أن هذا الاطلاق في تلبية اهتمامات الناس دون ضوابط تضبطه ودون شروط تحده، الهدف منه أن يخدم ويحافظ على الخط والنهج السياسي والمالي للصحيفة، وكذلك خدمة السياسة العامة للنظام القائم في أغلب الأحيان دون مراعاة لمشاعر الناس أو دون السعي لترقية وتهذيب هذه الاهتمامات قبل تلبيتها.

---

(١) المرجع السابق – ص ٢٤٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

ولعله من المفيد هنا الاشارة بإيجاز إلى المهام والوظائف التي تقوم بها الأخبار على أساس تلبية اهتمامات الناس. قبل الحديث عن وظائف الأخبار في نظر الشرع الاسلامي وأسلوب أو منهج المعالجة الاسلامية.

ويمكن أن نقسمها إلى مهام ووظائف إيجابية، ومهام ووظائف سلبية :

أ - **المهام الايجابية للأخبار**[1] :

١ ــ التحذير من الأخطار الطبيعية أو الهجوم أو الحرب.

٢ ــ نقل معلومات أساسية للاقتصاد والمؤسسات الأخرى.

٣ ــ جعل الأفراد يخضعون للنظام الاجتماعي.

٤ ــ إضفاء مكانة أو مركز على الفرد فيصير مثلاً أعلى أو قائد رأي.

٥ ــ نشر أخبار تكشف السلوك المنحرف أو المعادي للنظام والسلطة.

٦ ــ نشر ما يفيد طائفة أو حزباً أو جماعة، فيجعلها تأخذ مكانة أو تسيطر أو تضغط أو تمثل سلطة شرعية.

٧ ــ نشر ما يسهل التأثير على الرأي العام.

٨ ــ الاسهام في تحقيق الاتصال الثقافي ونمو الثقافة وتطورها، سواء ما يتصل منها بالسياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك.

---

(١) نفس المصدر - ص ٢٤٧.

ب - المهام السلبية :

١ ــ نشر ما يهدد الاستقرار أو يُوحي باليأس والقنوط والخوف.

٢ ــ نشر ما يزيد التوتر وما يجعل الفرد سلبيا وأنانيا وبليد الحس مخدر الأعصاب.

٣ ــ نشر ما يهدد الجماعة أو النظام من الأخبار الحقيقية أو المزيفة.

٤ ــ الترويج للدعايات العدائية، وفضح نواحي الضعف والانحراف فيستفيد منها الاعداء.

٥ ــ إتاحة الفرصة للغزو الفكري والثقافي أو العسكري الأجنبي أو حتى الترويج له.

٦ ــ الترويج للأعمال الضارة والأفكار الفاسدة وكذلك للعاملين المفسدين وللمفكرين المنحلين.

وينطبق هذا الأمر أو هذا الحال على جميع الأخبار - داخلية أو خارجية - ليشمل مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وظائف الأخبار في المفهوم الاسلامي :

يحرص الاسلام دائما على بناء الانسان وتربيتة وإعداده إعداداً صالحاً، مؤمناً بأن بناء الانسان وصلاحه هو حجر الزاوية في صلاح الحياة عموماً، وإن فساد الانسان يعني فساد الحياة عموماً.

وتأسيسا على هذا المبدأ عالج الاسلام وظائف الأخبار، فحرص كل الحرص على جعلها إسهاماً فعلياً في ترقية اهتماماته قبل تلبيتها، وجعل سبق الترقية من أساسيات أعماله، إذ أن مجرد تلبية الاهتمامات

على ما هي عليه، أو بعد افسادها، لا يمثل الا منطق الباطل والهلاك.

فمن هذا المبدأ – ترقية الاهتمامات – صرف الاسلام نظر المسلمين إلى ضرورة الترقي إلى اهتمامات خاصة بهم تساعد على تغيير نمط حياتهم وأسلوب عملهم، وتصرفهم عن التعلق بالعادة أو بالتقليد، الى التعلق برغبة التغيير ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

التغيير نحو الأفضل، وإلى تطبيق تعليمات الله وسنة رسوله، وليكن ما ينزل من الوحي هو اهتمامهم الأول، وليكن ما يدعوهم إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام، هو ما يشتاقون إلى سماعه، وليكن ما ينهاهم عنه الله ورسوله، هو مناط الرغبة في معرفته والاهتمام به.

يقول تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾[2].

وهكذا يحرص الاسلام كل الحرص على هذا الأسلوب الراقي في الأخبار وهو ترقية الاهتمام ثم تلبية هذا الاهتمام على الترتيب.

ولنا في «حادث الافك» أعظم درس وخير دليل على خطورة وأهمية هذا الترتيب.

---

(١) سورة الرعد – الآية ١١.

(٢) سورة الأنفال – الآية ٢٤.

درس حـادث الافــك :

بقدر ما كان لهذا الدرس من آلام وشدة وقسوة، فقد كان له من الخير في تربية المسلمين وترقية أذواقهم وتغيير مناط اهتماماتهم.

ولهذا يقول الله تعالى ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾[1].

لقد مني الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم في حياته بالنفاق والمنافقون وترويج الشائعات الظالمة من قبل هؤلاء المنافقين. وكان لشائعة الإفك التي روج لها كبير المنافقين (عبدالله بن أبي سلول) نتيجة حقده على الاسلام والمسلمين، الأثر الكبير على نفسيته صلى الله عليه وسلم، ولكنه واجهها بالصبر العظيم والمثل الأعلى في مواجهة حرب الشائعات – على الرغم من حراجتها – حيث طعن في شرف السيدة «عائشة» أم المؤمنين «فلم يسىء معاملة زوجته وانتظر حتى جاءه الوحي الذي برأه من هذه التهمة الشنيعة التي لا تتفق وبيت رسول الله، ولا تتفق أيضا وسمعة رجل كان من أنبل وأصدق الناس قبل الاسلام وبعده هو أبوبكر رضي الله عنه. فواجهها النبي الكريم بالصبر والحلم وحسن السياسة والتصرف. فكان مثلا أعلى في مواجهة الدعايات المغرضة التي يشيعها المنافقون كلما سنحت لهم الفرصة.

فنجد في هذا الحادث أيضا كيف كان الوصف والتقرير عنه كاذباً وكيف كان منطلقه بعيدا عن القاعدة والمبدأ الاسلامي. فبين

(١) سورة النور – الآية ١١.

القرآن الكريم الكيفية التي تعالج بها مثل هذه الأمور والأسس التي يجب أن تنطلق منها الأخبار.

يقول تعالى ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا أفك مبين﴾[1].

كما وجدنا من خلال هذا الحادث أن قواعد البحث والتحري والتمحيص لم تكن متوفرة، وأن القاعدة الأصيلة يجب أن تتجه إلى حسن الظن بالمسلمين والمسلمات، ولا يصح بل ولا يحق لمسلم أن يسيىء الظن والشك بالآخرين، دون الدليل القاطع. كما يجب ألاّ ينهج هذا النهج المشين الخسيس في أصول وقواعد الاهتمام.

يقول تعالى ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإن لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾[2]

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾[3].

﴿إذا تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾[4].

---

(١) سورة النور – الآية ١٢.
(٢) سورة النور – الآية ١٣.
(٣) سورة النور – الآية ١٤.
(٤) سورة النور – الآيات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

فتكذيب مثل هذه الأخبار فضلا عن عدم الاهتمام بها لعدم اتباع منهج البحث والتحري والصدق من أسمى الأمور التي يجب الإلتزام بها وأخذها في الاعتبار في كل المجالات ... إذ يقول تعالى ﴿يأأيها الذي آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[1].

ومن حادث الافك نستنتج : أن للخبر وقعاً كبيراً في حياة الناس والتأثير فيهم، كما نتلمس فيه حرص الاسلام الحنيف على التربية والتهذيب والترقية لما يرغب ويهتم به الناس قبل اشباع رغباتهم. ونراه أيضا يعتمد ويقيس أهمية الخبر وفق أمور أساسية لابد من توافرها فيه وأبرزها[2] :

١ ـــ التعبير عن الاهتمامات الراقية، لا الاهتمامات الدنيئة.

٢ ـــ تحري الصدق واتباع منهج الاسلام وقواعده في التأكد من صحة الحدث والتحري والتدقيق في صفحات المُخبرِ بحيث لا يكون فاسقاً، ولا كاذباً، ولا متهماً، ولا مختل العقل، إلى غير ذلك من الصفات التي يجب توافرها في المخبر.

٣ ـــ التقويم الصحيح والسليم الذي ينطلق من منهج الاسلام على أساس تحبيب الايمان وتزيينه في قلوب الناس، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان. فالقاعدة تقول بعدم جواز تتبع عورات المسلمين فضلا عن الاخبار عنها، كما لا يباح تزيين الرذائل والأرذال بتتبع أخبارهم وبثها ونشرها.

(١) سورة الحجرات – الآية ٦

(٢) انظر د. عمارة. الاعلام في ضوء الاسلام ص ٢٥١

يقول تعالى ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1].

٤ ــ مراعاة النتائج والحرص على المفيد منها لمصلحة الفرد والجماعة.

قال تعالى ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم﴾[2].

وفق هذه الأسس والقواعد تقاس أهمية الخبر، وعلى أساسها يستطيع الخبر القيام بالوظائف العديدة التي تجمعها الدعوة إلى الخير والتقدم والفلاح والسعادة للفرد وللجماعة الاسلامية. ومن هذه الوظائف :

١ ــ ترقية اهتمامات المجتمع الاسلامي وحفزه على أعمال الفضيلة وحب الخير وإبعاده عن ممارسة الرذائل وشيوع الفواحش.

٢ ــ الاسهام في إرساء قواعد التقويم على أساس تكريم المخلصين والمنتجين ونبذ الكسالى والمفسدين، وقبول الأعمال الصالحة والمفيدة واحتقار الأعمال الفاسدة والضارة.

٣ ــ الاسهام في تحريك الطاقات، والاشتراك في بناء الأمة وتحقيق أهدافها مع ولاة الأمر وبث روح التعاون والعمل والمودة.

٤ ــ الاسهام في تحقيق عوامل الاستقرار والأمن والرخاء للأمة واستنفار الأفراد لإعداد العدة والجهاد في سبيل الله.

---

(١) سورة النور – الآية ١٩

(٢) سورة الشعراء – الآيتان ٢٢١-٢٢٢

٥ ــ الاسهام في تأصيل الثقافة الاسلامية فكراً وسلوكاً وعملاً، ومساعدة الفرد أيضا على المشاركة الفعالة في نواحي الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٦ ــ الوقوف بوجه الثقافات الواردة والمنافية لقيم ومبادىء الاسلام.

٧ ــ الاسهام في الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المستويات : الفرد فالأسرة فالمجتمع، في داخل الساحة الاسلامية وخارجها.

وتأسيساً على هذا الفهم يسعنا القول بأن الخبر الاسلامي :

«ما هو إلا رسالة متبادلة بين المخبر والذي يتلقى الخبر، رسالة تصف واقعاً أو تعد تقريراً عنه، رسالة تعد بمجرد تحريرها تعبيراً عن الأمة التي تبثها، وفي نفس الوقت تعد شيئاً هاماً وضرورياً لمن يستقبلها.

ولعل خير صورة لذلك موقف رسول الله يوم أعلن عن رسالته الخاتمة قائلا : «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذباً قط، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»

فصدق الخبر أساس الثقة بين المخبر ومن يتلقى الخبر «المستقبل له».

فهو وصف صادق أو تقرير مثبت لحادث أو لواقع .. وتقاس أهميته إجمالاً بمدى فائدته وخيره وعائده، ولا فائدة ولا خير في الكذب.

ووظائفه إجمالاً: الاسهام في نشر وإذاعة دعوة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

المقال : أهميته ووظائفه :

إذا كان الخبر يعد الوظيفة الأولى والاساسية للصحافة، فالمقال يأتي بالمرتبة الثانية بعد الخبر، فهو يبين مغزى الخبر ومضمونه ومعناه من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية .

والمقال يشارك مشاركة فعلية في توجيه الأمة توجيهاً صحيحاً وسليماً، كما يشارك في تثقيفها تثقيفاً سليماً أيضاً في كل مجالات الحياة، وقد يكون العكس تماماً، فكاتبه يستغل الأخبار المختلفة ويصب فيها وجهة نظر توجيهية إلى مايراه هو أو يراعى فيه الرأي العام ووجهة نظره أو وجهة نظر مؤيدة ومنافقة لمجموعة أو حزب أو نظام معين.

وقد قسم الكتاب ورجال الإعلام والصحافة «المقال» إلى ثلاثة أقسام هي :

«المقال الأدبي، والمقال العلمي، والمقال الصحفي» .

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة أنواع وأشكال خاصة به. ومع هذا لا يمكن الفصل التام بين هذه الأقسام والأنواع. وذلك بسبب تداخلها وتلاقيها في أغلب الأحيان .

ولا أريد أن أستطرد كثيراً في مسألة التقسيم هذه، والذي

(١) المرجع السابق – نفس الصفحة.

يهمني هنا هو المقال باعتباره فناً من فنون الصحافة بأنواعه المختلفة المقال الافتتاحي أو العمود، والتقرير بأشكاله من حديث وتحقيق وغيره .

كان المقال قديماً يصاغ ويكتب بلغة فيها الصدق والدقة والأمانة والتكلف اللغوي والأدبي، أما اليوم وبعد تطور الصحافة يكتب بلغة مشبعة بالأوهام والخيال والزيف والكذب والخداع، ملفوف بغطاء براق يجر إلى التشويق والاغراء حتى يتمكن من اختراق فكر القارىء في غفلة من عقله وصحوة من غرائزه لاكراه الذوق البشري على قبول مايراه الكاتب مدعماً بتبرير الواقع الذي لا يصح أن يكون من الخيال والتخمين الذي يوهم الكاتب أنه حقيقة.. أو من الأخبار والنظريات الباطلة يقدمها باسم التقدم والتطور والعلم» .(١)

وقبل الكلام عن «المقال في المفهوم الإسلامي أو ما يجب أن يكون عليه في صحافتنا نتعرف أولاً – بإيجاز – على ماهية المقال . يرى بعض الكتاب ورجال الصحافة أن المقال ماهو إلا رأي في قضية مهمة، يصاغ بعبارات قوية .(٢)

ويراه آخرون على أنه فن التعليق على هذه الأخبار المختلفة .(٣)

والمقال يطلق على الكتابات التي لا يدعى أصحابها التعمق في بحثها أو الإحاطة التامة في معالجة موضوعاتها السياسية والاجتماعية

---

(١) أنظر نفس المصدر السابق ص ٢٥٥

(٢) توماس بيري. الصحافة اليوم. ترجمة مروان الجابري ص ٢٩٥

(٣) أنظر الدكتور عبداللطيف حمزة. الصحافة والأدب ص ١٥

والاقتصادية والثقافية. وإلقاء الرأي فيها بوجهة نظر شخصية، تخص الكاتب، أو فكرة معينة في موقف من المواقف التي تعج بها الحياة، وقد تخص هذه الفكرة الرأي العام، أو جهة حزبية أو حكومية معينة. وقد تخالف هذه الفكرة أحيانا ماهو كائن أو مايجب أن يكون .

المقال في المفهوم الإسلامي :

ذكرت سابقاً أن المقال فن من فنون الصحافة، ذو أهمية بالغة في التوجيه والارشاد ويأتي في المقام الثاني بعد الخبر، ولانظن أن هناك صحافة – قديمها أو حديثها – تستطيع أن تستغنى عنه، خاصة تلك الصحف التي يغلب عليها جانب الرأي. ولا أبالغ إذا قلت أن الصحف في أغلب الأوقات تشترى لا على أساس مافيها من أخبار وإنما على أساس مافيها من مقالات لهذا الكاتب أو ذاك أو لهذه الجهة أو تلك... فمن هنا تبرز لنا أهمية المقالات.

إن أغلب أوجه النشاط الصحفي والإعلامي اليوم، يعمل من خلال ما يكتبه من مقالات على زيادة خضوع الفرد والمجتمع عامة للسلطة المحلية أو للنفوذ والثقافات الأجنبية – وفي شتى مجالات الحياة – وكل هذا يؤدي بطبيعة الحال إلى وضع الحواجز والعوائق أمام التغيير والتوجيه إلى الأفضل، ويساهم في الفساد والانحلال، وأوجه النشاط هذه لا تخاطب العقل ولا تسعى إلى إقناع القلب، إنما غاية أمرها هو الربح والتجارة. فنراها تعمد في مقالاتها إلى الإثارة وإتخاذ موقف معين تجاه قضية من القضايا التي تزخر بها الحياة اليوم،

فهيّ تخشى السلطة، أو تخاف من جماعة ما. فتقتل بهذا روح الحق والحقيقة .

في حين نجد أن «للمقال» مفهوماً إسلامياً متميزاً، كما يتميز الخبر والتعليق وكل التفسيرات والتوجيهات الإسلامية، فهو يخاطب العقل ويقنع القلب. وبهذا يتجنب كل النتائج السيئة التي تترتب على المقال غير الإسلامي، وأوجه النشاط الصحفي والإعلامي الإسلامية تحرص كل الحرص على نقد كل تصرف أو سلوك إجتماعي أو سلطوي نقداً علنياً، دون أن يتعرض صاحب النقد للعقوبة أو للأذى أو للحرمان من حق هو له بمقتضى الشرع الإسلامي .

كما أن الإسلام لايقف عند حد تحقيق ضمانات التعبير عن كل رؤية وكل وجهة نظر بل يذهب إلى أبعد من هذا حين يستحث الآراء على الخروج والإعلان، بشرط واحد هو عدم ابتغاء الفتنة .[1]

ولِمَ لا وديننا يقول لنا «إن خير الجهاد.. كلمة حق في وجه حاكم جائر» وليس الخوف منه ومداهنته .

إن القيود التي يفرضها ديننا على المقالات وما تتضمنه من موضوعات، لم تكن سوى قيود على أهواء النفس البشرية ونزواتها العدوانية. وليس على العقول الراشدة، فهي مطلقة كما يوضح ذلك لنا الدكتور عمارة نجيب، حيث يقول :

«في هذه الحالة تصبح القيود المفروضة من الإسلام على موضوعات

---

(١) أنظر – د. عمارة نجيب – الاعلام في ضوء الإسلام ص ٢٥٦

المقالات أو غيرها قيوداً على الأهواء والنزوات والغرائز العدوانية، أما فيما عدا ذلك ففرصة العقول الراشدة مطلقة لاحد لها» .(١)

كما أن الإسلام حين يأخذ بنظر الاعتبار ضرورة الاقناع يفتح الأبواب للعقول الأخرى فتناقش وتحاور حتى تهتدي إلى الحق والحقيقة من طريق الحق. وبالتالي سيصبح كل مواطن جزءاً فعالا ولبنة مسؤولة لا تستغني عنها الأمة في البناء العام .

وحينما يراعي الإسلام دقة الحديث وصدق الكلمة وأمانتها وموافقة الحق والعدل، يؤكد أن «المقال الإسلامي» يكون من النضج والاكتمال في القمة بين المقالات الأخرى .

وللمقال الإسلامي وظائف سامية، نجملها على النحو التالي :

إن وظائف المقال الإسلامي: ماهي إلا تنشيط للعقل وتوضيح وبيان للحق. وهدى ينير الطريق، ومشاركة في الكفاح والبناء وتشجيع للمواهب على العمل والجد والاجتهاد، وتحريك لملكات الأفراد والجماعات، وحث على التعاون والأخاء، وحارس أمين ضد الغزو الفكري والثقافي .(٢)

إذن على صحافتنا الإسلامية يقع واجب كبير اليوم أكثر من أي وقت مضى إلا وهو توجيه الأمة عن طريق المقال وفق المفهوم الإسلامي الصادق توجيهاً صحيحاً – فى جميع مجالات الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتثقيف أبناء الأمة تثقيفاً اسلامياً سليماً يساعدهم على إبداء الرأي والمشاركة القوية في مختلف

(١) د. عمارة نجيب – الاعلام في ضوء الإسلام ص ٢٥٧

(٢) أنظر – المرجع السابق – نفس الصفحة

نواحي الحياة، وإتخاذ موقف محدد تجاه المواقف التي تعج بها الحياة ومعينها الذي لا ينضب، وسبيل هذا كله يأتي عن طريق المقال وماله من تأثير فاعل .

التحقيق أو الحديث الصحفي :

إن النفس البشرية – منذ نشأتها – تميل وتهتم إهتماماً كبيراً إلى معرفة أحوال الغير والوقوف على جميع أسرارهم ما إستطاعت إلى ذلك سبيلاً، وفي الأحاديث الخاصة بمختلف أنواعها.. مايشبع هذه الرغبة .

يذكر الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابة «المدخل في فن التحرير الصحفي» :

«أن الأصل في هذا الفن الصحفي، هو أن القارىء لايمكنه أن يشاهد مكان الحادث الذي يهمه ليقف بنفسة على حقيقة الأمر فيه. فيجب على الصحافة أن تقوم له بذلك عن طريق مراسليها ومخبريها، فيذهب أحدهم إلى مكان الحادث، ويقوم بتوجيه الأسئلة إلى شهود العيان، فيسجل له كل الوقائع الحقيقية فيقف عليها القارىء .

إن الحديث الصحفي محبب إلى نفوس القراء، فكما أنه يسر كل إنسان أن تتاح له فرصة التحدث إلى شخصية كبيرة لها مكانتها في الحياة العامة. فكذلك يهتم كثير من الناس بالاطلاع على ماتصرح به مثل هذه الشخصيات لمندوب الصحيفة الذي يقوم بنقل هذه التصريحات اليهم .

صحيح أن أهمية الحديث الصحفي تزداد تبعا لأهمية صاحبه، ومدى

شهرته، ولكن لايعني هذا بالضرورة أن الحديث الصحفي لايؤخذ إلا من المشهورين البارزين في المجتمع وحدهم، فقد تكون الأحداث المثيرة التي تقع لبعض المغمورين من الناس سبباً في الاهتمام بتصريحاتهم وأرائهم» .[1]

أنواع الحديث الصحفي :

أنواع الحديث الصحفي يمكن تقسيمها على النحو التالي :[2]

١ ــ حديث الخبر أو الحقائق .

٢ ــ حديث الرأي .

٣ ــ حديث المعلومات والتسلية والامتاع .

٤ ــ حديث الجماعات .

٥ ــ حديث المؤتمرات الصحفية .

وفيما يختص «بحديث الخبر» أو الحقائق، فالغرض منه هو جمع الأنباء واستقصاء المعلومات حول حادث معين، والاستعانة بذلك ما أمكن بالأشخاص الذين كانوا موجودين ساعة وقوع الحادث وشاهدوه بأعينهم، أو اشتركوا فيه حال حدوثه، والمطلوب في هذه الحالة هو جمع الأنباء والمعلومات، وليس الأراء ووجهات النظر، والغرض منه هو الإعلام .

أما «حديث الرأي» فالصحيفة في هذا النوع تهتم بالحصول

---

(١) أنظر عبدالطيف حمزة. المدخل في فن التحرير الصحفي ص ٤٠٤، ٤٠٥ – الطبعة الرابعة – ١٩٦٨ – دار الفكر العربي – القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠٦ ومابعدها .

على أراء ذوى الخبرة والاختصاص في موضوع له أهميته في المجتمع، ومن أمثلته: حديث لعضو بارز في مجلس النواب عن مشروع ينوي مجلس النواب «البرلمان» إقراره، فالغرض منه التوجيه والإرشاد .

أما «حديث التسلية والامتاع» فغرضه - كما هو واضح - التسلية والترفيه عن القراء .

والمهم فيه هو كيف يقال ؟ وليس ما يقال .

فالمخبر الصحفي في هذا النوع من الحديث يهتم بشخصية المتحدث، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه أو بنوع تجاربه وخبراته .

أما «حديث الجماعة» فله طريقتان :

الأولى : أن يختار الصحفي جماعة معينة من الطلاب أو العمال أو المدرسين أو الأطباء ويقوم بتوجيه سؤال واحد لا يتغير ويحصل منهم على الاجابه وبهذه الطريقة يستطيع الصحفي أن يخرج بصورة صادقة لقطاع معين في مساحة الرأي العام .

والثانية : أن يقابل الصحفي جماعة من المتخصصين في فن من الفنون أو علم من العلوم ذات الصلة الوثيقة بمشكلة من المشكلات التي تهتم الصحيفة بها والوصول فيها إلى حل .

وفيما يختص «بحديث المؤتمرات» : فالصحافة دائما تهتم بأحاديث المسئولين سواء أكانوا وزراء أم رجال أعمال، ونحو ذلك .

فيجمع الوزير أو الرجل المسئول ممثلي الصحف المشاركين في تغطية المؤتمر، ويحدد لهم وقتاً للاجتماع، ثم يدلي اليهم مجتمعين بحديثه، ومن ثم يقوم بالاجابة عن الأسئلة التي توجه اليه منهم .

التحقيق أو الحديث الصحفي في المفهوم الاسلامي :

ذلك إذاً هو المفهوم العام للحديث الصحفي، وتلك أيضا أنواعه وأغراضه في مفهوم الصحافة على وجه العموم .

وإذا وجدنا اليوم أمثلة لمظاهر الاهتمام ببعض الشخصيات البارزة أو الهامة في قياس وميزان هذه الصحافة، وتحري أخبارهم والوقوف على أرائهم، كممثلي السينما والمغنين والراقصين وكبار المستكبرين من التجار والملاك، والمنافقين والطواغيت من القادة والمفكرين الأجانب والتعتيم التام على المخلصين والعلماء والمفكرين المسلمين، فالملاحظ أيضاً أن أوجه وأساليب العمل الإسلامي لاتخلو من مثل هذا النوع من التحقيق أو الحديث الصحفي، باعتباره أسلوباً ضرورياً من أساليب التوجيه والإعلام داخلياً وخارجياً، ولكن إجراء هذا النوع من الحديث الصحفي لم يتم مع من يتم معهم اليوم على صفحات الصحافة بل يتم مع المخلصين والمنتجين، ومع من هم قدوة حسنة، ومع من يقولون الحق والعدل ويبتغون الخير والمنفعة بطريقة شريفة وأسلوب توجيهي قيم، وأمانة لاينظر فيها إلى مصلحة خاصة للصحفي أو الصحيفة وسياستها، وإنما لخدمة الإسلام ودعوته. وقد مورس هذا العمل كثيراً سواء بارسال المحققين إلى جهات مختلفة لمعرفة أخبارها وأهدافها وغاياتها، وصياغة أسلوب العمل الإسلامي على أساس من هذه المعرفة، أو بإرسال الأخرين رسلهم إلى المجتمع، لمعرفة الأجابة على بعض التساؤلات العامة المطروحة على الساحة المحلية والدولية .

وقد حرص الرسول ﷺ والمسلمون الملتزمون على أن يكون التحقيق لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، وأن يكون إهتماماً بالقدوة الحسنة .

وفي قصة الحديبية، نتلمس الكيفية التي جاء بها رسل قريش، ثم رجعوا، فكانت قريش تكذبهم، وكيف وقف «عمر» رضي الله عنه كمحقق صحفي، فأخبره رسول الله بالاجابة عن كل مافي نفسه[1] .

التعليق ووظائفه :

كثيراً مايحتاج القراء إلى فهم الأخبار والمقالات وإدراكها ادراكاً صحيحاً، خاصة إذا علمنا بأن هذه الأخبار والمقالات لاتؤثر في حياة الناس مالم تكن مرتبطة بمشاعرهم ومصالحهم الخاصة والعامة. وهذا الفهم والادراك لايتم إلا بتفسير وشرح مضمون هذه الأخبار والمعلومات بأسلوب يؤثر في وجدانهم ومشاعرهم ومصالحهم في ذات الوقت. وهذا لا يتم إلا «بالتعليق» .

كما أن متابعة الأخبار والوقوف على مكنونها، يعد أمراً هاماً وضرورياً لما قد يتركه من نتائج سلبية أو غير مستهدفة، خصوصاً تلك التي تتعلق بعمليات هامة كالتخطيط والانماء. أو كالتجمهر ضد أو مع أحد من الساسة أو معارضيهم وغيرها، مما يستوجب التأكد من متابعة ومعرفة ماوراء الخبر .

لهذا يتطلب الأمر التعليق على مثل هذه الأخبار، حتى يؤدي التعليق

(١) د. عمارة نجيب - الاعلام في ضوء الإسلام ص ٢٥٥

هدف التأكد من المتابعة والاهتمام، أو ينفي ماكان سبباً في هذه المتابعة والاهتمام، حسب ظروف الخبر والجهة التي تصدره .[1]

ومن الأسباب التي تدعو إلى الاهتمام بالتعليق على الخبر وتوضيحة. حينما يكون وارداً من الخارج – وكالات الانباء – خاصة وأن هذه الوكالات إن لم تكن استعمارية معادية بالكامل فهي تخدم مصالح الاستعمار، وكثيراً ماتنشر الأخبار بطريقة ملتوية ومحرفة لخدمة مصالحها السياسية، مما يلحق الضرر بالعرب والمسلمين .

فهنا يأتي دور التعليق الصحفي ليضع الخبر في إطاره الصحيح أو ليفرق بين الجانب المغرض المعادي والجانب الصحيح .

كما أن التعليق على أخبار الجريمة، وبيان الدوافع الحقيقية لارتكاب الجريمة، وطرق الوقاية منها وغير ذلك من الأمور الاحتياطية التي تساعد على عدم تكرارها، يعتبر ذلك من ابرز واجبات الصحافة .

«إن إختيار الخبر موضوع التعليق أو المقال أو المعلومة، ثم تفسيره أو تقويمه يجب أن ينال العناية الكافية، بحيث يوفر على الأفراد جهد التحليل، واستنطاق الحدث لما يفتقدونه، وبالتالي يجب أن يكون المعلق قد حاز ثقة الناس واطمئنانهم لتقويمه وتفسيره، وعلى وسائل الإعلام التي تقوم بهذه المهمة مراعاة هذه الأمور بحيث لاتطغي على عقلية الفرد ولاتسيطر على مداركه، بل تعطيه بالقدر الذي يسمح لعقله ولملكاته بالاقتناع بعد المشاركة في البحث والتقويم والتحليل كل على قدر مستواه .[1]

(١) أنظر المرجع السابق ص ٢٥٢ .

التعليق في المفهوم الإسلامي :

لقد استخدم الإسلام الحنيف مختلف الوسائل لافهام الناس وتوسيع مداركهم وثقافتهم، إلى جانب ذلك فهو يحرص كل حرص على ضرورة انتقاء الاخبار، تأكيداً على أنها تلعب دوراً هاماً في التوجيه والتقويم، كما يحرص على أهمية كون التعليق ممثلا للتشريع الإسلامي مستنداً على قواعده ومقاييسه، لما فيه من دلالة على الطريق المستقيم، وبيان لما يصح أن يسير عليه المسلمون وما لايصح . وإلى جانب هذا وذاك، فهو يؤكد على كون المعلق من الموثوق بهم وصادقاً وأميناً، يستند تقويمه وتفسيره للخبر على مقاييس الإسلام في القرآن والسنة، لأن التعليق بوجه عام يمثل حكماً في خبر أو غيره، بالقبول أو الرفض أو التأييد من عدمه، وبالتالي فلا بد أن يكون هذا الحكم صادراً عن عدالة ودقة وتحر وصدق» .[1]

وقد علق القرآن الكريم على «خبر هزيمة الروم» في قوله تعالى : ﴿ آلم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .[2]

كما علق الرسول ﷺ على كثير من الأخبار الداخلية والخارجية : فقال للرجل لما جاء يقول هذا لكم وهذا أهدي إلي «هلا جلس أحدكم في بيت أبيه وأمه فنظر أيهدى إليه أم لا ؟» [3]

(١) أنظر – المرجع السابق ص ٢٥٣ – ٢٥٤

(٢) سورة الروم الآيات من ١ – ٥

(٣) رواه مسلم في كتاب الأمارة – باب تحريم هدايا العمال – ج/١٢ ص ٢١٩ – بلفظ «أفلا قَعـدَ في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظرُ أيهدى اليه أم لا .. ؟»

وعلق على خبر الرهط «لما جاء يسأل عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا :
أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه ؟ ثم قال أحدهم أما أنا فاني أصوم الدهر ولاأفطر،

وقال الآخر : أما أنا فإني أقوم الليل ولا أفطر، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء «فكان التعليق من رسول الله ﷺ في غاية الأهمية والحسم إذ قال «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .(١)

كذلك ماقام به أولئك الرجال من الرسل الذين كان يرسلهم رسول الله ﷺ إلى ملوك وحكام الأرض. وهم يحملون كتبه – وقد سبق وأوردت نموذجاً لمثل هذه الرسل والوفود – ضمن الفصل الثاني من هذا الباب – وعرفنا كيف قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بالشرح والتفسير والتعليق – بصفته حاملاً الرسالة – خلال الحوار الذي دار بينه وبين ملك عمان وأخيه. فقد وضّح الإسلام وبّينه، وأظهر محاسنه وأبان كل خفي بالشرح والتعليق .

وتحت هذا الضوء الكاشف لمفهوم الصحافة الإسلامية شكلاً وموضوعاً. نبدأ في الإصدار الصحفي الإسلامي خلال فترة ما بعد منتصف القرن العشرين الميلادي .

(١) رواه مسلم في كتاب النكاح – باب استحباب النكاح – ج / ٩ص ١٧٦
والبخاري في كتاب / النكاح – باب الترغيب في النكاح – ج / ٦ص ١١٦

الإصدار الصحفي الإسلامي بعد منتصف القرن العشرين الميلادي :

في مصر : صدرت صحيفة «الدعوة»[1] في عام ١٣٧١هـ - ١٩٥١ م وهي إحدى صحف الأخوان المسلمين، وتحمل أراءهم وأفكارهم، أصدرها صالح عشماوي. ومازالت مستمرة في الصدور حتى أوقفها السادات في عام ١٤٠١ هـ١٩٨١م، ثم عاودت الصدور مرة أخرى.

ومجلة «المسلمون» وهي مجلة إسلامية جامعة، تصدر غرة كل شهر عربي صدر عددها الأول في محرم ١٣٧٢هـ - أيلول/ سبتمبر ١٩٥٢م .

وجاء في أفتتاحيتها «ماهي إلا قبس من مجلة الشباب، تقتفي أثرها، مؤمنة بالإسلام عقيدة وأخوة ونظام حياة» رأس تحريرها سعيد رمضان .

ومجلة «طريق الحق» شهرية / ١٣٨٠هـ صاحبها محمد رشاد الشبرا نجومي .

فمجلة «التوحيد» إسلامية ثقافية، شهرية تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية، صدر عددها الأول في محرم/ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .[2]

و «الإخلاص الإسلامية» شهرية، تصدرها جمعية الإخلاص الإسلامية، في عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م . القاهرة .

---

(١) د. عبداللطيف حمزة - قصة الصحافة العربية في مصر - ص -١٦١

(٢) الدوريات العربية. جامعة الدول العربية - ١٩٧٣

مجلة «الزهراء» صدرت في عام/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م شهرية، تصدر عن جمعية الدراسات الإسلامية - القاهرة .[(١)]

وهناك صحف ومجلات أخرى منها شهرية ومنها فصلية.

صدرت في خلال هذه الفترة مجلة «الإخوان المسلمون» نصف شهرية في عام/ ١٣٧٢م - ١٩٥٢م يصدرها المؤتمر العام للأخوان المسلمين، القاهرة .

مجلة «المسلم «شهرية» ١٣٧١هـ - ١٩٥١م، تصدر عن جماعة العشيرة المحمدية، القاهرة .

ومجلة «الدراسات الإسلامية» كل ثلاثة شهور. تصدر عن جمعية الدراسات الإسلامية وهي متخصصة للبحوث العلمية في كل مايتعلق بتعاليم الإسلام. صدرت عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .[(٢)]

مجلة «الاعتصام» هذه المجلة شهرية، تصدر عن الجمعية الشرعية، صدرت في عام ١٣٣٨هـ - ١٩٣٨م. صاحبها السيد أحمد عيسى عاشور، وقد استمرت في الصدور حتى وقتنا الحاضر. وقد اتخذت شعاراً لها الأية الكريمة : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ﴾[(٣)]

وفي **العراق** صدرت في عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م مجلة «الأخوة الإسلامية» مجلة دينية أسبوعية، في بداية الصدور كانت تصدر مرتين في الشهر بصورة مؤقتة. وكان صاحبها ورئيس تحريرها الشيخ محمد محمود الصواف.

---

(١) مجلة الدارة - العدد ٣،٤ شوال/ ١٣٩٦ هـ ص ٢٥١
(٢) الدوريات العربية
(٣) المجلة .

وكانت تصدر في بغداد، وقد احتجبت عن الصدور .[1]

ثم صدرت في عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م مجلة «التربية الإسلامية» شهرية، وذلك عن جمعية التربية الإسلامية ببغداد، ومما جاء في عددها الأول الذي صدر في ١ رجب ١٣٧٨ - ١١ كانون الثاني ١٩٥٩م معرفة بنفسها مايلي :

«... فهذه صحيفة التربية الإسلامية نضعها بين أيدي أخواننا المسلمين. آملين منه سبحانه وتعالى أن يحقق فيها النفع العميم والخير الكثير في سبيل الدعوة الإسلامية، وأن يجعلها ناطقة بالحق، داعية إلى الله فهو نعم المولى ونعم النصير .[2] ومازالت تصدر حتى الآن.

فمجلة «الايمان» مجلة دينية شهرية، رئيس تحريرها هادي الحكيم وقد صدرت في النجف سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

ثم مجلة «الرسالة الإسلامية» دينية ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الأوقاف العراقية صدرت في عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م في بغداد ومازالت تصدر [3]

وفي **المملكة العربية السعودية** : صدرت مجلة «راية الإسلام» مجلة شهرية دينية علمية جامعة يصدرها علماء المسلمين، صدر عددها الأول في غرة ذي الحجة١٣٧٩هـ بالرياض. والمجلة في كلياتها تعتبر نموذجاً للطابع المتخصص في الدعوة الإسلامية .[4]

(١) كشاف الجرائد والمجلات العراقية - زاهدة إبراهيم

(٢) المجلة العدد / ١

(٣) كشاف الجرائد والمجلات العراقية - زاهدة ابراهيم

(٤) المجلة .

فمجلة «رابطة العالم الإسلامي» : مجلة شهرية تعنى بالشئون الدينية والثقافية والأدبية، صدر عددها الأول في شهر ربيع من عام ١٣٨٣هـ تموز ١٩٦٣م. ومن أهم أهدافها - كما جاء في كلمة أفتتاح العدد الأول منها - «بسم الله نبدأ وبه نستعين ونصلي ونسلم على سيد المرسلين وبعد : فمن مهبط الوحي، ومهد الإسلام ومقر القبلة ومنطلق الدعوة الإسلامية الأولى، نقدم إلى اخواننا المسلمين في كافة بقاع العالم هذه المجلة، التي وقفت نفسها على نصرة الإسلام، ورفع راياته، والاشادة بأمجاده، وتوحيد كلمة المسلمين، وتكتيل الشباب المسلم الحائر بين مختلف المذاهب الاجتماعية والعقائد السياسية تحت لواء الإسلام عن فهم وإيمان وطواعية.»[1]

وصحيفة «الدعوة» صدر العدد الأول منها في ١٩/١/١٣٨٥هـ. وهي صحيفة تعنى بالناحية الفكرية، ورسالتها أن تكون مرشدة وموجهة في المجتمع الإسلامي الواسع، وداعية إلى الأفضل من الحياة داخل المجتمعات الإسلامية .

فجريدة «أخبار العالم الإسلامي» جريدة اسبوعية جامعة، تصدر كل يوم أثنين عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وقد صدر العدد الأول منها في ١٧ رجب ١٣٨٦ - ١ نوفمبر ١٩٦٦. وتحفل هذه الجريدة بمختلف الأخبار العالمية وبالنشاطات الإسلامية .

ثم مجلة «كلمة الحق» مجلة شهرية عقائدية تصدر بمكة المكرمة، وتعنى بشئون المجتمع والحياة، صدر عددها الأول في شهر محرم

(١) محمد ناصر بن عباس - موجز تأريخ الصحافة السعودية - ص ٣١٠

سنة ١٣٨٧ – نيسان ١٩٦٧ وصاحب امتيازها أحمد عبدالغفور عطار .[1]

وفي **ســـوريا** : صدرت مجلة «حضارة الإسلام» فكرية جامعة، شهرية صدر عددها الأول في محرم ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م. وقد أسسها مصطفى السباعي ويرأس تحريرها محمد أديب الصالح. بدمشق سوريا .[2]

وفي **السودان** : صدرت مجلة «البيان» وهي مجلة دورية تصدرها الأمانة العامة للشئون الدينية والأوقاف، صدر عددها الأول في عام ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .[3]

وفي **لبنـــان** : صدرت مجلة «العالم الإسلامي» وهي مجلة دينية ثقافية غير سياسية تصدر باللغتين العربية والإنجليزية، صدر عددها الأول في عام ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م وكان صاحبها الشيخ طه الصابونجي .

ثم جريدة «الشهاب» دينية اجتماعية توجيهية أدبية غير سياسية، صدرت عن الجماعة الإسلامية في بيروت عام ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .[4]

مجلة «الفكر الإسلامي» مجلة شهرية إسلامية فكرية، صدر عددها الأول في رمضان ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م في بيروت، وهي مجلة ملتزمة تبين تعاليم الإسلام وآدابه ومقاصده، تصدر عن دار الفتوى بلبنان .[5]

---

(١) محمد بن ناصر بن عباس – موجز تاريخ الصحافة السعودية – ص ٢٥٦، ٢٩٤، ٢٩٨
(٢) ، (٣) الدوريات العربية – جامعة الدول العربية – ١٩٧٣
(٤) قاموس الصحافة اللبنانية ص ١٧٣ – ١٩٦
(٥) المجلـــة

فمجلة «الرسالة الإسلامية» اسبوعية فكرية، وهي كما جاء في عددها الأول الذي صدر في ربيع الأول ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م معبرة عن صوت المسلمين ومنبر أرائهم وأفكارهم، والساعية إلى خير المسلمين ووحدتهم، والمجاهدة من أجل غد إسلامي أفضل، صاحبها فيصل السماك .(١)

ومجلة «المسلم المعاصر» فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة على ضوء الشريعة الإسلامية، صدر عددها الأول في شوال ١٣٩٤هـ - أكتوبر ١٩٧٤ بيروت . لبنان .(٢)

ثم مجلة «الأمان» سياسية أسبوعية جامعة صدر عددها الأول في عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م عن المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر ببيروت .

وفي **الجزائر** : صدرت مجلة «القبس» نصف شهرية صدر عددها الأول في عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

فمجلة «الفكر الإسلامي» شهرية، صدرت في عام ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .

ثم مجلة «الشهاب» انشأها عبدالحميد بن باديس - القسطنطينية .(٣)

وفي **تونس** : صدرت مجلة «جوهر الإسلام» وهي مجلة إسلامية ثقافية جامعة، شهرية أسسها الشيخ الحبيب المستاوي، وقد صدر عددها الأول في محرم ١٣٨٩هـ (٤) - ١٩٦٩م .

(١) المجلة

(٢) المجلة

(٣) مجلة الدارة العدد ٣،٤ شوال ١٣٩٦ هـ ص ٢٥١

(٤) المجلة .

ثم مجلة «الهداية» مجلة ثقافية إسلامية، تصدر بتونس كل شهرين عن إدارة الشؤون الدينية بالوزارة الأولى، صدر عددها الأول في عام ١٣٩٣ - ١٩٧٣م .

فمجلة «المعرفة» مجلة إسلامية شهرية صدر عددها الأول في عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م مديرها المسؤول عبدالقادر سلامة .[1]

وفي **المغـــرب** : صدرت مجلة «دعوة الحق» مجلة شهرية تعنى بالبحوث وبشؤون الثقافة والفكر، تصدر عن وزارة عموم الأوقاف بالرباط، وقد صدر عددها الأول في ذي الحجة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .[2]

فمجلة «الميثاق» نصف شهرية، تصدر عن رابطة علماء المغرب (طنجة) صدرت في عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .

ثم مجلة «الأرشاد» ١٠ أعداد في السنة، تصدر عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، صدر عددها الأول في عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .[3]

وفي **ليبيـــا** : صدرت مجلة «الهدي الإسلامي» فصلية (ربع سنوية) تصدرها الهيئة العامة للأوقاف،طرابلس، صدر عددهـا الأول في ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

ثم مجلة «كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية» بنغازي، تصدر

---

(١) الدوريات العربية - جامعة الدول العربية

(٢) المجلــة

(٣) مجلة الدارة - العدد / ٣،٤ شوال / ١٣٩٦هـ ص ٢٥١

عن اللجنة الثقافية، صدر عددها الأول في عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .[1]

وفي **الأردن** : صدرت مجلة «هدى الإسلام» وهي مجلة إسلامية علمية أدبية، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في غرة كل شهر هجري، صدرت في عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
ثم مجلة «الشريعة» شهرية تصدر عن معهد العلوم الإسلامية في عمان، صدر عددها الأول في عام ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .[2]
ثم مجلة «الاسراء» مجلة إسلامية جامعة شهرية، تصدر عن المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس عمان، صدرت في عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .[3]

وفي **الكويت** : صدرت مجلة «الوعي الإسلامي» وهي مجلة إسلامية ثقافية شهرية، صدر عددها الأول في محرم ١٣٨٥ - مايس ١٩٦٥م عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت .
ثم مجلة «البلاغ» صحيفة اسبوعية إسلامية سياسية جامعة. تصدر عن مؤسسة البلاغ للصحافة. صدر عددها الأول في ٢٠ صفر ١٣٨٩هـ - ٧ مايس ١٩٦٩م .[4]
فمجلة «المجتمع» وهي مجلة إسلامية اسبوعية، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي، صدر عددها الأول في يوم الثلاثاء التاسع من

---

(١) الدوريات العربية - جامعة الدول العربية .
(٢) الدوريات العربية - جامعة الدول العربية .
(٣) المجلة .
(٤) المجلات .

محرم ١٣٩٠هـ - الموافق ١٧ مارس/ أذار ١٩٧٠م وهي صحيفة تستمد فكرها الأصيل من الإسلام وعلى ضوئه وبمقاييسه، وتكتب في كل القضايا التي تهم الإسلام وتعالج مشاكل المجتمع وتدافع عن المسلمين في كل قضاياهم وتدعو إلى اجتماع المسلمين في صعيد واحد ليجابهوا أعداءهم حتى يتحقق لهم النصر .[١]

وفي **دولة الإمارات العربية المتحدة** : صدرت مجلة «الإصلاح» وهي مجلة اسبوعية اسلامية جامعة، تصدر عن جمعية الاصلاح والتوجيه الاجتماعي، صدر عددها الأول في ربيع الأول ١٣٩٨هـ - أذار ١٩٧٨م .[٢]

وفي **قطر** : صدرت مجلة «الأمة» وهي مجلة إسلامية، شهرية جامعة، صدر عددها الأول في محرم ١٤٠١هـ - كانون الأول / ١٩٨٠م عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر .[٣]

أما في **الجمهورية العربية اليمنية** فقد صدرت عن مكتب التوجيه والارشاد العام بوزارة الأوقاف مجلة «الارشاد» وهي مجلة إسلامية شهرية - جامعة، صدر عددها الأول في عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . وهدفها - كما يذكر في كل عدد منها - هو جمع كلمة الأمة الإسلامية

---

(١) المجلة .

(٢) المجلة .

(٣) المجلة .

وتوجيهها إلى منهج الإسلام الصحيح البعيد عن الخلافات المذهبية والسياسية .[1]

وقد اتخذت من الآية الكريمة ﴿ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ شارة لها .

عرضتُ فيما سبق أهم وأبرز مراحل الإصدار الصحفي الإسلامي في البلاد العربية بعد منتصف القرن العشرين، وهناك مجلات وصحف أخرى صدرت بنفس الفترة ولم أذكرها هنا، وذلك بسبب توقف أكثرها عن الصدور، إما لأسباب مادية أو سياسية وما إلى ذلك .

كما أن هناك صحفاً ومجلات دورية تصدر عن الهيئات أو المنظمات أو الجامعات الإسلامية على إختلافها، منها الشهرية، والفصلية والسنوية، لم أشر إليها هنا .

---

(١) المجلة .

الباب الثاني

الصحافة الإسلامية والدعوة

الصحافة التي تحمل صفة الإسلامية وتقوم على منهج الإسلام شكلاً وموضوعاً، لها دورها المتميز في التأثير والفاعلية، بتميزه في المضمون والوسيلة والهدف .

وهو ما يتناوله هذا الباب في ثلاثة فصول :ـــ

* الفصل الأول : يقوم على بيان أهمية العمل الصحفي في ميدان الدعوة .
* الفصل الثاني : يفصّل دور الصحافة في تثبيت العقيدة .
* الفصل الثالث : يقوم على توضيح دور الصحافة في المحافظة على الشريعة والعمل على تدعيمها في المجتمع .

الفصل الأول

أهمية العمل الصحفي في ميدان الدعوة

يتضمن هذا الفصل النقاط الرئيسة التالية :

١ ـ المحتوى الصحفي لخدمة الدعوة .

٢ ـ الصحافة والرأي العام .

٣ ـ دور الصحافة في تحقيق التقدم الفكري .

إن الدعوة الإسلامية تقف اليوم على أبواب منعطفات كثيرة جداً نتيجة لتسابق المتغيرات في حياة الأمم والشعوب، ومن بينها العالم الإسلامي، الذي شهد هو الآخر متغيرات مادية واقتصادية مركبة ومعقدة، وكان من واجب العلماء والدعاة على ضوء تسابق المتغيرات أن يعيدوا النظر في مسيرة الدعوة الإسلامية ووسائلها، ودراسة المعوقات التي تحد من إنطلاقها .

ولا يريد «المؤلف» هنا أن يخوض في المشكلات المعقدة التي تواجه الدعوة والدعاة. ولا في المتغيرات ومايتطلب من الاهتمام بها، بل الذي يهمه هو «بيان دور الإعلام والصحافة في خدمة الدعوة الإسلامية» .

إن عزوف الدعاة عن العمل في وسائل الإعلام – ومنها الصحافة – عطّل دور هذه الوسائل كأدوات فعالة للدعوة إلى الله، فيتطلب اعداد الدعاة في مجالات الإعلام المختلفة، ليوجهوا الكلمة أخطر أداة عرفتها البشرية في سبيل الدعوة إلى الله، وتغيير الأمم وتوجيهها إلى تحقيق غاية وجودها على الأرض، وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

والمعروف أنه في بداية القرن التاسع عشر تزايد عدد الصحف في العالم أجمع وأخذت الصحافة تتطور باعتبارها أداة إعلامية ووسيلة رئيسة في ايصال الأنباء والأخبار إلى الناس كافة، بعد أن تختار ما يصلح منها في ضوء خطة توجيهية تكون عاملاً من عوامل جذب الناس إلى الآراء والأفكار التي تحملها .

ولكي ندرك أهمية الإعلام بالصحيفة في التأثير على مصائر الدول والأفكار والأخلاق العامة وأنواع السلوك الفردية والاجتماعية، نذكر أن رجلا «كنابليون بونابرت» في الوقت الذي يستعد فيه لممارسة سيادته على أوربا كلها، كان رئيساً لتحرير الجريدة الوحيدة الناطقة باسم الجانب الفرنسي تحت عنوان «لومونيتور» Lemoniteur وبذلك أصبح نابليون في بلاده الصحفي الحر الوحيد – من وجهة نظر الفرنسيين – والكاتب الذي يرد بمقالات على حملات الصحف الأجنبية، وقد كان يبذل في اعداد هذه المقالات من الجهد ماجعلها متميزه – كما يقول المؤرخون – بالمنطلق البارع والبلاغة العالية والأسلوب الجميل .

وإذا ماعرفنا أن مراحل الغزو الفكري للحياة الإسلامية لعبت

دوراً فعالاً عبر وسائل الإعلام، تمثل في ماتبثه وتنشره الصحف والمجلات الخاضعة لتوجيه وكالات أنباء ومؤسسات معينة، وماتقدمه باقي وسائل الإعلام من برامج تساعد على تنمية اتجاهات الغريزه والشهوة، وماتساهم به في نشر العداوة والحقد بين المسلمين، وكذلك ماتنقله لنا الصحافة من أخبار الجريمة وصور المجتمعات غير الإسلامية مما ساهم في عزل المسلمين عن الجو الإسلامي الصحيح، فتهيأ المناخ للأفكار والنظريات المذهبية أن تبث حقدها وسمومها ضد الإسلام .[1]

إذن نحن اليوم أمام مثل هذه الوسيلة الفاعلة في الميدان الإعلامي، ولا أبالغ إذا ما قلت : إننا نعيش «عصر الصحافة» .

وكلما كان سلاح الصحافة أكثر مضاء وفاعلية، كانت المسؤولية المترتبة على حمله أخطر وأشد حاجة إلى الملكة الاخلاقية التي يتقرر بها مصير الأمم .

خـدمة الـدعـوة :

يقول الله تعالى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[2]

والتعارف يتم بالاحتياج إليه، والاحتياج إليه فرضته الظروف الاجتماعية والسنن الكونية وقواعد اختلاف البيئات وتنوع الاحتياجات البشرية، وكذلك تنوع المواهب والقدرات، مما جعل

---

(١) أنظر – صابر طعيمه – الإسلام وعالمنا المعاصر ص ص ١٦، ٢٨ ، الطبعة/١ ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مكتبة المعارف – الرياض

(٢) سورة الحجرات الآية/ ١٣ .

كل بيئة وكل شعب وكل قبيلة تحتاج إلى الأخرى لاستكمال حاجاتها وتصدير الزائد مما لايحتاج إليه من موارد مادية وثقافية.

والإعلام كمادة ثقافية وكوسائل مادية قد خضع لنفس القاعدة، فالانسان كان وسيظل في حاجة دائماً إلى وسائل تخدم قضايا التعارف، يستفيد مما يملك من ثروات ومواهب بالمحافظة عليها ويتبادل جزء منها مع الآخرين، فاختلفت الوسائل وتعددت وتنوعت وتطورت لتقوم بالوظائف الأساسية، وهي المحافظة على الثروات والنعم المادية والمعنوية، ثم تنمية هذه الثروات والنعم، ثم تنظيم الاستهلاك والتوزيع والتبادل بالقدر الذي يراه محققا للفائدة العامة .

فكان الاتصال والتعارف دافعا إلى استعمال الوسائل المختلفة لمراقبة البيئة والظروف المحيطة والأخبار عما تحمله من فوائد وأخطار، ولكي يتم ما تستحقه هذه الظروف من قرارات كان لابد من وسيلة للاعلام تذيع الأخبار ثم تنشر الآراء والاتجاهات التي تحقق الموقف المطلوب لمواجهة هذه الظروف، فتقوم بنشر القرارات والأوامر التي تصدر في هذه الشئون وتحتفظ بما يفيد الأجيال من تجارب وأفكار، ثم تنقل هذه التجارب والأفكار من جيل إلى جيل، وهكذا نشأت قديما وظائف الإعلام – بمختلف وسائله – وبقيت على ماهي عليه من حيث المضمون الأساسي، وإن أختلفت الوسائل وتطورت وتبدلت .

وإذا كانت الفطرة البشرية تجد من نفسها الدافع الخلقي لنقل الأفكار والآراء والمعتقدات إلى الغير، فاننا المسلمون ندرك بيقين بأن الإسلام دين الفطرة، كما نعلم بأن الأمر الألهي كلَّف المسلمين

بحمل أمانة الدعوة وتبليغها، مما يزيد من أهمية استخدام الوسائل كافتها لتحقيق هذا التكليف .[1]

ولا ريب أن الصحافة من أهم وسائل الاتصال والتبليغ والتعارف والتعاون البشري، كما أنها من أقوى الوسائل تأثيراً في المجتمع، لا سيما في عصرنا الحديث، وأيضا بما أنها ضرورة نفسية إنسانية، فهي بذات الوقت ضرورة اجتماعية ... وبهذا فلا مفر للأنسان المسلم من استخدام هذه الوسيلة بل والتعبد باستخدامها في ميدان الدعوة إلى الله ونشر دينه وتوصيل تعاليم هذا الدين الى الناس في كل مكان .

وبما أن الصحافة وسيلة توجيه وإرشاد، تعمل على تكامل الشخصية الأنسانية بواسطة الخبر والمقال والتعليق والتحقيق، وغير ذلك من الثمرات التي تحملها الصحافة اليوم، فهذا أحد أهداف الرسالة الإسلامية بلا شك .

يقول ... محمد رمضان لاوند «فكما أن مجتمع اليوم لا يحتفظ بوحدته وسلامته وطمأنينته إلا بتوفير السلع المصنعه التي تكسو جسده، وتملأ معدته وترضي ذوقه، بعيداً عن فطرة المجتمع البدائي الذي يقتصر في الكسوة على ورق الأشجار أو ماهو قريب منه، ويكتفي بلحم الحيوان النيء، وثمر الشجر في طعامه أو ماهو قريب منه، فإن عقل المجتمع في وقتنا هذا لا يحتفظ بسلامته العقلية وصحته النفسية إلا بتوفير سلعة إعلامية مصنعة دقيقة ألوان التعبير للسمع

---

(١) دكتور / عمارة نجيب – محاضرات في الإعلام ووظائفه ص ٤٠ .

والبصر، وهما الطريقان الطبيعيان للنفاذ إلى عقله وتربيته ورياضته» .[1]

وعليه لم تكن وظيفة الصحافة الأولى - وهي الأخبار - أي نقل الأخبار وتفسير الأنباء والتعليق عليها على مستوى كل من الأحداث الصغيرة والكبيرة، هي الوظيفة الوحيدة، إنما بجانب هذه الوظيفة ممارسة الصحافة بصورة غير مباشرة نفوذاً منظماً على الجسم الاجتماعي. وذلك بوظائفها العلاجية النفسانية... كما يقرر ذلك بيار البير بقوله : «فالقراءة المنتظمة للجرائد اليومية والصحف الدورية تساعد الانسان على تطهير أهوائه وعلى التخلص من بعض الشوائب، ويقود مفهومها للأخلاقية التقليدية غالبا إلى ادانة استغلال الصحافة لروايات الأعمال الاجرامية وشطط الأهواء الغرامية والفضائح العائلية والسياسية، والتدخل في الحياة الخاصة لنجوم الأحداث الراهنة ونشر الصور الخليعة، وطبعي أن نجاح هذا النوع من المقالات يعود في الواقع إلى مصادر الصحافة. فقراءة الصحافة تساعد على امتزاج الانسان في جسم المجتمع لأن قراءتها نوع من الحديث مع العالم» .[2]

وهذا ما يدعو اليه الاسلام ويصفه بالتعارف.

وهنا نجد سؤالا يطرح نفسه مؤداه: «ما هو المحتوى اللازم لخدمة الدعوة الإسلامية من خلال الصحافة ؟» .

---

(١) الإعلام والعلاقات الانسانية ص ٤٥ .

(٢) بيار البير. الصحافة. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٠م. ص ٢٨ .

المحتوى الصحفي :

الجواب عن هذا السؤال – كما يقول محمد رمضان لاوند في كتاب «الإعلام والعلاقات الانسانية»[1] يكمن في التجربة التأريخية، فنحن نتبينه حين نستعرض شريط القرون الماضية، لنكتشف القوة الكبرى التي تحرك الجماهير وتصنع العقول على الصورة المطلوبة، هذه القوة هي قوة الكلمة أولاً .

الكلمة هي الآداة السحرية التي تغير وجه التأريخ، إنها المنجم الذي تستخرج منه الأفكار العبقرية، فلولا الكلمة، لكانت العزلة المطلقة التي تعني الانتحار والفزع والموت .

إن الكلمة الفصيحة البليغة والمتميزة بأدق فنون التعبير، هي التي تستقل بتوجيه العقل والذوق، إنها السحر الحلال الذي لا تشاركه أي أداة أخرى في السيطرة على الانسان.

اليس أعظم تراث للبشرية هو الكتب الدينية المنزلة وغير المنزلة ؟

ويستطرد الكاتب متسائلاً : ألم يكن القرآن الكريم المعجزة الكبرى للنبي محمد ﷺ من دون سائر الأنبياء السابقين ؟ المعروف في تأريخ النبوات أن الأنبياء الأولين، كانوا يعتمدون بأمر من الله على وسيلة المعجزات المادية للتأثير في النفس البشرية الأولى. وقد احتفظوا بهذه المعجزات رغم ظهور ألوان من الآداب الألهية في صفحات محدودة أولاً، ثم في كتابين مقدسين، هما التوراة والأنجيل. لكن

(١) ص ٥٥ .

الأعجاز المادي الذي يبهر الحواس والخيال من ورائها بقي هو مصدر القوة المؤثرة عند كل الأنبياء السابقين على النبي ﷺ فابراهيم الخليل ألقي في النار ولم يحترق، وموسى أدهش السحرة بعصاه وفلق البحر، وعيسى أحيا الموتى وأبرأ الأكمه بإذن الله .

حتى إذا بلغت البشرية نضجها العقلي وحققت وعيها الروحي والذوقي جاءت معجزة الكلمة التي هي «القرآن الكريم» .

[هذه المعجزة التي تمثل إمكانيات الكلمة من شمول وعالمية وبيان وهداية.] فالكلمة تحيي الانسان أو تميته. وهي لاتقف عند يوم ولا عند فرد معين، بل ترافق العقل والذوق الانسانيين، وكان النبي العربي يريد دائماً – وبوحي من الله وتوجيهه بالطبع – أن يجعل من الكلمة التي هي مادة الاعلام الكبرى وسيلته الوحيدة إلى العقول والقلوب، ودونها ممارسة المعجزات المادية التي كانت تطلب منه على سبيل الأحراج من قبل مشركي قريش ويهود يثرب .

إن الكلمة المعجزة في القرآن الكريم كانت من القوة والوثوق بحيث أن الوحي الألهي قد تحدى المعارضين والمشككين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من سوره أو بآيات منه، ذلك القرآن قد نزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليكون بمثابة النموذج الاعلامي الأكبر الذي يخاطب العقول ويحرك النفوس ويتغلغل في القلوب .

ولعل أهمية الاعلام بصورة عامة – والصحافة بصفة خاصة – هذا الاعلام الذي يستعين باللغة الفصيحة البليغة الواقعية، القادرة على غزو القلوب والعقول، مستضيئاً بأحدث منجزات العلوم

الانسانية من تربية وأخلاق وعلم نفس واجتماع وغيرها، أن يكون ذلك تصديقاً للاعجاز الاعلامي في القرآن نفسه .

والسياسة الاعلامية الناجحة تحتاج إلى قوة ثانية، وهي الواقعية في الفكر والحوار.. وذلك أن الكلمة حين تبقى مجرد صوت جميل في صياغة تعبيرية فصيحة، لاتلبث أن تفقد دورها في تشكيل النفوس وصقل العقول وتوعية القلوب حينما تعرى من مادة الفكر الواقعي .

إن خطورة وأهمية الكلمة، هي في كونها أداة صالحة لطرح القضايا الملحّة التي تشغل اهتمام السامع والمشاهد والقارىء... وفي كونها أداة لنقل الأفكار التي تصدر عن الواقع وتتفاعل معه .

وما الصورة التي نزل بها الوحي الذي حمل رسالة الاسلام إلى النبي المصطفى محمد ﷺ .. أو الوقائع التي رافقها الوحي أو جاء بعدها ليفصل فيها في ضوء الارشاد والتعليم الالهيين، وكذلك الآيات الكريمة التي نزلت تعقيباً على حوادث حدثت مثل ما جاء في سورة المسد وسورة الأنفال وغيرهما، إلا شواهد تؤكد الوجهة أو الظاهرة الواقعية للتوجيه الاعلامي في القرآن الكريم، بل تسلط الضوء على منهج القرآن في مواجهة الوقائع ومناقشة الأحداث، والكلمة القوية والفكر الواقعي يحتاجان أيضا إلى قوة ثالثة تمنحهما المزيد من التأثير والفاعلية، إنها قوة «الحق» ونعني بالحق هنا مناقشة كل القضايا المطروحة بمنهج موضوعي سليم لا يلتفت فيه إلى أي عامل من العوامل العارضة التي تتناقض مع قول الحق والحقيقة،]ولعل هذا مما يعنيه قول الله تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي

أُكُلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾[1]

فإن الصدق في تقرير الحقائق، والموضوعية في مناقشة الأحداث والالتزام بهذه الموضوعية في السلوك، كلها عوامل ايجابية في التمكين للاعلام الاسلامي وفي توثيق العلاقات بين كل الأطراف، بحيث لا تشوب هذه العلاقات أي شائبة من الريبة والشك، فليس أخطر على العمل الاعلامي – بمختلف وسائله – من أن تتناقض الأقوال مع الأفعال ... أو أن تكذب الوقائع ما يجري على ألسنة الاعلاميين. وماتسجله أقلامهم وتكتبه صحفهم .

إن المعركة التي يخوضها الاعلام الاسلامي بكل وسائله ومنها أو على رأسها الصحافة، ذات طبيعة استراتيجية، بمعنى أنها تنطلق من رؤية فكرية شاملة ملتزمة بمنهج معين، لا سيما وأن الإسلام ليس رؤية اعتقادية وحسب، إنه طريقة في التفكير واسلوب في العيش وخطة في التعامل، أي هو عقيدة وشريعة وآداب معينة وسلوك .

فالحاجة ماسة جدا إلى النهوض وتنظيم حملة اعلامية صحفية شاملة، يقتنع من خلالها المسلمون – ولا سيما النخبة الواعية والمثقفة – بأن مواجهة القضايا المطروحة في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والوقوف بوجه التيارات الزاحفة والمبادىء المرافقة لها وكشفها وتعريتها، وذلك من خلال الرؤية

(١) سورة ابراهيم – الآيتان / ٢٤، ٢٥ .

القرآنية أو تراثنا القرآني ثم تغير بعض المسلمات التي يلجأ اليها سدنة العصر الحديث، وممن توصلوا الى استيعاب عقول كثير من المسلمين .[1]

الصحافة والرأي العام :

لا يستطيع أي انسان انكار الدور أو الأثر الذي تتركه الصحافة في الحياة الحديثة وهي لاتزال – على الرغم من انتشار الاذاعة والتفاز – أقوى وسيلة في التأثير على الرأي العام الذي يحتل اليوم مكان الصدارة .

إن المجتمعات الحديثة تعطي الصحافة المكانة اللائقة بها. ولقد دلت التجارب على أنه لا يمكن حكم الناس حكماً طويلاً، إلا بموافقتهم، إن رضا الشعب في النهاية يقر القوة ويملي القانون حتى على المتجبرين والطواغيت والمستبدين في السلطة. وهذه حقيقة آمنت بها الحكومات المطلقة ذاتها، فادعت ومازالت تدعي أنها تعتمد في كل شيء على الرأي العام فأخذت تتفنن في تشكيله، وذلك بالسيطرة على وسائل الاعلام – والصحافة بالذات –

وبعبارة أخرى أن الرأي العام هو المجال الذي يعمل في نطاقة أي عمل اعلامي.

وقد اهتمت رسالة الاسلام بجماهير الرأي العام وحفل القرآن الكريم في كثير من آياته بهذه الجماهير كما حدد أساليب مخاطبتهم...

---

(١) أنظر – المصدر السابق ص ٥٧ – ٦٧ .

وفي هذا يقول محمد عبدالله دراز [١] : إن الاسلام يعترف بوجود محكمة غير مركزية وغير رسمية في المجتمع، إنها مهيبة الجانب وهي محكمة الرأي العام، وهذه المحكمة هي التي تصدر الأحكام التي يرفع بها أناس وينخفض آخرون، وهي صوت الأمة، ويؤكد الاسلام على ضرورة الرجوع إلى الرأي العام للاستعانة به في مختلف الأمور... « قال الله لرسوله ﷺ ﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [٢]

وأكد ذلك في سورة الشورى بقوله عز وجل : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [٣]

وجعل حكم الرأي العام على المؤمن معتمداً لحكم الله ورسوله، في تقويم أعمال المسئولين ومحاسبتهم... قال الله تعالى : ﴿ وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[٤] ... وقد نهج الرسول الكريم هذا المنهج، فكان يرجع إلى أصحابه وقادة الرأي يستعين بهم فيما لم يرد بشأنه نص، بل ويرجع عن خططه إذا وجد في رأيهم صواباً.

---

(١) محيى الدين عبد الحليم – الاعلام الاسلامي وتطبيقاته ص ١٧٢ .
(٢) سورة آل عمران – الآية / ١٥٩ .
(٣) سورة الشورى – الآية / ٣٨ .
(٤) سورة التوبة – الآية / ١٠٥ .

وكثيرا ماكان يقول لهم، عن أنس وعائشة عن الرسول ﷺ : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » [1]

وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج، وفي سير حياتهم من الأدلة ما يؤكد هذه الحقيقة ... ولعل المقام يتطلب الاشارة إلى أصناف أو فئات الرأي العام تجاه الدعوة الإسلامية، ومن المناسب عرضها هنا على ضوء تقسيم الدكتور عبدالكريم زيدان : [2]

١ ــ قادة الرأي :

وهم الذين يحتلون مواقع القيادة والريادة في مجتمعاتهم، وهم ذوو النفوذ والسلطان استناداً إلى سلطة أو علم أو جاه، هؤلاء غالبا مايأخذون موقفاً معادياً من أي دعوة جديدة، وقد كانوا يرفضون دعوة الرسل ويعارضوهم خشية ضياع نفوذهم ومراكزهم وسلطانهم، هؤلاء هم الذين أسماهم القرآن «الملأ» فقال فيهم ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا .. ﴾ [3] وقال جل وعلا ﴿ وأنطلق الملأ منهم أن أمشو واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ [4].

وقادة الرأي هؤلاء هم الذين يلعبون أخطر الأدوار وأكثرها فاعلية في توجيه الجماهير التابعة لهم .

---

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل – الباب / ٣٨ – وجوب امتثال ماقاله شرعا ..
(٢) محيى الدين عبدالحليم – المصدر السابق ص ١٧٤ ومابعدها .
(٣) سورة هود – الآية / ٢٧ .
(٤) سورة ص الآية / ٦ .

٢ ــ جمهــــور العــــامة :

وهم الأكثريه من الناس، وهـؤلاء أسرع مـن غيرهـم في الاستجابة لقول الحق في كل الأوقات، فهم أتباع رسل الله، وذلك لعدم وجود الموانع لديهم الموجودة لدى «الملأ» كحب الرئاسة والسيطرة والأنفة من الأنقياد، إلا أنه على الرغم من أن جمهور العامة مهيأ للاستجابة السريعة أكثر من غيره، فإن هناك احتمالا لتأثره بمكائد الملأ، وتضليلهم له بدافع الخوف أو الأغراء بالمال أو الشبهات. كأتهامهم الداعي بالضلال والسفاهة.

قال تعالى : ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ (١)

وقال تعالى على لسان نبيه نوح ﴿ رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ﴾ (٢)

٣ ــ المنــافقون :

وهم الذين يظهرون غير مايبطنون، ويظهر هؤلاء بصفة عامة إذا وجدوا أنفسهم قلة واستجاب معظم الناس إلى دعوة الله ودخل الأيمان قلوبهم. وصارت السيادة للمؤمنين وأصبح المجتمع اسلامياً، فلا يقووا على مواجهة الكثرة فيلجأوا إلى نفاقهم. وقد واجه الرسول ﷺ هذه الفئة في المدينة بعد أن أنتشر الاسلام بها وصار للمسلمين قوة وسلطاناً، وقد قال فيهم القرآن الكريم : ﴿ وإذا لقوا الذين

---

(١) سورة الأعراف – الآية / ٦٦ .

(٢) سورة نوح – الآية / ٢١ .

آمنوا قالوا أمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ [1]

٤ ـ العصـــاة :

وهم فئة من الجماهير المسلمة الضعيفة الأيمان، وانزلاقهم الى المعاصي سهل، وهم كما يعرّفهم الدكتور زيدان : «الذين نطقوا بالشهادتين، ولكنهم يرتكبون بعض المخالفات لأحكام الأسلام، ومنهم كثير المعاصي ومنهم المقل لها، وبين هذا وذاك درجات كثيرة .

من هنا يجب على الصحافة المسلمة أن تضع في أعتبارها كل هذه الفئات، وتختار الأسلوب وترسم الخطة المناسبة والملائمة لكل فئة ودرجة ايمانها.. أو بعبارة أخرى ترسم الرسالة الصحفية لكل صنف من أصناف الرأي العام، خاصة إذا علمنا بأن الرأي العام لم يكن في وقت من الأوقات محل اهتمام كما هو عليه اليوم. والمسئوليات الملقاة على عاتقه في الوقت الحاضر. أكثر وأكبر من التي ألقيت عليه في أي وقت مضى .

والحقيقة أن الصحافة هي في نفس الوقت صدى لهذا الرأي، وأداة لتوجيهه وإرشاده، كما أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لم تقتصر على صنف من الناس دون الآخر. فالانسان أينما وجد وكيفما كان يجب أن تصله الدعوة... بدليل قوله تعالى : ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وماأرسلناك

---

(١) سورة البقرة – الآية / ١٤ .
(٢) سورة الأعراف – الآية / ١٥٨ .

إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[1]
وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[2]

وهكذا فالدعوة الإسلامية تخاطب الرأي العام في العالم كله، لاتتوقف أو تتحدد ببيئة معينة أو زمان معين، فهي صالحة لكل زمان ومكان... وإنطلاقاً من هذا الجانب فواجب الصحافة المسلمة وهي إحدى وسائل الإعلام الهامة التي تستخدم في الدعوة الإسلامية في كل وقت وفي كل بقعة من الأرض، عليها تقع مسئولية توجيه ومخاطبة الرأي العام والتأثير فيه بما يخدم الإسلام والمسلمين، أو يخدم الدعوة الإسلامية، لاسيما وعالمنا اليوم – بكل أسف – مليء بمثل هذا النوع من فئات الرأي العام، بل بأكثر قوة وأكثر تفننا في أساليب الشر والدمار والهلاك .

ولايخفى ما للرأي العام اليوم من قوة عظيمة يحسب حسابها في ميزان القوى وفي تقدير فاعلية التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

والصحافة تلعب دوراً بارزاً ومهماً أيضا في تكوين الرأي العام، فما أن يفتح الانسان عينه إلا ويحس بمن يناديه ويخاطبه ويتحدث اليه. فعليها بذل الجهد الكبير وبمختلف الأساليب والأشكال الشريفة في استمالة الرأي العام لخدمة الدعوة... عليها أن تشارك

(١) سورة سبأ – الآية / ٢٨ .
(٢) سورة الصف – الآية / ٩ .

الناس متاعبهم وتساعدهم على حلها كي تستطيع السيطرة عليها وكسبهم لصالحها وبالتالي لصالح الدعوة، خاصة - وكما أسلفت - بأن الرأي العام هو المنبع الذي تصدر عنه أحكام الناس أو المجتمع وهو القوة التي تؤثر في العلاقات العامة، وبدون تأثير الرأي العام لا يتحقق النجاح لأي عمل في مختلف مجالات الحياة .

إن الرأي العام يقوم بوظيفة ضابطة ومنظمة لسلوك الفرد والجماعة والعائلة أو الأسرة ، والقرية والمدينة والدولة ومجموعة الدول، ثم المجتمع الدولي، وهو يحركها جميعاً ويدفع الشعب نحو التقدم والتطور والعمل - أي عمل مهما كانت الجهود التي بذلت فيه - وذلك أن للرأي العام جبروته وسطوته في مختلف مستوياته، وقوته في توجيه الأفراد والجماعات الصغرى والكبرى، بمعنى أنه يمثل الإرادة والرغبة العامة التي تفرض نفسها لحماية كيان المجتمع . فتعمل الصحافة جهدها على تثقيف الرأي العام وتنويره وتحليله وقياس اتجاهاته لتحول بالتالي دون إنحرافه، سواء بفعل الجهل بطبائع الأمور أو بفعل المفاهيم الخاطئة والمضللة المدسوسة والأشاعات المعادية التي تلقى فيه تمهيداً لتنقيته وتطهيره، ثم العمل على رفع مستواه الفكري والعقائدي بدعم ومساندة القيم الاجتماعية والمبادىء الإخلاقية. ومحاولة توحيد أحكامه تجاه الأمور والقضايا المختلفة في تكاتف وتعاون، وتوجيهه نحو الطرق التي تخدم أهداف الدعوة الإسلامية .[1]

(١) أنظر زيدان عبدالباقي. وسائل واساليب الاتصال. ص ٤٣٢ .

بعد أن عرفنا قوة الكلمة في المضمون الصحفي، وقوة تأثيرها في الناس، وبعد تناولنا العلاقة الحميمة التي تربط الصحافة بالرأي العام، بل ودورها المؤثر والفاعل فيه... نتحدث - فيما يلي - عن :

دور الصحافة في تحقيق التقدم الفكري :

لقد وصلت الثقافة الفكرية في حدتها وتقدمها حداً جعل من الأبتكار العلمي والأدبي شيئاً رائعاً جداً، ولو بحثت عن الصورة التي تنطبع عليها بجلاء مظاهر هذه الثقافة المختلفة الألوان والمناحي لوجدتها في الصحافة. فإذا أردت أن تستشف روح أية أمة، أو تحكم حكماً تأريخيا وحضارياً على أي عصر، فإنك لاتستطيع أن تفعل ذلك - نقول هذا بقدر وافر من الثقة - إلا إذا بحثت وتوخيت ذلك من الصحف، لكونها المعبرة التعبير الصادق عن نفسية الأمة وسياستها .

وهي التي تعتبر الرسول الطبعي لتطور الروح والفكر .

وقد عبر (جيفرسون) أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية عن الصحافة قائلاً : «لو خيرتُ بين حكومة بدون صحافة أو صحافة بدون حكومة، فلن أتردد لحظة في اختيار الوضع الثاني .(١)

وسئل رجل عن صنعته «فقال أستاذ مُؤَدِّب، فقيل له كيف ذلك وقد سمعنا أنك تصدر صحيفة، قال نعم فإني رأيت الناس لايرسلون أولادهم إلى المدرسة، أرسلت المدرسة إلى أولادهم في بيوتهم»(٢)

---

(١) محمد الدرع، معلم الصحافة والانشاء، المكتبة الأموية. دمشق ص ٧ .

(٢) خليل صابات - الصحافة رسالة - ص ١٦ .

ولهذا كانت للصحافة منزلة كبيرة عند الأمم، فقد أهتمت بها إهتماماً بالغاً، فعُقدت لها المؤتمرات، وأُنشئت لها المعارض، وخُصص لدراستها قسم من جامعاتها الكبيرة حتى يكاد كل مشتغل بها أن يكون مختصاً في فرع من فروعها لايتعداه إلى غيره، كما يختص كل طبيب بنوع من الأمراض أو المهندس بفرع من فروع الهندسة، وقد بلغ من العناية بالصحافة أنك لاتجد مدرسة أو كلية أو جامعة إلا ولها جريدة أو مجلة يقوم بأعمالها الطلاب .

ولاعجب في ذلك، فالصحافة الشريفة النزيهة هي العنصر الفاعل والهام في توجيه وإرشاد الأمة وحكومتها وشعبها، وهي أكبر مظاهر رقيها وتقدمها ونضجها، وخير معين للأمن والاستقرار وأكبر نصير للحق والعدل .

وهي بما تنشره من أخبار الأمم وحوادثها تعمل دائما على زيادة ثقافة المجتمع وتوثيق روابط المحبة والألفة والأخوة بين الأفراد في الأمة وبين الأمة وصديقاتها من الأمم الأخرى.. كما أنها تنشر المبادىء السامية والأخلاق الرفيعة وتدخل روح السرور والمرح على قلوب قرائها بما تعرضه من الموضوعات المختلفة والقصص الطريفة .

والحكومات لا تستغني عن الصحافة في حث الجمهور على مراعاة قوانين الدولة، وتنفيذ قرارتها وبياناتها المختلفة، والشعب لا يستغنى عن الصحافة في الذفاع عن حقوقه والتعبير عن أرائه وأفكاره ورغباته .

والكتاب والعلماء يستعينون بها في تعميم ابتكاراتهم وبث معارفهم وأبحاثهم .

والأمة بأسرها تحتاج إلى الصحافة في دعم حركاتها الاستقلالية وإمداد أبنائها بالتشجيعات المعنوية والمادية.

فدور الصحافة كبير في التأثير بكل ميدان، ولها نفوذ وقوة في كل أمة، ما تعجز عنه أية قوة مادية أخرى مهما بلغ شأنها، فهي سياج الأمة ودرعها، وسلاح الساسة ومجمع العلماء والأدباء، وجامعة عملية تلقن طلابها في المجتمع مختلف العلوم والمعارف [1] .

فالصحافة إذاً مدرسة جامعة، ولكنها بنفس الوقت قابلة جدا للانحراف والالتواء، أمرها بيد من يدير شؤونها إن سار بها نحو الاصلاح والتوعية السديدة، كانت طوع يمينه، وإن سار بها نحو التدمير والانحلال والضلال كانت طوع ارادته، هي اذاً وعاء يقبل أن يحمل الخير، ويقبل أن يمتلء بالشر .

ومن واجب الصحافة أن تأخذ دور الرقيب الصادق لكل مايجري في الأمة من خير وشر، بل وينبغي أن تساعد في بناء المجتمع والأمة بناءً صحيحاً فتعمل على حل مشاكله وتعالج قضاياه بروح المخلص الأمين .

إن أغلال الاستعمار الثقافي لاتزال سارية في بعض معاهدنا وجامعاتنا، وكذلك على بعض صحفنا العربية الاسلامية. وبمقدورنا إذا اتسمنا بالحكمة وحسن السداد أن نقّوم هذا الأعوجاج ونصلح فساده، فلا نرى صحافة تساوم على المبادىء، ولا تهتم إلا بالجانب المحلي من مشكلات الأمة، ولا نري صحافة تجافي الحق وتضلل

---

(١) أنظر – محمد الدرع – المصدر السابق – ص ١٠٠٩ .

الجماهير وتلعب بمشاعرهم .. ولا نرى صحافة تتهافت على المادة، حينما تنافق للكبار وللاستعمار واعوانه ... نقول بمقدرونا اصلاح ذلك ونجعل من صحافتنا خالصة لنا تسدد أراءنا وتسيرها في طريق الخير والصلاح والثقافة الاسلامية - صحافة اسلامية - تواجه التيارات الفكرية الوافدة والزاحفة والمبادىء المرافقة لها. فتكشف عن عوارها، وتسلط الضوء عليها ثم تطرح تراثنا من القرآن والسنة المطهرة على النحو الذي يستعيد به المسلم رؤيته للعصر في ضوء هذا التراث.

إن المهم في تنظيم هذه الحملة لصحافتنا والسير نحو الهدف المنشود هو أن يقتنع المسلمون وبخاصة النخبة المثقفة منهم، أن مواجهة القضايا المطروحة اليوم في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ممكنة جدا من خلال الرؤية الصادقة لقيمنا ومبادئنا في القرآن والسنة، والسبيل إلى ذلك هو تغيير الأفكار المخالفة التي يلجأ إليها سدنة العصر الحديث ممن توصلوا إلى السيطرة على عقول كثير من المسلمين .

فإذا تحقق الانجاز تكونت بذلك رؤية ثقافية ذات أبعاد نابعة من رسالتنا الدينية، تسلط من خلالها الأضواء على الدور الذي يمكن أن تقوم به في أمة كأمتنا تستعد للنهوض بمسئولية قيادية تنفرد عن قيادة الفكر الوافد في مناهجها وطرق التفكير فيها وبالبنية التأريخية والجغرافية التي تقوم عليها [1]

---

(١) أنظر - الأعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية - ص ٤٢ ومابعدها .

ولكي يتحقق مانصبوا إليه ومانرجوه من الصحافة بهذه الاعتبارات المتعددة من خدمة للدعوة في ميادينها العامة، وتأثيراتها على الفرد والأسرة والمجتمع، وعملها الفكري والسلوكي.. فإن الحاجة تقتضي أن نبدأ البداية الصحيحة ونخطوا الخطوات المنتظمة الدقيقة، ونمشي على الطريق المستقيم الذي يوصل إلى الهدف بأسرع وقت وبأيسر الوسائل .

من هنا يجب على صحافتنا الاسلامية أن تعمل متأسية بمنهج رسول الله ﷺ في الدعوة فتعمل على ترسيخ العقيدة وتثبيت معانيها وتحريك مقتضيات العمل بها، فتلك عملية أساسية للمنطلق الانساني السليم .

وعليه يكون المنطلق عقيدة سليمة صادقة ايجابية، ينتظم من خلالها سلوك البشر ونظام المجتمع، فتنطلق ايجابياته تقدماً وارتقاءً وسعادة وعزة .

لهذا كان لزاماً علينا أن نناقش دور الصحافة في ميدان الاعتقاد والتشريع والسلوك مع بيان أهمية الصحافة وأهمية دورها في هذا الميدان... وهو ماتتناوله الفصول التالية :

الفصل الثاني

توجيه الأعتقاد ودور الصحافة

يشتمل هذا الفصل على الموضوعات الرئيسة التالية :

١ ـــ الإعلام المعاصر وأثره في تدعيم الاتجاه القائم وفي التغيير بوجه عام .

٢ ـــ منهج الإسلام في التغيير .

٣ ـــ الفطرة وعلاقتها بالعقيدة .

٤ ـــ الصحافة ووظيفة تثبيت العقيدة .

٥ ـــ أصول العقيدة الإسلامية .

٦ ـــ كيف ينشأ المجتمع المسلم ؟ وما منهج هذه النشأة؟ .

٧ ـــ رابطة العقيدة وأثرها في توجيه الفرد والمجتمع .

٨ ـــ الثقافة الإسلامية وأهمية الترويج لها ونشرها .

٩ ـــ دور الصحافة في التغيير الاجتماعي .

لعله من المفيد – وقبل الكلام عن العقيدة ودور الصحافة بوجه خاص – أن نمهِّد لأثر الإعلام المعاصر في التدعيم والتغيير والاستجابة للاتجاهات القائمة بوجه عام، وكذلك منهج الإسلام في التغيير .

١ ــ الإعلام المعاصر وأثره في تدعيم الاتجاه القائم وفي التغيير بوجه عام :

إن الإعلام المعاصر بواقعه الراهن، وبمختلف وسائله وتقنياته المتطورة وآفاقه البعيدة المتشعبة يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن ينكمش شعب من الشعوب أو أمة من الأمم وتنطوي على ذاتها أو تتقوقع داخل حدودها دون أن تتأثر بالأمم الأخرى أو بالعالم من حولها أو تتفاعل مع الأمم المحيطة بها والبعيدة عنها بكل قيمها وعاداتها وأخلاقياتها .

إن وسائل الإعلام عامة والصحافة بخاصة، شرعت تتنافس بل تتصارع لبث برامجها ونشر مبادئها وأفكارها، محاولة استقطاب جميع شعوب العالم لها لتكسبها، لقد بدأنا نلمس مختلف وسائل الأغراء والترغيب والتشويق لهذه البرامج وتلك الأفكار حتى ظهرت وكأنها حرب خفية بل هي حرب إعلامية حقيقية بين الأمم استخدمت فيها جميع القدرات والطاقات، وتوفرت لها جميع الأمكانات حتى وصل الأمر الى عدم الاهتمام إن كان ماينشر أو يبث من موضوعات أو أخبار وبرامج يحمل مفهوماً أخلاقياً كريماً أو ماينشر من أهداف ومبادىء ينصاع لعالم القيم الحسنة والخيرة طالما أنه يخدم عقيدة معينة أو يدعم نظاماً أو يؤيد حاكماً .

أهم التغيّرات التي تحدثها وسائل الإعلام :

أ – تدعيم الاتجاه القائم :

إن حملات وسائل الإعلام الجماهيري يحتمل بشكل عام أن

تدعم الآراء القائمة بين الجمهور أكثر مما يحتمل أن تغير تلك الأراء، وحدوث التغيير البسيط في الاتجاهات يبدو أكبر من احتمال حدوث التحول في الرأي .

وهذا ماتشير اليه الأبحاث الموصوفة بالعلمية والمتعلقة بتأثير حملات وسائل الإعلام الجماهيري، ولكن ليس معنى هذا التحول الكلي لايحدث، أو أن وسائل الاتصال لا تعمل في بعض الأحوال على نشر التغيير على نطاق واسع، بل يمكن القول إن فاعلية الاتصال في التأثير على الآراء الموجودة والاتجاهات ترتبط أو تتماشى عكسياً مع درجة التغيير المطلوبة... وقد أمكن إثبات هذا في دراستين أجريتا على تأثير الحملات التي سبقت إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية، ظهر منها أن التعرض خلال شهور من الدعاية تدعم النوايا الأصلية التي كانت موجودة قبل الحملة بالنسبة لـ (٥٣٪) وتحول (٢٦٪) من الولاء لحزب معين إلى موقف عدم التقرير، أو من عدم التقرير إلى تأييد حزب معين آخر، وتحول فعلا (٥٪) من حزب الى أخر بالنسبة للعينة الأولى .

أما في الدراسة الثانية فقد ظهر بالنسبة للعينة أن التدعيم والتعديل أو التغيير البسيط يتكرر بنفس النسبة التي ظهرت في الدراسة السابقة [١]

يفهم مما تقدم أن قدرة وتأثير وسائل الإعلام تكون أكثر ضمانا في العمل على تدعيم الاتجاه السائد وتقل في العمل على التغيير،

(١) أنظر. د جيهان رشتى. الأسس العلمية لنظريات الإعلام. طبعة ١٩٧٥م . ص ٥٤٧.

ولكن هذا ليس في كل الأحوال، فالاسلام حول الأراء والاتجاهات، في حين فشلت الجاهلية في تدعيم الاتجاه القائم... ثم أن هناك مؤثرات وعوامل وسيطة تساعد في عملية هذا التدعيم [1] وهي :

١ ــ استعدادات الأفراد السابقة .

٢ ــ الجماعات التي ينتمون إليها .

٣ ــ نقل مضمون وسائل الإعلام عن طريق الاتصال المباشر .

٤ ــ ممارسة قيادة الرأي .

٥ ــ طبيعة وسائل الإعلام التجارية في المجتمع الأمريكي . [2]

ب ــ **مقدرة وسائل الإعلام** على زيادة معلومات الأفراد عن مختلف الموضوعات. فالمعروف أن الأفراد يخصصون في المتوسط لوسائل الإعلام ما لايقل عن ست ساعات يومياً، وقد أصبحت وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية الوسيلة الأساسية للترفيه وقضاء وقت الفراغ .

وبصرف النظر عن التأثير المحتمل لوسائل الإعلام يحرم الناس من قضاء وقت أطول بعضهم مع البعض الآخر، ويأخذ من الوقت الذي كان يحتمل أن يخصصوه للثقافة العليا [3] .

---

(١) أنظر . د. عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام. الطبعة الأولى الرياض . ص ٢١٩.

(٢) لأن الدراسة المشار إليها أجريت على مدى تأثير الحملات التي سبقت إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية .

(٣) المصدر السابق. الاعلام في ضوء الاسلام. نفس الصفحة.

جـ ــ مقدرة وسائل الإعلام على إنشاء أراء عن الموضوعات الجديدة .

قال جوزيف جوبلز «وزير الدعاية في المانيا النازية. إن من يقول الكلمة الأولى للعالم على حق دائما، معبراً عن قدرة وسائل الاتصال، ويشارك عدد كبير من الباحثين «جوبلز» حول فاعلية وسائل الإعلام من خلق اتجاهات .

وقد اقترح «روز» استخدام الأفلام التي تحث على التسامح العنصري مع الأطفال الذين لم يفكروا بعد في الموضوع، مؤكداً فعاليتها، ويوافقه «هرتز» في تأكيده أن الدعاية هي أساساً سلاح هجومي وليست سلاحاً دفاعياً، فهي تستطيع أن تنشر رأياً بسهولة أكبر من قدرتها على تحويل الرأي .

كذلك افترض «هوفلاند» أنه قد يكون للصحف تأثير كبير على الرأي العام إذا تناولت موضوعات أهميتها بسيطة أو عاونت المرشحين المحليين، لخلو الأذهان بشأنهما.

أما التأثير بالنسبة لمرشحي الرئاسة فيكون أقل، لأن لدى الجماهير معلومات سابقة عنهم . وهذا يعني قدرة وسائل الإعلام على تكوين آراء جديدة حول الموضوعات الجديدة وخلال أوقات الثورات وعدم الأستقرار أو الخلود إلى الهدوء والسكينة .

د ــ العمل على تغيير الاتجاهات :

إن تغيير الاتجاهات يعني «حدوث تغيير في الاستعدادات»

وهذا التغيير يطرأ إما على تنظيم أو بناء المعتقدات، أو التغيير على مضمون معتقد أو أكثر يدخل في تنظيم الاتجاه .

وإذا أقررنا بأقلية شيوع أثر الإعلام في تحويل الرأي، وإن التدعيم والتغيير الطفيف هو الشائع، فهذا لايعني أن التحول لايحدث .

على سبيل المثال : فحوالي ثلاثة أرباع (٧١٪) من الجمهور الذي شاهد فيلم Naples is a Battfefield غيروا الرأي الذي كانوا يعتنقونه قبل مشاهدته من أن الولايات المتحدة لايجوز أن ترسل طعاماً إلى ايطاليا .

كما أن دراسة «كاتر ولزرزفيلد» التي أجريت على عينة مكونة من «٨٠٠» سيدة قد أظهرت نجاح وسائل الإعلام في إحداث تحول في الأراء حيث ظهر أن (٦١٩) من تلكن السيدات غيرن الآراء التي كن يعتنقنها عن الشؤون العامة، بعد تعرضهن للرسائل الإعلامية، مما يثبت لنا أن وسائل الإعلام تنجح في التحويل في بعض الأحوال .

وهناك عوامل وسيطة تلعب دوراً في معاونة وسائل الإعلام على التغيير، وهي باختصار :

١ ــ العمليات الانتقائية، أي انتقاء الرسائل الإعلامية المناسبة لاحداث التغيير .

٢ ــ تأثير الجماعات الأساسية التي ينتمي اليها الفرد، ابتداءً من الأسرة إلى الحزب .

٣ ــ قيادة الرأي والتأثير الشخصي .

أظهرت الأبحاث أن قيادة الرأي والتأثير الشخصي لهما دور هام جداً في عملية اتخاذ القرارات وتغيير الاتجاهات والسلوك .

فالأفراد الذين غيروا نواياهم الانتخابية في منطقة «ايري» بولاية «أوهايو» الأمريكية سنة/١٩٤٠ أشاروا باستمرار إلى أن التأثير الشخصي كان عنصراً أساسياً في تحولهم، وإن درجة فاعلية التأثير الشخصي تختلف عن تأثير وسائل الإعلام المختلفة .

فقد وجد «كاتز ولزرزفيلد» عام ١٩٥٥م أن التأثير الشخصي أكثر فاعلية من الصحف بنسبة خمس مرات ونصف، حينما يسعى للتأثير على اختبار الأفراد للأفلام السينمائية التي سيشاهدونها . وعلى ضوء ذلك يمكن القول : إنه حينما يتوافر التأثير الشخصي يصبح أكثر فاعلية من وسائل الإعلام، ولكن من ناحية أخرى قد لا يتوافر التأثير الشخصي دائماً، ولهذا لايمكن أن نعتبره ضرورياً لنجاح التأثير .(١)

لقد بات ذلك الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام عموما والصحافة على وجه التحديد واضحاً في قوة التأثير والتغيير في المعتقدات والاتجاهات والسلوك، ومقدرتها الفائقة في تدعيم الاتجاهات القائمة والسيطرة على الجماهير وكسب تأييدها نحو أي اتجاه وهدف . فلا يستطيع احد انكار ذلك الدور أو التشكيك فيه.

«والمؤلف» يتفق مع مايقوله الدكتور عمارة نجيب في كتابة «الإعلام في ضوء الإسلام»(٢) فيما يختص بالعامل الوسيط الثالث

(١) أنظر جيهان رشتى. المصدر السابق. ص ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٩ .
(٢) الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ الرياض – ص ٢٢١ .

«قيادة الرأي والتأثير الشخصي» وهو المعاون لوسائل الإعلام في التغيير .

وهذا مايعني بالنسبة للمسلمين إمكانية وجود نفس النتائج أو مايقرب منها في حالة بعدهم عن منهج الإسلام، واستمرار تحكيمهم للأساليب والمناهج والقوانين الوضعية .

أما في حالة تحكيم الإسلام منهجاً وقانوناً وإدارة وتربية.. الخ ، فإن الحصانة التي يكتسبها المسلم من اسلامه تجعل تدعيم المبادىء والآراء من خلال الإعلام أكثر تأثيراً، كما تجعل امكانية إنشاء آراء جديدة عن موضوعات جديدة خاضعاً لموافقتها أو مخالفتها للإسلام، كما يجعل احتمال التحول عن مبادىء الإسلام يكاد يكون مستحيلاً طالما بقى كل مسلم يجد معلوماته ومراجعه الاسلامية، خاصة في وسائل الاتصال الشخصي وهو يشعر مع ذلك بأنه – وكذلك كل مسلم – وسيلة اتصال متحركة لاسلطان على حركتها الا الله وحده .

وعليه يستطيع الإسلام بمنهجه في الدعوة والإعلام أن يحّول الآراء والاتجاهات الموجودة والمخالفة للاسلام بنفس قوته وقدرته على تحصين اتباعه وتدعيم مبادئهم وآرائهم، وهو ما ييسر عمل الصحافة الاسلامية ويساعدها في دورها وهدفها اذا التزمت بالاسلام فكراً وسلوكاً إدارة ومبادىء .

الانسان وهدف الاعلام :

لقد أشرت في بداية الكلام إلى الواقع الراهن للاعلام بوجه عام، وهذا الواقع لايستطيع أن ينكره إلا مكابر ولاينفيه إلا منافق

أو مضلل، ومع هذا الواقع ومافي داخله من صراعات أرى أنه لابديل لتطويع وسائل هذا الاعلام المعاصر بصفة عامة والصحافة بخاصة – باعتبارها أهم وأبرز وسائل الإعلام في التأثير والتغيير – أقول لابد من التطويع ورسم مايمكن أن تنشره من أفكار وتبثه من برامج لصالح عقيدتنا ومبادئنا وألاَّ نقف منها موقف اللامبالاة أو موقف المتخاذلين المتشائمين .

إن الواقع الراهن لهذا الاعلام، ومارافقه من تقدم كبير في مجالات التقنية «التكنولوجيا» وطرق الاتصال يشكل تحدياً لإمكاناتنا ولمقدراتنا كمسلمين، مما يحتم علينا الاستفادة منه وتسخيرة أو توجيهه لخدمة قيمنا وقضايانا العادلة.

لابدَّ من الصدق : ومن أجل تحقيق ماتقدم آنفا، لابد من توفير شرط مبدئيّ وأساسي ألا وهو الصدق والالتزام ... أن نكون صادقين مع أنفسنا ملتزمين بأخلاقياتنا، معتزين بشخصيتنا مبتعدين عن المهاترات والترهات، لأنها ليس من قيمنا ولاتستحق أن نسخر لها الجهود والطاقات ولو لدقيقة واحدة.

ما هدف الاعلام ؟

قدّم لنا الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الاعلام في ضوء الاسلام» موضوعاً قيماً في هذا الصدد ونظراً لأهميته رأيت من المناسب هنا ايراد النص التالي منه :

تقول مقدمة الموضوع: ''لم يعد هناك أدنى ريب في أن

الانسان هو هدف العمليات الانمائية بكل صورها وأشكالها واتجاهاتها ومذاهبها باعتباره – أي الانسان – الأداة الأساسية للتغيير على أى شكل يكون هذا التغيير.

وهو معنى قول الله تعالى ﴿ إن الله لا يغيّر مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾[1]

حتى الذين نظروا الى الحياة نظرة مادية واعتبروا العنصر البشرى مجرد تكوين مادى، لم يستطيعوا أن ينكروا أن الانسان هو الصنعة ذات العائد الكبير . وأن تنمية وتثمير هذه الصناعة تنمية وتثمير للأنتاج .

ويستطرد الدكتور عمارة في هذا الصدد فيقول : وعليه نستطيع أن نقرر أن تغيير الانسان هو الوظيفة الأساسية لكل العمليات والدعوات والانقلابات والثورات الانسانية حقيقة أو ادعاء، وإن الانسان هو أداة التغيير الأولى والأساسية، وهو الذي يجب أن يتغير أولا. بمعنى أنه يجب أن يتغير مابنفسه، لأن تغيّر جلده وعظمه ولحمه لا دخل له في شيء من عمليات التغيير، كما هو معلوم وبدهي، وهذا مايعنيه كل داع الى التغيير، فعندما يتحدث قادة الدول وأصحاب الأقلام فيها عن معنى التقدم والتخلف ويوضحون مايجب بذله من جهود، فجوهر حديثهم ومستنده هو الانسان دائماً بهذا المعنى[2]

---

(١) سورة الرعد – الآية / ١١

(٢) د. عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام. الطبعة الأولى الرياض، ص ٢٢١ – ٢٢٢

وعليه فعندما يتغير الانسان من واقعه الحالي – واقع المادة التي سيطرت عليه والمدنية البراقة التي جعلته اسيرا لشهواتها ونزواتها – عندما يتغير الانسان ليعود الى فطرته ويفهم معنى استخلافه في أرض الله، سيتغيّر وجه العالم الى الأفضل، وستكون النتائج بفضل الله الى الأحسن ... وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[1]

٢ – منهج الاسلام في التغيير :

لقد قرر الاسلام أن الكائن البشرى قد خلق متميزاً عن سائر الكائنات بفطرته الباحثه عن الحقيقة. وتربيته تربية صالحة مستقيمة يتطلب تهيئة السبيل لهذه الفطرة، كى يجد اجابة مقنعه وحلاً مرضياً لكل سؤال يواجهه ولكل مشكلة تقع.

ووفقاً لما تجده هذه الفطره من اجابات على تساؤلاتها، وللطريقة التي تقدم بها الاجابة، فطبيعة الانسان قابلة للتغير والتبدل.

ولعل هذا ما يعنية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[2]

---

(١) سورة الأعراف. الآية / ٩٦

(٢) رواه مسلم. الجزء ١٦ كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ. بيروت ص ٣٠٧ – والترمذي كتاب القدر باب كل مولود يولد على الملة.

وبما أن النظم والقوانين العامة قد أقرت وأعتبرت مكانة الأبوين في أغلب القضايا والأمور، وأصبح المجتمع كالطفل، وأصبح القانون أو النظام كالأبوين. أضحى النظام مسؤولاً عن كثير من عمليات التغيير.

طرق التغيير :

إن هذا التغيير يتم بطريقين.

الأول : طريق الأقناع العقلي والأرضاء الوجدانى.

والثاني : طريق الأكراه والضغط والتزييف والتضليل.

يقول الله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾[1] وهذا هو طريق الفطرة البشرية الموافق لها، المتفق مع مدارك الانسان الواضح المعالم، لايكره عقلاً ولا يضطهد أو يضغط على فكر. ولايكلف نفساً إلا وسعها، إنه طريق الاسلام ومنهجه.

أما الطريق الثاني، أى طريق التهويد والتنصير والتمجس والالحاد، طريق الاكراه والاضطهاد والتضليل، والمغير لطبيعة الانسان وتكوينه، والمغاير أيضا لمقومات الفطرة البشرية، التي ميّز الله بها الانسان عن جميع الكائنات.

وهكذا يتبين الفرق بين المنهجين أو الطريقين، طريق الاسلام المستقيم، طريق بناء الانسان وتكوينه وفق مايناسب ويلائم فطرته، وطريق الضلال والالحاد، طريق الاكراه بالضغط والتحكم، المغاير للفطرة ، طريق الغرائز الحيوانية والرغبات الأنانية وغيرها.

---

(١) سورة البقرة – الآية / ٢٥٦

بهذا فإن منهج الاسلام في الغيير ينطلق منذ اسلوب الاقناع بالاجابة عن كل سؤال يطرحه العقل البشرى، في كل مراحل حياته، منذ طفولته حتى مماته، سواء اتصل هذا السؤال بعلاقة الانسان بنفسه أو اتصل بهذه النفس ومايدور حولها من الكائنات والناس، كما تتضح أيضا قدرة وسائل الاعلام المختلفة – لا سيما الصحافة – على التأثير والتغيير، وفق ماتقتضية مصلحة ديننا وتتطلبه شريعتنا الغراء[1]

وهنا يحضرني قول الحق تبارك وتعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[2]

وقوله سبحانه ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[3]

وهكذا يكون الاسلام بدعوته وحكمته، لا أكراه ولاضغط، ولاتزمت ولا استهواء .. ﴿ ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ [4]

الكيفية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابة :

لقد بين الاسلام، باعتباره رسالة عامة وشاملة ومضموناً اعلامياً رائعاً يشمل القوانين الادارية والسياسية والمعاملات

(١) أنظر المرجع السابق – الاعلام في ضوء الاسلام ص ٢٢٧
(٢) سورة النحل – الآية / ١٢٥
(٣) سورة آل عمران – الآية / ١٥٩
(٤) سورة فصلت – الآية / ٣٤

والعلاقات العامة، ويضم بياناً مفصلاعن طبيعة النفس البشرية وجوانبها العاطفية والمنطقية والغرزيه، وبين الكيفية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابه، وذلك بالاصطلاح على أساليب محددة لتقديم تلك الرسالة ومضمونها، مجملها:

«الحكمة والموعظة الحسنة والمجادله بالتي هى أحسن، وإطارها منهج الاسلام الذي يخاطب الفطرة والعقل، أو يعمل على فتح الطريق الى مخاطبتهما، إن كان الطريق اليهما مسدوداً ... فالجهاد من الحكمة لفتح الطريق الى العقل، إذا سدّت الطرق الأخرى، ويكون الترغيب والترهيب، ويكون الانذار والتبشير الى غير ذلك مما تتطلبه الحكمة».

الزمن في صالح الدعوة الاسلامية :

ولطالما بقيت الفطرة البشرية تبحث عن الحق والحقيقة، ولطالما بقي العلم التجربي الذي أغتر به العقل الانساني حيناً من الدهر، عاجزاً ومؤكداً عجزه دوماً عن الاجابة على ما يصدر عن الجانب المعنوى في الانسان من الاسئلة والمشكلات البشرية، وعن علاقة هذا الجانب بالطبيعة وما ورائها.

فلا مفر من التسليم بضرورة الاجابة، ولا يستطيع أحد أن ينكر بعد هذا بأن الاجابة هذه عند الاسلام وحده، لأنه الدين ولأنه الشريعة الخالصة والموائمة لفطرة الانسان، ولأن شريعة الاسلام ورسالتها صادرة عن وحي الخالق العليم الخبير، وهذه الرسالة وحدها

هى الحق واليقين، أما غيرها فلا منهج لها غير الاكراه والتضليل والخداع، والزمن ضد هذا المنهج الباطل تماما، فلا بد من عودة ذلك المنهج الموافق لفطرة الانسان، حتى يعود عز ومجد الدعوة الاسلامية.(١)

وصحوة اليوم خير دليلاً على هذا، وأعظم بشيراً على أن الزمن حقاً، في صالح الدعوة الاسلامية، و لم تكن هذه الصحوة في بلاد المسلمين فحسب، بل وحتى في ديار الكفر وداخل معاقلهم ... ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾(٢)

وبـعـد :

فها هى الصحافة، كانت دائما بالنسبة للعقول المغلقة سلاحاً خطيراً، الى حد أن الذين يمسكون بزمام السلطة يجدون الوسائل التي يسيطرون بها على هذه العقول، وذلك لقوة هذه الوسائل في الاقناع، وبالنسبة للعقول المتفتحة فأنها كانت دائما وسيلة لاثارة الاهتمام والمشاعر بين الجماهير بهدف احداث التغير اللازم فيها.

٣ - الفطرة وعلاقتها بالعقيدة :

عندما يبدأ الطفل حياة التمييز، يجد دافعاً فطرياً يشده الى البحث والسؤال، وكثيراً مايقوم الولدان بطرح أسئلة عن الكون

---

(١) انظر المرجع السابق صـ ١٦٥ ، ١٨٥
(٢) سورة الروم - الآية / ٣٠

والحياة وصانعها، حتى اذا ما أدرك الطفل سن الرشد وجد نفسه التي بين جوانحه تسائله من هو؟ ولماذا وجد؟ ومن الذي أوجده؟ والى أين ينتهي؟ وما هي طبيعة هذه النهاية؟

لقد انفردت الدعوة الاسلامية بالتعادل الذي وضعته بين الفرد والجماعة، فلم تجعل أحدهما مستعبداً للأخر، أو في موضع الضد منه ... وكذلك التوازن الذي أقامته بين القيم المادية والقيم الروحية للأهداف الانسانية، فلم تضح بأحداهما على حساب الأخرى ... وأيضا ما انفردت به تلك الدعوة بالتوافق الذي حققته بين العقيدة والمعرفة الانسانية وبإعلانها ... أن للانسان رسالة عظيمة، هى عبادة الله وحده، قدّرها عليه منذ خلقه. وألزمه بتأهيل نفسه لأدائها وحمّله مسئوليته الخالدة عن حياته، وعما وضعه تحت تصرفه واشرافه من أجلها.

والعقائد التي كانت سائدة قبل ظهور الاسلام تجعل من ''الخطيئة'' علّة لوجود الانسان على الأرض، وتوارث الأجيال تلك الخطيئة، لكن الدعوة الاسلامية حينما جاءت ردّت للأنسانية كرامتها، وأطلقتها من عقالها، وأعلنت أن ظهور الانسان على الأرض لم يكن حدثاً عرضياً ولا عقاباً أبدياً عن خطئه الأول، وكشف أن الحكمة من خلق الانسان بقدراته العقلية الكامنة والمطلقة خلال أجياله إنما هى اكتسابه العلوم الانسانية والكونية من أجل معرفة الله وعبادته وحده، باعتبار هذا بعض رسالته التي حملها منذ اللحظة الأولى التي خلق فيها، وارتبط بها مصيرة ومسئوليته، وذلك قبل أن يرتكب خطأه الأول.

إيجـابيـة إنســـان الاســلام وعقلـه :

وهذا الانسان الذي هو من صنع الاسلام، ماهو إلا فرد ايجابي يرتبط بمجتمعه لاينفصل عنه بأنانيته أو ذاته، يهدف الاسلام الى ترقيته وتقدمه، استجابة لسنة التطور.

وإيجابية الانسان هذا، حين لا يعزل نفسه عن واقع الحياة والإنخراط فيها، لاتعرف الانغلاق ولا الانطلاق وفق الهوى، وأيضا لاتعرف الموقف الجامد الذي يدل عن الصلف والغباء أو الموقف الضعيف الذي يتهرب من تحمل المسؤولية.

وفوق هذا فإن الانسان المسلم يؤمن بأن كل مجريات الحوادث إنما هى تسير بقوانين الهية تعمل عملها دائما.

كما أن من أهداف الاسلام الحرص في تعاليمه على عمل النوع البشرى وتطوير جهده وامكاناته، وإن الوسيلة التي لابديل عنها لتحقيق مايصبو اليه البشر من تقدم في ظل خير وسلام حقيقين، إنما هى في العقل الايماني، ذلك العقل الذي يرفض الانغلاق أو الغلو، إنه العقل القلبي الذي يملأ الوجدان، ولا يعرف الاسلام للانسان عقلا هادياً سواه ... وهذا مصداقاً لقوله تعالى ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾[1]

وإنسان الاسلام الذي يملك هذا العقل المفكر في ملكوت

---

(١) سورة الحج – الآية / ٤٦

السموات والأرض، الذي يرهف السمع حين يقف هذا الانسان يتلقى بقلبه من السماء، يسمع آيات رب الأرض والسماء ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾(١).

فيهتز كل وجوده وتنفعل أعماقه، وتمتلىء نفسه بمثل ذلك التوجيه «لو تعلمون» يدرك أن امكانية علم مواقع النجوم قيمة مدعو إليها الانسان المسلم قبل غيره، ليكون منطلق البحث العلمي عن هذا المجهول الذي سيسلمه إلى أبعاد وأبعاد، يصبح بعدها انسان الحياة العلمية المؤمنة، هو انسان الاسلام الذي يتميز بعقيدة الاسلام ويعرف بها.(٢)

الاجابة عن أسئلة الفطرة :

كانت رحمة الله بخلقه فيما جاء به الوحي والرسالات يجيب على هذا الجانب، ويؤيد اجابته بالأدلة التي يطيقها البشر، وتستوعبها قدرتهم الادراكية ووسائلهم المادية، فكانت خوارق العادات الحسية، فيما يبلغون فيه أوج الرقي والتقدم، ثم كانت المعجزة العقلية العلمية الخالدة في القرآن الكريم الذي حفظه الله من التغيير والتحريف، وضمّنه حلولاً واجابات مقنعة لكل العقول في كل زمان ومكان، فتقوم به الحجة على كل من بلغه ماجاء فيه، إن استجاب للحق وأطمأن به رضى الله عنه وأدخله جناته، وأطمأنت نفسه، واستقرت

(١) سورة الواقعة – الآيتان / ٧٥، ٧٦

(٢) أنظر. صابر طعيمة. الاسلام وعالمنا المعاصر صـ ٧٣ وما بعدها

فطرته، وإن رفض الحق الواضح البين حق عليه عذاب الله. وشقيت نفسه، وقلقت فطرته.[1]

ومما يجدر ذكره هنا أن الاسلام حدد للانسان العلاقة التي تنظم له موقفه من الكون ومن الحياة، وذلك منطلقاً من عقيدته القائمة على التوحيد الذي جاء به الاسلام وفق كتاب الله، وهي العقيدة التي لا تبدأ من المنطلق الذي يقول بحلول الله في الكون أو الانسان، كما تقر ذلك نظرية (الوجود) التي تقضي بأن الله والعالم والانسان شيىء واحد، أو كما تقر هذه العلاقة نظرية وحدة (المصدر) التي تقضي بوجود حقيقة واحدة، ولاتهتم بالوجود الشخصي أو الجزئي.

وإنما علاقة الله بخلقه تقوم من خلال عبودية الانسان لالهه الخالق، وهي علاقة كما يقررها الاسلام علاقة مخلوق بخالق متنزه، بيده كل شيء وقادر على كل شيء.

وهكذا تتجلى العلاقة بين العقيدة في الاسلام والفطرة في وجدان الانسان، وهى العلاقة المتميزة بعبودية المخلوق لخالقه، وهذا هو البعد الحقيقي للانسان المسلم.

ومسؤولية وسائل الاعلام – سيما الصحافة منها – تتمحور في أن تقوم بالاجابة على هذه الاسئلة وكأنها مطروحة عليها بالفعل، تكشف وتبين وتذيع المضمون الاسلامي من خلال المنهج المتكامل

---

(١) د. عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام. ص ١٤٢

المقنع، بحيث يتحقق به للانسان الفرد والمجتمع أقصى درجات التوازن بين التساؤلات والاجابات، وبين المشكلات والحلول وبين التصورات والواقع، في كل ما يتصل بمسألة السلوك والفكر، والعلاقة بينهما وبين الكون المادي ومايحمله.(١)

فلا بدَّ من توجيه الانسان، وبيان كل الحقائق واذاعتها ونشرها بمختلف السبل والأساليب.

٤ - الصحافة ووظيفة تثبيت العقيدة:

إن الانسان حينما يعود الى نفسه بالتأمل والتدبر، يشعر بوجدان باطني يرتبط كل الارتباط بكيانه، ويعد مقوماً ضرورياً لطبيعته، ذلك هو ميله الشديد الى الاعتقاد في شيء أى شيء - وادراكه لضرورة التصديق ببعض القضايا والمسلمات التي لايستطيع عنها فكاكا، وليس في استطاعته أن ينفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة في نفسه. وعندما يعتقد الانسان بشيء - سواء كان هذا الشيء فكرة ذهنية أو موجوداً خارجياً أو شعوراً وجدانياً وحقيقة قلبية - عندئذ يحس هذا الانسان بشعور مؤكد، وهو أنه يملك من حرية الارادة ما يجعله مختاراً في قبول هذا المعتقد أو رفضه ... وذلك بمقدارماينكشف له من معانيه، وما ينطبع في ذهنه من آثار، وما يكون له في وجدانه من انفعال، ثم مايقوم له في قلبه من قداسة واعتبار.

وإذا كان الفيلسوف العربي المسلم (أبو الوليد بن رشد) يؤمن

(١) المصدر السابق صـ ١٤١

بحقيقة وهي: «أن الكون لا يخلو من إنسان وأن الانسانية لاتخلو من فيلسوف» فإن هذه الحقيقة إنما تمدنا بحقيقة أخرى ناتجه عنها ومتممة لها، بها تكمل للانسان انسانيته وتتحقق طبيعته وهي : «أن الانسان لا يخلو من عقيدة»

ويراد بالعقيدة هنا، أنه لابد للانسان من شيء يعرفه أو يؤمن به، مهما بعدت به تلك المعرفة أو ذلك الايمان عن الحقيقة وعن الواقع، ولايراد بها قالب معين لفكرة معينة ... وكل مايهمنا هنا تلمس مصدر هذه العقيدة والبحث عن منشئها في نفس الانسان ومدخلها الى قلبه ووجدانه(١)

جاء في شرح الطحاوية في العقيدة السلفية :

إن علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد الى هذا العلم فوق كل حاجة، وضرورتهم اليه فوق كل ضرورة.

إذ لاحياة للقلوب. ولانعيم ولا طمأنينة الا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه دون غيره من سائر خلقه.

ويصعب على العقول أن تستقل بمعرفة ذلك وادراكه على التفصيل، فأقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين واليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين ولمن خالفهم منذرين.

وجعل مفتاح دعوتهم وخلاصة رسالتهم معرفة المعبود بالوهيته

---

(١) أنظر. محمد بيصار. العقيدة والاخلاق. الطبعة الرابعة ــ ١٩٧٣م. بيروت ص ١٦.

وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها الى آخرها.

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أولهما : تعريف الطريق الموصل اليه، وهو شريعته المتضمنه لأمره ونهيه.

والثاني : تعريف السالكين مالهم بعد الوصول اليه من النعيم المقيم، لأن أعَّرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصل اليه. وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه. فسمى الله على ما أنزل على رسوله روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه ... فقال تعالى : ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[1]

وقال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي لـه مـا في السموات وما في الأرض آلا الى الله تصير الأمور﴾[2]

ولا روح الا فيما جاء به الرسول. ولانور الا في الاستضاءة به، وهو الشفاء كما قال تعـالى ﴿قـل هـو للذيـن أمنـوا هـدى وشفاء.﴾[3]

والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فلا هدى الافيما جاء

---

(١) سورة غافر الآية / ١٥.
(٢) سورة الشورى الآيتان ٥٢، ٥٣
(٣) سورة فصلت، الآية / ٤٤

به، فكل انسان يجب أن يؤمن بما جاء به الرسول ايماناً عاماً مجملاً، ولاريب أن معرفة ماجاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فذلك يكون ضمن تبليغ ما بعث الله به رسوله. وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادله بالتي هي أحسن، فهذا واجب على الكفاية منهم.

وما يجب على خاصتهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجاتهم ومعرفتهم، وما أمر به خاصتهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيق ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي المحدِّث والحاكم مالا يجب على من ليس كذلك.

وينبغى أن يعرف أن جميع من ضلَّ في هذا العلم (أصول الدين) أو عجز فيه عن معرفة الحق، إنما هو بسبب تفريطه في اتباع ماجاء به الرسول، وكذلك الصد عن الاستدلال الموصل الى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا[1]

يقول تعالى ﴿... فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا

---

(١) أنظر صدرالدين على الحنفي. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. تحقيق أحمد محمد شاكر. مكتبة الرياض صـ ٩ ــ ١١.

ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾[1] ومضى خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان، على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، يوصي به الأول الآخر ويقتدى فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مقتدون، وعلى منهاجه سائرون ... يقول تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى﴾[2] فإن كان قوله (ومن أتبعنى) معطوفاً على الضمير في (أدعو) فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة الى الله، وإن كان معطوفا على الضمير المنفصل، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم، وكلا المعنيين حق[3].

التوحيد أول دين للبشرية وأول دعوة الأنبياء والرسل:

إن توحيد الله عز وجل بأنه واحد لاشريك له كان أول دين عرفه الانسان، وأول دعوة الأنبياء والرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله.

(إن الله سبحانه لما أهبط آدم أبا البشر من الجنة لما له في ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفتها، فكان اهباطه منها عين كماله، ليعود اليها على أحسن أحواله فاراد سبحانه أن يذيقه وولده من نصيب الدنيا وغمومها وهمومها ما يعظم به

(١) سورة طه الآيات / ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.
(٢) سورة يوسف - الآية / ١٠٨
(٣) أنظر المصدر السابق شرح الطحاوية صـ ٢

عندهم مقدار دخولهم اليها في الدار الآخرة، فإن الضد يظهر حسنه الضد، ولو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدرها، وأيضا فأنه سبحانه إراد أمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم، وليست الجنة دار تكليف، فاهبطهم الى الأرض وعرضهم بذلك لأفضل الثواب الذي لم يكن لينال بدون الأمر والنهي.

قال تعالى ﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[1]

﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر الى حين ﴾[2]

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾[3].

وأيضا فأنه سبحانه أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسلا وأولياء وشهداء يحبهم ويحبونه فخلى بينهم وبين أعدائه، وأمتحنهم بهم، فلما آثروه وبذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته ومحابه، نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينالوا بدون ذلك أصلاً.

فدرجة الرسالة والنبوة والشهادة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه عنده من أفضل الدرجات، ولم يكن

---

(١) سورة البقرة – الآية / ٣٥

(٢) سورة البقرة – الآية/٣٦

(٣) سورة البقرة – الآية/٣٧

ينال هذا إلا على الوجه الذى قدره وقضاه من إهباطه إلى الأرض وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها.

قال تعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منها هدى فمن تبع هُداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[١].

كما أن حكمته سبحانه اقتضت أن ينزل آدم وذريته داراً يظهر عليهم فيها أثر أسمائه الحسنى فيغفر فيها لمن يشاء ويرحم من يشاء ويخفض ويرفع من يشاء ويعز ويذل من يشاء ويمنع ويبسط لمن يشاء إلى غير ذلك من ظهور أثر أسمائه وصفاته.

ثم إن الله سبحانه أنزلهم إلى دار يكون ايمانهم فيها بالغيب، والايمان بالغيب هو الايمان النافع، وأما الايمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع نفس إلا ايمانها في الدنيا. فلو خلقوا في دار النعيم لم ينالوا درجة الايمان بالغيب.

وأيضاً فإن الله سبحانه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، والأرض فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والكريم واللئيم، فعلم سبحانه أن في ظهره من لا يصلح لمساكنته في داره، فأنزله إلى دار استخرج فيها الطيب والخبيث من صلبه، ثم ميزهم سبحانه بدارين فجعل الطيبين أهل جواره ومساكنته في داره، وجعل الخبيث أهل دار الشقاء دار الخبثاء ... قال تعالى ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة – الآية/٣٨

(٢) سورة الأعراف – الآية/٢٤

وقال ﴿ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾(٢)

كما أن الله سبحانه لما قال للملائكة ﴿ إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ أجابهم بقوله ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾(٣)

ثم أظهر سبحانه علمه لعباده وللملائكته بما جعله في الأرض من خواص خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه ومن يتقرب اليه ويبذل نفسه في محبته ومرضاته مع مجاهدة شهوته وهواه(٤).

وقد قال تعالى بشأن الانسان الأول في حوار بينه وبين الملائكة ﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾(٥)

---

(١) سورة الأعراف – الآية / ٢٧

(٢) سورة الأنفال – الآية / ٣٧

(٣) سورة البقرة – الآية / ٣٠

(٤) أنظر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة. الجزء الأول. مكتبة الرياض الحديثة ــ ص٣،٤

(٥) سورة صـ – الآيتان / ٧١، ٧٢

تدلنا الأيات السابقة الى أن الصلة بين هذا الانسان الأول وبين القوة العليا بدأت منذ اللحظة التي تقرر فيها أن يعمر الأرض كائن جديد غير الكائنات الاخرى، كائن صنع على نحو خاص، ميزه تعالى عن بقية الكائنات بميزة لم تعط لكائن آخر غيره، وهى نفخه من روح الله، أى القلب والفؤاد الذي يعقل ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ ... فقعوا له ساجدين أي أعلنوا الولاء والطاعة بالسجود له، وهذا السجود لم يكن الا لما تميز به الانسان من روح الله، وهو القلب والفؤاد ولما لهذا العقل من امكانات وقدرات.

التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: إن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع [1]

أحدهما : الكلام في الصفات.

والثاني : توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والقلوب مفطورة على الاقرار به، أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات.

كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض .. ﴾[2].

وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال .

الثالث : توحيد الالوهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن

---

(١) انظر شرح الطحاوية مصدر سابق صـ ١٩

(٢) سورة ابراهيم – الآية /١٠

يعبد وحده لاشريك له. وهذا متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لايقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لايصلح أن يكون إلهاً .

قال تعالى ﴿ والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾[1] وقال ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكّرون﴾[2]. وقال ﴿ قل لوكان معه إلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾[3]..

التوحيد الذي دعت اليه الرسل :

إن التوحيد الذي دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان[4].

الأول : توحيد في الاثبات والمعرفة: وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[5] في ذلك كله كما أخبر عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح .. كما في سورة «الحديد» و «طـــه» وآخر «الحشر» وأول «السجدة – الم تنزيل» وأول «آل عمران «وسورة الاخلاص بكاملها، وغيرها من الآيات والسور .

---

(١) سورة النحل – الآية / ٢٠
(٢) سورة النحل – الآية / ١٧
(٣) سورة الاسراء – الآية / ٤٢
(٤) المصدر السابق ص ٢٩
(٥) سورة الشورى – الاية / ١١

والثاني : توحيد في الطلب والقصد : مثل ماتضمنته سورة ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ وأول سورة ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ وآخرها .

وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها. وأول سورة «الأعراف» وآخرها. وسورة «الأنعام». وغالب سور القرآن الكريم متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي، وإما أمر ونهي والزام بطاعة، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن اكرامه لأهل توحيده ومافعل بهم في الدنيا ومايكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك ومافعل بهم في الدنيا من أنكال ومافعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

ومايطلبه الاسلام من المسلم التصديق به كأساس لايمانه وكمال لعقيدته تجمعه كلمة الشهادة.. «أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله» التي هي عنوان لتحقيق جملة العقائد الاسلامية في قلب المسلم، وترجمة صادقة لما رسخ في نفسه واستقر في وجدانه عن إدراك واضح، ودليل قاطع، ويقين لايتزعزع من أنه «لامعبود بحق إلا الله» الواجب الوجود، الواحد المتفرد بالعبودية، وبكل صفات الكمال والجلال الذي لايشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه».

«كما أنها اعتراف صريح عن اذعان ويقين بأحقية رسالة محمد ﷺ بصدق ماجاء به من عقائد وأحكام .

فالاقرار بوحدانية الله يقتضي كمال الاعتقاد فيه سبحانه من جهتي الربوبية «الخلق والتربية» والألوهية «التفرد باستحقاقه للعبادة».

أما الاعتراف بأحقية رسالة محمد ﷺ فإنه يقتضي كمال الاعتقاد في أحقية القرآن والتصديق بكل ماجاء به وأخبر عنه من رسل الله وملائكته وكتبه واليوم الآخر [1] .

قال تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[2] وقال ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾[3]

٥ ـ أصول العقيدة الإسلامية :

عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال «من شهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وإن الجنة حق والنار حق، ادخله الله الجنة على ماكان عليه من العمل»[4]

---

(١) محمد بيصار. العقيدة والأخلاق ص ١٠٧، ١٠٨.
(٢) سورة البقرة - الآية / ٢٨٥
(٣) سورة البقرة - الآية / ١٧٧
(٤) أخرجه مسلم. كتاب الايمان. الباب / ١٠ - باب من مات على التوحيد دخل الجنة .

فهذا الحديث يتضمن الأصول الثلاثة للعقيدة الاسلامية التي أوجب الاسلام على المسلم معرفتها، والايمان بها لتكتب له النجاة في الآخرة. وهي :

١ ــ معرفة الله تعالى وصفاته والايمان بهما، ويطلق على جملة المباحث المتعلقة به اسم (الآلهيات) .

٢ ــ معرفة الواسطة بين الله وعباده. وهي الايمان برسل الله وملائكته وكتبه وماجاءت به من تشريعات وتكاليف، ويطلق على جملة المباحث المتعلقة به (اسم النبوات) .

٣ ــ معرفة البعث والحساب والجزاء والايمان بها، ويطلق على المباحث المتعلقة بها اسم (السمعيات)[1]

الأركان الخمسة هي الأسس العملية والنظرية للاسلام كله .

إن الشهادتين هما الأساس العملي والنظري لكل ماعداها من الاسلام، فالانسان الذي لايشهد أنه لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله لايلتزم بالاسلام .

ولذلك كانت الشهادتان الركن الأول والأساسي لأركان الاسلام من جهة وأساس للاسلام كله من جهة ثانية .

بل أنه إذا كان الاسلام لا يقوم بلا أركان، فإن الاسلام وأركانه الأربعة لايقومان بلا شهادتين بل لايكون موجودا أصلاً، فالشهادتان بمثابة الروح للجسد، فكما أن كل ذرة من ذرات الجسد لاتكون بها حياة إلا بالروح فكذلك لاإله إلا الله محمد رسول الله

(١) محمد بيصار. المصدر السابق ص ١٠٩

هي حياة كل جزء من أجزاء الاسلام، فأي عمل يعمله الانسان من الاسلام لايكون نابعاً من هذا الأساس والأصول يعتبر ميتاً بل هو في ميزان الله معدوم .

وبهذا فإن أعمال الكافرين لاقيمة لها عند الله ولو كانت صالحة لأنها ميتة لا حياة فيها. يقول الله تعالى ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾[1] بل حتى المسلم إذا عمل عملا مهما كان صالحاً و لم يكن في عمله روح الشهادتين فلم يقبل منه هذا.

قال الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو أمرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه»[2] .

وكما اسلفت سابقاً فإن هاتين الشهادتين لاتنفصل إحداهما عن الأخرى، إن شهادة أن لاإله إلا الله تتممها شهادة أن محمداً رسول الله . حيث أن شهادة أن لاإله إلا الله تقتضي سلوكا معنوياً ومعاني معينة ولها حقوق وعلى صاحبها واجبات ولصاحبها جزاؤه. وعلى تاركها عقابه، وهذا كله لايعرف إلا بواسطة الرسول الذي هو رسول الله حقاً فالتكامل أو التلازم بينهما كبير .

معرفة الرسول شرط لمعرفة الله تعالى :

إن الانسان لايستطيع القيام بلوازم «لاإله إلا الله» إلا إذا

---

(١) سورة الفرقان - الآية / ٢٣

(٢) رواه البخاري (كتاب الايمان / الباب ٤١ - ماجاء في أن الأعمال بالنية)

عرف رسوله وتعرف بواسطة رسوله على الطريق الذي يجب أن يسير عليه لتحقيق لوازم وحدانية الله هذه، وبدون ذلك يظل الانسان في متاهات الضلال الكبير البعيد الذي لايعرف معه سيراً ينسجم مع وضعه، ويصل به إلى الهدف مبتدئاً من بداياتها الصحيحة. فمعرفة الرسول شرط لمعرفة الله إذ لايقوم أحد بحق الله إلا إذا عرف رسوله.

ولذلك حكم الله بكفر من لم يؤمن بالرسول الذي يرسله للناس بعد أن أقام الحجة على الناس برسالته .

قال الله تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله * ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً... ﴾(١)

الايمان بالغيب : ويتبع الايمان بالشهادتين والنطق بهما، الايمان بالغيب الذي أخبرنا عنه الله بواسطة رسوله وأصول هذا الايمان أو أركانه «الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره من الله» وهذه كلها تدخل ضمناً بالشهادتين، فالمؤمن بالشهادتين كان إيمانه بها في الحقيقة ايمانا بكل أركان الايمان الأخرى، ولذلك يكتفي من الانسان إذا أراد الدخول بالاسلام أن يقول أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ويعتبر ذلك من المؤمنين إن كان صادقاً (٢) .

فكلمة (لاإله إلا الله)- إقرار لله بالوحدانية ﴿ وقال الله

(١) سورة النساء – الآيتان / ١٥٠، ١٥١

(٢) أنظر سعيد حوى. الاسلام. الطبعة الأولى. ص ١٩ – ٢٦

لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأياي فارهبون ﴾[1]
فلا معبود سواه، هو المدبر وهو الخالق وهو الرازق وهو على كل شيء قدير.

وكلمة (محمد رسول الله) لايتم الاسلام إلا بها والتصديق بما جاء به (والايمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل) .

آثار « لاإله إلا الله محمد رسول الله » في المجتمع المسلم :

قدّم لنا سيد قطب رحمه الله في كتابه معالم في الطريق بحثاً قيماً تحت عنوان «لاإله إلا الله منهج حياة» أعرض منه هنا النص التالي :

العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الاسلامية المتمثل في شهادة «أن لاإله إلا الله» والتلقي عن رسول الله ﷺ في كيفية هذه العبودية هو شطرها الثاني، المتمثل في شهادة «أن محمداً رسول الله» .

والقلب المؤمن المسلم، هو الذي تتمثل فيه هذه القاعدة بشطريها، لأن كل ما بعدهما من مقومات الايمان. وأركان الاسلام، إنما هو مقتضٍ لها، فالايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره، وكذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج ثم الحدود والتعازير والحل والحرمة والمعاملات والتشريعات والتوجيهات الاسلامية، إنما تقوم كلها على قاعدة العبودية لله وحده، كما أن المرجع فيها كلها هو ما بلّغه لنا رسول الله ﷺ عن ربه .

(١) سورة النحل – الآية / ٥١

والمجتمع المسلم هو الذي تتمثل فيه تلك القاعدة ومقتضياتها جميعاً، لأنه بغير تمثل تلك القاعدة ومقتضياتها فيه لايكون مسلماً ومن ثم تصبح شهادة «أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها، فلا تقوم هذه الحياة قبل أن تقوم هذه القاعدة، كما أنها لاتكون حياة اسلامية إذا قامت على غير هذه القاعدة.

أو قامت على قاعدة أخرى معها، أو عدة قواعد أجنبية عنها:

﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم .. ﴾[1]

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[2]

هذا التقرير الموجز المطلق الحاسم يفيدنا في تحديد كلمة الفصل في قضايا أساسية في حقيقة هذا الدين، وفي حركته الواقعية كذلك:

ــ إنه يفيدنا أولاً في تحديد «طبيعة المجتمع المسلم».

ــ ويفيدنا ثانياً في تحديد « منهج نشأة المجتمع المسلم ».

ــ ويفيدنا ثالثاً في تحديد « منهج الاسلام في مواجهة المجتمعات الجاهلية ».

ــ ويفيدنا رابعاً في تحديد « منهج الاسلام في مواجهة واقع الحياة البشرية ».

وهي قضايا أساسية بالغة الخطورة في منهج الحركة الاسلامية قديماً وحديثاً.

---

(١) سورة يوسف - الآية ٤٠

(٢) سورة النساء. الآية ٨٠

[يلزم أن يعمل بها كل مسلم، وأن تجند لـه كل وسيلـة شريفة، فالمسلم مكلف بحياطة حركته بمنهج لاإله إلا الله، والصحافة أداة يجب أن تخدم هذا] .

المجتمع المسلم : إن السمة الأولى المميزة لطبيعة المجتمع المسلم، هي أن هذا المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في أمره كله.. هذه العبودية التي تمثلها وتكفيها شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وتتمثل هذه العبودية في التصور الاعتقادي، كما تتمثل في الشعائر التعبدية، كما تتمثل في الشرائع القانونية .

ــ فليس عبداً لله وحده من لايعتقد بوحدانية الله سبحانه : ﴿ وقال الله لاتتخذوا الٰهين اثنين إنما هو إله واحد فاياي فارهبون * وله مافي السماوات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ؟ ﴾[1]

ــ ليس عبدا لله وحده من يتقدم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله، معه أو من دونه. ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[2]

ــ وليس عبدا لله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحد سوى الله، عن الطريق الذي بلغنا الله به، وهو رسول الله ﷺ : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله؟ ﴾ [3]
﴿ وماأتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فأنتهوا ﴾[4]

---

(١) سورة النحل – الآيتان ٥١، ٥٢
(٢) سورة الأنعام – الآيتان ١٦٢، ١٦٣
(٣) سورة الشورى – الآية ٢١
(٤) سورة الحشر – الآية ٧

هذا هو المجتمع المسلم، المجتمع الذي تتمثل العبودية لله وحده في معتقدات أفراده وتصوراتهم، كما تتمثل في شعائرهم وعبادتهم، كما تتمثل في نظامهم الجماعي وتشريعاتهم، وأيما جانب من هذه الجوانب تخلف عن الوجود فقد تخلف الاسلام نفسه عن الوجود لتخلف ركنه الأول، وهو شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله"[1]

ـ وماقرأناه في كتاب الاسلام للأستاذ الداعية سعيد حوى والمقتطفات التي أوردناها من كتاب المعالم لشهيد الاسلام سيد قطب، كلاهما يؤكد على معنى لاإله إلا الله محمد رسول الله. وشمولية هذه لما يجب أن يعتقده المسلم ويؤمن به إيماناً كاملا مترجماً ماأشتملت عليه الشهادتين في واقعه من عباداته ومعاملاته في سلوكياته وأخلاقياته .

ويوم أن يلتزم المسلم حقا ويعمل قولا وفعلا ويطبقها على نفسه وبيته ومجتمعه. يكون للشهادتين فاهماً، ولمعناهما مطبقاً، ولله عابداً قانتاً .

٦ ـ كيف ينشأ المجتمع المسلم ؟ ومامنهج هذه النشأة ؟

إن هذا المجتمع لايقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله في العبادات والشعائر ولا تدين بالعبودية لغير الله في النظم والشرائع. ثم تشرع فعلا في تنظيم حياتها كلها على أساس هذه العبودية الخالصة، أما قبل أن يقرر جماعة من الناس اخلاص عبوديتهم لله على هذه

(١) سيد قطب. معالم في الطريق ص ٨٣ - ٨٥

الصورة فانهم لايكونون مسلمين.. وأما قبل أن ينظموا حياتهم على هذا الأساس فلا يكون مجتمعهم مسلماً. وذلك لأن القاعدة الأساسية التي تقوم عليها شريعة الأسلام والمجتمع المسلم، هي « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » لم تقم بشطريها .

إستطـــراد : على ضوء ما تقدم فإن من مهام الصحافة الاسلامية في هذا الصدد وقبل التفكير في إقامة نظام اجتماعي اسلامي وإقامة مجتمع مسلم على أساس هذا النظام، هو أن يتجه اهتمامها «الصحافة» أولا بالدعوة إلى تخليص ضمائر الأفراد من العبودية لغير الله في أي صورة كانت وأن تدعو إلى أن يجتمع هؤلاء الأفراد الذين تخلص ضمائرهم من العبودية لغير الله في جماعة مسلمة.. وهذه الجماعة التي خلصت ضمائر أفرادها من العبودية لغير الله اعتقادا وعبادة وشريعة هي التي ينشأ منها المجتمع المسلم، وبالتالي الدعوة إلى الالتحاق والانضمام لهذه الجماعة، لكل من يريد أن يعيش في هذا المجتمع بعقيدته وشريعته التي تتمثل فيها العبودية لله وحده .

وبطبيعة الأمر أن المجتمع المسلم إنما ينشأ من انتقال أفراد ومجموعات من الناس من العبودية لغير الله – معه أو من دونه – إلى العبودية لله وحده بلا شريك، ثم من تقرير هذه المجموعات أن تقيم نظام حياتها على أساس هذه العبودية .

فعندئذ يتم ميلاد جديد لمجتمع جديد مشتق من المجتمع الجاهلي القديم ومواجه له بعقيدة جديدة ونظام للحياة جديد، يقوم على أساس هذه العقيدة، وتتمثل فيه قاعدة الاسلام الأساسية بشطريها « شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

وقد ينضم المجتمع الجاهلي القديم بكامله إلى المجتمع الاسلامي الجديد، وقد لا ينضم كما أنه قد يهادن المجتمع المسلم الجديد أو يحاربه فلا بدّ إذاً للمجتمع المسلم كي يتقرر وجوده، أن يتسلح بكل مايستطيع من أنواع القوة، ليقف بوجه ضغط المجتمع الجاهلي القديم، قوة في الاعتقاد والتصور، وقوة في الخلق والبناء الذاتي، وقوة في التنظيم والبناء الجماعي خاصة إذا عرفنا بأن السنة قد جرت بأن يشن المجتمع الجاهلي حرباً لاهوادة فيها - سواء على طلائع هذا المجتمع في مرحلة نشوئه أو بعد قيامه فعلا - وهو ماحدث في تاريخ الدعوة الاسلامية منذ نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام. بدون استثناء.[1]

ماالمجتمع الجاهلي ؟ ومامنهج الاسلام في مواجهته ؟

المقصود بالمجتمع الجاهلي، هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم، بعبارة أوضح هو كل مجتمع لايخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر التعبدية وفي الشرائع القانونية .

وعلى ضوء هذا التعريف يدخل ضمن إطار هذا المجتمع الجاهلي، جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض :

الشيوعية بالحادها في الله تعالى وبانكار وجوده أصلا، ورجع الفاعلية والخلق في هذا الوجود إلى «المادة» أو الطبيعة ورجع الفاعلية في

---

(١) أنظر سيد قطب. معالم في الطريق ص ٨٦ - ٨٧

حياة الانسان وتأريخه الى «الاقتصاد» أو «أدوات الانتاج». ثم باقامة نظام العبودية فيه للحزب، فهي مجتمع جاهلي .

الوثنيـــة : وهي ماتزال قائمة في الهند واليابان والفلبين وأفريقيا مجتمع جاهلي.. أولا بتصورها الاعتقادي القائم على تأليه غير الله معه أو من دونه، وثانيا بتقديم الشعائر التعبدية لمختلف الألهة والمعبودات التي تعتقد بألوهيتها وما تقوم به من أنظمة وشرائع المرجع فيها لغير الله وشريعته .

وتدخل ضمن المجتمع الجاهلي – المجتمعات **اليهودية والنصرانية** في أرجاء الأرض كافة، تدخل في تصورها الاعتقادي المحرف الذي لايفرد الله سبحانه – بالألوهية – بل يجعل له شركاء في صورة من صور الشرك، سواء بالبنوة أو بالتثليث. أو بتصور الله سبحانه على غير حقيقته، وتصور علاقة خلقه به على غير حقيقتها. وتدخل فيه كذلك بشعائرها التعبدية ومراسمها وطقوسها المنبثقة من التصورات الاعتقادية المنحرفة الضالة. ثم بأنظمتها وشرائعها، وهي كلها لاتقوم على العبودية لله وحده بالاقرار له وحده بحق الحاكمية واستمداد السلطان من شرعه، بل تقيم هيئات من البشر لها حق الحاكمية العليا التي لا تكون الا لله تعالى .

مجتمعات تزعم أنها «مسلمة»: ويدخل ضمن إطار المجتمع الجاهلي هذه المجتمعات لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها، فهي – وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله – تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فنراها تدين بحاكمية غير الله فتأخذ

من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمها ومبادئها وتقاليدها وثقافاتها وربما جميع مقومات الحياة .

يقول تعالى عن الحاكمين : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[1]

ويقول عن المحكومين ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به .. ﴾ [2] إلى أن يقول ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [3].

ــ ثم أن بعض هذه المجتمعات يعلن صراحة – علمانيته – ولاعلاقة له بالدين أصلا – وبعضها يعلن أنه «يحترم الدين» ولكنه يخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلاً ويدعي أنه ينكر الغيبية، ويقيم نظامه على العلمية بدعوى أن العلمية تناقض الغيبية، وهي دعوى لايدعيها إلا الجُهّـال .

والبعض يجعل الحاكمية الفعلية لغير الله تعالى. ويشرع مايحلو له ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه، هذه شريعة الله وكلها سواء في كونها لاتقوم على العبودية لله وحده [4]

و«المؤلف» يذهب إلى ما ذهب إليه الشهيد سيد قطب في بيان صور المجتمع الجاهلي .. مضيفاً إن ساحتنا العربية الإسلامية

(١) سورة المائدة – الآية ٤٤

(٢) سورة النساء – الآية ٦٠

(٣) سورة النساء – الآية ٦٥ .

(٤) أنظر سيد قطب – معالم في الطريق ص ٨٨ – ٩٣

لا تخلو اليوم من هذه الصور أو الأوصاف الخاصة بالمجتمعات الجاهلية .. فما أكثر الحاكمين .. وما أكثر ذلك الصنف من الاتباع والمهادنين والمنافقين .. ومن وعاظ السلاطين والطواغيت، بمختلف صورهم - أفراداً أو احزاباً ومنظمات - إن من مسلمات الإيمان بالله واتباع شرعه هو الكفر بالطاغوت أولاً .. فكيف الحال بهؤلاء وأولئك من الطواغيت وأتباعهم .. إنهم بهذا يشكلون صورة من صور المجتمع الجاهلي لا محالة .. رغم زعمهم أنهم مسلمون وأن مجتمعاتهم مسلمة .. يقول تعالي: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ..﴾[1].

خــــلاصة :

نخلص من العرض السابق إلى أن المجتمع الجاهلي قد يتمثل في صور شتى «كلها جاهلية». قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود الله تعالى ويفسر التاريخ تفسيراً مادياً جدلياً ويطبق مايدعيه «الاشتراكية العلمية» نظاما .

ثم أنه قد يتمثل في مجتمع لاينكر وجود الله تعالى، ولكن يجعل له ملكوت السموات ويعزله عن ملكوت الأرض فلا يطبق شريعته في نظام الحياة ولايحكم قيمه التي جعلها هو قيماً ثابتة في حياة البشر، ويبيح للناس أن يعبدوا الله في الكنائس والمساجد ولكنه يحرم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة الله في حياتهم، وهو بهذا ينكر

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢٥٦

أو يعطل ألوهية الله في الأرض التي ينص عليها قوله تعالى ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله .. ﴾[1]

وبالتالي لم يكن هذا المجتمع إسلامياً في دين الله الذي يحدده قوله ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم .. ﴾[2] فهو إذاً مجتمع جاهلي ولو أقر بوجود الله سبحانه ولو ترك الناس يقدمون الشعائر لله في الكنائس والمساجد .

ومهمة الصحافة الاسلامية أن توضح الطريق إلى الله وتكشف كل أسباب البعد عن هذا الطريق وتزين وتجمل طريق الحق بالحقيقة، وتقبح الشرك والجاهلية والضلال، وأن تطرح مفهوم العقيدة بأسلوب علمي وتكشف للتائهين الذين يعيشون على مفترق الطرق تأخذ بأيديهم وتنير بصائرهم، وتذكرهم بفطرتهم - كما سيجيء — .

وإن وسائل الجاهلية المعاصرة - أو السائدة الآن - لمعول هدم وماأحرى صحافتنا أن تأخذ دورها وتؤدي مهمتها، وتأخذ بأيدي أبناء الاسلام لتردهم إلى فطرتهم، وتربطهم بدينهم .

يقول تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾[3]

٧ — رابطة العقيدة وأثرها في توجيه الفرد والمجتمع بوجه عام :

ليس من المعقول أو للمعهود أن شخصاً ما، يكون على عقيدة

(١) سورة الزخرف - الآية / ٨٤
(٢) سورة يوسف - الآية / ٤٠
(٣) سورة الأحزاب - الآية / ٧٢

معينة، ويرسخ ايمانه بدين خاص، ثم تأتي تصرفاته مخالفة لمبادىء هذه العقيدة أو يأتي تصرفه وسلوكه مخالفاً لتعاليم هذا الدين ومتنكراً لأوامره ونواهيه، إلا إذا كان اعتقاده زائفاً أو تدينه ظاهرياً فقط أو ايمانه بهذا المعتقد مجرد تقليد للآخرين من غير تصديق قلبي أو رضا نفسي يصل به إلى حد اليقين.

أما إذا وصل بمعتقده إلى درجة التصديق الجازم، والايمان الراسخ وبلغ تدينه بهذا المعتقد أو هذا الدين إلى حد الاقتناع المبنى على الرضا والقبول والتسليم بكل ماجاء به هذا الدين، فإنه عندئذ يستحيل عليه أن يخالف هذا الدين أو يناقض مقتضى العقيدة.(١)

إن عقيدتنا الاسلامية تمر اليوم وبكل أسف ومرارة بمحنة كبيرة، يشاركها في هذا الخلق، وقبل أن ندعم أياً منهما، يجب علينا أولا أن ننهي هذه المحنة بل يجب أن نكون أكثر جرأة فنقرر أن العقيدة والأخلاق في مجتمعاتنا العربية الاسلامية تعيشان في غربة عن الاسلام الصحيح الذي رضيه الله لعباده ديناً، وهذا إذا نظرنا إلى واقع الحال بنظرة عامة لا خاصة.

فمن مظاهر الانحراف الاجتماعي في المجتمعات العربية الاسلامية المعاصرة اختلال رابطة العقيدة بين أبناء المجتمع الواحد. وبناء العلاقات الاجتماعية على أسس مصلحية وروابط عابرة تنتهي بانتهاء المصلحة.

---

(١) د. محمد بيصار. العقيدة والاخلاق ص ٧٠

رابطة العقيدة الاسلامية بوجه خاص :

وعقيدتنا الاسلامية تحرص دائما على أن تكون العلاقات المقامة بين أفراد المجتمع المسلم مبنية على أسس دينية لاغير، ليكون هذا المجتمع أهلاً لخلافة الله في الأرض. ويكون لهذا البناء الفاعلية المطلقة في تقدم المجتمع ورقيه في مختلف مناحي الحياة الانسانية، ويبعث فيه روح العمل للسمو بالانسان في معارفه ومداركه وجوهر حياته إلى مايقربه من هذه العقيدة... وتحضه على ممارسة الشعائر الدينية وعلى اتيان فضائل الأعمال واجتناب رذائلها بل ستقوده إلى النجاح والتوفيق والنصر فيما يأتي من أعمال، وستضمن له الفلاح فيما يعرض له من مشروعات عمرانية أو أدبية، لأن هذه العقيدة ستمده بطاقات جديدة خلاّقة من الثقة بالنفس والاعتماد عليها والايمان بوصوله إلى غايته وبلوغ بغيته مؤيداً في ذلك كله بمدد الهي.

إن رابطة العقيدة هي الرابطة الوحيدة التي تربط المسلم بغيره من المسلمين ولذلك اعتبر الله سبحانه وتعالى سيدنا نوح عليه السلام قد خالف سنة الله عندما طلب من الله سبحانه أن ينقذ ابنه من الغرق بحجة أنه من أهله ﴿ ونادى نوح ربه فقال: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال ربِ إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم والاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾[1]

---

(١) سورة هود – الآيات / ٤٥، ٤٦، ٤٧

فالعلاقة تنتهي بين الأب والأبن إذا اختار أحدهما الكفر على الايمان، وتكون الرابطة شكلية فقط، وخاصة من قبل الأبن إلى الأب ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا .. ﴾[1] وفي سورة أخرى ﴿ وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما .. ﴾[2]

فالله سبحانه وتعالى أراد أن تكون العلاقة عقديه حتى بين الأب والأبن، رغم قوة هذه العلاقة من حيث الأبوة والبنوة، وقد وضحها الله في مثال إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه وماحدث بينهم من نفار، خاصة بعد أن رفض والد إبراهيم أن يستجيب لنداء الله الذي دعاه اليه أبنه فقرر أبنه إبراهيم أن يعتزله ويعتزل المجتمع كله ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا * وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾[3]

والعلاقة بين الزوج والزوجة أيضا يجب أن تكون علاقة مبنية على أساس العقيدة، ويضرب الله مثلا لذلك زوجة نوح وزوجة لوط، وللنساء الصالحات زوجة فرعون التي طلبت من الله أن ينجيها من فرعون وعمله .

فهكذا تكون العلاقة بين الفرد والمجتمع، علاقة عقديه، وبخاصة إذا كان الفرد ضمن مجموعة مؤمنة، والمجتمع يحاربهم، فالبراءة من

---

(١) سورة لقمان - الآية / ١٥
(٢) سورة العنكبوت - الآية / ٨
(٣) سورة مريم - الآيتان / ٤٧، ٤٨

المجتمع ضرورة عقدية لتحصل بين الطرفين مفاصلة بعد اقامة الحجة على المجتمع ... يقول الله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .. ﴾(١)

وقد ضرب الله تعالى هذه الأمثلة للرسول ﷺ ولأصحابه، لتكون درساً وعبرة لهم في صراعهم مع الجاهلية الأولى التي كانت تقيم لرابطة الدم والنسب والعرق واللغة أهمية كبرى، فجاء الاسلام ليقرر أن الآصرة التي تربط المسلمين ببعضهم ليست رابطة العرق ولا الجنس ولا اللسان ولا الدم ولا النسب ولا المصالح المادية، إذ من السهل إقامة مثل هذه العلاقات في المجتمع، ونراها متفشية في مجتمعاتنا المعاصرة، ولكن من الصعب أن تستمر مثل هذه العلاقات، وأقرب مثال وأوضحه على ذلك أن الدول العربية من المحيط إلى الخليج تتكلم لغة واحدة، وتنتمي إلى عرق واحد وأصل واحد وتدعي أنها تدين بدين واحد، وبينها مصالح مشتركة، ومع هذا فالانسان يخجل كثيراً أن يذكر مابينها من عداء وتناحر مستمر وفرقة دائمة ومتزايدة .

ألا يرجع سبب هذا إلى إنعدام الآصرة العقدية واختلال العقيدة في النفوس ؟.

في حين نرى وفي هذا الوقت بالذات أن العلاقة بين بعض الدول العربية ودول العالم الاسلامي - غير العربية - هي أقوى

(١) سورة الممتحنة - الآية / ٤

بكثير من علاقة هذا البعض مع البعض الآخر من شقيقاته العربيات، وأعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى تفصيل أو تحديد فهو أمر ملموس وواضح لكل ذي بصيرة، وتذبذب العلاقات العربية بين الحين والآخر وعدم استقرارها على حال - حسب الاهواء - هو أيضاً واقع معاش .

يقول الله عز وجل ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدّهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون ﴾(١)

يقول ﴿ يأأيها الذين آمنوا لاتتخذوا أباءكم واخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾(٢)

فلقد أنزل الله سبحانه وتعالى في شأن أبي عبيدة بن الجراح وشأن أبيه الآيات السابقات .

كان عامر بن عبدالله بن الجراح الفهري القرشي، المكنى بأبي عبيدة، من السابقين الأولين إلى الاسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لاسلام أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، وقد عاش أبو عبيدة تجربة المسلمين القاسية في مكة منذ بدايتها إلى نهايتها، وثبت للابتلاء والاختبار لكن محنة أبي عبيدة يوم بدر فاقت حسبان الحاسبين وتجاوزت كل خيال، فانطلق يوم بدر يصول ويجول بين الصفوف،

(١) سورة المجادلة - الآية / ٢٢
(٢) سورة التوبة - الآية / ٢٣

وهابه المشركون وفرسانهم إلا رجلاً واحداً منهم جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه ويلح في الهجوم لكن أبا عبيدة يتنحى عنه في كل مرة يواجهه فيها، بل وسد على أبي عبيدة المسالك ووقف حائلاً بينه وبين قتال أعداء الله، فضاق به ذرعاً وضرب رأسه بالسيف ضربة فلقت هامته فلقتين فخر صريعاً بين يديه، إنه عبدالله بن الجراح والد أبي عبيدة، فأبو عبيدة لم يقتل أباه وإنما قتل الشرك في شخص أبيه .

وقد ورد في تفسير ابن كثير[1] أنزلت هذه الآية ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ... إلى أخرها ﴾ في أبي عبيدة عامر بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضى الله عنهم، ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته، وقيل في قوله تعالى ﴿ ولو كانوا أباءهم .. الآية ﴾ نزلت في أُبي بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ﴿ أوعشيرتهم .. ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضا، وفي حمزة وعلي وعبيده بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ .

من هنا تتجلى قوة إيمان أبي عبيدة بالله ونصحه لدينه، وأمانته على أمة محمد، فقد قال فيه الرسول الكريم ﷺ «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيده[2] » كما تتجلى قوة تلك العقيدة لدى

---

(١) الجزء الرابع ص ٣٢٩

(٢) رواه الترمذي برقم / ٣٧٩٣ و ٣٧٩٤ في المناقب – باب مناقب معاذ وزيد وأُبي بن كعب وأبي عبيدة، وقال هذا حديث حسن صحيح (كما في جامع الأصول) الجزء / ٨ ص ٥٦٧

أصحاب رسول الله التي لاتقوم على رابطة العرق أو الجنس أو الدم أو النسب، إنها رابطة العقيدة الاسلامية .

فالقرآن الكريم يأمر بمباينة الكفار بالله تعالى، وإن كانوا أباءً وأبناءً وأخوة، ونهى عن موالاتهم إن استحبوا - أي أختاروا - الكفر على الايمان .

يقول تعالى ﴿ قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾[1].

كما ثبت في الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال «والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين»[2] .

كما أن «المؤاخاة» في الله ودينه هي الاخرى كانت أساساً قوياً تربط أبناء العقيدة الواحدة، قال تعالى: «إنما المؤمنون أخوة» يعني في التواد وشمول الدعوة، والرسول الكريم ﷺ آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على أساس من العقيدة لا على أساس العرق أو الجنس أو الحسب والنسب، حيث قال ﷺ « تآخوا

(١) سورة التوبة - الآية/٢٤

(٢) رواه مسلم حـ ١ في كتاب / ١ باب / ١٦ - كتاب الايمان . باب وجوب محبة الرسول، والبخاري / حـ ١ كتاب / ٢ - كتاب الايمان باب / ٨ (حب الرسول ﷺ من الايمان) .

في الله أخويّن أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال هذا أخي »[1].

فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولانظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين. وكان حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين. وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زهير أخوين. وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين. ومصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بن النجار أخوين. وبلال وأبو رويحه أخوين... «فهؤلاء وغيرهم ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه»[2] .

وهكذا يركز القرآن الكريم على قضية رابطة العقيدة بين الناس، حتى أنه يعتبر الذين يقيمون العلاقة على أساس غير عقدي من الكافرين، وينفي عنهم الايمان.

ثم أن العقيدة لها ارتباط بعنصر يكون فيه الانسان مميزاً عن الحيوان، ألا وهو الاختيار والإرادة... فالانسان يملك أن يختار عقيدته ودينه ويقرر نوع المجتمع الذي يرغب في العيش فيه إذا بلغ الحلم، ولكنه لايملك أن يقرر جنسه ودمه ونسبه ولونه وقومه، فمن أجل

---

(١) بحثت عن الحديث في كتب السنة و لم أجد تخريجا له. ولكن ورد في كتاب« فقه السيره» للغزالي ص ١٩٥ - الهامش - بأنه حديث موضوع .

(٢) للاستزاده من معرفة أسماء المهاجرين والأنصار - الذين آخى بينهم الرسول الكريم يراجع كتاب السيرة النبوية لابن هشام - المجلد الثاني - طبعة بيروت - ص ١٥٠ .

الحفاظ على أخص خصائص الانسان ومايميزه عن الحيوان جعل الله تعالى «العقيدة» هي الرابطة التي تجمع الناس من شتى الأقطار والألوان واللغات لينصهروا جميعاً في بوتقة العقيدة، لافضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أحمر أو أسود إلا بالتقوى، في هذه البوتقة العقدية تتآلف كل الأجناس والعناصر لتكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولقد حرص أعداء الاسلام على محو هذه الرابطة من النفوس وتفننوا في أساليب القضاء عليها لأنهم يدركون قوتها وقيمتها في تأليف وتوحيد القلوب .

إذن نحن اليوم – أكثر من أي وقت مضى – في حاجة أولا وقبل كل شيء إلى وجود حقيقي للعقيدة والأخلاق في المجتمعات الاسلامية، ثم تأتي المرحلة التالية مرحلة التدعيم والحفاظ على البناء العقدي والخلقي، ومن أجل تحقيق ذلك يجدر بالصحافة أن تأخذ بنظر الاعتبار اختيار الموضوعات الاسلامية، بحيث يتوافر عنصر الملاءمة، وأن تعرض مبادىء العقيدة في وضوح ويسر، وأن تحّول المثل الأخلاقية إلى حوار سهل جذاب يسهم في بلوغ الهدف، وإذا كان من الضروري أن تبرز الصحافة القواعد المتينة في بناء العقيدة والأخلاق، فمن الضروري أيضا أن تتصدى للعوامل التي تعرضهما للاهتزاز في نظر شبابنا المسلم، فهذه العوامل صور من التحدي للعقيدة والأخلاق التي تتسلل الينا من الفكر اليهودي والفكر الصليبي والفكر الماركسي الالحادي، ومما ينضوي تحت هذه الأفكار من نظريات أو مسميات الوطنية والقومية والاشتراكية .

٨ ــ أهمية الترويج للثقافة الاسلامية ونشرها :

مما لاشك فيه أن ثقافة أي أمة يجب أن تقوم على أساس من القيم التي تسود مجتمعها، وهي قيم وثيقة الصلة بالعقيدة والفكر والسلوك ونمط الحياة ووجهة الحركة وتحديد الهدف.

لكي تكون الثقافة الإسلامية صورة حية للأمة، تحدد ملامح شخصيتها وتضبط اتجاهات سيرها في الحياة وأهدافها فيها، وتصدر عن عقيدتها ومبادئها ونظمها وتأريخها وتراثها، لكي تكون هكذا ينبغي أن يكون في طليعة ماتهتم به الصحافة ويهتم به الصحفيون أن يحولوها من نظر مجرد إلى واقع حي ملموس، وأن يصلوا حياة الناس بها، حتى تكون مصدراً لفكرهم وشعورهم، وطابعاً لسلوكهم وطريقة حياتهم.(١)

الدعامات التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية :

ترتكز الثقافة الإسلامية على دعامتين أساسيتين، هما العقيدة والفطرة :

فالعقيدة الإسلامية في معناها المتسع وآفاقها البعيدة هي: عقيدة التوحيد ومنهج الاستقامة والحق وشرعة الخير والهدى، بها يرسم المسلم الخطة القويمة للسير، ويسلك السبيل الأقوم في الحياة لبلوغ أسس الغايات .

وأبرز مافيها أنها تتلائم وفطرة الانسان وتطلعاته وأشواقه،

---

(١) أنظر، عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الاسلامية طبعة/ ١٩٧٣م بيروت ص ٢٥ .

وتكون البناء الفكري لعقلية المسلم والباعث النفسي لسلوكه، وعلى أساس فلسفتها يبني نظام حياته في المجالات كافتها .

فعندما تشتد الأزمات وتدلهم الحياة وتحتد خطوبها، ويتألب الشر وتتضافر قواه. وتجد الأمة الإسلامية نفسها على مفترق الطرق حائرة، فإن الرائد الذي يقودها نحو وجهة الخير والعزة والنصر، ويدفعها الى مواجهة واقتحام العقبات ويغريها على تحمل الأعباء واستبدال الدعة والراحة وبحبوحة العيش وماقد يتبعها من ذل وضعف وهزيمة باليقظة المستمرة، واحتمال المشاق والأقدام على أخطار الموت، وما يتبع ذلك عادة من قوة وكرامة ومجد، إنما هو «العقيدة الإسلامية» التي تبدأ من الحقيقة الألهية التي يصدر عنها الوجود كله، ثم تسير مع هذا الوجود في كل صوره واشكاله وموجوداته، وتعنى عناية خاصة بالانسان خليفة الله في الأرض .[1]

فالثقافة الاسلامية اذن ترتكز على منهج قويم، يتجلى في العقيدة التي بها تتحقق هذه الصلة وهذا الانسجام بين الله والكون والانسان .

أما الفطرة : الدعامة الأساسية الثانية للثقافة الإسلامية، فإنما هي الفطرة النقية الأصيلة التي فطر الله الناس عليها، فبرئت من التشوية والخلل، ولم تفسد بفعل الأهواء العارضة والنزوات العابرة، لأن موجبات الهداية وأسباب الاستقامة منزهة بكيان الانسان منذ نشأته ودلائل الحق تنبع من نفسه ومن الكون حوله .

---

(١) محمد قطب – منهج الفن الاسلامي . طبعة / ١٩٧٣ بيروت ص ١٢.

ولو تركت الفطرة الانسانية من غير محاولة افسادها وتشويهها، لما أنحرفت عن عهد الله، ولا زاغت عن هداه أوضلت عن سبيله، ولأنطلقت في جو الحقائق الناصعة والبراهين الناطقة والعظات النافعة التي تتحرر بها العقول من الأوهام، وتطهر بها القلوب من جواذب الانحراف وضغط الأهواء .

وفضل الفطرة السليمة على الانسان أنها تسمو به إلى معارج الكمال وتوجهه نحو الخير والهدى والاستقامة على أمر الله .

قال رسول الله ﷺ في حديث قدسي «يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فأجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[1]

من هنا كان الاسلام دين الفطرة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ .[2]

وكانت مفاهيمه وثقافته متفاعلة في النفس مع الفطرة الأصيلة يؤديها العقل الواعي وتزكيها البصيرة النّيرة .[3]

سمات الثقافة الاسلامية :

للثقافة الاسلامية سمات مميزة تتمثل في: الثبات والشمول والتوازن والوحدة والحركة .

---

(١) رواه مسلم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها - الباب/ ١٦ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٢) سورة الروم - الآية/ ٣٠

(٣) الاعلام والعلاقات الانسانية صـ ٣٤٠ - ٣٤١.

أما الثبات: فلأنها تعتمد على حقائق لا تتبدل وأصول لا تتغير ومبادىء لا تبلى : من إيمان وتقوى وبر ومعروف وإخاء ومساواة وعدالة وحرية وحب واحسان .

وأما الشمول : فيتمثل في ذلك التصور الشامل الذي يبدأ مع الحقيقة الألهية التي يصدر عنها الوجود كله، وتتناول الحياة وطبيعتها، والوجود ومكانة الانسان فيه ومايربط بين الله والكون والانسان من وشائج .

فالثقافة الاسلامية تأخذ من الاسلام شموله وسعته. لذلك فهي تعرض الحياة متصلة متناسقة محكومة كلها بقانون واحد كبير، في حين أن بعض الثقافات الأخرى يعرضها مقطعة الأوصال مفرقة الأجزاء، فتفقد معناها الشامل ومغزاها العميق .

وأما التوازن : فهذا نلمسه حينما ننظر إلى حقيقة الثقافة الاسلامية، فنجد أن الدعوة إلى الأيمان مقترنة بالدعوة إلى العلم والدعوة إلى العبادة مقترنة بالدعوة إلى العمل. والدعوة إلى الفكر والتأمل مقترنة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان والدعوة إلى الغاية مقترنة بالنظر إلى الوسيلة، فعنصر التوازن في الاسلام أصيل لأن تعاليمه تقوم على أساس التوازن بين القيم المادية والروحية .(1)

وأما الوحدة : فإن عقيدة التوحيد التي هي الدعامة الأولى للثقافة الاسلامية تتلخص في وحدانية الله خالق الكون وواهب الحياة، وعليها نشأت وحدة الخلق أي الوحدة الحية بين المادة والروح، ووحدة العلم والايمان والوحدة الانسانية فلا تفرقها الأجناس والألوان

---

(١) أنظر الإعلام والعلاقات الانسانية ص ٣٤١ - ٣٤٣

والأقاليم ﴿ ياأيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء ... ﴾[1] وكذلك الوحدة في الفطرة الانسانية والغرائز .

فالاسلام يعد الأجيال في جميع الأمم رغم تباعد الزمان والمكان أمةً واحدة، سواء في معارضتها لرسالات السما أو في الاستجابة لها. لأن النفس البشرية واحدة في الماضي والحاضر، والانسان ابن الانسان – كما يقال – يقول تعالى : ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾[2].

فتعاليم الاسلام تدعو إلى توفير المبادىء الانسانية في مجالات العلاقات البشرية على الصعيد الفردي والاجتماعي والدولي، وتحذر من مغبة التعصب الديني أو القومي أو العرقي، حتى تكون الأهداف الانسانية هي الغاية التي يتطلع اليها الانسان ويسعى نحوها ..

ولعل من أهم مأساة الانسان النفسية شعوره القاسي بتمزقة وتشتته، وبأنه ليس شخصية واحدة تتجه نحو هدف معين وبأنه أنفس عديدة لا نفس واحدة وبأنه بعيد عن مصيره غير متوحدّ معه .

وهذا الاحساس أو الشعور يؤدي بالضرورة إلى مجموعة من الأحاسيس والأفكار السلبية، كالعبث والضياع وأزدواج الشخصية .[3]

(١) سورة النساء – الآية/ ١ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان / ٥١، ٥٢

(٣) أنظر عماد الدين خليل. النقد الاسلامي المعاصر – طبعة/ بيروت ١٩٧٢م ص – ١٧٢ .

وأما **الحركة** : فهي الدوران الدائم الذي تدور عليه المعارف والعلوم كلها بصورة تجعل حركة كل واحد منها مرتبط بحركة الجميع، بحيث لو توقف واحد منها وقفت الحركة الدائرة أجمعها. والدافع لهذه الحركة العلمية هو المبدأ الايماني الذي به طلبت العلوم واليه تتجه نتائجها .

فإذا لاحظنا هذه الأركان التي عليها يقوم المنهج الثقافي الاسلامي، ولاحظنا حركة هذه الثقافة واثرائها حين ظهر فيها تيار جديد يلبس ثياباً زاهية من الثقافة اليونانية والفارسية، وأصبح ذلك التيار الجديد يفرض نفسه على الفكر الاسلامي فرضاً بحكم التجديد، وبما أولاه الخلفاء العباسيون من تأييد، دون أن يمس معالم الثقافة الاسلامية وجوهرها بأية شائبة أو ينحرف بها على غير منهجها الأصلي .

الانحراف عن منهج الثقافة الاسلامية :

والعكس نتحسسه حين أدخلت الثقافة الأوروبية — وخاصة في العلوم العصرية — على الثقافة الاسلامية عناصر غريبة عنها غير منسجمة مع أصولها، لا من حيث العلوم والمعلومات، ولكن من حيث الروح والاتجاه والهدف، بحيث أصبحت عناصر الثقافة الاسلامية متباعدة متضاربة بين علوم دينية وعلوم طبيعية وانسانية، سميت بالعلوم العصرية حتى كان الدين ينكر العصر والعصر يلهو عن الدين خلافا للوضع التكاملي الائتلافي الذي كانت عليه من قبل، كما يقتضيه منهج الثقافة الاسلامية .

[فبهذا توزعت الشخصية الاسلامية بين ثقافتين لا تلتقيان، ثقافة الاسلام وثقافة الوثنيين والكفار، ولم تعد تجد طريقها واضحا في الاختيار بين هذه أو تلك ... المعارف الدينية لا تتعارض مع المعارف العصرية، إنما التعارض بين وثنية وانحلال الغرب وبين وحدانية والتزام الاسلام .

بمعنى أن الاسلام لايعارض البحث والتجارب والنتائج العملية اليقينية التي تنتهي اليها العلوم الطبيعية والرياضية .

ولكن الاسلام يعارض استخدام هذه العلوم في التضليل والالحاد، كما يعارض في استبدال شريعة الاسلام بشريعة الوثنيين والمنحلين].

وعليه فإن قيام المنهج الاسلامي على أساس الروح والحركة هو الكفيل بأن يعيد للعلوم منزلتها من نفوس المسلمين وأن يمكن لهم بسببها مالم يزالوا يتحرقون شوقا إليه من عزة وسؤدد وتقدم في العلوم التقنية، إذا أصبحت العقيدة الاسلامية بشمولها هي الدافع الى طلب العلم والجامع لعناصر المعرفة والممكن لتلك العناصر عن التواصل والتلاقي[1].

وهنا يبرز دور الصحافة الاسلامية في حفظ كيان هذه الأمة من التشتت والتمزق، والتعمق في دراسة هذه المسألة واعطائها الأهمية الكبيرة علّها تحول دون الخطر الداهم المتمثل في تكوين شباب مسلم لا يمت الى روح الاسلام وعلومه بسبب .

---

(١) انظر - محمد الفاضل ابن عاشور. مجلة جوهر الاسلام - العدد/ ١ - ١٩٠٨

مايجب على الصحافة الإسلامية :

لقد رصد الله تعالى تجارب الأجيال كلها من لدن أدم حتى الرسالة الخاتمة لأنه وحده الأعلم بالنفس بما يصلحها ويفسدها، كما أنه هو وحده الأعلم بالنظم الاجتماعية، والأخبر بما يصلحها ويفسدها، لأن علمه محيط بدقائق هذه الأمور وعناصرها واسرارها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، هذا الاله العليم الخبير المحيط هو وحده الذي يجب أن تسلم البشرية بالنتائج والقوانين التي رتبها على تجارب الأجيال وصاغ منها القانون النهائي لصلاح الحياة الاجتماعية وسعادة النفس الانسانية، ولذلك جاء في القرآن ماهو مفيد وطوى كل ما لايفيد .

وقد قام الرسول ﷺ الخاتم بالاحتكاك بجيل الرسالة فصدر عنه من التصرفات مابه تتم قواعد الفكر والسلوك وتكتمل قواعد التشريع الثقافي فتحدد منهج الثقافة الاسلامية وميدان عملها والوسائل التي تخدمها والمنهج الذي نهجه الاسلام من خلال القرآن والسنة. يوضح مفهوم الثقافة الاسلامية بأنها بيان الحق والباطل من الفكر والسلوك حتى يستفيد العقل الانساني فيختار الخيِّر من الفكر والسلوك .

والثقافة الاسلامية تبين طريق الهدى من الضلال على كل المستويات وفي جميع الأماكن والبلاد والبيئات، وهذا البيان يقوم بمهمة الاقناع من غير ضغط ولا اكراه فهي تخاطب العقل الحر

الراشد أو تحرر العقل وترشده فلا تستعمل أساليب الزيف والخداع والتضليل[1]

وهذا يعني أن كل مايفيد الانسان من الترقي والتطور والكمال في السلوك والأفكار والسعادة الدائمة فهو ثقافة اسلامية يجب أن تنهض وتقوم بها الصحافة وجميع وسائل الأعلام والتأثير، فهي تستطيع أن ترد مباشرة على الضلال بأسلوب أو بآخر، خاصة إذا ماكانت على صلة يومية أو أسبوعية مع الأحداث، فتبين الضلالة في مهدها، وترد الانحراف وتعري المنحرفين وتنازل أصحاب الضلال مقارعة، وتبذل جهدها من أجل تثقيف وتعليم وتربية المسلمين واعطاء كل مسلم ثقافة اسلامية كاملة وتربية اسلامية صحيحة، وبعبارة أخرى عليها واجب تعليم الاسلام كله – بعقائده وعباداته ومناهجه – وايصال الثقافة الاسلامية متكاملة، لأن أي نقص فيها يعرض الانسان لخطر الوقوع في وبال الضلال والضالين ويبعده عن الحق والحقيقة وعن صراط الله المستقيم .

كما عليها توضيح وبيان القواعد والأسس الضابطة للحركات الثقافية التي تحكم المجتمعات الاسلامية، ولاتجرفها إلى حيث الانسلاخ والمسخ والضياع. وذلك باتخاذ أسلوب يؤدي إلى الاقتناع بضرورة معرفة ما يتيحه الاسلام ومالا يتيحه لحركة الانسان داخل نفسه وأسرته، وفي مجتمعه وفي العالم، حتى لايضل عندما تنفتح أمامه آفاق جديدة حيث تبدو له روعة الحياة وجمالها الآخاذ من تجارب الانسان الأوروبي وخياله وتعبيره الذاتي .

---

(١) أنظر الدكتور عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام صـ ٢٥٨

فتحديد معالم المجتمع المسلم ووضع ضوابط لحركيته في مجال الثقافة العامة على ضوء الكتاب والسنة بما ينقذ مجتمعاتنا في هذه الفترة التي لم يشهد تأريخنا الاسلامي لها مثيلاً من الانحلال الخلقي والتفسخ الاجتماعي .

استطراد : يقرر المؤلف – وبوافر من الثقة – أن دور الصحافة الاسلامية في هذا المجال كبير وعظيم، وبالذات على الساحة العربية الاسلامية وذلك بما تقدمه لشعوبها من غذاء فكري جيد، وتوجيه ديني سليم وتربية أخلاقية هادفة ودراسات متعمقة في مختلف فروع المعرفة والارشاد والدعوة الى الله سبحانه وتعالى... ومن هنا فلا بد لها وهى تسعي إلى تحقيق أهدافها من مراعاة بعض الواجبات الهامة :

فيجب أن تزود الناس بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة وإن أثرت عليهم بطريقة ما لاستهوائهم فلا تبتعد عن الصدق بدعوى أن الغاية تبرر الوسيلة .

ـــ وأن تهتم بماهية الموضوع الذي تتناوله أو تدعو اليه، من حيث الأهمية والمحتوى والغاية ومدى اهتمام الجمهور وافادتهم منه .

ـــ النشاط الصحفي بوجه عام، لا يكون محدود المدى كماً وكيفاً بل لابد من أن يكون شاملاً من حيث التنويع في المواضيع الدينية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتأريخية والاخلاقية .

ـــ ولعل من أهم الواجبات المنوطة بالصحافة الاسلامية أيضاً تحليل عامل الكراهية الأوروبية والأمريكية (الصليبية واليهودية)

المتأصلة للعرب والمسلمين على السواء، ومواجهة الأباطيل والأكاذيب التي نشرت وتنشر عن العرب والمسلمين .

وبهذا يصبح هدف الصحافة اسهاماً عملياً في الحفاظ على عقيدة الأمة وشخصيتها وكيانها ودعم قيمها الاساسية وبناء الحضارة ونشر الثقافة وتحقيق التعاون النزيه وإنارة الرأي العام .(١)

٩ ــ دور الصحافة في التغيير الاجتماعي :

من المعلوم أن الوظيفة الهامة لوسائل الاعلام بعامة والصحافة بخاصة هي أنها عامل من عوامل التغيير – كما سبق وأوضح المؤلف عند التمهيد للفصل – فهي تستطيع القيام بدور التعريف والاقناع وكذلك حثّ الناس على التغيير وعندما يعرف الناس ويقتنعون فإنهم يدركون ويهتمون بما يعرفوه، وسيأتي الحافز عندما يعرفون أن التغيير من أجل الأفضل ثم تأتي في آخر الأمر الخطوات التي يتم اتباعها للتطبيق والتكيّف مع التغيير .

صحيح أن المعرفة الثقافية ومبادىء العقيدة الاسلامية يتم توفيرها في التعليم التقليدي، ولكن يبقى دور الصحافة مهماً، إذ هي تقوم بتوضيح كيفية تطبيق هذه المعرفة في الحياة اليومية .

إن طبقات المجتمع مختلفة فهي تحتاج إلى مضامين ومستويات مختلفة من المعلومات، فالأطفال الصغار في حاجة إلى تعليم مبادىء الاسلام وتطبيقاتها، والبالغون في حاجة إلى تذكيرهم بواجباتهم تجاه أنفسهم، والأميون وصغار المتعلمين من سكان الريف في حاجة

---

(١) أنظر الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٣٦٤ .

إلى تعريفهم بالاتجاهات المطلوبة لمواءمة التغيرات الحديثة في ضوء الاسلام ... وبايجاز على الصحافة واجب توضيح أي نوع من التغيير نحن في حاجة اليه، وكيف يمكن التكّيف مع هذا التغيير؟ وكذا فوائد هذا التغيير .

ويساعد الصحافة في هذا التغيير بالنسبة لغير المتعلمين، الآباء والمعلمون .

خـــلاصـة :

نخلص من العرض السابق أن ايجاد وعي واهتمام بالحاجة إلى التغيير نحو المثل الاسلامي الأعلى يعتبر في طليعة الواجبات المنوطة بالصحافة ثم تعريف الجماهير بنوعية التغيير الذي تحتاجه، وطريقة تحقيقه وفوائدة، وكذلك الطريقة التي يمكن بها أن يتكيف الناس مع التغيير ... إضافة إلى قيامها بتبيان الأمور والقضايا الخاطئة في المجتمع، والتي لايرضى عنها الله. نعم أن العملية لاتتم بسهولة، لأن الناس دائماً في حاجة إلى كثير من الاقناع والمعلومات حتى يمكن ايقاظهم وحفزهم، فلا بد إذاً من توفير مقدار مستمر من الترويج لمعلومات مستمرة من حيث الكم والكيف، دون أن تحدث بلبلة بين المجموعة المستهدفة. وتكثر من التوجيه والحث على السير نحو المثل الاسلامي الأعلى لتقي المجتمع من خطر التأثير بالاشتراكية أو الشيوعية الذي تواجهه أجيال الحاضر والمستقبل اليوم، متوهمة نجاحهما في البلاد التي يسودها المسلمون[1]

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٣٨٢ - ٣٨٤

ومما لاشك فيه أن طابع الصحافة الاسلامية يختلف في دوره عن غيره في باقي المجتمعات الأخرى. حيث أنها (الصحافة) لاتخاطب الفرد وحده بل هي تحرص كذلك على تقويم نظم المجتمع وتهديها صراطه المستقيم، فتزداد الروابط بين الفرد ومجتمعه وثوقاً وقوة، وتنير الطريق الى مزيد من الاقتناع والايمان، تناقش أوجه الخطأ رغبة في الوصول إلى الصواب، لابمجرد الحوار بل بمواصلة ومتابعة البحث الجاد والتطبيق الصحيح في دعوة شريفة لتقويم ما أعوج من نظم إو اصلاح ماتفشى من فساد .

ويمكن مناقشة وتفصيل ذلك على النحو التالي :

أولاً : قضية الأسرة والعلاقات الاجتماعية في ضوء العقيدة :

قضية الأسرة والعلاقات بين الجنسين من أهم القضايا الاجتماعية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي .

لقد تأكد دور الأسرة في تنشئة الفرد وتكوين أخلاقه، وتوجيه قواه، كما تأكد أثر هذا التوجيه وذلك التكوين وتلك التنشئة في بناء المجتمع، تماسكاً أو انحلالاً، نهضة وارتقاء أو تراجعاً وانحطاطاً، لكونها ملتقى الفرد والمجتمع، وحلقة الاتصال بين السياسة والاجتماع وسوق التعامل الاقتصادي، ومركز تصدير العدة والعتاد من الأجيال البشرية، ومرآة الحقيقة الكاشفة لكل زيف، وصورة الواقع الاجتماعي بلا رتوش .

لهذا نرى اهتماماً كبيراً في كثير من الأمم والشعوب يهدف الى محاولة فهم طبيعة الأسرة وحل مشاكلها، واذا كان هذا الاهتمام

يستغرق من جهد ووقت ومال هذه الأمم الكثير، فلا شك أن الأسرة الأشبه بالحق والأقرب اليه هي التي تكون كاملة الروابط، خالية من الشوائب والأكدار، توفر السعادة لكل من ينضوي تحت لوائها، وتوفر للمجتمع أسباب تماسكه ونهضته .[1]

لذا فاللأسرة دور هام وفعال في تنشئة أبنائها التنشئة الصالحة .

ولقد قرأنا للدعاة إلى الله الكثير بشأن الأسرة والحفاظ عليها، والعمل على تربية الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم ليصير في النهاية الفرد قرآنيا والأسرة اسلامية والمجتمع مثاليا بتمسكه بالاسلام .

إن المجتمعات التي تسود فيها القيم والأخلاق والنزعات الحيوانية في هذه العلاقة لايمكن بحال من الأحوال أن تكون اسلامية، حيث أن هذه المجتمعات لاتعتبر العلاقات الجنسية غير الشرعية ولا حتى العلاقات الجنسية الشاذة رذيلة اخلاقية .

وإذا وجدنا الجنس والدعارة والانحلال والصراع والمخدرات وأمراضها وصناعة الأدوية ووسائل الأمن والحماية وغيره يستنفد معظم الطاقات ويبددها أو يهددها في محيط الضياع والهلاك، ووجدنا أيضاً الكبت والظلم والحجر الفكري والضغط العقائدي، والكفر والالحاد ونبذ القيم والمثل، مع انعدام الطموح وتبدد الآمال .[2]

إذا وجدنا كل هذا وذاك فلا يمكن أن يكون هذا المجتمع

---

(١) الدكتور عمارة نجيب.الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة. الطبعة الأولى. الرياض ص ٧ .

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٢٦٦

مجتمعاً اسلامياً وإنما هو مجتمع جاهلي، انحسرت المفاهيم الانسانية والأخلاقية فيه تماماً .

والكتاب والصحفيون والروائيون في المجتمعات الجاهلية هنا وهناك يقولونها صريحة للفتيات والزوجات إن الاتصالات الحرة ليست رذائل إخلاقية.. الرذيلة الاخلاقية أن يخدع الفتى رفيقته أو تخدع الفتاة رفيقها ولا تخلص له الود، بل الرذيلة أن تحافظ الزوجة على عفتها إذا كانت شهوة الحب لزوجها قد خمدت. والفضيلة أن تبحث لها عن صديق تعطيه جسدها بأمانة.. عشرات من القصص هذا محورها ومئات التوجيهات الاخبارية والرسوم الكاريكاتيرية والنكت والفكاهات هذه ايحاءاتها .[1]

بل قد يصل الأمر إلى حد السخرية من الاسلام ونظامه ... وشتان ما بين المجتمعين مجتمع رباني قرآني يسعى لتنشئة أبنائه التنشئة السليمة الصحيحة التي تهديه الى السعادتين، سعادة الدنيا والآخرة .. ومجتمع انحلالي لا أخلاقي يسوده الجنس وتستولي عليه المادية، وأصحابه كما حدثنا القرآن الكريم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[2]

---

(١) راجع سعيد حوى. الاسلام ص ٥٢

(٢) سورة الأعراف - الآية / ١٧٩

لا بـدّ مـن المواجهـة :

هناك جهود مبذولة لتنصير قوانين الأسرة الاسلامية، وهناك حيل كثيرة أتخذت لجعل المسلمين يقبلون قانوناً جديداً للأحوال الشخصية، يبدأ بسلب الرجل حق الطلاق، ويشجب مبدأ تعدد الزوجات، وينتهي بالغاء التفرقة بين الذكر والأنثى في الميراث، وينظم حملات دعائية رهيبة ضد زيادة النسل، بل يقترح حرمان الولد الثالث من حق التعليم والتموين والتمريض ... الخ .

من الملاحظ اليوم أن تحديد النسل يشجع على أوسع نطاق بين المسلمين وحدهم. وإن أتباع الأديان الأخرى لديهم تعليمات مشددة بتكثير النسل، بل لدى الشيوعيين هذه التعليمات، ... لقد استطاع أعداء الأسلام صناعة المسرحيات التي تسخر من الزواج ومن التعدد ومن الطلاق وغير ذلك من المثل الانسانية التي يراد غمزها بمثل هذه الأعمال .(١)

وإذا كان الكائدون لديننا يستغلون الإعلام بصورة عامة والصحافة بصورة خاصة لترويج سخافاتهم، أفلا نستطيع نحن أن نستغل إعلامنا وصحافتنا لدعم فضائل العفة والطهارة والاستقامة التي ينشدها الإسلام للأسرة خاصة وللعلاقة العامة بين الذكر والأنثى .

إن الاسلام بسلوكياته وأخلاقياته علّمنا الكثير وأنار لنا الطريق من أجل مجتمع فاضل، وحينما نقرأ الكثير من آيات القرآن، في سورة الأحزاب وغيرها نجد القرآن يقول ﴿ وقرن في بيوتكن

---

(١) أنظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية ص ٢٨٥

ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾[1] ويقول : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [2]

ومن صفات الرسول ﷺ – أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها. وغير ذلك الكثير والكثير مما تعلمناه من ديننا في هذا المجال، ولكن مجتمعاتنا المعاصرة – السائدة حالياً – التي تعيش جاهلية جهلاء انحرفت عن دين ربها واتبعت أهواء شياطينها ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[3]

لقد هزم حظر الطلاق في ايطاليا مقر البابوية بعد استفتاء عام وبعد تظاهرات عنيفة سارت فيها ملايين من الجنسين، وهزم هذا الحظر باقصاء القوانين الكنسية في أغلب البلاد النصرانية .

أما تستطيع الصحافة الاسلامية أن توضح وتشرح عملياً قوله تعالى ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً ﴾[4].... وتسوق القصص الحق لا الروايات المختلقة لاقرار مبدأ الطلاق وجعله في يد الرجل، وفضح من يسيء استعمال هذا الحق؟ ... فهلا ينتقع بوسائل الإعلام الكثيرة وفي مقدمتها الصحافة في ترشيد ذلك وتهذيبه نحو الاتجاه الصحيح .

والإسلام حرم الزنى تحريماً صارماً وأباح تعدد الزوجات «إن ضمنت العدالة» .. يقول الله تعالى : ﴿ فأنكحوا ماطاب لكم من

---

(١) سورة الأحزاب الآية / ٣٣
(٢) سورة الأحزاب الآية / ٣٢
(٣) سورة ق الآية / ١٨
(٤) سورة النساء الآية / ١٣٠

النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾[1]

ونتساءل هنا هل أوروبا التي حرمت التعدد، حظرت الزنى أم جعلته كلاماً مباحاً ؟

ألم تنتشر هناك الخلائل لتحل مكان الحلائل ؟ ألم يتاح للرجل أن يطيح بعفاف العشرات في سر أو علن ؟

ألم يتحول الرقص المزدوج إلى تقليد رسمي قائم يرى فيه الرجال زوجاتهم في أحضان الآخرين ؟ ترى أهذا العناق فرصة لذكر الله وإصلاح ذات البين ؟[2]

إن للصحافة دوراً كبيراً في هذا فهي قادرة على شرح أحكام الأسرة وتقدر على إحباط الهجوم الجاهلي المستهين بحدود الله .

كما تستطيع الصحافة عن طريق الصفحات المخصصة للمرأة في الصحف والمجلات والنشرات أن تغرس فضائل كثيرة وأن تمحو أسباباً للرذائل أكثر، وتزود الفتيات والأمهات بنصائح تعين على إنشاء جيل قوي محترم ومنتج، وأن تنشيء مجلات خاصة بالطفل كمجلة « الطفل الصغير » بمجلة الدعوة المصرية .

ثانياً : حاجة الحركة الإسلامية إلى الصحافة :

تعتبر الحركة الإسلامية نظاماً عالمياً مفتوحاً ومتغلغلاً، يعمل من خلاله الأفراد المسلمون أو الجماعات الاسلامية المنظمة عن وعي

---

(١) سورة النساء الآية / ٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٦

من أجل إعادة تدعيم الأمة وجعلها جهازاً سلوكياً وعملياً ينشد هدفاً، فهي نظام راسخ وقوي إلى أبعد حد بحيث لايمكن القضاء عليها مهما حاول أعداء الإسلام والمسلمين. ومهما ملكوا من أسلحة ضاربة وقاتلة فلا يستطيعوا تحطيمها بضربة واحدة ولابعدة ضربات، فالله حافظ دينه، لأنه لابدّ وأن يكتب البقاء لجزء من هذا العالم. فسيظل على أرض هذا الجزء من يمثلون الحركة الإسلامية .

والحركة الإسلامية باعتبارها نظاماً سلوكياً، فهي وكل الأنظمة المنبثقة عنها لها حقيقة واحدة مشتركة، وهي كونها لاتعمل لأغراض ذاتية أو خاصة، وذلك لأن النظم الإسلامية ليس لها دوافع أنانية للبقاء والامتداد والسيطرة والنماء، ولا هي بسبيل ارضاء الغايات الشخصية لمجموعة أشخاص لها أهداف اقتصادية أو سياسية، أو باعتبارها طائفة متميزة .

كانت ولازالت الحركة الاسلامية نظاماً سلوكياً يتخذ من الاسلام المثل المحتذى والدين المرتضى. ولكن عمليات إتخاذ القرارات أصبحت اليوم من عدم الانضباط لدرجة تعارض القرارات وتناقضها[1].

ومع بداية سقوط الأندلس ضعف هيكل الحركة الاسلامية فبدأت عدوى المدنية أو الحضارة الغربية. وفلسفته الاشتراكية القومية وأفكار الشيوعية والرأسمالية الوطنية تؤثر في انماط السلوك للحركة الاسلامية وماينبثق عنها من نظم.

---

(١) أنظر نفس المصدر السابق ص ١٣٦ــ١٣٨

وهناك حقيقة أخرى تنفرد بها الحركة الاسلامية إلى جانب كونها نظاماً سلوكياً. ذلك أن معايرها محددة بوضوح في القرآن الكريم. وأسلوب تطبيقها مشهود في سنة الرسول ﷺ ، وعلى امتداد التاريخ نرى أن الكثير من الحركات قد استحدثت الهامها من التأسي بالأنبياء في أخلاقهم المدنية ... وتناضل هذه الحركات اليوم لتطبيق هذه الشرائع المدنية على المواقف المعاصرة، ومن هذه الحركات «جماعة الأخوان المسلمين» في مصر، والجماعة الاسلامية في باكستان وغيرهما من حركات الدعوة الاسلامية والجهاد في العالم العربي الإسلامي.

إن ما تحتاج اليه الحركة الاسلامية اليوم مصادر لنشر المعلومات والأخبار وطلبها وتوزيعها وتوفير وسائلها المختلفة والاستفادة منها واستغلالها .

لعل من العقبات التي تحول دون تحقيق أهداف الحركة الاسلامية أو العمل الأسلامي. هي (النقص العام في التوجيه). مما يؤدى إلى عدم التكامل أو نقص المعلومات في الجهود التي يتسبب عنها في أغلب الأوقات ضياع المصادر البشرية والمادية والروحية للحركة الاسلامية .

وإن السر في ضعف وفاعلية الحركة الاسلامية اليوم. هو أن أفضل وأكبر المواد التي نملكها تستغل ضدنا .

فنجد مثلا المؤرخ الغربي في نظرته للتأريخ الحديث أو المعاصر. وبمقتضى حاجاته الحضارية قد يقنع نفسه ويقنع الكثير من المسلمين بأن الدين — سواء كان دينه — أو الأسلام بالذات لم يعد يشكل

أساسا كافيا لمدنية حديثة، بينما تعتبر حقيقة لاتنكر في سجل التاريخ أن الاسلام ظل القوة الحضارية السائدة لمدة ألف عام قبل أن يبدأ في التدهور بسقوط الأندلس .

ولايوجد سجل حضاري آخر يمكن مقارنته بالحضارة الإسلامية .

وفي هذا الطور من الأزمة الحضارية نستطيع القول بأن مصدر العلل كافتها في جسم الحركة الإسلامية، هي تلك البيئة التي تسيطر على مصادر الإعلام – وأهمها الصحافة – من خارج الحركة الإسلامية .

لقد نجحت هذه المصادر في تحويل الولاء العلمي للمسلمين بعيدا عن الاسلام، وقد استطاع الغرب أن يصل بهذه النتيجة من خلال تشويه النماذج الطيبة والانحراف بولاءات وآمال المسلمين. وبواسطة خطة اعلامية محكمة وبارعة التنفيذ. لتنيمة التقاليد الاستشراقية في الدراسة في إطار المعرفة الصناعية الغربية .

وبهذا البرنامج الهادف إلى تمييع ارتباط المسلمين بالعقيدة الاسلامية تمكن الغرب من استغلال كميات ضخمة من الموارد المادية والعقلية .

وأثمر عائد هذا الاستغلال، خلق طبقة من المسلمين، يدينون للنظم الغربية في ولائهم ويسيطرون على النظم الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعاتهم. ويشرفون أيضا على بعض أجزاء الحركة الإسلامية .

واستطاع الاستعمار الأوروبي أن يزيح سلطة المسلمين

السياسية ويحطم النظم التعليمية المسلمة. وخاصة في المناصب العليا في مجال التعليم والأبحاث [1].

إن الحركة الاسلامية العالمية في أمس الحاجة إلى عقلية اسلامية جديدة في مجال الفكر والخطط العلمية والصحافية ملزمة لها. صحافة اسلامية ذات خطط قويمة ومبادىء سليمة تقف في وجه الاعلام والصحافة المضادة، صحافة ينهض بها فريق من أبناء هذا الدين لمواجهة كل هذه التيارات الفكرية الوافدة. والقيم المرافقة لها. فتكشف عن فسادها وأغراضها، صحافة لايمكن تحديها أو التغلب عليها، ملهمة للعقول الاسلامية .

(١) أنظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية. ص ١٣٨ - ١٤٣



الفصل الثالث

الشريعة وواجبات الصحافة

يشتمل هذا الفصل على النقاط الرئيسة التالية :

١ ــ الشريعة وأهميتها بوجه عام ومكانتها في الإسلام بوجه خاص .

٢ ــ شمولية الشريعة الإسلامية .

٣ ــ الإسلام والجاهلية .

٤ ــ عالمية منهج الشريعة الإسلامية .

٥ ــ دور الصحافة الإسلامية بوجه عام وعلاقتها بالمجتمعات العربية والإسلامية .

من المناسب وقبل القيام بتحديد الدور الذي يجب أن تقوم به صحافتنا من تعليم المسلمين شريعة الله والمحافظة عليها والعمل على تدعيمها في المجتمع، التطرق ولو بنبذة موجزة عن الشريعة الاسلامية الغراء وأهميتها ومكانتها .

١ ــ الشريعة وأهميتها بوجه عام ومكانتها في الإسلام بوجه خاص .

إذا كان الحكم في العقيدة يتعلق بأمر قلبي، أو يتعلق بمعتقد محله القلب ومسؤليتنا تجاهه هي التصديق به، فهو منحصر في دائرة نظرية بحته، إن الاقرار بوجوب الوجود لله عز وجل، والاقرار

بوحدانيته وباتصافه بكل صفات الكمال وبأحقية القرآن وأحقية رسالة محمد ﷺ والبعث والجنة والنار، كل هذه الأمور اعتقادية نظرية تتعلق بالاعتقاد الذي محله القلب ودائرته الفكر والتدبر .

إذا كان هذا الحكم في العقيدة، فإن الحكم في الشريعة لايتعلق بقلوب المكلفين من الناس أو اعتقاداتهم وإنما يتعلق بأعمالهم، وبعبارة أوضح يتعلق بكيفيات أعمالهم .

فالحكم على أكل الطيبات من الرزق بالحل وعلى السرقة بالحرمة وعلى شرب الخمر بأنه رجس من عمل الشيطان وعلى الصلاة بأنها واجبة وعلى شرب الدخان بأنه مكروه وعلى صلاة العيد بأنها سنة، إنما هو حكم كيفية لعمل وقع أو يقع من المكلفين بشريعة الإسلام .

إذن فموضوع العقيدة الإسلامية هو (اعتقاد المكلفين) أما موضوع الشريعة الاسلامية إنما هو (كيفية أعمال المكلفين) .

وسواء تعلق الحكم «بالاعتقاد» أو «بالعمل» فإنه حكم شرعي، حيث لاسبيل لإدراكه ومعرفته بالعقل، وإنما فقط بخطاب «الشارع الحكيم» .

وهذا الحكم مأخوذ من الشرع ومستمد من نصوصه وأحكامه .

القرآن الكريم يعرفنا بشعبتي الإسلام :

إن كلمة الله الجامعة وهدايته البالغة لمعرفة شعبتي الاسلام «العقيدة والشريعة» هي «القرآن الكريم» الذي جاء للناس بالهدى

ودين الحق، ووضح لهم بما لايدع مجالا للشك أن حقيقة الاسلام وجوهره لايمكن أن تظهر وأن معْناه لايثبت ويتقرر في نفس المسلم إلا إذا أخذ هذان الأصلان «العقيدة والشريعة» مكانهما الصحيح في قلبه وعقله، وسلطانهما على نفسه وجوارحه .

إن **العقيدة الإسلامية** هي الجانب النظري الذي يحتم على المؤمن الايمان به أولا ايماناً يقينياً صادقاً، مقروناً بشعور الرضا والقبول، واقبال النفس عليه والاطمئنان به ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالأيمان ﴾[1]

أما **الشريعة الإسلامية** : فهي ماشرعه الله سبحانه وتعالى من نظم، ووضع أصولها كي يستنير بها الأنسان فيما هو بصدده وماهو ضرورى لحياته من صلات وعلاقات، كصلته أو علاقته بربه، وكصلته أو علاقته بمن حوله من الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكذا علاقته بنفسه وذاته وعلاقته بمن حوله من كائنات .

وخصصت الشريعة في لغة القرآن الكريم باسم «العمل الصالح» أو «الاستقامة» .

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ۔ خالدين فيها لايبغون عنها حولاً ﴾[2]

﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾[3].

(١) سورة النحل الآية / ١٠٦

(٢) سورة الكهف الآيتان / ١٠٧، ١٠٨ .

(٣) سورة النحل الآية / ٩٧

﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسرٍ . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾(٢).

مايجب أن يكون عليه العمل :

إن هذا العمل يكون بكل مأأمر الله به من فرائض ونوافل، والابتعاد أو الكف عن كل مانهى عنه من محرمات وشبهات – كبرت أو صغرت – قلت أو كثرت – وسواء كان العمل بالسر أو بالعلن بالقلب أو بالجارحة .

ثم أن الإسلام لم يكتف – في هذا الصدد – بمجرد العمل بل لم يقف عند حد الحث عليه واستكمال التصديق والايمان به، وإنما تعدى ذلك إلى ماهو أرسخ وأثبت وإلى ماهو أسمى وأصلح للفرد والجماعة في دينهم ودنياهم معاً، تعداه إلى إتقان «العمل»(٣).

لقد قال الرسول الكريم ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (٤).

فيجب أن تكون أعمالنا، أياً كانت هذه الأعمال، سيما عمل المسلم الفاهم لدينه، المتمسك باسلامه، أن تكون هذه الأعمال

---

(١) سورة العصر .

(٢) سورة الاحقاف الآية / ١٣

(٣) راجع – محمد البيصار – العقيدة والأخلاق ص ٩٦ – ١٠١

(٤) رواه البيهقي في شعب الأيمان – عن عائشة رضي الله عنها وهو حديث يدور بين الصحة والحسن» . كما ورد في «الفتح الكبير – ج / ١ص ٣٥٤ – للسيوطي» .

خاضعة لأمر الله، ملتزم صاحبها بكل ماطلبه الله في عباداته ومعاملاته، في سلوكه وحياته .

وإن كان الإسلام قد حث أتباعه على العمل، حين نبهنا القرآن الكريم في كثير من آياته فقال ﴿ وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[1].

إن كان نبهنا إلى هذا فقد حثنا الرسول قائلا « خيركم من عمل عملا وأتقنه » .

الاسلام يطلق على معنيين :[2].

١ ــ على نفس النصوص التي يوحى بها الله مبيناً دينه .

٢ ــ وعلى عمل الانسان في ايمانه بهذه النصوص واستسلامه لها .

والملاحظ أن الاسلام بالمعنى الأول يختلف سعة وشمولاً من رسول إلى رسول، مع اتفاقه بالمبادىء والأصول، فالاسلام الذي أنزل على موسى أوسع مما أنزل على نوح، لأن الله ذكر عن التوراة ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء »[3] واسلام محمد ﷺ أوسع من اسلام أي رسول سابق، لأن الرسل السابقين جميعاً بعثوا لأقوامهم خاصة، الرسول ﷺ بعث للناس جميعاً، فاقتضى ذلك أن يكون اسلامه أشمل من كل رسالة سابقة .

(١) سورة التوبة، الآية / ١٠٥

(٢) سعيد حوى. الاسلام. الجزء الأول. الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م – ٦ـ٧

(٣) سورة الأعراف الآية / ١٤٥

وقد وصف الله القرآن بقوله ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ... ﴾[1].

بناء النبوة والرسالة :

إن الله تعالى لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل لها رسولا ﴿ ... وإن من أمةٍ إلا خلا فيها نذيرٌ ﴾[2] ﴿ ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[3].

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ... ﴾[4]

ولقد هدانا الله لسنن الأنبياء والمرسلين السابقين ﴿ أولئك الذين هدى فبهداهم أقتده ... ﴾[5].

﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ... ﴾[6].

وأكمل لنا ماينبغي أن يكمل وأتم لنا مايجب أن يتم : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ... ﴾[7].

وقال الرسول ﷺ «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل الرجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل

---

(١) سورة النحل الآية / ٨٩
(٢) سورة فاطر الآية / ٢٤
(٣) سورة النحل الآية / ٣٦
(٤) سورة إبراهيم الآية / ٤
(٥) سورة الأنعام الآية / ٩٠
(٦) سورة النساء الآية / ٢٦
(٧) سورة المائدة الآية / ٣

الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين »[1].

وبهذا الكمال والتمام أصبحت البشرية كلها مطالبة به. فنسخ بذلك كل شرع سابق ولن يتنزل بعد ذلك شرع لاحق، إذ بمحمد ﷺ ختمت الرسالة .

قال تعالى ﴿ ماكان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾[2].

﴿ قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً .. ﴾[3]

﴿ وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً .. ﴾[4].

وفي الأصل فإن الاسلام الذي بعث به الرسل السابقون، قد نُسي أو حُرف أو بُدل وطمست معالم الحق فيه. واستقر الباطل عند أهله، في عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم .

فلا بدّ إذا ما أرادت الانسانية الاسلام أو الاستسلام لربها أن تتبع «محمد» ﷺ وما جاء به وليست لها الخيار في ذلك لأن الله لايقبل غيره. خاصة إذا علمنا وأدركنا أنه لايوجد الآن أي كتاب ديني في العالم سوى القرآن وحديث الرسول ﷺ الصحيح له سند متصل[5].

---

(١) رواه مسلم – كتاب الفضائل – الباب / ٧ في ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين) والبخاري – كتاب المناقب – الباب / ١٨ – خاتم النبيين) .

(٢) سورة الأحزاب الآية / ٤٠

(٣) سورة الأعراف الآية / ١٥٨

(٤) سورة سبأ الآية / ٢٨

(٥) راجع سعيد حوى المرجع السابق ص ٦ – ٨

قال تعالى ﴿ يأأهل الكتاب قد جاءكم رسُولنا يبيّن لكم كثيراً مما كُنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثيرٍ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ ﴾[1].

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذّكر أولوا الألباب . ﴾[2]. ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[3].

ومأأحوج البشرية اليوم إلى هذا الدين والاحتكام اليه والالتزام بتعاليمه، يوم أن نعود إلى قرآن ربنا وشريعة أسلامنا، فهو الفصل ليس بالهزل فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هديًّ إلى صراط مستقيم .

٢ ــ شمولية الشريعة الإسلاميـــة :

إن شريعة الاسلام هداية كاملة للانسان والناس، فلقد جعلها الله سبحانه وتعالى كاملة شاملة، إذ لم يبق قضية من قضايا الكون إلا وقد بّين حكمها فيها، اباحة، أو حرمة أو كراهة، أو سنيه أو وجوباً أو فريضة، سواء في ذلك شئون العبادة أو السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو الحرب والسلم، إلى أخر مايهم الأنسان من شئون. وهذه الشريعة تعرف من الكتاب والسنة .

---

(١) سورة المائدة الآية / ١٥
(٢) سورة إبراهيم الآية / ٥٢
(٣) سورة التوبة الآية / ٣٣

قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[1] وقال عنه ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾[2] .

والرسول الكريم ﷺ عرف لنا الاسلام بتعاريف عدة منها :

قال : «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» .[3]

وقال ﷺ : «إن الإسلام بُنيَّ على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»[4].

إن هذا الحديث جامع، واعتبر هذه الخمسة أركانا للإسلام، أي أن بناء الإسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة وهي ركائز الإسلام وليست كل الإسلام .

هل الإسلام هو هذه الأركان الخمسة فقط ؟

إن من يظن أو يتصور بأن الإسلام هو أركانه الخمسة فقط، يكون مخطئاً جداً. فالقرآن الكريم قد ذكر غير هذه الأشياء الخمسة، فقد ذكر أخلاقاً وذكر اقتصاداً وذكر اجتماعاً وذكر سياسة، وذكر حرباً وسلماً وخيراً وشراً ثم أن كتب الفقه فيها عبادات ومعاملات وقضاء وجهاد. وزواج وإرث .

---

(١) سورة النحل الآية / ٨٩

(٢) سورة يوسف الآية / ١١١

(٣) أخرجه الخمسة إلا البخاري . وقد رواه مسلم في (كتاب الايمان – الباب الأول)

(٤) رواه مسلم : (كتاب الايمان – الباب الخاص في أركان الاسلام – والبخاري : في كتاب الايمان – الباب الأول قوله ﷺ – بُني الاسلام) .

وكذلك كتب الحديث، كصحيح البخاري، اشتملت على عقائد وعبادات وأحكام بيع وشراء وعقود، وأحكام سياسة واجتماع. واقتصاد، وأخلاق .

إذن هذه الأركان الخمسة التي عليها بناء الاسلام ليست كل الاسلام .

الشريعة الاسلامية أساس وبناء :

إن الشريعة أساس وبناء، الأساس هو الأركان، والبناء هو أحكام الشريعة في قضايا البشر .

فللشريعة الاسلامية «منهاجها السياسي» المستقل، ففيها النظرة الاسلامية المفردة إلى موضوع الأمة والوطن والرئاسة العليا وطريقة الشورى والقضاء والأجهزة التنفيذية والأمور الإدارية إلى غير ذلك .

ولها أيضا «منهاجها الاجتماعي» المستقل وتجد في هذا المنهاج نظرة الاسلام المنفردة إلى الانسان والى الرجل والى المرأة وتنظيم الأسرة، وحقوق كل من الرجل والمرأة وإلى الحياة الاجتماعية عامة ومفاهيمها .

ولها «منهاجها الاخلاقي» المستقل، ففيه طريق أخلاقي واضح كامل وشامل بحيث لم يبق فيه أمر من أمور الحياة إلا وقد رسم له الطريق الطاهر والنظيف المطلوب لسلوكه والسير فيه .

ولها «منهاجها التعليمي «المستقل، الذي يعمر الدنيا ولا ينسى الآخرة ولها «منهاجها العسكري والاقتصادي» ... وهكذا .

وعلى ضوء هذا الشمول فلا نجد قضية من قضايا الكون

البشري إلا وللشريعة الاسلامية فيها حكم. فمجموع هذه الأحكام هي بناء الاسلام الذي تقوم فوقه أركانه[1]

نعم فشريعة الاسلام جامعة مانعة ... يقول تعالى : ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[2].

وكيف لاتكون كذلك وهي من صنع ربنا جاء بها الوحي على قلب رسولنا ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم ﴿ صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾[3].

وصدق الله حيث يقول ﴿ ..ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[4].

واجب أهل الحق والمؤمنين بالاسلام :

إن الله سبحانه وتعالى قد كلف البشرية بهذه الشريعة من أجل أن يستقيم أمرها في الدنيا والأخرة، إلا أن النفس البشرية بطبيعتها لاتقبل أو ترغب في التكاليف والقيود التي تقيد من أهوائها وشهواتها ونزواتها وحريتها وإن كان ذلك لصالحها .

لهذا فقد أوجب الله على أهل الحق الذين أمنوا به والتزموا به أن يحملوا الانسانية على الخضوع لسلطانه .

وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

---

(١) أنظر. سعيد حوى. الاسلام ص ٨ - ١٠

(٢) سورة فصلت الآية / ٤٢

(٣) سورة الشورى الآية / ٥٣

(٤) سورة النحل الآية / ٨٩

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تقوم شريعة الله في المجتمع الإسلامي .

والجهاد من أجل فرض سلطان هذه الشريعه على العالم خارج حدود الوطن الاسلامي ... قال تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .. ﴾ .(١)

فهذه الثلاثة «الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» هي : المؤيدات البشرية لقيام الشريعة الإسلامية .

ولقد أدخلها الرسول ﷺ مع الأركان في بعض تعريفاته للإسلام وذلك لأهميتها .

قال رسول الله ﷺ «الاسلام ثمانية أسهم، الاسلام سهم والصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، وحج البيت سهم. والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد سهم، وقد خاب من لاسهم له» .(٢)

إن المعروف ... كلمة عامة تشمل كل شيء طلب في الشريعة أو أبيح. سواء كان فريضة أو واجباً أو سنة أو مباحاً .

والمنكر ... كلمة تشمل كل مالم تقره الشريعة أو أمرت الناس بالاحتراس منه، أو الانتهاء عنه، ويدخل في ذلك الحرام والمكروه .

إذن فالمعروف يشمل أركان الاسلام والاسلام .

---

(١) سورة الأنفال الآية / ٣٩

(٢) رواه البزار – كشف الاستار عن زوائد البزار للبيهقي جـ ١ ص ١٧٠ – رقم الحديث/٣٣٦، ورواه الامام احمد في مسنده جـ/٦ ص ١٤٥، ١٦٠ .

والمنكر يشمل الانحراف عن الاسلام أركاناً وبناءً .

ومن أولى مهام المسلمين ابقاء شريعة الله قائمة، ولذلك كان عنوان كون السلطة اسلامية هو هذا :

﴿ الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[1].

فإقام الصلاة رمز على أن دولتهم دولة عبادة لله .

وايتاء الزكاة رمز على أن دولتهم دولة عدالة ربانية .

والأمر بالمعروف رمز على أن الخير كله في دولتهم موجود .

والنهي عن المنكر رمز على أن الشر كله في دولتهم مقهور ومدحور .

وهذا كله رمز على أن بناء شريعة الاسلام قائم في أسسه وبنيانه .

خلاصة :

نخلص مما تقدم ذكره إلى :

١ ــ أن الاسلام عقيدة تتمثل بالشهادتين وأركان الأيمان .

٢ ــ أن الاسلام عبادة تتمثل بالصلاة والزكاة والصوم والحج .

وأن الاثنين هما أركان الاسلام .

٣ ــ أن الاسلام بناء يقوم فوق هذه الأركان، يتمثل بمناهج الحياة في شريعة الاسلام، المنهاج السياسي والاقتصادي، والعسكري والأخلاقي والاجتماعي والتعليمي ... وما إلى ذلك .

(١) سورة الحج – الآية/٤١.

٤ ــ وأخيرا فإن لشريعة الله مؤيدات هي طريق قيامها، تتمثل بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن هذه المؤيدات هي غير المؤيدات الربانية المتمثلة بعقوبة الفطرة وعقوبة القهر الالهي في الدنيا، المتمثلة في الجنة والنار في الآخرة .

٣ ــ الإســلام والجاهليــة :ــ

الشريعة الاسلامية إذاً عقيدة وعبادة، ومنهج حياة ومؤيدات، ويقابل شريعة الاسلام ومبادئها «الجاهلية» فما من جزء من شرائع الاسلام إلا ويقابله جاهلية، ويدل على هذا قول الرسول ﷺ لأبي ذر عندما تصرف تصرفاً غير اسلامي مع بلال وعيّره بأمه السوداء «إنك امرؤ فيك جاهلية»(١).

وقوله تعالى ﴿ ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ... ﴾(٢) فالستر اسلام وماقابله جاهلية .

وقول عمر رضي الله عنه « إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية»

وإنما كانت شرائع الاسلام كلها تقابل الجاهلية، لأن كل جزء من الاسلام إنما هو أثر عن علم الله المحيط، وكل مايقابله من فكر وسلوك إنما هو جاهلية، لأنه أثر عن محدودية علم الانسان وتغلب أهوائه وشهواته عليه بحيث يرى الجمال قبحاً والقبح جمالاً .

إذن فالاسلام هو الكمال المحض، والجاهلية هي النقص المحض،

---

(١) رواه البخاري (كتاب / ٢ في الايمان ، باب / ٢٢ في المعاصي من أمر الجاهلية، ومسلم / ١٦٦١ في الايمان باب اطعام المملوك مما يأكل .

(٢) سورة الأحزاب – الآية / ٣٣

وللانسان الخيار في أن يسلك أحد السبيلين والجزاء امامه .

قال تعالى ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾[1]

ثم أن وجود شيء من الاسلام في نظام الجاهلية أمر طبعي كأثر من آثار العقل الذي أعطاه الله للانسان وأثر عن النفخة الروحية التي جعلت الانسان خليفة على أرض الله ﴿ ونفخت فيه من روحي .. ﴾[2] بحيث يستطيع معرفة ماهو طيب وجميل في التمدن الانساني والحياة الانسانية، ولكن القوى الأخرى الموجودة في الانسان وعدم استطاعة العقل أن يحيط أو يستوعب كل شيء يمنعان الانسان من الوصول الكامل إلى كل كمال في الحياة الانسانية، فالهوى والشهوة والضعف البشري أمراض لايسلم منها الا من استنار بنور الوحي الالهي .

ـ إذن ففي العقائد اسلام وجاهلية .

ـ وفي العبادات اسلام وجاهلية .

ـ وفي الاخلاق والآداب اسلام وجاهلية .

ـ وفي السياسة اسلام وجاهلية .

ـ وفي التعليم اسلام وجاهلية .

ـ وفي الاجتماع، وفي الحرب والسلم... اسلام وجاهلية .

فحيثما كان **الحق** فهو اسلام، وحيثما كان **الباطل** فهو جاهلية .

وحيثما كانت المصلحة، فثم شرع الله، وحيثما كان العكس فتلك جاهلية.

(١) سورة الانسان - الآية / ٣

(٢) سورة الحجر - الآية / ٢٩

والمصلحة الحقيقية للانسان لاتعرف إلا بشرع الله .[1]

مايجب أن يكون :

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الشريعة كاملة، فمن أخذ بها كلها فهو **المسلم** ومن أخذ قسماً وقصَّر في جزء فقد **خلط بين إسلام وجاهلية .**

قال تعالى : ﴿ وآخرون أعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .. ﴾[2] والمفروض أن يكون كل مسلم قد تخلى عن أخلاق ومبادىء الجاهلية كلها وتحلى بالاسلام كله. وأن تكون الأمة الأسلامية مظهراً كاملاً لنظام الشريعة الاسلامية، وأن تحاول القضاء على كل نظم الجاهلية في العالم .

إننا نرى اليوم إنحرافاً خطيراً حدث في نظام الحكم الاسلامي. فما أكثر الدعوات الجاهلية في أرض الاسلام، وما أكثر ما استجاب لها نفر من المسلمين : التنصير والشيوعية والاشتراكية، وفلسفة الاباحة والأحزاب السياسية غير ذات الاتجاه الاسلامي، والعمالة، بل الولاء لليهود والنصارى باسم الانسانية أو التعايش السلمي أو المجتمع الدولي أو التقدمية والحضارة ومحاربة الرجعية وماشابهها من شعارات باطلة ظالمة تتفق جميعها في المقاصد والغايات .

وبدلاً من أن يكون الاسلام هو المُهاجِم للقضاء على أنظمة الجاهلية أصبح هو المُهاجَم، تحاول أنظمة الجاهلية القضاء عليه

---

(١) أنظر سعيد حوى. مصدر سبق ذكره. ص ١٠ – ١٥
(٢) سورة التوبة الآية /١٠٢

واحتواءه، لقد تمكنت الدعوات الجاهلية من فرض وجودها بحنكة ودهاء وأسست لنفسها قواعد في كل مكان في العالم الاسلامي وأصبح لكل منها إتباع من المسلمين .

إن الذي ساعد على هذا التمكين كله، جهل المسلمين بالاسلام وإبتعادهم عنه، وإنتقال السلطة السياسية إلى المستعمرين أولاً ثم إلى من يدين بالولاء الفكري والسياسي أو كليهما معاً لهم، فكان غزواً جاهلياً منظماً أدواته كل ماعرف العالم من وسائل الدعاية. حتى أصبحت شريعة الله غريبة بل أصبح الاسلام غريباً بين أهله، إلا من رحمه الله .

نعم لقد عاش العالم قبل الاسلام جاهلية أفقدته الكثير وكان أحوج مايكون إلى من ينير بصيرته، ويأخذ بيده ويبدد ظلامه حتى جاء الاسلام بثورته، ومحمد عليه السلام بدعوته فبددت الظلام نوراً وأشاعت العدل والاخاء والوئام حتى أصبح أتباع هذا الدين لايدينون إلا لله ولايحتكمون إلا الى شرع الله، فأعزهم الله وأناروا الدنيا بنور الاسلام وعلا صيتهم، وفتحوا العالم ودانت الدنيا لهم .

وإن عاش العالم تلك الجاهلية قديماً فجاهلية اليوم لاتختلف عن جاهلية الأمس .

جاهلية اليوم .. التي أبعدتنا عن ديننا وأعطت الفرص لكثير مما يرفضه الاسلام شكلا وموضوعاً، جاهلية اليوم التي نعاني منها الكثير في سلوكنا، في تعاملنا في أخلاقنا بل حتى في معتقداتنا .

ما أحرانا اليوم إلى أن نقضي عليها، ونعود من جديد إلى

ربنا ليأخذ بأيدينا ويعيد الينا عزتنا ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾[1]

نتيجـــة : هنا إذن يأتي دور الصحافة الاسلامية المهم في توضيح شريعة الاسلام بكل قيمها ومبادئها لتصبح صورة المسلم عنها جذابة نقية يقبل عليها غير المسلم، ويعلم المسلم أن هذه الشريعة العظيمة هي سر عزته وكماله وزينة حياته وأعماله وأفكاره. ويعلم من هو المسلم الحق، يعلم كيف يجعل جميع سلوكه في الحياة إسلامياً، وليعلم بعد هذا كله ماهية التكليف الذي كلف الله به عباده وأن الولاء أولاً وأخيراً هو لله وحده، وأن العداء هو لأعداء الله وأعداء شريعته والبراءة منهم جميعاً... سواء كانوا يهوداً أو نصارى ومن شايعهم وداهنهم وأنتصر لهم، تحت أى إدعاء كان ... فيسهم هذا الدور في المحافظة على هذه الشريعة ويعمل على تدعيمها في المجتمع .

٤ ـــ عالمية منهج الشريعة الاسلامية :

إن التصور الاسلامي يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من خلق الله، اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان، وأودعه الله سبحانه قوانينه التي يتحرك بها والتي تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها، كما تتناسق بها حركته الكلية سواء .

﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾[2] .

---

(١) سورة المائدة – الآية / ٥٠

(٢) سورة النحل – الآية / ٤٠ .

﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾[1].

وهذه «الشريعة» التي سنها الله لتنظيم حياة البشر هي — من ثم — شريعة كونية بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام، هذا الناموس الذي ينسق بين مفردات هذا الوجود كلها وينظم حركتها جميعاً، ومن ثم فإن الالتزام بها ناشيء من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الانسان وحركة الكون الذي يعيش فيه.[2].

وكون أن هذه الشريعة هي من عند الله تعالى، فتصبح هي الأجدر والأقدر على تنظيم أمور الحياة وقيادة الانسانية إلى الخير.

فهي المنهج «الأوحد» المناسب لاحتياجات الفطرة البشرية والتنسيق بين متطلبات الانسان النفسية والحسية.

يقول تعالى: ﴿ ألا يعلم من خلقَ وهو اللطيفُ الخبير ﴾[3].

إن ربانية منهج الشريعة الاسلامية، تعني الصبغة التي تجعل له القوامة على سائر المناهج الوضعية، وتفرده بخصائص البقاء والعطاء في كل زمان ومكان وعلى كل صعيد. وعالمية منهج الشريعة الاسلامية تجد الصبغة الانسانية فيه صبغة الانفتاح والقدرة على تحمل مسؤولية هذا الانفتاح ... الصبغة التي تجعل هذا المنهج يتجاوز كل الاعتبارات الاقليمية والعنصرية والقومية والجنسية والعرقية... الصبغة التي تستمد انفتاحها وشمولها وانسانيتها من صبغته (الربانية).

---

(١) سورة الفرقان — الآية / ٢.

(٢) أنظر سعيد حوى المصدر السابق ص ٩٧ — ٩٩.

(٣) سورة الملك — الآية / ١٤.

ومرونة هذا المنهج: هي الصبغة التي تمنحه القدرة على استيعاب مشاكل الحياة المتجددة والمتنوعة والمتعددة.. الصبغة التي تفسح المجال للاجتهاد في استنباط الأحكام فيما لانص فيه عن طريق القياس واعتبار المصلحة المرسلة والاستحسان والعرف، وغير ذلك من الأدلة الشرعية .

— وشمول منهج الشريعة: هو الصبغة التي تميزه عن سواه من المناهج الأرضية والنظم الوضعية ذات الأغراض الضيقة والمحدودة .

إن منهج الشريعة — هو منهج الله تعالى العليم الخبير المحيط بشؤون الناس وإحتياجاتهم وبما يصلح لهم، وبما يضرهم وينفعهم وبما يسعدهم ويشقيهم.. ولذلك كان هذا المنهج هو القادر على اشباع احتياجات الإنسان الفردية والجماعية والتشريعية والتوجيهية، الداخلية والخارجية..[1] قال الله تعالى: ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .. ﴾[2]

* فمنهج الشريعة الاسلامية من صنع ربنا الذي خلق الانسان، واستخلفه في هذه الأرض ليعمرها، من هنا كان في علم الله وأزله أن يكون المنهج الرباني منهجاً صالحاً قادراً على مسايرة هذا الكون واسعاد البشرية .

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .. ﴾[3] .

---

(١) أنظر. فتحي يكن. ماذا يعني انتمائي للاسلام الطبعة الثانية بيروت – ص ٧٣،٧٤ .
(٢) سورة البقرة – الآية /١٣٨
(٣) سورة الأنعام – الآية / ١٥٣

وعليه فمن واجب الصحافة الاسلامية أن تبرز بوضوح هذا المنهج الرباني، وتقدمه صافياً كما هو، داعية المستخلفين من قبل الله إلى أنه لاسعادة لهم إلا باتباعه، ولاعزة لهم إلا بالإلتزام به والاحتكام إليه، وأنه لا بديل عنه، وأن أي منهج من صنع البشر مبتور مردود ﴿ ومن أحسن من الله حُكماً لقوم يوقنون ﴾[1]

٥ ــ دور الصحافة الاسلامية بوجه عام :

سبق – وضمن التمهيد للفصل السابق – أن أشرتُ إلى أثر الإعلام المعاصر بوجه عام في التغير والتأثير وفي تدعيم الاتجاهات السائدة، وإلى منهج الاسلام في التغيير ... سأتناول هنا دور الصحافة وواجبها تجاه شريعتنا الغراء .

إن دور الصحافة في هذا الميدان دور كفاح وجهاد، خاصة وأن العالم كله يعيش مرحلة ضياع وحيرة وانكفاء إلى جاهلية والحاد وعبادة أفكار أو أشخاص لاتختلف كثيراً عن عبادة الأوثان والأصنام .

ــ وعلى الصحافة الاسلامية واجب كبير في مشاركة وسائل الاعلام كافتها، بل عليها – بعد الله – تنعقد الآمال في حدود اختصاص هذه الوسائل المهمة، لكونها أهم وأبرز وسيلة إعلامية ودعائية تسهم في إضاءة القلوب الضالة وتنوير العقول التي غشيتها الجهالة وأعمتها مادية حسية مثيرة للغرائز، مطلقة للنزوات والاندفاعات الحيوانية الهمجية .

---

(١) سورة المائدة – الآية / ٥٠

ـ عليها واجب التصدي لكل الحملات المغرضة التي تتعرض لها شريعتنا الاسلامية، فخصوم هذا الدين بدءاً من اليهودية واتصالا بالصليبية وكل ما أخرجتا من نحل وأشكال ومناهج وتنظيمات أو أفكار واتجاهات، اختلفت مسمياتها وتباينت صورها. واتحدتْ في عدائها للاسلام - فالكفر ملة واحدة - وهي الآن تتجلى في الصهيونية والماسونية والشيوعية والاشتراكية والبهائية والقاديانية وغيرها .

بل أن محاولات تزوير وتحريف القرآن الكريم أو تزييف المعلومات والأخبار المتعلقة بشريعة الله وبرسول الله ﷺ لم تتوان أو تتوقف يوماً ما وفي كل مكان .

على ضوء ما تقدم - وفي هذا الاطار - يمكن تحديد المهام والواجبات التي أرى أن على الصحافة الاسلامية الاضطلاع بها على النحو التالي :

أ ـ إبراز الدور الرائد للشريعة الاسلامية :

لعل من أولى مهام الصحافة الاسلامية توضيح وابراز الدور الرائد الذي قامت به شريعة الله في إخراج الانسانية من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من الحيرة والتخبط والضياع في جاهلية غبراء، وفي ضلال دعوات مادية وتحلل أخلاقي وانهيار سلوكي وصراع طبقي، وتصادم مصالح وشرور، بين رأسمالية جشعة وشيوعية متسلطة ظالمة .

وبالتالي هو صراع شرقي - غربي بل هو تكالب الملة الكافرة الواحدة المتمثل في روسيا وأمريكا وأطماعهما .

وكما كان لهذا الدين فضل في إنقاذ هذه البشرية من ضلال الجاهلية التي كانت قابعة فيه قبل أكثر من أربعة عشر قرناً. فإنه جدير بتخليص الانسانية من بلاء «الجاهلية الحديثة» الذي تعانيه، ويحميها من الأخطار التي تهدد وجودها .

ب ـ الدعوة لتجميع الطاقات الاسلامية :

إن الدعوة إلى تجميع الطاقات الاسلامية فكراً وثقافة وعلماً واقتصادا أو سياسة وقوى بشرية، وضرورة حشدها من أجل خدمة شريعة الله ومجابهة الأخطار التي يتعرض لها الاسلام والمسلمون في كل مكان .. إن كل هذا يعتبر من الواجبات الرئيسة التي يجب أن تتصدى لها صحافتنا .

يقول الله تعالى ﴿ محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ﴾[1]

فالتراحم بين المسلمين والتساند والتعاضد في مجابهة المخاطر التي تحل بالمسلمين وعقيدتهم واجب كبير لابدَّ أن تتولى الصحافة الاسلامية التنوير والتبصير به. ولاينبغي أن نترك الساحة لخصومنا أعداء هذا الدين ينفردون بنا أفراداً أو جماعات أو شعوباً، ليذهبوا بريحنا ويطفئوا نور الله فينا، بل لا بد من المجابهة والتصدي لهم بمختلف الوسائل، وبيدٍ واحدة وقلب واحد وصف واحد متماسك، لاينفذ اليه الخور أو ينتابه الضعف .

(١) سورة الفتح - الآية / ٢٩

قال الله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ... ﴾[1]

إذن فدور الصحافة جد عظيم فلا بد لها أن تجاهد في سبيل الله ودينه جهاداً متصلاً غير متوان ولا متواكل .. وأن تجاهد من أجل توعية البشر في كل زمان ومكان – وعلى مختلف الأصعدة – وفي كل نطاق ليفتحوا عيونهم على السبيل السوي ، ويعودوا جميعاً إلى جادة الهداية والرشاد إلى حكم الله وشرعه[2] .

وما أحوجنا اليوم إلى تجميع طاقاتنا الإسلامية في دنيا الاسلام ، فاليقظة والحذر كل الحذر مما يحاك ضد الاسلام في مجالات متعددة واتجاهات كثيرة، علينا تجميع طاقاتنا لنصمد أمام التحديات التي تواجهنا من الشرق أو الغرب، سيما ونحن نملك – والحمد لله – طاقات كثيرة وامكانات بفضل من الله عظيمة، ولقد بذل أعداؤنا وما زالوا يبذلون جهوداً كبيرة بغية تبديد هذه الطاقات، ولعل ما يدور على الساحة العربية الاسلامية من تناحر وحروب ابلغ دليل على هذا التحدي وهذه المواجهة.. ولاريب فإنها من المعارك التي تدور – وستظل – بين الحق والباطل، وإن اختلفت مسمياتها وشعاراتها .

علاقة الصحافة بالمجتمعات العربية الاسلامية :

إن للمجتمعات العربية الاسلامية قضية مع الاعلام بوجه عام

(١) سورة آل عمران – الآية / ١٠٣

(٢) أنظر الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية – ص ٤٥٧ – ٤٥٨

- والصحافة على وجه التحديد - ليس من المنطق ولامن المفيد أن نهون من شأنها، وهذه القضية أو العلاقة منبثقة أساساً وبوجه عام من طبيعة ما تؤمن به هذه المجتمعات من قيم ومبادىء ومعتقدات، تعيش عليها وتتعايش معها، على الصحافة الاسلامية أن تتبناها وتضطلع بها وتسعى جادة إلى تطوير الصالح منها، تتأثر بها وتعمل من أجلها .

والصحافة إذا تبنت غير ماتؤمن به هذه المجتمعات التي تتفاعل معها وتؤثر فيها، أصبحت غريبة النزعة أجنبية المفهوم، دخيلة على مجتمعها، تعيش ولاء الغير وتخدم أهدافه، فينتج عن هذا تباعد وانفصام بين الصحافة والمجتمع تكون نتيجته ضياعاً وإنحلالاً .

إن المجتمعات العربية الاسلامية تدين بالاسلام عقيدة ومنهجاً وتشريعاً، وتخضع لدعوة الحق والنور قولاً وعملاً، وهي دعوة شاملة لاتخص أمة بعينها ولا مجتمعاً بذاته، فهي لكافة الأمم والمجتمعات... بل هي دعوة للانسان حيثما كان وأينما كان، دعوة لاترتبط بحدود ولاتتقيد بمساحات، دعوة يقوم الانسان المؤمن بها برسالة خلق وابداع، لاتعرف للطاقة حداً ولا للفاعلية نهاية، رسالة الانسان المؤمن بدعوة الحق والنور، هي عمارة الأرض بكل شمولها وكل مكنوناتها وأسرارها، فهو مستخلف فيها، وهو لهذا مطالب بأن يحقق رسالته عليها بكل مايستطيع من جهد .[١] ..

---

(١) أنظر مقال للدكتور/ محمود محمد سفر. في جريدة الشرق الأوسط - العدد/ ٧٦٢ تاريخ ١٩٨٠/١٢/٢٩م بتصرف .

مهمة الصحافة الاسلامية في هذا المجال :

إنسان هذه رسالته ومجتمع هذه دعوته لابد أن تتحدد فيه للصحافة ملامحها ويتشكل اطارها وتتبين معالمها وتتضح منطلقاتها، وتقوم بدورها حاضة على العمل البناء وموجهة له ومعززة لقيمه الاجتماعية، وتكون بذلك معمقة لتلك الرسالة مؤكدة للدعوة.

وقبل تحديد مهام الصحافة الاسلامية، تجدر الاشارة هنا إلى أن هناك صحفاً يسيطر عليها المسلمون في هذه المجتمعات سيطرة تكاد تكون تامة. ولكن مع كل هذا فإن شريعة الله لم تظهر سوى في أيام الجمع أو المناسبات الدينية .

إن الصحافة كانت دائماً بالنسبة للعقول المغلقة سلاحاً خطيراً إلى حد أن الذين يمسكون بزمام السلطة يجدون الوسائل التي يسيطرون بها على قوتها في الاقناع، وبالنسبة للعقول المتفتحة فإنها كانت دائماً وسيلة لاثارة الاهتمام والمشاعر بين الجماهير بهدف إحداث التغيير اللازم فيها[1] ..

ونستطيع هنا اجمال المهام الأساسية التي يجب على الصحافة التحرك في إطارها خدمة لشريعة الله، وهي :

١ ــ إثارة الاهتمام والمشاعر في إتجاه تعليم المسلمين شريعة الله، ويجب أن تكون هناك قوة من التأثير بحيث تثير اهتمامهم لمعرفة وممارسة هذه الشريعة في القرآن الكريم، والمعيار الأساسي هو حفزهم على ذلك .

(١) أنظر. الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٣٧٦ .

٢ ــ إيضاح طبيعة وحقيقة «المجتمع الاسلامي» وإنه المجتمع الذي يطبق فيه الاسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً وخلقاً وسلوكاً .

٣ ــ إيضاح طبيعة «المجتمع الجاهلي» وإنه المجتمع الذي لايطبق فيه الاسلام ولا تحكمه عقيدته وشرائعه وقيمه ونظامه وخلقه وسلوكه .

٤ ــ تبيان أن «المجتمع الاسلامي» ليس هو الذي يضم إناساً ممن يسمون أنفسهم «مسلمين» بينما شريعة الاسلام ليست هي قانون هذا المجتمع. وإن صلى وصام وحج البيت الحرام .

كما أن «المجتمع الاسلامي» ليس هو الذي يبتدع لنفسه إسلاماً من عند نفسه غير ماشرعه الله تعالى، وفصّله رسوله محمد ﷺ، ويطلق عليه مثلا «الاسلام المتطور» .

٥ ــ تحفيز الهمم وتفجير الطاقات وتقوية العزائم، والدعوة إلى الخير بكل معانيه، نابذه للشر وللفساد بشتى صوره وأشكاله المثبطة لكل القيم الاجتماعية والمبادىء الانسانية .

الباب الثالث

الصحافة الإسلامية في موقف التحدي والمواجهة

بعد أن أوضح «المؤلف» مفهوم الصحافة الاسلامية شكلاً وموضوعاً وبيّن ما يجب أن تكون عليه نظرياً، وما تقوم به تجاه الأمة الاسلامية وشعوبها .

يرى «المؤلف» أن الموقف يتطلب معالجة الواقع الموجود فعلاً، وكيف يمكن تطبيق المطلوب عملياً ؟

فكان الباب الثالث، وقد تم تقسيمه إلى فصلين :

الفصل الأول :

« الاتجاهات المعاصرة وأثرها في الصحافة » .

الفصل الثاني :

« وظائف الصحافة الاسلامية في هذه المواجهة » ...(نماذج)

الفصل الأول

الإتجاهات المعاصرة[1] وأثرها في الصحافة

إن الصحافة ومعها وسائل الاعلام الأخرى ترتبط إرتباطاً وثيقاً بأنظمة الحكم على إختلاف اتجاهاتها .

فهناك نظام الملكية الاستبدادية ونظام الملكية الدستورية، وهناك نظم الجمهوريات بأشكالها المختلفة .

ولهذه الأنظمة صلتها القوية بالمذاهب السياسية، كالمذهب الفردي أو الرأسمالي، والمذهب الاشتراكي والمذهب الشيوعي، وهي المذاهب التي تمثل الصراع البشري بين الفرد والمجتمع، أو بين الطبقات التي يتألف منها المجتمع .

والاعلام هو الوسيلة السريعة التي يؤثر بها الحاكم في المحكوم، ويؤثر بها المحكوم في الحاكم، كما أنها الوسيلة السريعة للتفاهم بينهما .

إلا أن الحكام يتفاوتون تفاوتاً كبيراً في نوع التفاهم الذي يربطهم بالشعوب التي يحكمونها، فمنهم من يرفض هذا التفاهم

---

(١) النظريات الاعلامية السائدة حالياً .

ولايسمح به إطلاقاً، كما في الحكم الدكتاتوري أو الاستبدادي، ومنهم من يسمح به، كما في الحكم المسمى بالديمقراطي، ومنهم من يقيده بقيود خاصة، كما في الحكم الاشتراكي، ومنهم من يحرم المواطنين حرماناً تاماً من هذا التفاهم، ادّعاءً منه بأن الحكومة لاعمل لها إلا اسعاد الشعب بجميع فئاته، كما في النظام الشيوعي، وهكذا[1].

مما تقدم يعني أن المذاهب والاتجاهات الاعلامية تختلف تبعا لاختلاف وجهات النظر السياسية الحاكمة أو المتسلطة، كما يعني أن الاعلام هو الأداة الموجهة والمعبرة في نفس الوقت عن الاتجاه السياسي القائم ... والناظر في كل هذه المذاهب والاتجاهات أو في كل هذه الفروق والظروف يجد أن تصنيف هذه الاتجاهات والنظريات يتقرر على أساس قرب المذهب أو الاتجاه من الحرية أو بعده منها .

لقد بحث الكتاب الذين حاولوا تصنيف هذه المذاهب والاتجاهات، فوجدوا أن العالم على مدى عصوره التأريخية كان ولايزال محكوماً بنظرتين بارزتين من نظريات الاعلام هما :

١ ــ النظرية التسلطية .

٢ ــ النظرية التحررية .

وتولد عن هاتين النظريتين السابقتين، نظريتان أخريان أصبحتا تحكمان العالم في عصرنا الحديث أو تكادا، هما :

٣ ــ النظرية السوفيتية (الشيوعية)، التي تولدت عن نظرية السلطة .

---

(١) انظر عبداللطيف حمزه. الاعلام والدعاية. الطبعة الأولى. مطبعة المعارف. بغداد/ ١٩٦٨م – ص ١١٦-١١٧ .

٤ ــ نظرية المسؤولية الاجتماعية، التي تولدت عن نظرية الحرية.
وعليه فإن التصنيف للاعلام القديم يقف في الأعم الأغلب عند نظرية السلطة ونظرية الحرية.

نظــرة شاملة :

لعل الاشارة مناسبة في هذا الاطار إلى كلمة شاملة عن النظريات الاعلامية المعاصرة أو السائدة حالياً، قبل تناول فلسفاتها والأسس التي بنيت عليها، أو المستندات التي استندت عليها كل نظرية منها.

يرى بعض الكتاب أن النظريتين : السوفيتيـة (الشيوعيـة) ونظرية المسؤولية الاجتماعية لم يكن لهما وجود من حيث الفلسفة والتطبيق قبل التطور الصناعي والتقدم العلمي.

كما يرى البعض الآخر أن العصر الحاضر أعاد التصنيف، بحيث أصبحت هناك ثلاث نظريات، كل منهما تضم عدداً من الدول، طبقاً لأنواع الرقابة السياسية والقواعد التي تفرضها على وسائل الاعلام والمناهج السياسية التي تدعو إلى تثبيتها والدعاية والترويج لها.

ونظام الرقابة السياسية، أو النظام الحر، نشأ في بريطانيا وطبق في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الاستقلال، وفي عدد من دول العالم التي تمارس الديمقراطية بمعناها الأمريكي أو بمعناها «اللبرالي»[1].

---

(١) انظر. د. عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام. الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. مكتبة المعارف. الرياض. ص ٣٧.

وهذا النظام يهدف إلى استخدام وسائل الاعلام لتمثيل الشعب، وللرقابة على الحكومة والموظفين العموميين. ونقد ما يستحق نقده مما يصدر عنهما، والحكومة لاتفرض قيوداً على وسائل الاعلام وما يصدر عنها من محتويات، إلا ضوابط قانونية خاصة بحماية الأعراض والأنفس والأموال ونظام الحكم من بعض الجرائم كالقذف والتشهير والتحريض وغيرها .

أي أنها «أصبحت حقا دستورياً جماعياً» ولم تعد اجتهاداً فردياً محصوراً في المبادرات الفردية .

ــ والنظام الثاني المسمى بنظام الرقابة التسلطي على وسائل الاعلام، تكون فيه هذه الوسائل مملوكة ملكية خاصة باستثناء الأذاعة المسموعة والمرئية، وربما تفرض عليها رقابة رسمية أو غير رسمية، حتى لاتنشر مايضر الحزب أو أعضاء الحكومة.. التي منحت حق احتكار الصواب .

وهذه الوسائل لاتمثل الشعب - كما في النظام الحر - فمن يريد أن يصدر صحيفة أو مجلة أو يطبع كتاباً، فلا بد أولاً أن يحصل الفرد على إذن، وللرقابة حق مصادرة مايطبعه الفرد، ثم معاقبته وسجنه أو عزله .

وهذه النظرية هي أولى النظريات وجوداً في تأريخ البشر، ذلك أن البيئات القديمة - فيما عدا بيئة اليونان وبيئة المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم - لم تعرف من أنظمة الحكم غير النظام الاستبدادي المطلق[1].

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام والدعاية ص ١٢٩ .

وقد طبّق هذه النظرية النظام النازي في المانيا والنظام الفاشستي في ايطاليا وأخذت بها الأنظمة الدكتاتورية العسكرية والحزبية في بلدان العالم الثالث كافة .

أما النظام الثالث من أشكال الرقابة السياسية فهو النظام الشمولي السوفيتي، النظرية الشيوعية .

وبعض الكتاب المختصين في ميدان الاعلام يدرج هذه النظرية في نظرية التسلط، وهذا صحيح حيث الحكومة والحزب هما اللذان يملكان وسائل الاعلام ويستخدمانها لتحقيق أهداف المجتمع، التي يرسمها ويخطط لها الحزب الشيوعي ومايفرضه من النزعة القمعية التسلطية، وتطبيقها العملي، وإن اختلفت النظريتان في مجال الفلسفة الأساسية في تفسير التأريخ والوقائع والأحداث ...

وفي مجال «الكذب العلمي» وهو مصطلح يفسره الشيوعيون على أنه خدمة لحركة التأريخ الكبرى .

ومفهوم هذا المصطلح أن الكذب العلمي – إن صحّ هذا التعبير – مدرسة يجتهد أصحابها في جمع الحقائق والمعلومات، ثم عند التفسير والتحليل يدخلون أكاذيب معينة لتحقيق هدف معين .

وقد يأخذ نظام يميني بنظرية التلسط في مجال الاعلام، وهو في نفس الوقت لايتبنى الفلسفة الشيوعية .

ـــ والنظام أو النظرية الرابعة هي نظرية المسؤولية الاجتماعية، وهذه النظرية نشأت خلال هذا القرن من خلال الاجتهاد في ايجاد صيغة أفضل وأكثر توازناً للحرية الاعلامية، أي أنها تحمل سمات

تبعدها عن التحرر الفوضوي وسمات أخرى تبعدها عن التسلط والتحكم[1].

وماهي إلا جزء من الجدل الدائر حول إقامة توازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في مجال الاقتصاد، وبين حرية التعبير والنقد وقيود القانون في مجال الفكر السياسي ... لتعبر الصحافة بما تشاء وليبث التلفاز ولتتحدث الإذاعة في نطاق الحرية، ولكن في الحدود التي لاتتناقض مع مصلحة المجتمع .

فلسفة النظريات الاعلامية ومستند كل منها :

١ ــ فلسفة نظرية السلطة : السلطة من أنظمة الحكم التي نتحدث عنها، هي التي تتمثل في الملك أو الخليفة أو الامبراطور أو الأمير أو الدكتاتور «فرداً أو حزباً» الذي لا يؤمن بالحرية وبالديمقراطية ولايسمح للشعب أن يشاركه في الحكم بصورة أو بأخرى .

وتستند «السلطة» باعتبارها نظاماً من أنظمة الحكم على فكرة «الحق الألهي المقدس» وعلى الفكرة القائلة «بأن الحاكم ظل الله وخليفته في الأرض»[2]

والمستند الذي استند إليه الحكام في إيمانهم بنظرية التسلط أو الدعوى التي أدعوها في نظرتهم لوسائل الاعلام المختلفة وماتبثه وتنشره، هي بدعوى مصلحة الشعب والحرص على تحقيق مصالحه .

(١) أنظر الدكتور عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام ص ٣٨ – ٤٠ .
(٢) عبداللطيف حمزة. الاعلام والدعاية ص ١١٨ .

فالفرد عندهم بلا حكومة ولا مجتمع، كأنه مخلوق همجي جاهل لايعرف مصلحته وكيفية الحفاظ عليها، ولايستطيع أن يثبت وجوده ويحقق أهدافه إلا في ظل سيطرة الحكومة .

ولقد قسَّم أنصار هذه النظرية الناس إلى طبقات... فهم يؤمنون بالفروق بين الناس من حيث قدراتهم الجسمية والعقلية، كما قسموا من قبل كيان الانسان إلى قوى مختلفة ومتصارعة، وكما منحوا العقل حق التحكم في القوى الغرائزية والشهوانية في الجسم منحوا الطبقة المتسلطة الحاكمة حق احتكار الصواب، أي هم وحدهم أصحاب الحق في السيطرة الفعلية على سواهم من أبناء المجتمع .

نشأت هذه النظرية من أفكار بعض فلاسفة اليونان (أفلاطون وأرسطو مثلا) أي الميراث اليوناني الكنسي .

حيث جاءت الكنيسة فتبلورت هذه النظرية وأعطتها طابعاً دينياً كنسياً ...

لامعرفة إلا عن طريق الكنيسة .
لاتفسير للدين النصراني إلا عن طريق القسيس.
لاتعبير إلا بأذن الكنيسة.
لاتفكير إلا بأذن الكنيسة.
لابث ولانشر إلا بأذن الكنيسة)[1] .

وقد طبقت هذه النظرية – كما أسلفت – على نطاق واسع

---

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام له تأريخه ومذاهبة الطبعة الأولى ١٩٦٥م – ص ٩٣ ومابعدها .

في النظام النازي الألماني والنظام الدكتاتوري في إيطاليا وفي بلدان العالم الثالث، وبخاصة في بلاد عالمنا العربي، طبقت الأنظمة الدكتاتورية العسكرية والحزبية هذه النظرية على وسائل الاعلام حتى يومنا هذا .

ما تقدم يشير إلى أن الحاكم المطلق هو وحده صاحب الحق في الهيمنة على أمور الأمة وتصريف مصالحها في كل الميادين، ولكن في العصور القديمة كثيراً ما يدرك هذا الحاكم أنه لايستطيع أن يقوم بهذه السلطة على وجهها الأكمل، لأنه كثيراً ما تعرض له أمور يجهل حقيقتها، فلا يستطيع أن يبت فيها، فلا بد والحالة هذه من أخذ أراء الحكماء أو العلماء ويشورون عليه بالمشورة الصالحة والأراء الراجحة .

وهذا ماحدث منه في الدول الاسلامية «الدولة الأموية» «الدولة العباسية» حيث كان هناك مايسمى «بأهل الحل والعقد» وهم جماعة من علماء الدين كان يستشيرهم الخليفة فيما يستعصي عليه من الأمور .

وقبل عصر النهضة في أوربا حدث الأمر نفسه فقد كانت الفكرة التي تستند إليها الدول الأوربية في ذلك العهد هي الفكرة القائلة (بأن الحقيقة لاتنبع من جمهور العامة ولكن تنبع من أذهان الخاصة، وهؤلاء هم الحكماء والعلماء ومن إليهم) [1] .

وهكذا كان العمل الاعلامي عموماً حكراً على الحكام والملوك

(١) المصدر السابق ص ٨٨ .

وعلى أذهان الخاصة وهم صفوة الأمة، وعليهم تقع مسؤولية الارشاد والتوجيه ... و (السلطة) وحدها لها الحق في ممارسة الرقابة الفعلية على العمل الاعلامي في أوربا وبيدها أيضا الحق في منح تراخيص لمن يرغب من الناس إصدار صحيفة أو مجلة أو كتاب ...[1]

بعض القيود التي فرضتها السلطة على وسائل الاعلام :

لقد فرضت الحكومات الأوربية الآخذة بهذه النظرية قيوداً كثيرة على الصحافة وبقية وسائل الاعلام، منها :

١ ـــ قيد التراخيص : فلا تمنح الحكومة المتسلطة الرخصة إلا لشخص تطمئن إليه ولاتشك في اخلاصة لها ولسياستها .

وهذا يعني أن الحكومات الأوربية على الرغم من ايمانها بنظرية السلطة واحتكارها لوسائل الاعلام. فقد منحت من تثق بهم تراخيص لاصدار صحف ومجلات ونشرات .

وهذا ـــ كما أرى ـــ يعني ضمناً احتكار هذا النفر المناصر والمؤيد للحكومة لدور الصحف والنشر أيضا، وبالتالي احتكار السلطة المطلقة لها بصورة غير مباشرة عن طريق زبانيتها من هؤلاء .. وقد أُتبع هذا الاسلوب ومازال في معظم البلاد العربية والاسلامية الآن، وأظن أن الأمر ليس بخاف على كل ذي حصاة .

٢ ـــ قيد الرقابة : لمست الحكومات أن بعضاً من الطابعين والناشرين ممن احتكروا دور الصحف والنشر لم يلتزموا أحيانا بأمور

---

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام والدعاية ص ١١٨ - ١١٩ .

الحكومة وسياستها العليا أو لم يكن قسم منهم ذا قسط وافر من الثقافة يفهم ماتريده الحكومات في سياستها ونهجها، وبذلك فقد أخضعتهم للرقابة خاصة في مسائل السياسة والدين، وعيّنت مشرفين لهذا الغرض .

٣ ــ قيد المحاكمات العامة : إن التراخيص والاحتكارات لم تؤد الغرض الذي كانت تنشده وتسعى إليه سلطة الحاكم وكثيراً ما كانت توجه تهمة الخيانة العظمى للصحف، وقد كان لهذه الخيانة صورتان :

الأولـــى : انقلاب ضد الحكومة .

والثانية : المشاركة الفعلية في نشاط تنظيمي، قد يساعد إلى هذا الانقلاب ... وقد دأبت الحكومات – خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين – إلى تطبيق المواد الخاصة بتهمة الخيانة أو التحريض على نطاق واسع، وبالذات على الأفراد الذين ثبت أنهم يساعدون الأعداء في وقت الحرب، أو الأفراد الذين يبثون الشوائع أو المقالات أو المنشورات، يستهدفون من ذلك اشاعة اليأس وروح الهزيمة .

٤ ــ شراء الصحافة والصحفيين : أيضاً ثبت أن جميع الطرق المتقدمة لم تف بالغرض المطلوب، وهو الوصول إلى صحافة موالية كل الولاء للحكومة، مسيطرة تماماً ومسئولة على الرأي العام .

فعمدت الحكومات في خلال القرن الثامن عشر أسلوباً آخر، وهو منح الأموال السرية والهدايا إلى أصحاب الصحف، وشراء ذمم بعض الصحفيين وضمائرهم ، مما يجعل هذه الصحف تنضوي

تحت راية الحكومة تبث وتروج لسياستها وتبدي لها التأييد الكامل، وبالطريقة ذاتها اشترت الحكومات أقلام العديد من الكتاب والأدباء بعدّ أن تمكنت من شراء رجال الصحافة والاعلام .

وهذا الأسلوب أيضاً متبع في معظم اقطار عالمنا العربي الاسلامي اليوم، فكثير من الأنظمة خصصت أجزاءً من ميزانياتها الدعائية لمثل هذه الأساليب، سواء في داخل البلد أو في خارجه .

تعالوا لنستقرأ معاً ذلك الخبر البارز الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط بتأريخ ١٤٠١/١١/١٩هـ الموافق ١٩٨١/٩/١٧م بعددها رقم/ ١٠٢٤ تحت عنوان :

«جائزة سنوية لأحسن تحقيق صحفي يحارب التخريب الاعلامي» ومما جاء فيه :

أن سير جيمس فولد سميث صاحب مجلة «اكسبريس» الأسبوعية الفرنسية يعتزم تخصيص جائزة سنوية قيمتها خمسون ألف جنيه استرليني (٥٠٠) خمسمائة ألف فرنك فرنسي لمكافأة الصحفيين، الذين يجرون تحقيقات لمحاربة عناصر الهدم والتخريب داخل أجهزة الاعلام .

وإن الهدف من هذه الجائزة هو تشجيع التحقيقات الصحفية الرامية الى كشف النقاب عن التدخلات التي تمارسها في الصحافة حكومات أجنبية تستأجر صحفيين، وتشجيع الصحافة على تطهير صفوفها، وقد ضرب سميث مثالا لهذه الممارسة، حالة المطبوعات التابعة لليسار البريطاني المتطرف ... تقاضت مبالغ من ليبيا .

فما أظن أن هناك إنساناً واعياً إلا لمس ويلمس تفشي مثل هذا الشيء في الكثير من أقطار عالمنا العربي ... حيث تنقل إلينا الأخبار بأن الصحيفة الفلانية تابعة للحكومة الفلانية وهي التي تمولها، وأن الصحفي فلان ما هو إلا بوق دعاية للحكومة الفلانية وتدفع له المال.

٥ ـــ قيد الضرائب : يوجد كثير من الصحف يعتمد على التوزيع والأرباح التي يحصل عليها من الاعلانات وغيرها، وهذا النوع من الصحف وأصحابها لايأبهون بالحكومة ومساعداتها وكثيراً ماتجد القدرة في نفسها على توجيه النقد العنيف للحكومة لاتهتم بما تصدره هذه الحكومة من أنظمة وقوانين .

عند هذا تضطر الحكومة أو يضطر الحاكمون إلى فرض نوع من الضرائب على هذا النوع، بغية التأثير في أرباح الصحيفة. مما يدعها تخفف من لهجتها في النقد كي تتمكن من الاستمرار والبقاء[1] .

تلك هي أبرز الأساليب أو القيود التي سارت على نهجها الدول المؤمنة بنظرية السلطة المطلقة في الحكم، ومن خلالها يظهر لنا بجلاء ذلك الصراع الكبير بين الدولة من جهة والأفراد من جهة أخرى، وكذا أسلوب الاحتيال الذي ينهجه كل منهما تجاه الآخر من أجل تنفيذ أغراضه وأهدافه .

---

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام له تأريخه ومذاهبه ص ١٠٢ – ١٠٤ .

وقفـة مـع منهج الاسـلام :

يقول الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه « الاعلام له تأريخه ومذاهبة»[1] «إلا أننا حين نسأل أنفسنا ماهي الأفكار التي كانت وراء «نظرية السلطة» في العصرين القديم والوسيـط مـن عصور الاسلام ؟ لم نجد في الواقع إلا فكرة واحدة فقط هي الفكرة القائلة «بأن الحاكم ظل الله في أرضه» .

وهنا يعجب الباحث كيف استطاعت هذه الفكرة الرهيبة أن تخفي غيرها من الأفكار السديدة المعقولة التي أتى بها القرآن الكريم وبشَّر بها الرسول العظيم ﷺ ونادى بها الخلفاء الراشدون ... ومنها أن الناس سواسية كأسنان المشط، ثم منها الفكرة التي عبر عنها (عمر رضي الله عنه) بقوله «متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»؟ ومنها الفكرة التي صوّبها القرآن الكريم في قوله ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[2] . ثم منها الفكرة التي عبر عنها قول الرسول ﷺ : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[3] ونحو ذلك .

صحيح أن كل فكرة من تلك الأفكار لم ترق في يوم من الأيام إلى أن تصبح مذهبا مـن المذاهب السياسيـة أو المذاهب الاجتماعية، ولكنها برغم هذا وذاك كانت تصلح لأن تكون أساساً

(١) ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة الشورى - الآية / ٣٨ .

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده عن عمران بن حصين والحكم بن عمرو الغفاري. ورواه الحاكم في مستدركه. وورد بإسناد صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بلفظ «لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل» .

قوياً لحياة اسلامية قوية بعيدة كل البعد عن مظاهر البطش بالرعية والتضحية بمصالح الأفراد من أجل مصلحة الحاكم المستبد بالسلطة. لانكاد نستثني من هؤلاء الحكام المستبدين غير نفر قليل من الخلفاء والأمراء والسلاطين شهد لهم التأريخ بتوخي مصلحة الرعية .

واليوم في بعض اقطار عالمنا العربي الاسلامي هدماً وتمزيقاً لمبادىء الحرية والشورى «الديمقراطية السليمة» – التي كانت سائدة في عهد الرسول والخلفاء – ابتداء من عهود الأموين والعباسيين التي بنيت فيها السياسة على الأنانية والتعسف ، أمثال زياد والحجاج وخطب الولاة العباسيين بعد ذلك .. وأنتهاءً بنفر من الحكام الطغاة المتسلطين على شعوبهم، يسرقون خيرات بلادهم، بل ويدمرونها اشباعاً لرغباتهم ونزواتهم الفردية الانانية ... بمعنى أنه أصبح وراء نظرية السلطة في عالمنا الاسلامي مجموعة من المبادىء والأفكار بعيدة عن الأفكار والمبادىء السديدة المعقولة التي جاء بها القرآن الكريم، وبشَّر بها الرسول ﷺ ونادى بها الخلفاء الراشدون وهي أفكار ومبادىء بعيدة عن البطش والتقتيل والتدمير والاستكبار .

فلسفة نظرية الحرية :

نشأت هذه النظرية في المجتمع الأوربي وفي بريطانيا نتيجة لتطورات فكرية ولأحداث سياسية واجتماعية، منها نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م الثورة التي ادعت اعلان حقوق الانسان، وطبقت على نطاق أوسع في الولايات المتحدة الأمريكية بعد

الاستقلال. وترجع هذه النظرية الاعلامية إلى أصول النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ونظرته الكلية إلى الحياة والانسان والقيم .

وفلسفة النظرية – تقول : إن العالم ماهو إلا آلة ضخمة ذات حركة مستمرة وهي تسير إلى الأبد وفقاً لقوانين الطبيعة .

وفلاسفة هذا المذهب يرون أن الانسان مخلوق يسيره العقل لا العاطفة أو المصلحة الضيقة، وإذا ما استخدم هذا الانسان عقله فإنه يتمكن من كشف قوانين الطبيعة التي تحكم الكون، كما أنه يستطيع أن يجعل مؤسساته تتمشى في وئام مع هذه القوانين وبالتالي سيبني مجتمعاً عادلاً .

كما يرى أصحاب هذا المذهب أن الناس يولدون وهم مزودون بحقوق طبيعية معينة تحد من سلطة الحكومة وتطالب بحماية الفرد وممتلكاته .

وما هذه الحقوق إلا جزء من التدبير الالهي، كالقوانين التي يعمل الكون بمقتضاها.

وخير طريقة تؤمن بها الحكومة هذه الحقوق، هي أن تترك الفرد حراً بقدر المستطاع وإذا أخفقت الحكومة في حماية حرية المواطنين وممتلكاتهم. فإنها تكون قد أخفقت في تحقيق أغراضها. وهنا يكون من حق الشعب وواجبه أن ينشىء حكومة جديدة تمكنه من التمتع بحريته .

ويقول أصحاب هذا المذهب إن الحقيقة لاتستمد من السلطة

وإنما تستمد من عقل الانسان، أي أنها ليست حكراً على القلة الحاكمة، ذلك أن الانسان لايقاد ولايوجه نحو الحقيقة، وإنما هو الذي يكتشفها ويجدها بنفسه وبعقله الذي حباه الله به، فاذا ما استخدم الانسان عقله استخداماً حراً، يستطيع أن يكتشف الحقيقة الشاملة التي توحد الكون وماعليه من ظواهر [1].

بناء على ماتقدم فإن الذي يراه أصحاب هذه النظرية هو أن سعادة الفرد ورفاهيته المادية هي الغاية الأولى والأخيرة من وجود المجتمع .

وما وجود المجتمع إلا في سبيل مصلحة الفرد – كما يذكر لنا ذلك الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الإعلام في ضوء الاسلام»[2] فلا بد من إتخاذ الاحتياطات التي تحمي الفرد من استبداد المجتمع والحكومة. وأن الفرد أسمى من الدولة وما الدولة إلا وسيط يمارس الفرد من خلاله كل نشاطه .

وكما أن النظرية الشيوعية – سيأتي تفصيلها – تطرفت في تقديرها للمجتمع وتصورها لحقوقه، وربط حرية الفرد بفهمه لقوانين الاجتماع وضرورات الحياة العامة .

تطرفت النظرية المسماة بالتحررية في تقديرها للفرد وتصورها لمكانته وحقوقه وربط حريته بما يهوى ويريد .

---

(١) أنظر. ريفرز وتبرسون وجنسن. ترجمة د. إبراهيم إمام. وسائل الاعلام والمجتمع الحديث – ١٩٧٥م. دار المعرفة. القاهرة. ص ٩١-٩٢ .

(٢) أنظر ص ٤٨ .

يتضح مما تقدم أن كلا من النظرية الشيوعية والنظرية التحررية أخطئتا الفهم والتقدير وغالت كل منهما في منح الحقوق والتصور، مما يؤدي إلى هدم المجتمع بكامله وإلى تفككه، فالفرد ماهو إلا جزء من المجتمع مكمل له، والمجتمع لايمكن أن يتكون ويتكامل إلا بالفرد .

نظرية الحرية في الصحافة :

وفقاً لنظرية الحرية ينبغي أن تكون للصحافة قاعدة كبيرة من الحرية كي تساعد الناس في بحثهم عن الحقيقة، ولكي يصل الانسان إلى الحقيقة عن طريق العقل ينبغي أن تتاح له حرية الوصول إلى المعلومات والأفكار، وهو يستطيع أن يميز فيما تقدمه له الصحافة بين الحقيقي والزائف باستخدام عقله. فهو قد يجد بعض الصدق مختفياً وراء الكذب، كما يجد بعض الزيف مختفياً وراء الحقيقة، ولكن على المدى الطويل تظهر الحقيقة من خلال التفاعل الحر بين المعلومات والأفكار إذا كان الانسان صادقاً مع عقله، وعلى ضوء ذلك فإن التعبير الاجتماعي لن يأتي عن طريق القوة وإنما عن طريق النقاش والإقناع .

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الرقابة على الصحف قبل النشر رذيلة، لأمور ثلاثة :

أولها : أنها تنتهك الحق الطبيعي للانسان في حرية القول .

وثانيها : أنها تمكن الطغاة من الاستمرار في السلطة وتجعل من الدولة عدواً للحرية بدلاً من أن تكون حامية لها .

وثالثها : أنها يمكن أن تعوق – مؤقتا – عملية البحث عن الحقيقة عن طريق الاخلال بالتوازن في العملية الدقيقة التي عن طريقها تظهر الحرية في نهاية الأمر، وإذا كان للانسان أن يكتشف الحقيقة فيجب أن تتوافر له جميع المعلومات والأفكار وليس فقط تلك المعلومات والأفكار التي يغذى بها [1].

فلاسفة هذه النظرية ومستندها :

إن أشهر الفلاسفة الذين روجوا لهذا المذهب (الحر) وقامت على أفكارهم وأرائهم هذه النظرية هم :

جون لوك : الإنجليزي، الذي بنى فلسفته على أساس «أن الشعب مصدر السلطات» وما الحكومة إلا هيئة من الأوصياء اختارها هذا الشعب، وفوض أمره إليها، ومنحها الثقة، ومن حق الشعب سحب هذه الثقة متى أساءت الحكومة بحق من حقوقه.
وعن لوك أخذت هذه النظرية في الصحافة افتراضين جوهريين هما:

«عقلانية الإنسان، وحرية التعبير كحق طبعي» مستنداً بهذا على أساس ما قاله اسحق نيوتن، حول طبيعة الكون المنظمة والقانون الطبعي والحقوق الطبعية وعقلانية الإنسان وعدم التدخل الحكومي

(١) وسائل الاعلام والمجتمع الحديث. (مصدر سبق ذكره) ص ٩٣-٩٦ .

- أي أنه ينظر إلى الكون كآلة منتظمة أبدية لا تتغير وتسير وفقاً لقوانين طبعية معينة - يمكن اكتشافها[1].

جون ملتون : ناقش ملتون حرية الفكر في النظام الحر معبراً عن رفضه وكراهيته لنظام المراقبة والترخيص بصدور الكتب والنشرات والصحف.

ولقد دافع في كتابه (أريوباجيتيكا) عن حرية الصحافة، وكانت من أقوى حججه الفلسفية التي أسهم فيها في حرية الصحافة، هي أن الحقيقة تنبثق عن المواجهة الحرة المفتوحة بين الأفكار.

وقد استوعب التيار الرئيس للنظرية فكرة ملتون «عن عملية التصحيح الذاتي» وهي الفكرة القائلة : بأن التعبير الحر يحمل تصحيحه في طياته، أي بعبارة أخرى أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الحقيقة والصواب في مسألة من المسائل حتى يطّلع على آراء المخالفين له، من أجل أن تتاح الفرصة لتقابل الحقائق وجهاً لوجه في حرية وصراحة كاملتين[2].

جون أرسكين : دافع أرسكين عن الناشرين والطابعين، ومعالجة مشكلة العلاقة بين الحكومة والطباعة، ويعتبر أرسكين أن القانون الطبعي والحقوق الطبعية تحدد سلطة الحكومة، ولما كان التعبير طبعياً، فلا يجوز للحكومة أن تقيد الصحافة سواء قبل النشر أو بعده مادامت

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٩٧

(٢) انظر د. عمارة نجيب - الإعلام في ضوء الإسلام ص ٥٠

المادة المنشورة تستهدف التغيير السلمي، سواء فيما يخص الموضوعات الحكومية أو الخاصة[1].

توماس جفرسون : في أمريكيا حيث انبثقت معتقداته بشكل طبعي من فلسفته السياسية، وقد آمن جفرسون بأن الصحافة ينبغي أن تتمتع بأوسع قسط من الحرية كي تقوم بواجباتها، وقال عن الصحافة «إن الصحافة هي أفضل أداة لتنوير عقل الإنسان وتطويره ككائن عقلاني وأخلاقي واجتماعي»[2].

وهو يذهب مذهب أرسكين في كون الحكومة لا ينبغي لها أن تعوق عمل الصحافة حتى ولو كان ذلك لإنقاذها.

بل يرى جفرسون بأن تكون الصحافة رقيباً على الحكومة، والحكومة التي لا تصمد أمام الرقابة والنقد من قبل الصحافة، ينبغي أن تسقط سلمياً عن طريق الرأي العام لا بالعنف والقوة[3].

جون ستيوارت مل : لقد بنى مل دفاعه عن الحرية على أساس المبادىء النفعية لا على الحقوق الطبعية.

وكان يرى أن كل عمل إنساني يجب أن يستهدف خلق أعلى درجات السعادة والرفاهية لأكبر عدد من الناس في المجتمع، فلا بد من أن يمنح الفرد الحق في أن يفكر ويعمل كما يشاء، فهو يحتاج إلى الحرية كي يصل بقدراته إلى أقصى درجات ازدهارها، وإذا سعد الفرد سعد المجتمع أيضاً[4].

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٠

(٢) انظر. وسائل الإعلام والمجتمع الحديث (مصدر سبق ذكره) ص ١٠١

(٣) انظر. د عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٥١

(٤) المصدر السابق ص ٥٠

هؤلاء هم أشهر فلاسفة المذهب الحر، التي استندت هذه النظرية على أفكارهم وأرائهم الفلسفية.

ويعتبر كل من لوك وملتون من أبناء القرن السابع عشر، وجون وجفرسون من أبناء القرن الثامن عشر، وستيوارت مل من أبناء القرن التاسع عشر.

وبهذا يكون مستند هذه النظرية ومرجعها إلى أصول النظام الاجتماعي والسياسي ونظرته العامة إلى الإنسان والمبادىء، أي ترجع :

١ ـ إلى أصول المذهب الاقتصادي الحر، أو التجارة الحرة، المعبر عنها بعبارة «دعه يعمل - دعه يربح - دعه يمر».

٢ ـ إلى أصول الديمقراطية السياسية أو الفكر السياسي «حرية تكوين الأحزاب، حرية التعبير والنقد»

٣ ـ إلى أصول العلاقات الاجتماعية والعلاقات الجنسية بالذات.

فالحرية في هذه النظرية الإعلامية هنا جزء من نظام يبيح الكسب الاقتصادي وفق نظرية (آدم سميث) الاقتصادية، نظام يبيح التعبير والنقد وفق نظرية فلاسفة (الحق الطبعي) نظام يبيح العلاقات الجنهسية المحرمة وفق نظرية (إذا انتفى الاكراه أصبح كل شيء مشروعاً).

يتضح مما تقدم، أن هذا المذهب، قد شجع من الناحية الاقتصادية على ظهور الديمقراطيات الرأسمالية، والاحتكارات بأوسع مفاهيمها، وإذا حقق هذا المذهب حرية في الصحافة وبقية وسائل الإعلام، إلا أنها (الصحافة خاصة) قد تطورت هي الأخرى في ظل هذا النظام إلى صناعة من

ظواهر ومشاكل اجتماعية، على رأسها تضخم رؤوس الأموال والاحتكارات، بحيث نشأ عن هذا وجود طبقتين في المجتمع الرأسمالي هما : طبقة الأغنياء المسرفين في الغنى، وطبقة الفقراء إلى أدنى درجات الفقر، مما حدى بالنقاد أخيراً إلى مراجعة صحة نظرية الحرية في الصحافة ودقة وصفها للإنسان والمجتمع، وبشأن طبيعة الحقيقة والحرية، وهل هناك حدود لهذه الحرية.

بعد الحرب العالمية الثانية ارتفعت الاحتجاجات والشكاوى من حرية الصحف في أمريكيا وغيرها من البلاد الرأسمالية، تلك الحرية التي نجم عنها فساد الأخلاق وانحطاط القيم الإنسانية، وشرع كل بلد من هذه البلدان الرأسمالية يفكر في إيجاد طريقة مناسبة لمقاومة هذه الأخطار التي خلفتها حرية الصحافة. وظهرت في أكثر بلاد العالم الحر فكرة تهدف إلى إنشاء «مجلس أعلى للصحافة» من شأنه مراقبة الصحف والحد من انحرافاتها بجميع ما يمكن من الوسائل[1]

نشأة نظرية المسؤولية : من خلال الاجتهاد في إيجاد صيغة أفضل لما خلفته وسببته النظرية السابقة، المليئة بالثقوب والسلبيات المضرة بمصلحة المجتمع بشكل عام. ثم إيجاد توازن سليم لحرية الصحافة وبقية وسائل الإعلام الأخرى. نشأت في أوائل القرن العشرين «نظرية المسؤولية الاجتماعية»

وهي بأفكارها ومعتقداتها وقيمها مثل سابقتها - نظرية الحرية - فهي تعترف بالوظائف اللبرالية في تنوير الجماهير وخدمة

---

(١) انظر. عبداللطيف حمزة. الإعلام والدعاية ص ١٢٣

النظام السياسي وصيانة الحقوق المدنية لكنها تعبر عن اعتقادها بأن الصحافة وبقية وسائل الإعلام لم تقم بأداء واجباتها بالكفاءة التي ينبغي أن تؤديها في الديمقراطية الصناعية الحديثة.

ونظرية المسؤولية تقبل أيضاً مهام خدمة النظام الاقتصادي، وتقديم الترفيه وتحقيق الربح، لكنها في ذات الوقت تضع هذه المهام في مرتبة ثانوية تلي الوظائف الهامة. وهي النهوض بالعمليات الديمقراطية والتنوير العام.

وهذه النظرية تفترض أساساً أن الحرية، بما في ذلك حرية الصحافة، لا يمكن تعريفها بمعزل عن مسؤولية ممارستها.

فوسائل الإعلام التي تتمتع بالحماية والمكانة المرموقة في ظل القوانين والأعراف الأمريكية عليها التزام قبل المجتمع للقيام ببعض المهام الجوهرية في الديمقراطية الصناعية الحديثة المعقدة، فإذا ما تحملت وسائل الإعلام مسؤولياتها وجعلتها أساس سياستها في العمل فلا ضرورة لعلاج يضمن تلبية احتياجات المجتمع المعاصر[1]

مستند النظرية :

يتبين مما تقدم أن المستند أو الأساس الذي قامت عليه هذه النظرية، هو أن الحرية حق وواجب ونظام ومسؤولية في وقت واحد، أي أن كل حق يقابله واجب، وأن حرية الصحافة وبقية وسائل الإعلام ينبغي أن تقترن بالمسؤولية الاجتماعية، وتعبر عن هذه المسؤولية.

---

(١) انظر وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ص ١١١ - ١١٢

فللصحافة الحرية في التعبير والنشر، وللتلفاز والإذاعة حرية في البث والتحدث، ولكن دون أن تتعارض أو تتناقض مع مصلحة المجتمع العامة.

والصحافة هنا ليست ملكاً للأفراد بقدر ما هي ملكاً للصالح العام، بعبارة أخرى – وكما اسلفت – فهذه النظرية ما هي إلا جزء من الجدل الدائر حول إقامة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في مجال الاقتصاد، وبين حرية التعبير والنقد وقيود القانون في مجال الفكر السياسي.

من أهم واجبات هذه النظرية :

ذكرت آنفاً أن الأساس الذي تبنى عليه نظرية المسؤولية، هو أن الحرية حق وواجب ومسؤولية في وقت واحد ... فمن هنا يتحتم على الصحافة وبقية أجهزة الإعلام أن تقوم بالواجبات التالية :

١ ــ الحفاظ على النظام السياسي القائم، وذلك عن طريق إعطاء الناس أكبر قدر ممكن من التغطية العريضة للأنباء والمعلومات الصادقة والشاملة، كما يجب أن تنشط في النهوض بما يخدم المجتمع ويسعده.

٢ ــ العمل على خدمة المصلحة الخاصة والعامة، والمحافظة على سمعة كل منهما. مع رقابة أعمال الحكومة والقطاع الخاص والعام، والتمسك بمبدأ موضوعية الأخبار.

٣ ــ القيام بخدمة النشاط الاقتصادي، عن طريق الإعلانات التي

تهم البائع والمشتري على حد سواء، وعن طريق التوجيه إلى أفضل وسائل التنمية والتشجيع عليها.

٤ ـ العمل في كل الأحوال لصالح الجمهور وراحته وتلبية احتياجاته بتقديم برامج تعليمية ومواد ترفيهية وفق المسؤولية الاجتماعية وفي حدودها.[١]

نتيجـة :

إذا تمكنت هذه النظرية من حل المشكلات الناجمة عن نظرية الحرية، نتيجة للتقدم العلمي وللتغيرات الاجتماعية التي أحدثتها الثورة الصناعية. وما يتبعها من الزيادات في حجم التعليم واستهلاك الصحف. والاحتكار وغيرها، فإنها في ذات الوقت عجزت عن حل المشكلة الكبيرة المتمثلة في خضوع الصحافة والإذاعة لرأس المال. كما أنها عجزت عجزاً تاماً عن تقديم الحلول الصحيحة للمشكلات الاجتماعية والأخلاقية ابتداءً من الفرد فالأسرة فالمجتمع. وكذا مشكلة الحرب والسلام.

٤ ـ فلسفة النظرية الشيوعية «السوفيتية» :

إن الأساس الذي تقوم عليه فلسفة هذه النظرية، هو الفكر الماركسي المادي الجدلي، الذي يضع المادة في المقام الأول ويعتبرها كل شيء، بل أنها مفضلة على فكر ووعي الإنسان، وما الإنسان إلا آلة مسخرة بينه وبين الدولة.

---

(١) انظر د عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٦٢

كما أن الماركسية ترى أن إعادة بناء الإنسان من جديد بناءً لا يغير فقط من تفكيره بل يغير من غرائزه، باعتبارها كلها نتاج النظم السابقة على الشيوعية، ومن مهام الشيوعية تغير نتاج الماضي كله.

ولا اريد الاستطراد في شرح الفلسفة الشيوعية، لأن مجال الكلام فيها واسع، وأظنه أيضاً ليس هذا مقامه، إذ قد يخرجنا عن المحاور الرئيسة لهذا المؤَلَف.

فعلى وسائل الإعلام — حسب ما تراه هذه النظرية — واجب القيام بالقسط الكبير والفعال في هذا الدور، وأن يتحرر الإنسان من ميراث الماضي كله، ليتشكل تبعاً للظروف والمتطلبات المادية، وأن يتطور تبعاً لتطور الإنتاج المادي الاشتراكي ووسائله، أي يجب أن يتحرر من الالتزامات الدينية والخلقية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، لأنها غير علمية أو غير ماركسية، ثم تعود لتلبس ملابس الإلحاد اللاأخلاقي.

إذن «**فمستند**» النظرية السوفيتية : هو أراء وأفكار ماركس أو كما ذكرت سابقاً فمنهجها هو نفس منهج نظرية السلطة. أو هي مندرجة فيها، لا فرق بينهما سوى أن نظرية التسلط كانت نوعاً من الحكم المطلق المكشوف الاتجاه والمعلن عن موقفه. أما النظرية الشيوعية فتلجأ إلى التضليل والكذب، وكل منهما يتصف بالنزعة القمعية الدكتاتورية وأسلوب التطبيق العملي لهذه النزعة.

فعن طريق الحزب الشيوعي الحاكم يتحدد الصالح العام والخير العام — في نظر أصحاب هذه الفلسفة — وعليه فلا بدّ من أن

تكون وسائل الإعلام ومضامينها ملكاً للحزب. ولا مانع من أن يقال أنها ملك للشعب.

الصحافة والنظرية الشيوعية :

الصحافة لدى الشيوعيين صحافة حرة وواقعية مرتبطة بالطبقة الكادحة وتتحدث بلسانها ولقد نص في دستورهم – كما يزعمون – على كفالة :

١ ـ حرية القول.

٢ ـ حرية الاجتماع، بما في ذلك الاجتماعات الشعبية.

٣ ـ حرية التجمع والمظاهرات التي تقوم لهدف محدد، ولهذا نص الدستور على تحديد هذا النوع المسمى بالحرية وغايتها بوضع آلات الطباعة والورق والمباني العامة والمواصلات والطرق وسائر أنواع التسهيلات والاحتياجات العامة تحت تصرف الطبقة الكادحة والتي يمثلها الحزب الشيوعي والمنظمات التابعة له ... وهكذا أطلقت الحرية لهذه الطبقة وبإسمها لتمارس جميع الحقوق، التي نص عليها الدستور، فيما يخص الصحافة ووسائل الاتصال، كما زعموا أن التأميم للوسائل وليس للفكر، وأن الإعلام هدفه تفسير المذهب الشيوعي – أو قل تزيينه وتزييف واقعه – لتذكير الشعب، بل خداعه بهذا النظام، وتعريفه بل اكراهه على استخدام الوسائل التي توصل إلى غاية الماركسيين المجهولة مع تزويد الشعب بالأخبار التي لابدّ منها[1] .

(١) انظر. د. عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٩٢ – ٩٣

وكذلك من أجل قيام الصحافة والإعلام عامة بدور فعّال في المجتمع السوفيتي والنظر إليه على أنه جهاز رسمي من أجهزة الدولة... وفي هذا يقول لينين :

«لابدّ للجريدة من أن تكون جهازاً من أجهزة الجهاد والكفاح بحيث لاتمدّ القارىء بأخبار دقيقة وصادقة عن اقتصادنا فحسب، بل يقصد الإعلام كذلك تحليل هذه الأخبار ودراستها دراسة عقلية، لكي تصل في نهاية الأمر إلى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية».

بل أن لينين وضع تعريفاً مقيداً للجريدة قال فيه :

«الجريدة ليست أداة من أدوات الدعاية الجماعية أو الاثارة، بقدر ما هي أداة للتنظيم الاجتماعي».

وبهذا تعتبر الصحافة السوفيتية أن الاثارة العقلية أهم وأنجح من الاثارة العاطفية، وأن الأولى أنسب وأليق بالأمم المتقدمة من الثانية.[1].

مما تقدم يظهر جلياً أن النظرية الإعلامية الشيوعية لا تزال تستغفل العالم بما تدعيه وتنشره وتبثه من خلال الصحافة وبقية وسائل الإعلام، منطلقة من فلسفتها ومعتقداتها المادية وفلسفتها في تفسير التأريخ والوقائع والأحداث معتمدة بهذا على الشعارات البراقة. وأساليب الكذب العلمي – الذي يدعوه – وعمليات «غسيل المخ» ضمن استراتيجية إعلامية ثابتة، معلقة على هذا أهدافاً كبيرة في

---

(١) انظر. د. عبداللطيف حمزة. الإعلام والدعاية ص ١٢٨

خداع الجماهير وتضليلها... ووفق هذا النظام الماركسي لابدّ للإنسان أن يعرف ويفهم ويدرك أنه حر، وفق الحرية الشيوعية وفي مضمونها، كما أن عليه أن ينكر ذاته وأن يعلم بأن مصالحه وآماله لابدّ أن تذوب وتتلاشى في بوتقة مصلحة المجتمع العامة، وأن أساس التطبيق الحر ومرجع التفكير الحر هو الموافقة والملائمة مع النظرية الشيوعية التي يرسمها ويحددها كل من ماركس ولينين.

خـلاصــــة :

لعله من المناسب بيان هذه الكلمة المستخلصة والموجزة التي تمثل واقع الحال في الغالب، قبل أن نتكلم عن اتجاه أو موقف الإسلام من النظريات الإعلامية المعاصرة وفلسفاتها ثم مذهب الإسلام في الإعلام.

إن الصحف في أية بقعة من بقاع العالم الحديث لا تستمتع بحريتها الكاملة في نقد الحكومة أو المجتمع، وإنْ كانت الحرية الصحفية في الدول الرأسمالية أظهر منها في الدول الاشتراكية الشيوعية نوعاً ما.

ينصح «هارولد لاسكي» فيلسوف حزب العمل البريطاني، ينصح طلبة الصحافة في مقدمة كتابه «الصحافة والشؤون العالمية» بالنصائح الأربع التالية :

١ ــ يجب عليكم أن تدركوا تمام الادراك أنه لا توجد حكومة في العالم لا تعمل على توجيه الأنباء الوجهة التي تخدم مصالحها.

٢ ــ يجب أن تدركوا كذلك أن هناك هيئات كثيرة تعمل في جمع

الأنباء وتحاول تلوين بعضها باللون الذي تمليه عليها الأهواء والأغراض والتحيزات ونحو ذلك.

٣ ــ يجب أن تدركوا كذلك أن المراسل الخارجي، وهو رجل له وزنه الخاص للأمور، كثيراً ما تضطره الظروف إلى تلوين الأخبار التي يبعث بها إلى صحيفته وتحريفها كذلك.

٤ ــ يجب عليكم أن تدركوا تماماً أن هيئة التحرير في كل صحيفة بحجة السياسة التي تتميز بها عن بعض الصحف الأخرى تقوم باختيار الأخبار على أساس الهوى والغرض، ثم تقوم بتحرير هذه الأخبار بطريقة تتفق وهذه السياسة.

يدل هذا كله على أن الحرية الصحفية لا وجود لها في الوقت الحاضر، ولو صح أو فُرض وجودها في صحافة اليوم، فإنها تكون مهددة بأخطار كثيرة، منها ما يأتي من جانب الحكومة ومنها ما يأتي من جانب الصحف ذاتها[1].

فلسفة النظريات الإعلامية في ضوء الإسلام :

اتجـاه الإســلام :

إذا ما وضعنا مذهب الإسلام وتوجيهاته في إطار كالإطار النظري للمذاهب والاتجاهات الأخرى فالواجب العلمي يقتضي النظر في تلك المذاهب والاتجاهات، كما يحتم علينا إعادة تنظير تلك المذاهب

---

(١) المصدر السابق ص ٨٩ – ٩٠

والاتجاهات للأسباب التالية :

أولاً : عدم وضوح مفهوم الحرية في أذهان المنظرين والمصنفين للنظريات الإعلامية :

فالحرية ليست الخروج من نظام وقواعد الإنسانية، وليست التمرد على قوانين وشرائع الأخلاق الاجتماعية كما يراها أعداء الإسلام، على الأقل في مفهوم الإسلام وفي ضوء العلم الحقيقي.

وإذا كانت الحرية تعني الانطلاق فهي كذلك بشروط، وهذه الشروط هي :

١ ــ عدم تجاوز القواعد اللازمة لتحقيق الإنسانية.

٢ ــ الالتزام بالقوانين الضرورية لصلاح الأخلاق والشرائع.

٣ ــ التمييز بالسلوك الحر عن سلوك الحيوانات والبهائم.

فإذا أردنا أن نبحث عن سر هذه الشروط للحرية، فعلينا أن نفهم أن هناك مفهومين آخرين يقابلان هذه الحرية، هما : الفوضى والعبودية، ولكي نميز الفوضى عن الحرية، لا نستطيع أن نغفل شيئاً هاماً، هو أن الوجود كله محكوم بقواعد وسنن وقوانين إلٰهية، كل المخلوقات في إطارها لا يمكنها أن تخرج عنها أو تفلت منها – فيما عدا الإنسان – فقد ترك له جانب من حياته يتحكم فيه هو بارادته، ولكي يكون حراً فحريته بالتزام سنن الله وقوانينه، ولكي يكون عبداً أوفوضوياً فعليه أن يلتزم بشرائع العباد وقواعد النظم الوضعية، أو يتمرد على كل نظام، شأنه شأن بقية الكائنات، فهي حرة طالما كانت ملزمة بقوانين وسنن الكون الالٰهية، تطير مع الرياح وتنجذب مع الجاذبية، وهي غير ذلك إذا ألزمها غير الخالق بوضع

مخالف، فمن أراد الحرية الحقيقية اختار أن يكون عبداً لله وحده، لأنه لا خيار للإنسان إلا أن يكون عبداً لغيره، أو حيواناً مطلق العنان بلا قانون ولا نظام.

وكل من يخضع لتشريعات ونظم من وضع البشر، فقد اختار العبودية لغير الله، فلا يسمى حراً وإن جاءت القوانين البشرية مطلقة لغرائزه، مشرعة لحيوانيته يمارسها كيفما شاء، فلا يسمى هؤلاء أحراراً، إنما يسمون أنعاماً أو خنازيراً أو كلاباً.

فمفهوم «الحرية في الإسلام» غيره لدى فلاسفة النظم الأخرى، وهو يعني اطلاق العنان للإنسانية في الإنسان، كما يغني اطلاق العنان للعقل باعتباره المميز لهذا المخلوق عما سواه من سائر الكائنات، وفي سبيل تحقيق حرية هذا شأنها، لابدّ من ضبط الغرائز وتنظيم الشهوات، وهذا ما يقوم به الإسلام حين يحرر عقل الإنسان من العبودية لغير الله. فلا يرضى بشرع غير شرع خالقه، وحين يحرم على الغرائز ممارسة أهوائها وشهواتها، فلا تنزع إلى الحيوانية، ولا تضل بالإنسان عن طريق الإنسانية الحقيقة.

والسبب الثاني الذي يستوجب فيه إعادة تنظير المذاهب والاتجاهات، هو مفهوم التسلط ومفهوم الالتزام ومفهوم المسئولية الاجتماعية. فبناءً على فهم الحرية فهما خاطئاً، لابدَّ أن ينسحب هذا الخطأ على هذه المفاهيم، فقد يعني فيلسوف الغرب وتابعه أن ضبط الغرائز الحيوانية نوع من التسلط والدكتاتورية، وقد يعني منظّر الشرق أن الالزام بغير الماركسية نوع من الخيال وخروج على العلم، وقد يعني مصنف المسئولية الاجتماعية، أن المجتمع هو صاحب تشريع الرذيلة والفضيلة،

وهو الأحق بالحكم على تحريم هذا واباحة ذاك، فلا يكون شرع الله في نظره مسئولية، ولا يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متمدناً، وقد يعني الصهيوني كل تصوف حر في الحقيقة عداء للسامية... الخ[1]

لهذا فمن الضروري إعادة تصنيف وتسمية النظريات بمسمياتها الحقيقية كما يقول بذلك الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الاعلام في ضوء الاسلام» :

«لهذا يجب على علماء الإسلام أن يعيدوا تنظير وتصنيف النظريات الإعلامية تصنيفاً يتفق مع فهمهم هم للحرية وللفوضى وللعبودية وللتسلط وللمسئولية الاجتماعية. وذلك على النحو التالي :

١ ـ نظرية الفوضى الحيوانية :

جرى تسمية الانفلات الحيواني في الدول التي أراد لها اليهود أن تكون كذلك بالحرية، والصحيح أن تسمى الأشياء بمسمياتها، خصوصاً وأن الأرهاب الفكري يسود هذه الدول ويسيطر عليها سيطرة كاملة، وهذا يعني أن العقل لم يتحرر، إنما الذي تحرر الشهوات والغرائز والأهواء، لهذا فإن الاسم العلمي لنظرية الحرية المدعاة، والسائدة في أوربا وأمريكيا واتباعهما، هو «نظرية الفوضى الحيوانية».

وأويد الدكتور عمارة نجيب في هذه التسمية، إنها فوضى

---

(١) أنظر الدكتور عمارة نجيب، الاعلام في ضوء الاسلام صـ ٦٦-٦٧

في كل شيء، فوضى في الأمور الاقتصادية، وفوضى في الأمور السياسية والثقافية والتعليمية، وفوضى وحيوانية في العلاقات الاجتماعية والأخلاقية، وفوضى وحيوانية في السياسة الإعلامية.

٢ ــ نظرية العبودية والاسترقاق :

إذا كان للتسلط معنى غير الضغط والاكراه على أي نحو يكون هذا الضغط والاكراه، فإن هذا المعنى في نظر المسلمين ليس هو اكراه الناس على طريق الحق واطرهم عليه أطراً، لأن طريق الحق وإن أُخذ الناس إليه بالقوة والضغط والاكراه، فإن هذا – في نظرنا – لا يمثل اعتداءً على حرية الإنسان، إلا إذا اكره العقل ذاته، وأجبر على التسليم بما لم يقتنع به، وهذا ما لا يفعله الإسلام، أما إجبار الغرائز والشهوات واستعمال القوة معها لصالح العقل، فلا يسمى تسلطاً – في نظرنا وفي ضوء العلم والحقيقة – ولهذا يجب أن تسمى نظرية التسلط «بنظرية العبودية والاسترقاق»، لتشمل كل الدول التي يحكمها قانون وضعي، وتديرها عصابة من البشر، كما هو الشأن في البلاد النائمة التي يسمونها بالنامية، ومنها معظم الأقطار العربية الإسلامية.

وليخرج الحكم القوي الشديد، ولكن بشرع الله الموجه ضد الحيوانية في الإنسان، وضد الشهوات والأهواء والرغبات الفردية الأنانية عن هذا التعريف... إذ أن شريعة الله – كما هو معروف – لم تقسم الناس إلى طبقات، ولا كيان الإنسان إلى قوى مختلفة ومتصارعة، كما قسمها فلاسفة هذا المذهب التسلطي، كما أن الشريعة لم تمنح عقل الإنسان حق التحكم في القوى الشهوانية في جسمه،

والطبقة الحاكمة حق احتكار الصواب، كما منحها أصحاب هذه النظرية.

٣ ـ النظرية الآلية أو الميكانيكية :

وهنالك النظام الذي يعتبر الإنسان مجرد مسمار في آلة، أو ماكنة تسمى بالمجتمع، وكلاهما - المسمار والماكنة أو الآلة - يديرها نظام الحزب الواحد الذي يضع نفسه موضع الرب في كل شيء، فهو المانع وهو المعطي، وهو مصدر الثواب ومصدر العقاب، وهو الأحق بالطاعة والولاء بالاكراه، وهو المتصرف في حياة الأفراد والجماعات، وهو مالك كل شيء، وهو المشرع وهو المطّلع على أسرار الناس بعيون لا عدّ لها من الجواسيس والعملاء والرصد.

ذلك هو النظام الاشتراكي بكل صوره وأشكاله.

نظام دكتاتورية الحزب الواحد المتمثل بالشيوعيين والبعثيين، وغيرهما من المرتبطين بالغرب أو الشرق، ابتداء من الإتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية وانتهاء ببعض أقطار عالمنا العربي الإسلامي.

وإذا سميت هذه النظرية بنظرية الالتزام الشيوعية، فهذا نوع من التزوير والتزييف، لأن الالتزام فيه جزء من الارادة، وفيه احساس بشيء من الحرية، وهذا وذاك من الممنوعات التي لا تتفق مع واقع هذا النظام الخطير.

٤ ـ نظرية المد والجزر أو النظرية المطاطة :

إن ما يسمى بالمسئولية الاجتماعية نوع من المطاط السياسي، يمتد فيعطي الحكام حق السيطرة والاستعباد والاذلال لجميع الكتاب

والناشرين والمتحدثين بإسم المصلحة العامة والمسئولية الاجتماعية.

وينكمش فيضع على عاتق الناشرين والكتاب والمتحدثين واجب تقديس الراقصات وتزيين الرذائل والموبقات بدعوى عدم مساس هذه الأشياء بحقوق المجتمع، مع واجب احترام مشاعر المغني والمغنية والمومس والداعرة وغير هؤلاء وأولئك من الطبقات المنحلة والمتاجرة بالأعراض والمخدرات ومنهم اليهود[1]

وهذه النظرية ماهي إلا بديل صهيوني جديد نُظّم باتقان ومكر ليحل محل الحرية ... كما يقرر ذلك الدكتور عمارة نجيب في كتابه.. الإعلام في ضوء الإسلام حيث يقول :

«وهذا يعني أن نظرية المسئولية الاجتماعية بديل صهيوني جديد أعد بحذق ودهاء ليحل محل الحرية التي بدأت تفهم على أنها حق المواطن في نشر وإذاعة جرائم اليهود، والإعلان عن جمعياتهم السرية ومخططاتهم اللاإنسانية، كما يعني أنها قد تحل محل نظريات التسلط والالتزام والحرية في الوقت المناسب، بعد انفجار البلاد المحكومة بالحديد والنار، أو بعد تحلل الأحزاب لتخدم أهداف اليهود أيضاً في قمع كل معارضة ضدهم باسم المسئولية الاجتماعة ولتعطيهم هم حقوقاً وامتيازات باسم المصلحة والنمو الاجتماعي وهكذا.

وعليه فلا نرى في عملية تصنيف وتنظير النظريات الإعلامية إلا الايحاء والايهام بأنه لا مفر من الدوران في الفلك الصهيوني، والعمل في رحاب النظم التي وضعت باسم العلم، والعلم منها براء،

(١) المصدر السابق ص ٦٨ – ٦٩

براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب»[1]... وهكذا يجب أن تسمى الأشياء بمسمياتها التي تستحقها.

«والمؤلف» يناصر ما ذهب إليه الدكتور عمارة في تسمية هذه النظريات، التي لم يجد «المؤلف» لها في كتب الإعلام مثل هذه التسمية، ولنبتعد عن الزيف والهراء والتضليل، ولنتمسك بالإسلام لأنه يغنينا عن كل شيء زائف وباطل.

«والحق أن الإسلام يغنينا عن هذا الهراء الذي لبس ثوب العلم، حين يكشف لنا عن زيف كل ما عداه، ويعرى لنا ضلال كل النظم والاتجاهات الوضعية، باعتبارها قصيرة النظر قليلة الحيلة فيما يتصل بشئون النفس والاجتماع، فلا يعلم بالنفس إلا خالقها ولا يحيط بنظام الاجتماع إلا القادر الخبير المدرك للعالم في ماضيه وحاضره ومستقبله»[2]

المذهب الإسلامي في الإعلام :

إن الإسلام شرع من الله الخالق الحكيم أوصى به لخير البشرية جمعاء، صالح لكل زمان ومكان، يتصف بالشمولية، أي أن توجيهاته تعالى تشمل جميع أمور الحياة صغيرها وكبيرها، تسليماً بقدرته تعالى على إدارة شئون مخلوقاته، وبإنه وحده صاحب الحق في وضع قواعد وأسس وأركان هذه الإدارة.

ومسؤولية علماء المسلمين هنا تنحصر في استخراج هذه

---

(١) الصفحة ٦٩

(٢) نفس المصدر ص ٧٠

القواعد واستنباط هذه الأسس والأركان، لكل أمر من أمور الحياة المتشعبة وفق مبادىء الشرع الحنيف.

فمن هنا لا تنطبق كلمة نظرية وتنظير وتصنيف على الإسلام. إذا عنيت وجهة النظر الإنسانية أو إذا قصد منها وجود فلسفة البشر لها أو اجتهادهم في صنعها. [لأن الإسلام حقيقة وليس نظرية قابلة للخطأ والصواب].

أما إذا قصد بالنظرية مجرد التصنيف الذي هو الاجتهاد في القياس والمقارنة والتسمية مثلاً أمكن هذا بتجوز. [ومن باب المقابلة بتسمية النظريات]. ثم إذا أردنا قياس مذهب الإسلام بالحرية، وجدناه هو الحرية الحقيقية المطلقة، وعليه يمكن أن يقال عن مذهبه «مذهب الحرية» وعن نظامه «نظام العدل المطلق» لا على أساس عاطفي، ولا من منطلق التعصب والجدل الأحمقين، بل وفق منهج علمي تجريبي، ومن منطلق العقل الواعي الناضج المثقف.

فحروب الإسلام لتحرير العقل، كما صوّر ذلك ربعي بن عامر. رسول المسلمين إلى «يزدجر» ملك الفرس، بقوله له :

«جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»

ونظامه السياسي الحارس والحامي لهذه الحرية التي يولد الإنسان عليها، كما عبّر عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته لعمرو بن العاص والي مصر، حين اعتدى أبنه على أحد العامة وأفتخر بآبائه، قائلاً له «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»[1]

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٧٠-٧١

فالإسلام بكل مبادئه وتشريعاته يقيم الحرية الحقيقية، ويدافع عنها ويحميها... والواجب هنا يقتضي تسليط المزيد من الضوء الصحفي والإعلامي على تلك المبادىء وتزينها وتجميلها وتحبيبها لنفوس الناس، وحثهم على التمسك بها.

أسباب الاهتمام بتطبيق مناهج البحث الحديثة في مجال الإعلام :

لقد أجريت في السنوات الماضية كثير من الدراسات التي تهدف إلى معرفة كيف يمكن التأثير على عقول البشر وكسب صداقات الأمم.. كما ذكرت ذلك جيهان رشتي في كتابها «الأسس العلمية لنظريات الإعلام»(1) ... وأنه قد حاول كتاب «نظريات الإعلام الأربع» الذي صدر سنة ١٩٥٦ م، أن يصنف تحت أربع نظريات أغلب نظم الاتصال الموجودة في العالم.

وتبين رشتي كيف تناول هذا الكتاب شرح الأساليب التي تعمل بمقتضاها وسائل الإعلام في مختلف الأنظمة السياسية، وتذكر مثالاً لدراسات أخرى تركز على تأثير التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي على الإعلام ودوره المؤثر على هذه المجالات، والصلة المباشرة بين هذه المجالات وبين الآثار التي تنعكس على مختلف الأنظمة الإعلامية.

كما تعلل ازدياد الاهتمام بتطبيق مناهج البحث الحديثة في مجال الإعلام خلال الأربعين عاماً الماضية لأسباب عدّة، منها :

١ ــ ازدياد اهتمام الهيئات الحكومية بالدعاية خلال الحربين العالميتين

(١) الطبعة الثانية ص ٤٠ ومابعدها

الأولى والثانية، وقد أدى هذا الاهتمام إلى دراسة طرق التأثير على الرأي العام، كما ساعد على تطوير مناهج البحث الحديثة وتطبيقها على نطاق واسع لقياس التأثير، وقد استمر اهتمام الحكومة الأمريكية بأبحاث الاتصال بعد الحرب، فقامت وزارة الزراعة وعلماء الإعلام الريفي بعمل دراسات خاصة عن أنماط تبني الأفكار الجديدة والمنتجات الجديدة بين الجماعات القروية، كما اهتمت نفس الوزراة بعمل دراسات عن التسويق والإعلان.

٢ ـ قيام نظم سياسية تقوم على السيطرة في الإتحاد السوفيتي وإيطاليا وألمانيا ودول أخرى، واستخدام الحكومات لوسائل الإعلام لزيادة نفوذها في الداخل والدعاية في الخارج، مما جعل الجماهير في المجتمعات الغربية تشعر بالخوف من تأثير الدعاية.

٣ ـ تركز ملكية وسائل الإعلام في أيدي أقلية في الولايات المتحدة الأمريكية، واختفاء الصحف المتنافسة في غالبية المدن الأمريكية، وامتداد ظاهرة الاحتكار إلى ميدان الإذاعة والتلفاز، مما زاد من قلق المصلحين الاجتماعيين والمشرعين من تأثير احتكار أقلية لوسائل التوجيه والإعلام، خاصة الوسائل الجديدة التي تطورت بسرعة.

٤ ـ قيام المنافسة بين المذياع «الراديو» والتلفاز وبين وسائل الإعلام القديمة للحصول على أكبر دخل من الإعلام، كانت هذه المنافسة من أهم الأسباب في ازدياد الاهتمام بتطبيق الأساليب العلمية الحديثة.

فالمذياع «الراديو» لم يكن له شباك تذاكر مثل السينما أو أرقام للتوزيع مثل الصحف، لهذا اضطر المسؤولون عن المحطات الإذاعية إلى استخدام الأساليب الاستقصائية المطبقة في مجال العلوم الاجتماعية، ليقدموا للمعلنين معلومات دقيقة عن المستمعين.

ومن المعروف أن السينما من وسائل الإعلام المكلفة والمؤثرة. لذلك كان من الضروري قياس تأثيرها، خاصة وأن دراسة ذلك التأثير كان سهلاً، لأن جمهور السينما موجود عادة في مكان محدد، في حين يكون جمهور الصحف والمذياع والتلفاز موزعاً على مناطق شاسعة.

٥ ــ الاهتمام بدارسة التأثير السياسي لوسائل الإعلام، وبشكل خاص أثناء حملات انتخاب الرئاسة الأمريكية، وقد أدى هذا إلى اكتشاف حقائق جديدة عن الدور الذي يلعبه الاتصال الشخصي في المجتمعات المتقدمة، كما أدى إلى وضوح أهمية الدور الذي تلعبه الجماعة في التأثير على أعضائها، كذلك أجريت دراسات على الاشاعات، وخصائص الرسائل الإعلامية، وتولت الهيئات الأكاديمية، مثل مركز الدراسات الاجتماعية التطبيقية بجامعة كولومبيا، ومؤسسات الأبحاث الإعلامية في جامعات بيسل وستانفورد والينول مسؤولية إجراء تلك الأبحاث وتطويرها.

لا ريب فالضرورة الإعلامية في كل المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ستظل قائمة على الدوام.. ولذلك أصبح

الإعلام علماً قائماً بذاته له قواعده ومدارسه ونظرياته وتقنياته أيضاً.. وذلك لأهمية الدور الذي تلعبه وسائله المختلفة في التوجيه والتأثير والتثقيف... ولهذا فلا غرابة من بروز مدارس أو مراكز تختص بأبحاث الإعلام، هذا العلم الذي لا يستطيع أي جهاز سياسي أو ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي إذ ما أراد تحقيق غاياته، الاستغناء عنه أو التحرك بدونه... ولا ريب فإن المسألة تختلف بالنسبة للغايات والمقاصد وأساليب تحقيقها بين التشريعات والنظم الوضعية والشريعة الإسلامية..[1] ففي حين لا تهتم النظم التي هي من صنع البشر بالغايات الشريفة المحققة للعدل والحق ومصلحة الإنسان ولا حتى بأساليب تحقيق تلك الغايات في أبحاثها ودراساتها الزائفة والمضللة... يحرص الإسلام الحنيف الذي هو من صنع خالق البشر في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها على أن تكون الغايات محققة للحق والعدل ومصلحة الإنسان متبعة كل الأساليب الشريفة والصحيحة في أبحاثها ودراساتها في كل المجالات.. ومنها مجال الإعلام، ولذلك ظهرت محاولات ابعاده عن هذه الأبحاث بشتى الوسائل والادعاءات... فكان من نتائج غيابه عن ساحة البحث والدراسة ماسيأتي :

نتائج غياب الإسلام عن دراسات أبحاث الإعلام :

نتيجة لاقصاء وابعاد الإسلام عن ميدان الدراسات والأبحاث

---

(١) هذه «الشريعة» تتصف بالاستمرارية والقابلية للتطبيق والصلاحية لكل زمان ومكان، حيث تتوافق وخصائص وطباع الإنسان، وتحقق ذاتيته وأمنه.. وتجمع بين المثالية في أحكامها ونصوصها وبين الواقعية في تطبيقها.. في خالدة خلود البشرية لأن أساسها حبل الله المتين.

الخاصة بمجال الإعلام. فقد تهيئت الفرص لادعاءات شتى، كلها تخدم أفكار ومذاهب أعداء الإسلام من علمانية وصليبية ويهودية، هذا ما يوضحه الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الاعلام في ضوء الاسلام» حيث يقول :

لقد كانت محاولات ابعاد الإسلام وغيابه عن ميدان الدراسات والأبحاث الإعلامية فرصة لادعاءات مختلفة تخدم أفكاراً علمانية - يهودية وصليبية - وأبرزها فصل الدين عن الحياة وعن إدارة أمورها وسياستها، كما تخدم خطط التحلل والاباحية باسم الحرية والتمدن، فضلاً عن خدمتها لخطط التسليم بعلمية مفاهيم ونظريات وأبحاث هذه الميادين. بدعوى البحث العلمي والمنهج العلمي .

ولو صح اعتماد المنهج العلمي الصحيح والأخذ به كأساس لعلوم النفس والاجتماع الإنساني لصلتها بأساليب الاتصال والأبحاث الإعلامية، لوجدنا الإسلام على رأس المسلمات البدهية بل العلمية، لكونه من لدن العالم الوحيد بغيبيات هذه الأمور، ولأنه الحقيقة التي تصمد وتثبت أمام أعمال المنهج الصحيح للبحث والدراسة[1].

وكان من نتيجة غياب أو تغييب الإسلام وابعاده عن ميادين البحث، واهمال الكثير من اهتمامات ودراسات المخلصين من أبنائه في هذا الميدان وغيره، أن دخل في البحوث والدراسات الإعلامية وغيرها الكثير من الزيف والخداع والتضليل والكذب. وطغت على ما تحتاجه البشرية من الحقائق والصدق والهداية.

إن الإسلام قد جاء بقواعد وأسس كل العلوم المتصلة بالنفس

---

(١) انظر. ص ٨١

والاجتماع، وهو وحده الذي يضمن علمية هذه القواعد وعلمية نتائجها ومنها علم الإعلام.

مرجع تقسيم النظريات إلى أربع، وموقف الإسلام منه :

يكفينا هنا الاطلاع على مراجع ومستندات المصنفين لنظريات الإعلام وسنرى مدى اغفال الإسلام كمرجع علمي، في حين كان الإسلام هو المحرك والموجه لأوربا كلها نحو العلم وتحرير الفكر من الخرافات والأوهام، وتحرير الإنسان من عبودية رجال الكنيسة ومن سلطة الحكام الذين يستمدون سلطانهم من سلطة رجال الكنيسة.

لقد قررّ سيد قطب - رحمه الله - في كتابه «هذا الدين»[1] - حين قال :

«إن حركة الاصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر. كالفن في أوربا، وحركة الاحياء التي تقتات منها أوربا حتى اليوم، وحركة تحطيم النظام الاقطاعي في أوربا، والانطلاق من حكم الأشراف، وحركة المساواة وإعلان حقوق الإنسان التي تجلت في «الماجناكارتا» في إنجلترا، والثورة الفرنسية في فرنسا، وحركة المذهب التجريبي التي قام عليها مجد أوربا العلمي وأنبعثت منها الفتوحات العلمية الهائلة في العصر الحديث، وأمثالها من الحركات الكبرى التي يحسبها الناس أصولا في التطور التأريخي... كلها قد أُستمدت من ذلك المد الإسلامي الكبير وتأثرت به تأثراً أساسيا عميقاً».

---

(١) طبعة / دار الشروق - ص ٦٧.

إن رجال الإعلام يرجعون مستند تقسيم النظريات إلى أربع، إلى الاستقراء الذي انتهى إلى تقرير مايلي :

«الحكم والحاكم أو السلطة والسلطان».

أما أنهما يقومان على فكرة اطلاق يد الحاكم وحصر السلطة في يده، بحيث لا يسمح لقوة أخرى أن تشاركه في الرأي أو في الحكم مهما كانت، وأما أن يكونا – أي الحكم والحاكم – متحررين يقومان على فكرة بسط الحبل للشعب واشراكه في الحكم وفي الرأي، أو التنازل عنهما للشعب، وأما أن يكونا واقعين بين هاتين الفكرتين... فيقتربا من النظام الأول وهو القائم على فكرة اطلاق يد الحاكم وحصر السلطة في يده. أو يقتربا من النظام الثاني : وهو القائم على فكرة بسط الحبل للشعب والتنازل له عن السلطة أو بعضها.

وقد وصف الاستقراء بهذا الشكل بصفة العلمية، وادعى أنه بذلك قد شمل جميع النظم الحاكمة قديماً وحديثاً.

ربما يعتبر هذا صحيحاً من الناحية الشكلية. لكن إذا وضعنا تصنيف نظام الإسلام ضمن هذه الأشكال الأربعة، نكون قد وقعنا في مشكلة هي :

هل يدخل ضمن فكرة اطلاق يد الحاكم.وحصر السلطة في يده باعتبار الواقع؟

وما هو الرأي لو كان فاهماً لما جاء به الشرع؟ وراح يطبقه بشدة يصفها عمر رضي الله عنه بقوله «لأطرنكم على الحق أطراً» وحينئذ يكون متهماً من وجهة النظر المصنفة لهذه النظريات والآخذة

بها، أم يدخل ضمن فكرة اطلاق الحبل للشعب باعتباره تحريراً للإنسان من سلطة السلاطين وحكم الحاكمين، لأن الحكم والسلطان لله وحده وكل ما في قدرة الحاكم هو تنفيذ حكم الله وشرعه.

فعندها يكون دور الشعب في التشريع مختصراً أو يزول تقريباً... وفي كل الأحوال يصبح النظام متهماً من المصنفين، بالكبت والتضيق والضغط.

أما إذا وضعنا نظام الإسلام ضمن نظرية من النظريتين البينيتين، كالنظرية الشيوعية أو نظرية المسؤولية الاجتماعية. لوجدنا مخالفة الأولى للإسلام تماماً ومن كل الجوانب النظرية والعلمية. ولوجدنا في الثانية بأن المسؤولية في الإسلام ليست مسؤولية أمام المجتمع، وإلا حقَّ لأي سياسي أن يفعل ما يخالف الإسلام استجابة للرأي العام، أي للمجتمع.

وهذا ما يرفضه الإسلام تماماً، فالمسؤولية أمام الله، هي مسؤولية شرعية ودينية وليست اجتماعية بهذا المفهوم التصنيفي.

وعليه فإن الاستقراء لو كان علمياً حقاً. لأضاف نظرية خامسة وسماها نظام الإسلام. لأنه نظام يحرر الإنسان بحق في إطار من السلطة الشرعية القوية، التي لا تطلق يد الحاكم بمفهوم نظرية التسلط، ولا تطلق يد الشعب بمفهوم نظرية الحرية.

كما أنها لا تلزم الشعب قهراً واكراهاً وظلماً بمفهوم الشيوعية. ولا تلزمه تساهلاً وهوناً بدعوى المسؤولية الاجتماعية.

إنما تحرره من أهوائه وشهواته، وتطلق العنان لعقله كي يفكر بحرية كاملة، وينتج ويتقدم بعزة وكرامة.

ولهذا فإن محاولة حشر الإسلام ضمن إحدى النظريات - ولو كانت نظرية الحرية - خطأً كبير وافتراء، لأن الحرية عند مصنفي النظريات والآخذين بها تعني شيئاً آخر غير الحرية الحقيقية[1]... تعني الحرية المطلقة، المتحررة من الضوابط والروابط في عالم عدواني، ترى الإنسان بقدره وجلاله وقد أصبح ازهاق روحه لا يكلف شيئاً، فيرمى في الشارع قتيلاً مجندلاً يسبح في دمائه من أجل مال كان يحمله أو حقد وبغض يحمله قاتله... أو ترى أمرأة عارية متبرجة بين أحضان الرجال، تمارس شهواتها بكل حيوانية... أو .. أو.

ولو بحثت عن الأسباب والدوافع الحقيقية وراء تلك الجريمة الحمقاء أو ذلك المنكر القبيح لوجدت أن الحرية المطلقة على رأس الأسباب في ارتكاب هذه الجريمة وذلك المنكر... الفاسقون والفاسقات يرتكبون المعاصي ويعيثون في الأرض الفساد، بهوى من الحرية المطلقة الفوضوية. الخراب يعم البلدان ويسلب حق الضعيف وتستباح محارمه وتهان كرامته على ضوء الحرية التي يتغني بها أعداء الإسلام.. وما أكثر الشواهد والآثار الباقية - حتى يومنا هذا - في عالم الغرب الصليبي والشرق الملحد، بل حتى في عالمنا العربي الإسلامي، كل هذا لأنها بعيدة عن الحرية الحقيقية الملتزمة والمنضبطة وفق مبادىء ديننا الحنيف ومنهجه في القرآن والسنة.

مما سبق يتضح أن عامل الحرية هو العامل الأساسي في بلورة النظريات الإعلامية الأربع، وكما تقدم بينتُ نظرة أو مفهوم كل

---

(١) انظر. د عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٨١ - ٨٤

منها لهذا العامل، أما في الإسلام، أو في النظرية الإسلامية للإعلام فإن مفهوم الحرية يرتبط أساساً بثلاثة عوامل :[1]

١ ـــ العبودية لله سبحانه وتعالى.

٢ ـــ الحرية الذاتية للفرد.

٣ ـــ مسؤولية الفرد تجاه المجتمع.

لذلك فإن الإنسان في المفهوم الإسلامي حر حرية ذاتية مستقلة، ولكنه في ذات الوقت مكلف بخلافة الله في الأرض، ومسؤول مسؤولية اجتماعية، وبذلك يوائم الإسلام بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع في عقد واحد، ويحقق التوازن المفقود في النظرتين العالميتين الرأسمالية والشيوعية.

إن الإسلام يقدم للعالم مفهوم «الحرية المسؤولة الملتزمة» وهو مفهوم الوسط كالأمة الوسط حقيقة هذه الأمة.

مقياس الإسلام :

يظهر – مما تقدم – أن بحث هذه المسائل بعيداً عن منهج الله واعتماد مقاييسه. لا يؤدي إلا إلى تبديد جهود الباحثين فيها، واهلاك المصدقين لها، لأنهم لا يصدقون العالم الخبير المحيط بها، في حين يصدقون الجاهل العاجز عن الاحاطة بشؤونها وأسرارها، وخير شاهد على ذلك ما يعاني منه العالم اليوم، حيث الجري في كل صوب بحثاً عن السعادة والطمأنينة والأمن والاستقرار.

---

(١) مجلة المجتمع. العدد ٤٢٩ تاريخ ٢٤ صفر ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٧٩م ص ٣٠

بينما ذهب المسلمون الحقيقيون بالسعادة كلها، لأنهم عرفوا كيف يوفرون لأنفسهم ولمجتمعهم راحة النفس وطمأنينة القلب، واستقرار الوجدان والشرف والتقدم على ضوء منهج القرآن والسنة.

حيث وصلوا إلى النظام الذي يحقق لكل فرد ذاتيته المستقلة السعيدة المكرمة، وللمجتمع ذاتيته العزيزة السعيدة المهابة.

وحيث وجدوا الكيفية التي يصونون بها كل الطاقات ويوجهونها لصالح الإنسان وسعادته ورفاهيته.

لقد تضمن القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ قواعد وأسس هذه الأمور... فلابدّ إذاً من اعتماد منهج القرآن والسنة مقياساً لكل بحث ودراسة. ولكل عمل في هذا الميدان، كما يجب ألا نغفل أبداً أن العلاقة وطيدة وعضوية بين الإعلام والدعوة الإسلامية. فلا يجوز الفصل بينهما اطلاقاً، خاصة إذا علمنا أن المذهبين أو النظامين السياسين، النظام اللبرالي – الحر – والنظام الاشتراكي – الشيوعي – لم يفصل أيّ منهما إعلامه عن دعوته لفلسفته والترويج لمبادئه وسياسته.

فأي عمل أو أي أمر لا يستند إلى قواعد الشرع الإسلامي ولا يعتمد منهج القرآن والسنة في القياس والتقويم والملاحظة. علينا أن نرفضه ولا نقبله، من ذلك الاستجابة للرأي العام على علاته وتلبية اهتمامات الغرائز على شرها وسوئها، وكالقول بحق المتلقي في اشباع رغباته المشتاقة إلى الرقص والغناء والموسيقى.

ومثل الاعتقاد أن التقدم رهن بخروج المرأة واحتكاكها بالرجل في

كل المواقع واعطائها الحرية المطلقة. بسفورها وتبرجها وممارستها لأهوائها وشهواتها.. وغيرها من الأمور.[١]

وهكذا أخذت وسائل الإعلام المعاصرة عامة – والصحافة بالذات – ونظرياته المختلفة تتنافس وتتحارب لبث براجها ونشر أفكارها على كل شعوب العالم، من أجل كسبها، سالكة كل سبل التشويق والترغيب لهذه البرامج والأفكار، مستخدمة كل الطاقات والامكانات غير مبالية بما يبث وينشر، إن كان ذا مضمون ومفهوم أخلاقي شريف وقيم خيّرة أو العكس. إنما كل غايتها هو الدعوة والدعم لنظام أو حاكم معين والتأييد والترويج له.

وها نحن اليوم لم نكن بعيدين عن ساحة هذا الصراع الإعلامي أو الحرب الإعلامية بين أنظمة الشرق والغرب، وما تستخدمه من فنون الأساليب لمصلحتها – لا لمصلحة الشعوب المستضعفة – المسماة اليوم – بالدول النامية – أو دول العالم الثالث، لقد أعتبر – بكل أسف – عالمنا الإسلامي، عالم الرسالات ومهد الحضارات، من الدول النامية المستغلَة.

فمع هذا الواقع المرير وما يحويه من تناقضات وسلبيات وصراعات شتى، نرى أنه لابدّ من تطويع كافة وسائل الإعلام المتطورة – والصحافة بوجه خاص – وما يمكن أن تبثه وتنشره من برامج وأفكار لخير عقيدتنا ومبادئنا الإسلامية.. ولابدّ من إعلام ذي غاية إسلامية وفق منهج القرآن والسنة.

---

(١) انظر المصدر السابق الاعلام في ضوء الاسلام ص ١٠٠ – ١٠١

أثر الاتجاهات المعاصرة في الصحافة :

هناك جملة أسباب ساعدت وتساعد الاتجاهات المعاصرة على التواجد الدائم في ساحتنا العربية الإسلامية، ولعل من أبرزها ما يلي :

١ ـ **وجود الفراغ الديني** : إن وجود الفراغ الديني في مجتمعنا الإسلامي المترامي الأطراف، هو أول ما يعين الاتجاهات المعاصرة - شيوعية ورأسمالية وبعثية ـ على تضليل وخداع هذا المجتمع وهذه الأمة، ويوقع الضعاف في شراكها.

ولقد ساعد هذا الفراغ مواقف بعض علماء الدين المتقوقعين في معارفهم التقليدية ورجال السياسة المنسلخين عن عقيدتهم وشريعتهم، الراكنين إلى الذين ظلموا والمداهنين لهم.

إن معظم بلاد المسلمين قد وقعت تحت سيطرة ونفوذ غزو فكري ضار ومتوحش في شتى مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، اتخذ في هجومه المستمر من وسائل الإعلام ومضامينها، ورجالها - والصحافة على وجه التحديد - سلاحاً، وليت الأمر توقف عند حد استخدام الإعلام الموجه إلينا من أعدائنا من بلادهم، بل تجاوز الأمر هذا احياناً. واشتدت المعركة ضراوة حين شاركت وسائل الإعلام على اختلافها والقائمين عليها في بعض أقطارنا بإعلان الحرب علينا، ليكون التضليل والخداع والفتك بعقول الكثير من شبابنا وبالتالي النيل من عقيدتنا.

لقد شمل هذا الغزو الفكري الرهيب المجتمع البشري في كل بلاد العالم، لا سيما في هذا العصر، ولكن المسلمين هم أكثر الضحايا

بلاءً وهواناً وعذاباً وشقاءً. وكم حاول الباحثون من كل الاتجاهات المعاصرة وما زالوا يحاولون كشف الأسرار وراء محاولات الارهاب الفكري الذي أنتج مخلوقاً تعساً في جميع الأحوال، لا يتمكن من الاستقلال بفكره واتجاهاته وأهدافه. بل لا يستطيع أن يتحرر من هذه السيطرة الارهابية إلا إذا اصطدم بمجموع شعبه المتأثر بالمنهج والأسلوب الإعلامي ذي الاتجاه والهدف الواحد...»[1] مما يكشف عن مدى ضراوة المعركة بين الحق والباطل، ويشير إلى خطورة تأثير العمل الإعلامي في هذه المعركة.

وإن شئنا مثلاً عملياً هو محط اهتمام النظريات والمضامين الإعلامية العالمية - والتي يستند كل منها إلى فكر أو مذهب اقتصادي وسياسي واجتماعي معين - ويجري بشأنه من التناقض والحيرة ما يحوله من طموح وأمل إلى شقاء ورفض ويأس، فلنأخذ مفهوم الحرية، ولننظر نتائجه في دنيا الواقع العملية...

ولنسأل أنفسنا، أي نظام في العالم لم يدع الحرص على الحرية والتمسك بها، وأي نظام في العالم حقق الحرية، وأي نظام الآن لا يعاني أهله من الشقوة والتعاسة؟ لصالح من يتم إنتاج هذه المخلوقات التعسة في العالم الحديث وفي عصر الازدهار والتقدم العلمي؟

إن المشكلة لا تبدو كامنة في التعصب لذات الاتجاه أو المذهب، كما لا تبدو في الاصطدام بالجماهير المتأثرة بالاتجاه الإعلامي السائد بقدر ما تكمن أصلاً في عدم الاقتناع - حتى الآن - بأسلوب

---

(١) انظر. /الإعلام في ضوء الإسلام. د. عمارة نجيب ص ٢٨١ - ٢٨٢

من أساليب الأفكار والاتجاهات السائدة في العالم رغم ادعائها الاستناد إلى المنهج العلمي، لأن التناقض بين الفكرة والواقع أو بين النظرية والتطبيق سرعان ما ينكشف للعقل الإنساني، فتنهشه الحيرة وتتجاذبه الشكوك والصراعات النفسية.

وإذا كانت المشكلة في عدم الاقتناع الذي أدى إلى الحيرة والشكوك والصراعات بين الفكرة والواقع وبين الأفكار والاتجاهات السائدة، فإن الأمر الطبعي أن يتم البحث عن فكر جديد ويجري تطبيق لهذا الفكر عساه ينقذ البشرية مما تعانيه. لكن يظهر أن القيادات السياسية في العالم كله، تحاول في عصر التنوير أن توفق بين ما تريده وتتعصب له، وبين ما يكرهه أفراد المجتمع ويعانون منه.

ويبقى السر مختفياً وراء هذه المحاولات من القيادات السياسية، هل هو الرغبة في المحافظة على شرعية البقاء والوجود السياسي في مواقع القيادة والشعور بأنه التعبير ضد هذه الرغبة؟ أم هو الرغبة في فرض الاقناع وإن تم تحت شعارات مزيفة كالحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص وإزالة الفوارق بين الطبقات، أم هو اليأس من وجود نظام ينهي المشكلة ويسعد الإنسان؟[1]

٢ ــ الدعاية للاتجاه الاشتراكي في العالم الإسلامي : إن ما وصل إليه العالم العربي الإسلامي اليوم من التخبط والضياع والتذبذب والحيرة وما يعانيه من الفوضى الروحية والفكرية، وما يرسخ له من أرجاس الغزو الثقافي وما يوجه لهذه العقيدة من الضربات في

---

(١) د. عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام. ص ٢٨٢ - ٢٨٣

كل المجالات ومن كل النواحي، ما هو إلا سبب ما أبتلي به من فساد وسائل الإعلام والقائمين عليها والمتحكمين بها، وأبرز هذه الوسائل الصحافة الغازية له في بيته وفي عمله، بل حتى في الشارع، وهذه الصحافة إن اهتمت بشيء من الإسلام فلم تهتم إلا بصفحات أو أعمدة في صفحات يسيرة وفي أيام الجمع والمناسبات الدينية.

إن الدعاية الشيوعية الاشتراكية في دول العالم الإسلامي تقوم على استراتيجية دقيقة ومنظمة في الدعاية، وهذه الدعاية تتطور وتتبدل بين فترة وأخرى، حسب ما تتطلبة ظروف المجتمعات. وهي في مبادئها ومضامينها قائمة على نفس المقومات التي بث سمومها كل من ماركس ولينين، سالكة طريقها عن طريق الصحيفة والكتاب المنشور والكلمة المسموعة والمرئية.

يقول الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة : «إن السنوات العشر من ١٩٦٥ م إلى ١٩٧٥ م قد سجلت توسعاً هائلاً في الوسائل، وتجدداً متزايداً في المضامين أغرقت أسواق العالم بنظرياتهم، ويلجأ الشيوعيون في ذلك إلى شراء ذمم أصحاب الصحف وكتابها أو خداع القائمين عليها باستغلال ظروفهم الخاصة، وقد اتسع هذا النفوذ حتى شمل الآن حوالي ٦٠٪ من إنتاج الكتب و٥٥٪ من إنتاج المجلات - وخاصة المجلات ذات الصبغة العلمية - و٤٤٪ من إنتاج الصحف. ولا ريب أن محصلة هذه السيطرة المتزايدة على وسائل الإعلام وأجهزته تبدو في الحصار الذي ضُرب على كل فكر ورأي لا يتفق مع الخط الماركسي، والترحيب بكل رأي يحمل طابع الهدم لو لم يكن ماركسياً لأنه يتفق والخط الماركسي العام الذي

يستهدف أولاً تحطيم ما هو قائم، وكل رأي يستخدم قوالب التحليل الماركسي يُفسح له المجال وتفتح له الأبواب حتى ولو لم يكن صاحبه ماركسياً، لأن فيه دعاية وتقديراً لأدوات التحليل الماركسي.

أما الأفكار التي تحاول تفنيد النظرية الماركسية أو التي تطرح قيماً جديدة أو تعلي من شأن مذاهب دينية قائمة فلا يمكن أن تجد سوى المحاربة والتضييق»[1]

ولكي تتم عملية الدعاية لهذا الاتجاه على أحسن وجه – دون إثارة أو بلبلة – لابدّ أن تلبسها من الثياب ما يخفي الحقيقة، فكان المحتوى أو المضمون مدروساً بعناية من الخبث والدهاء.. كما سيجيء ...

أبرز مضامين الإعلام الشيوعي الاشتراكي في البلاد الإسلامية :

(١) الحياد المصطنع بالنسبة للدين وقد حدث تحول ظاهري خادع، فبعد أن كانت الأديان في الدعوة الماركسية أفيون الشعوب أصبح يقال الآن أنه لا تعارض بين الشيوعية والإسلام، بدعوى أن كلاهما يسعى إلى هدف واحد، أو الادعاء بأن الإسلام ثوري.

(٢) محاولة تحييد الدين الإسلامي بابعاده عن دائرة المقاومة للغزو الماركسي، وخاصة بعد أن انتكس هذا الغزو مؤخراً في العديد من الأقطار الإسلامية.

(٣) اتجاه الإعلام الشيوعي إلى هدم القيم الإسلامية، حيث تُلَمِّح

---

(١) أنور الجندي. هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام – ص ٣٦

كتابات الشيوعية بخواء هذه القيم وعدم تلاؤمها مع روح العصر ومتطلباته.

(٤) التشهير بالتعاليم الإسلامية وافراغها من مدلولاتها الحقيقية.

(٥) التبسط الساذج لمشاكل العالم الثالث بطرحها في قوالب ماركسية توحي للملاحظ العادي بسلامتها وصدقها.

(٦) تقديم السموم الاشتراكية في أشكال براقة تستأثر بالعواطف وتطرح الحلول في قوالب جاهزة تفرض على العقل المادي سلطانها، وقد ركب الشيوعيون كل تيار يؤدي إلى خدمة أغراضهم حتى ولو كان مصادماً لجوهرها، فركبوا تيار القومية وأداروه لحسابهم، وركبوا تيار الاشتراكية غير العلمية وسخروها لأهدافهم وتعاطفوا مع الأقليات الانفصالية.

(٧) المحاولات التي بذلها رواد الإعلام الشيوعي بقصد الحيلولة دون تعرض إنسان العالم المتخلف بحقيقة الدعوة الشيوعية وقطع الطرق وسد المنافذ حتى لا يصل إلى حقيقة التجارب الشيوعية في بعض هذه الدول.

لقد أصبح الإعلام الشيوعي قوة مؤثرة في صنع الفكر وتوجيه الحركة الثقافية في العالم، حيث بلغ مجموع إنتاج الكتب – كما أحصاها الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة – «٣,٧» ملايين كتاب يومياً أو ما يوازي ربع إنتاج العالم «وبما يساوي ٢٥٠٠» نسخة في الدقيقة. وإن مؤلفات لينين التي تحتل المركز الأول من المؤلفات الشيوعية قد بلغت «٣٣٠» مليون نسخة صدرت بحوالي «٩٨» لغة من لغات

شعوب السوفيت إلى عشرات الملايين من الترجمات باللغات الحية. زد على هذا الأفلام السينمائية والإذاعية.

كل هذا أسهم وبشكل كبير في صياغة العقول والسيطرة عليها في مواجهة تذبذب فكري مجرد من سلاح العقيدة، موجود في أعظم بلاد العالم الإسلامي.

إن هذه المخططات وغيرها كانت تستهدف الإسلام باعتباره الصخرة القوية التي تتحطم عليها رؤوسهم. بل تستهدف تذويب الفكر الإسلامي في بوتقة الشيوعية العالمية.[1].

فلا شك أن المخططات الاشتراكية تستهدف الإسلام وتعاليمه لكونه الصخرة الكبرى والقوة العظمى والشريعة السمحة والعدالة الحقة والمبادىء السامية... لهذا فهم لا يألون جهداً في سبيل هدمه أو على الأقل تعويقه وعدم نشر تعاليمه، ومحاربة المبادىء الربانية التي جاءت لاسعاد البشرية، وإن كانت الشيوعية قديماً قد كشفت النقاب عن حقدها الدفين. فهي اليوم تحاول النيل من الإسلام والمسلمين بطرق ملتوية بعد أن وضحت حقائقهم وكشفت مخططاتهم.

وإن كان إعلامهم قوياً، وكتبهم متداولة ونشراتهم وإذاعاتهم لا تكف عن الدعوة إلى أفكارهم، فواجب الصحافة الإسلامية يقتضي التصدي لفضح هذه المخططات والألاعيب وابراز سؤاتها، وأن تنير الطريق للمغررين الذين استقطبتهم الشعارات الزائفة والمبادىء البراقة. وتعمل على تبصير المخدوعين وتأخذ بأيديهم إلى الجادة المستقيمة. بل يستوجب الأمر ألا مهادنة ولا نفاق ولا رياء

(١) انظر. المصدر السابق ص ٣٧ - ٣٨ - ٣٩

صحفي وإعلامي لأي إنسان مهما كان - حاكماً أو محكوماً - ولا لأي حزب مهما تسلط وتجبر، وتحت أي ظرف من الظروف. الأمر يتطلب قول الحق ونشره وتزينه والدعوة إليه واسقاط الباطل وازهاق روحه. من خلال صحافة ملتزمة وإعلام أصيل.

ولعله يكفي «المؤلف» في هذا المجال أن يقدم نموذجين للمذاهب أو الأفكار المعاصرة المعادية، للوقوف على مدى تأثير هذه الأفكار في الصحافة الإسلامية. وسيكون النموذج الأول عن :

التأثير في الاتجاه الشرقي - الاشتراكي :

نجد مجلة «منبر الإسلام» وهي تحمل بطبيعة الحال «شارة الإسلام» شعاراً لها وهي مجلة تصف نفسها بمجلة «الثقافة الإسلامية» تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غرة كل شهر عربي بالقاهرة.

ففي عددها رقم ٣ بتاريخ ربيع الأول عام ١٣٨٣ هـ[1] تقدم لنا على سبيل المثال جملة من الموضوعات بين دفات صفحاتها، لا نقول إنها لا تخص الإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد فسحب، ولكن نقول إنها تقف في الصف المعادي للإسلام ومبادئه. وتنشر وتبث له كل ما يخالف عقيدتنا الإسلامية وشريعتها الغراء. وسنورد هنا صوراً من تلك الموضوعات.

(١) يوافق هذا التاريخ شهر آب (أغسطس) ١٩٦٣ م.

«الصورة الأولى»

في حديث لحسين الشافعي نائب رئيس جمهورية مصر آنذاك تحت عنوان «لا طبقية في الإسلام»[1].

وبعد أن قدمت له المجلة المذكورة بالتقديم التالي :

دعته جمعية نساء الإسلام إلى اجتماع عقدته يوم ١٧ محرم ١٣٨٣هـ الموافق ٩ يونيو ١٩٦٣م، بدار الغرفة التجارية في القاهرة ليتحدث إلى عضوات لجان الاتحاد الاشتراكي. فاختار أن يتحدث عن «الحرية بجناحيها الاشتراكية والديمقراطية» فجعلت الجمعية الدعوة عامة، وتمثلت المرأة في الاجتماع بأكبر عدد، وتحدث السيد نائب الرئيس إلى الحاضرين وقد غصت بهم القاعة، وقوطع حديثه في أكثر من موضع بالتصفيق.. قال سيادته بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله :

حديث الحرية.. يأخذ بمجامع القلوب : ونحن في هذه المرحلة الحاسمة من تأريخ أمتنا العربية [لاحظ العربية فقط وليس الإسلامية]، نقدم المثل الناجح في كل ميدان من ميادين العمل، العمل الذي هو حق للمرأة والرجل معاً [لاحظ أيضاً هكذا «العمل» على اطلاقه دون أن يحدد طبيعة عمل المرأة أو المجالات التي يمكن أن تعمل بها وفي أي جو تعمل]، عمل يندفع فيه المجتمع بكل قوته لبناء مستقبله،

(١) ــ تحت هذا العنوان. الذي أختارته المجلة للحديث الوارد ذكره. تريد المجلة من ورائه تغطية ما بين سطور الحديث من أمور تخالف الشرع الاسلامي، من دعوة إلى الاشتراكية والقومية، وكذلك لترغب القراء بل تقول لهم أن موضوعاتها اسلامية .. هاكم اطلعوا عليها. فياله من نفاق وخبث ومكر ومداهنة.

وهو يذكر قوله تعالى ﴿.... أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض ....﴾[1]. ويمضي المتحدث في جانب آخر من محاضرته قائلاً :

وإننا حينما نبني الاتحاد الاشتراكي العربي ممثلاً لتحالف قوى الشعب العاملة، إنما نقيم سداً عالياً للاشتراكية والديمقراطية معاً. وحينما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية لتؤكد قيام العدالة الاجتماعية. [لاحظ قوانين يوليو الاشتراكية هي التي تحقق العدالة الاجتماعية وليس شريعة الله. كما يقول هذا المسلم] لم نقصد بها عدالة التوزيع فحسب، بل كان الجانب المعنوي هو الهدف، فقد أحس العمال بكيانهم عندما وجدوا أنفسهم شركاء في الإنتاج، وفي إدارة الإنتاج... وفي أرباح الإنتاج، والحد الأدنى للأجور الذي لم تسمح به عهود الرأسمالية المستغلة.

لم يكن سهلاً أن يتكلم أحد في «البرلمانات» السابقة عن هذه الحقوق المشروعة لقوى الإنتاج، فإن تلك «البرلمانات» كانت تمثل حكم الطبقة، والطبقة دائماً تحتكر لنفسها كل شيء، وتحرم كل الشعب من كل شيء، أما تحالف قوى الشعب فهو الحصن الوحيد لحراسة الاشتراكية والديمقراطية لكل الشعب...[2] ويمضي المحاضر قائلاً :

---

(١) سورة آل عمران. الآية / ١٩٥

(٢) لقد ذهبت المجلة بدعايتها للاشتراكية والقومية والديمقراطية وأفكارها الدخيلة بعيداً، حيث وضعت عبارة «حكم أو تحالف الشعب» لهذه الفقرة من كلام المتحدث تنمقه وتحسنه وتجمله وتخرجه بأحسن ما يكون الإخراج وما هذه إلا صورة من صور النفاق والدجل .. بعيدة كل البعد عن أوجه الحق والحقيقة، بل عن روح الاسلام وتعاليمه الساميه..

إن المثل الناجح لجمهوريتنا يفرض علينا أن نـقيم «الاتحاد الاشتراكي العربي [تمعن إقامة الاتحاد الاشتراكي، وليس إقامة قوانين الشريعة الإسلامية وتطبيقها !] ليحمي الحرية ويدفع الاشتراكية ويحقق الوحدة.

طريق الثورة هو طريق الحرية.. هو طريق الاشتراكية.. هو طريق الوحدة.. ولا يمكن لنا أن نحقق الاشتراكية والوحدة إلا إذا استشعر كل مواطن الثورة في نفسه، على قاعدة الحرية.

«ضمانات الحرية...»

ومن ضمانات الحرية التي كفلها الميثاق الوطني – كما يقول نفس المتحدث –: حرية العلم وحرية الرأي لكل مواطن... لقد كانت «الصحافة» في الماضي مطية لرأس المال، ولكنها اليوم بملكية الاتحاد الاشتراكي لها، ملك للشعب، تجسد فيه إحدى ضمانات الحرية، حرية الرأي بجانب حرية العلم وحرية العمل... ثم حرية التصويت في الانتخابات بعد تحرير لقمة العيش... ونصيب عادل من الثورة... التخلص من القلق.

كل هذه الحقوق لا يمكن أن تمنحها طبقة أو حزب للشعب العامل... ومن هنا تمحى صورة الحزب من نظام الاتحاد الاشتراكي العربي. فالحزب مجموعة معزولة عن الشعب، تباشر ديكتاتورية الحزب، والاتحاد يمارس الديمقراطية لأنها صورته...

ويستطرد المتحدث في جانب آخر من محاضرته ليقول :

وعندما تلتقي القوى العاملة في الاتحاد الاشتراكي العربي بلا

تفرقة بين طبقة وطبقة، ورجل وامرأة [لاحظ لا فرق بين الرجل والمرأة وإنما مساواة مطلقة] فإنما «تسقط بيد الوحدة الوطنية حكم الطبقة» ليقوم في مكانه حكم التحالف الوطني لقوى الشعب العاملة. لتكون كل سلطة الشعب [لاحظ أيضاً سلطة الشعب وليس سلطة الإسلام] فوق الأجهزة التنفيذية. فإن الديمقراطية عندما تمارس بحق تجعل للشعب الكلمة الأولى في اعادة صنع حياته وفق ارادته.

ويختتم المتحدث محاضرته قائلاً : وهنا تبدأ مسئولية الاتحاد الاشتراكي العربي، فهو التنظيم الديمقراطي الثوري، هو التحالف الشعبي لكل القوى العاملة، من أجل حماية التطبيق الاشتراكي، لتبقى الحرية للشعب بجناحيها، الديمقراطية والاشتراكية، فيحلق الأحرار بأفكارهم إلى النجوم.

«الصورة الثانية» :

فيما سبق صورة أو نموذج لما تبثه وتنشره بعض الصحف التي تتخد من الإسلام شعاراً لها.. ونعرض هنا صورة أخرى لنفس المجلة ولنفس العدد بغية أن تكون الصورة أكثر وضوحاً... ففي تحقيق صحفي خاص للمجلة تحدث وزير الشباب آنذاك محمد طلعت خيري عن بعض المضوعات الخاصة بالشباب.

وقد وصفت المجلة حديث الوزير في مطلع المقال بالآتي :

وتحدث السيد الوزير... حديث الأرقام ... عن مكاسب الشباب العربي [لاحظ الشباب العربي وليس الإسلامي] في ظل رعاية الثورة التي لم تبخل عليه – منذ قيامها – بالرعاية الكاملة وتوفير الإمكانات...

دور الشباب في معركة البناء :

يقول المتحدث : وكل ما أرجوه من الشباب أن يعيش في واقع حياة الأمة العربية [لا الإسلامية] وأن يرتفع بحاضره إلى مستوى أماني أمته.. [العربية بالطبع] ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاطلاع والثقافة، والتفاعل مع المجتمع، والاسهام في المشروعات القومية والاجتماعية والاستفادة من الإجازة الصيفية بالاشتراك في معسكرات العمل على المستوى القومي وعلى مستوى المحافظة.(١)

الثورة ورعاية الشباب :

ويضيف المتحدث قائلاً :

وشهد الشباب من الرعاية في سنوات الثورة ما يتحقق في قرون وأجيال. فثورتنا قادتها طلائع من الضباط الشبان الذين آلوا على أنفسهم أن يطهروا الوطن ويحرروا الأوطان. فتصبح الأرض ملكاً خالصاً ينعم ابناؤها بخيراتها في ظل الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا ومن خطنا المتميز في الحياة.(٢)

وقد رأت الثورة أن تتوج مجهودها في ميدان رعاية الشباب

---

(١) معسكرات العمل على المستوى القومي، أي معسكرات تنظم من أجل كل ما يخص «العروبة»، لا معسكرات إسلامية المنهج والهدف.

(٢) ينعم بخيراتها في ظل الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا - أي لا ينعمون بخيراتها في ظل الإسلام وشريعته - وكأن الأرض ملكاً لهم. وليس لله تعالى وما الإنسان إلا خليفة الله في أرضه، يقول تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم * وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ البقرة / ٢٩، ٣٠

بتشكيل وزارة الدولة للشباب لتقوم بالرعاية القومية والثقافية والاجتماعية والعسكرية والرياضية والفنية للشباب. [تمعن رعاية وثقافة قومية.. ورياضة وفن للشباب. ولا ذكر للثقافة أو العلوم الإسلامية. وكأن الإسلام لم يعط الشباب حقهم من الرعاية بكل جوانبها، أو كأن الإسلام ليس فيه مما ذكره هذا المستوزر]

الشباب والميثاق :

وفي جانب آخر من الحديث يقول المتحدث :

ومن واجب الشباب أن يدرس الميثاق الوطني دراسة واقعية، والتعمق فيما حواه من قيم خالدة ومبادىء العمل الثوري، وأن يعمل على تطبيقه وتوضيحه لمن يحيطون به... فإن في الميثاق الوطني من المبادىء ما نستطيع به تحقيق آمالنا في إقامة المجتمع الجديد الذي ننشده.. مجتمع الكفاية والعدل.

[دعوة لدراسة الميثاق الوطني – الذي هو من صنع البشر – وبتعمق، وتنفيذه ونشره، وليس دعوة لدراسة متعمقة «للقرآن الكريم» كتاب الله، الرسالة الخالدة، والأخذ بما يحويه من مبادىء سامية وتشريع عظيم، صالح لكل البشرية، ومحقق سعادتها وأمنها واستقرارها حتى يرث الله الأرض ومن عليها].

«الصورة الثالثة»

وهذه صورة ثالثة لما تنشره مجلة «منبر الإسلام» وفي العدد ذاته لتتضح لنا الرؤية أكثر فأكثر، إذ سنجد أن أكثر من نصف

مقالاتها التي تضمها دفات صفحاتها تدعو إلى الاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها من الأفكار المستوردة الهدامة.

وهذه الصورة جاءت تحت عنوان :

«دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام»

ويستهل الكاتب مقاله قائلاً :

لا أخال أحداً يختلف معي في أن الميثاق الوطني جاء جامعاً شاملاً متضمناً لكافة مجالات حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقبل كل شيء جاء ممتلئاً بكل ما هو ذو نفع لقطاعات حياتنا في الزراعة والصناعة والاقتصاد والمال. ولم يكتف بهذه النظريات والمبادىء بل تعداها إلى وضع الخطوط الصادقة العملية كبرامج للتجربة والتطبيق، والعجيب أن الميثاق لم يغادر القيم الروحية والمعنوية والتي نحن بسبيل معالجتها في مقالنا الحالي [لا ندري ما وجه التعجب هنا وما موقعه؟ ولا نعرف ما القيم الروحية والمعنوية التي تدور في ذهن الكاتب وهو يمجد بالميثاق ويضعه بالمنزلة العظيمة والدستور الكامل ؟]

ويضيف الكاتب : وهو – أي الميثاق – في علاجه واشارته إلى هذه القيم يدفع بالحياة بشعارتها وعقائدها الجديدة إلى رحاب فسيحة من الفهم والوعي لكل المواطنين الذين أصبحوا هم الحفاظ الأول على مكاسبهم وأصبح رواج هذه المكاسب مسئولية والتزاماً بدأ المواطن من خلالها يشعر بوجوده وبيومه ورزقه. [ما الذي يقصده الكاتب بالشعارات والعقائد الجديدة، نحن لا نظن إلا تلك المستوردة والدخيلة على ساحتنا العربية الإسلامية، ثم ما هذا الميثاق؟ الذي

أصبح فيه الإنسان يشعر بوجوده وبيومه وبرزقه؟ إنه تمجيد وتعظيم يصل - والعياذ بالله - إلى منزلة القرآن الكريم وسنة نبيه].

وفي موضع آخر من المقال يقول الكاتب :

جاء في الميثاق «أن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته. وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته. إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة [لا نعلم ما المقصود بحقائق الحياة عند صاحب المقال هذا؟]. وإنما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية [أيضاً لم يوضح لنا هذا الميثاق ما الرجعية ومن يقصد بها؟ نخاله هنا - والله أعلم - يقصد بها المتمسكين بالإسلام وقيمه ومبادئه وشرعه] أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية.

لقد كانت جميع الأديان ذات رسالات تقدمية ولكن الرجعية التي ارادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها كي يوقف تيار التقدم.

فالميثاق إذاً دعوته من دعوة الدين الحنيف - كما يقول الكاتب - وتقدمية الإسلام ورفعته ونداءاته وشعاراته التي جعلها القرآن الكريم بحكم آياته تجيء كلها لنصرة الحياة الكريمة وإعداد الفرد ودفعه إلى ما فيه رفعة الحياة ورفعة المجتمع.

وإذا كان الميثاق قد أفرد للاشتراكية أبواباً عديدة، وأوضح أن جناحيها هما «الكفاية والعدل». أي كفاية المواطن المسلم والعدل في المجتمع الإسلامي. ولا أعتقد أن حياة مؤمنة مباركة تكون في رحاب ورضا المولى عز وجل كتلك التي ترفرف عليها الكفاية والعدل. حيث تنطلق قوى التعمير والبناء والإعداد والتحضير في كل مرافق الحياة العظيمة الجديدة. بخلق المؤمن القوى في وطننا العربي الأصيل.

ويورد الكاتب أوجه الشبه – كما يزعم – بين القرآن الكريم والميثاق، إذ يورد قوله تبارك وتعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾.[1]

ويقول – الكاتب – وهذه العجالة توضح ببساطة ذلك المدى الذي عظّم فيه الله تعالى بني الإنسان فكرمهم وجعلهم خلفاء في الأرض. ومن خلال هذه العجالة أيضاً – كما يقول الكاتب – يستبين لنا تعظيم الميثاق للإنسان.

ويشير الكاتب أيضاً. إذا كان العمل في الإسلام بلغ مرتبة العبادة ﴿وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...﴾[2] فقد ردد الميثاق في أكثر من موضع مشيراً في

---

(١) سورة النساء. الآية / ٩٧

(٢) سورة التوبة. الآية / ١٠٥

بابه السابع أن الإنسان العربي [لاحظ الإنسان العربي وكأن الإسلام خاص بالعرب فقط، وكأن القرآن المجيد نزل على العرب دون غيرهم من الأمم والشعوب.] سوف يقرر بنفسه مصير أمته على الحقول الخصبة وفي المصانع الضخمة ومن فوق السدود العالية وبالطاقات الهائلة المتفجرة بالقوى المحركة. ولعل هذا الالتقاء – والكلام للكاتب – بين مفاهيم الميثاق ودعوته التي تنبثق من دعوة الإسلام البناء الخلاق. لعلها تكون أقوى مثل لاخراس الرجعية.

هذه مقتطفات من هذا المقال، الذي يختتم فيه الكاتب حديثه قائلاً :

هذه هي صناعة المستقبل كما يراها الميثاق. فهي تنبع من تعاليم الإسلام الحنيف، وتسير على هدى الرسول الكريم وسنته.

ونحن نقول متسائلين، وبكل دهشة : ترى أي تعاليم إسلامية وأي هدى نبوي هذا الذي يسير عليه وينهجه الميثاق ويهتدي به، هل القومية العربية والحرية الفوضوية، والانحلال والاشتراكية من تعاليم الإسلام ومن هدي السنة المطهرة؟ حاشا أن تكون هكذا ولكنه النفاق والتضليل والزيف والانحراف والمهادنة. بل قل من غير ادراك لحقيقة الإسلام وشرعه. فهل يصح وضع الميثاق أو الدستور – الذي هو من صنع المخلوق — في مقياس واحد أو في ميزان واحد مع القرآن الكريم؟

القرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع ودستور الإسلام كتاب الله. مهما علا أو سما أيّ كتاب صادر عن مخلوق فلا يستوي مع كتاب صادر من خالق الخلق بل حتى بآية واحدة من آياته

الكريمات، وما المقارنة هنا إلا سخف وعبث وجهالة مركّزة وطعن في الاسلام. وإذا كانت الإنسانية في تقدمها وتطورها تسعى لتدعيم حقوق الشعب قد سجلت مواثيق وإعلانات تعتز بها، كوثيقة الحقوق في إنجلترا وإعلانات الحقوق الفرنسية ومثل إعلان حقوق الإنسان الصادر عن ما يسمى بالأمم المتحدة أو مجلس الأمن. نقول إذا كان ذلك ... فالقرآن الكريم بقيمه ومثله وبأحكامه وتشريعاته يعلو كل المواثيق والدساتير الوضعية. ويمثل «الشرعية العليا» التي عاشت في ضمير هذه الأمة ووجدانها منذ أربعة عشر قرناً.. منذ رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا.

ولئن ظلت الدساتير ولزمن طويل تمثل «الجانب السياسي» لحياة الأمة وتنظمه. وتطورت لتشمل أحكام اقتصادية واجتماعية وثقافية.. وقليلاً من الأحكام الخلقية. فإن القرآن الذي سبقها بأكثر من ألف عام، يعالج حياة الفرد، وحياة الأسرة وحياة الأمة.. ويعالج كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. ومن قبلها يعالج أمور العقيدة والأخلاق والشعائر. فهو بإجمال يعالج أمور الدنيا والآخرة. بما فيه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

يقول تعالى ﴿.... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[1].

فكتاب الله وحدة واحدة متكاملة فهو في القلوب عقيدة وإيمان.. وفي العقول فكراً وتدبراً، وفي الحياة منهجاً ونظاماً وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة. لأنه يعتبرها فتنة وجاهلية وكفراً.

(١) سورة النحل. الآية / ٨٩

فيما تقدم نماذج أو صور لبعض ما نشرته أو تنشره بعض صحفنا الإسلامية بكل أسف... فهي تدعو للاشتراكية والقومية وتبثٍ لمعتنقيها وأعوانها، بل وتنشر ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله. وهي تدعي أنها مجلة الثقافة الإسلامية، فأي ثقافة إسلامية هذه التي بين دفات صفحاتها؟ نرجو وندعو لهذه المجلة ولغيرها بالثبات على منهج الله وشرعه فيما تنشر وإلى أن تكون منبراً للثقافة الإسلامية بصدق وحق. وألا تأخذها في الحق لومة لائم تحت أي ظرف من الظروف.

أما عن التأثير بالاتجاه الغربي :

فيكفي (المؤلف) أن يشير إلى ما لقيته معاهدة السلام التي عقدها الرئيس المصري - محمد أنور السادات - مع اليهود من تأييد من بعض المجلات التي تحمل صفة الإسلام. بل وصل الأمر إلى حد أنها انقلبت على نفسها، فبعد أن أصدر الأزهر قراراً بأن الاعتراف بإسرائيل لا تقره الشريعة الإسلامية، ذهبت مجلة «الأزهر» تؤيد وتبارك معاهدة «كامب ديفيد» وتنشر الفتاوى الباطلة لبعض علماء الأزهر بهذا الشأن... وكم كنت أود أن أنقل النصين المتضاربين، إلا أن الظرف والوقت لم يسعفاني، وقد بذلت جهداً كبيراً للحصول على النصين، كما بذلتُ جهداً أكبر عندما ذهبتُ إلى مصر بأمل الحصول على أعداد من مجلة «الأزهر» - وزرت مكتبة الجامعة نفسها - ومكتبات كلياتها المختلفة ومكتبات عامة عديدة، ولكن دون جدوى حيث ذهبت محاولاتي سدى.

ويكفينا أيضاً في هذا المقام أن نشير إلى «الأخبار» أو التصريحات التي تناقلتها صحف العالم ووسائل إعلامه. ومنها قيام شيخ الأزهر - آنذاك - بدعوة الأئمة والعلماء وكافة المصريين إلى آداء «صلاة» الشكر بعد معاهدة - الكامب - وقد قام بآدائها إماماً. وكذلك بيان علماء الأزهر الذي شبه معاهدة الصلح الآثمة بصلح الحديبية، واستشهاد - بعض علمائه المداهنين - بآيات من كتاب الله في غير ما أنزلت لأجله، أو مارمت إليه. فيجادلون في مثل قولهم. أليس الله هو الذي يقول ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله....﴾[1].

فأفتى الأزهر وقتها بجواز المعاهدة شرعاً وعدم تعارضها مع مبادىء الإسلام.

ولا بأس أن نورد هنا - بتصرّف بسيط جداً - تعليقين لمجلة «المجتمع» الكويتية، ترد فيه على هذه الادعاءات المشبوهة وتبين زيفها.. نُشرا في عددها رقم/ ٤٤٣ الصادر في اليوم الرابع من جمادي الآخرة ١٣٩٩ هـ[2] الأول بعنوان:

«كلا إنهم لم يجنحوا للسلم»

أوضحت المجلة فيه كيف حمّل اخوان الهزيمة والاستسلام من الامعات في العهد الاستسلامي الآية الكريمة غير ما تحمل وكيف

---

(١) سورة الانفال. الآية / ٦١

(٢) يوافق هذا التاريخ ١ (مايو) ١٩٧٩م

استغلت في عمل غير شريف أو نبيل.. منبهة إلى ما يعمد إليه البعض من جعل النصوص المرحلية نصوصاً نهائية، وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة، يجعلون منها نصوصاً مطلقة. وهذا نص المقال :

«كلا إنهم لم يجنحوا للسلم»

ما يغيظ شيءٌ كما يغيظ الاستشهاد بآيات من كتاب الله في غير ما أنزلت لأجله، أو مارمت إليه. وإن تكون الفتوى لتسويغ ما لا يستساغ، ولإباحة ما حرم الله. وما أحنقنى في موسم الضلال والتضليل كما أحنقنى اطلاق آية كريمة تنضح عزة للحث على الاستسلام.

وقد بلغ مبلغ ازدلاف بطانة السلطان – المداهنة – له أن راحوا يحوّرون الآية تحويراً يعكس مبناها ومعناها، ويخاصم غايتها ومرماها، ويجعلونها شعاراً لتسويغ الهزيمة الشنعاء. وتزكية ما ليس بالزكى من الأخطاء، وما تقوَّل في إنسان يتذرع بآية من القرآن لموالاة الشيطان.

وبعد فالله يقول في سورة الأنفال ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ وردد الرئيس السادات، واخوان الهزيمة وأنصار السلم، والمعمعيون من كتّاب صحف وخطباء منابر، هذه الآية في معرض الدعوة إلى العهد الاستسلامي، ولقنها الرئيس «صديقه» جيمي كارتر ليستشهد بترجمتها ساعة التوقيع المشئوم، لذلك العهد الثلاثي المذموم. وإذا كان تحميل هذه الآية غير ما تحمل، واستغلالها في عمل غير كريم مما ينكر على الجهلة الاغرار، أو الأوشاب الاغمار، فما نقول إذا كان ذلك قد اجترحه نفر من المشايخ تزيوا بزي

علماء، فاعتموا عمامة الفقهاء، واجتبوا جبة الخطباء؟ إلا أن وزرهم أفدح من إثم، وافظع من خطيئة، إنهم سخروا محكم الآيات لتزكية عملة السادات.

إنني قبل أن أعود إلى الآية : ﴿وإن جنحوا للسلم...﴾ أذكر الآية التي سبقتها، ولم يرددها السادات وكتابه ومشايخه وكارتر، مع أن الآية اللاحقة التي استشهدوا بها هي تتمة للآية السابقة التي تغافلوا عنها. والمعنى الكامل إنما يستقيم بهما معاً. إنها : ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ اليكم وأنتم لا تظلمون﴾[1]... هذه الآية تحث على تعبئة كل ما يستطاع من قوة لارهاب العدو.. ثم تليها الآية : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» وهذه في هذا السياق واضحة المعنى بينة المرمى.. إنها تشترط أن يجنح المرعوبون إلى السلم، حتى إذا جنحوا هم للسلم أولاً «فاجنح لها»... وما معنى جنوحهم للسلم؟ إن الإمام جمال الدين القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» يقول : «إي إذا مالوا وانقادوا للصلح والاستسلام بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما لكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها» ومثل هذا التعريف للسلم أورده سائر المفسرين، فالالوسي قال : «للسلم أي للاستسلام والصلح» وجوهري قال : «أي مالوا للصلح والاستسلام».

---

(١) سورة الأنفال. الآية / ٦٠

ومع أن بعض المفسرين قالوا : إن هـذه الآيـة منسوخـة بأخريات تحتم القتال حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مستسلمين، واشاروا إلى أن الآية جاءت في سورة «الأنفال» وإن سورة «التوبة» قد جاءت بعدها، وفيها الأحكام النهائية القاطعة، فإن الآية كما فسرها جميع المفسرين قالت : «وإن جنوحهم للسلم هو استسلامهم».

ولعل الشهيد سيد قطب، صاحب «ظلال القرآن» ادرك بنور الغيب ما سيلجأ إليه البعض من تحريف لمعاني الآيات لاغراضهم فقال ما نصه : «إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية فيجعلون منها نصوصاً نهائية، وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة فيجعلون منها نصوصاً مطلقة للدلالة. حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية.. وإن الإسلام يتهالك على إي غرض للمسالمة» ثم قال رحمه الله : «والذين يلتمسون فيه ما يواجهون به الواقع في كل حالة لن يضطروا إلى ليّ اعناق النصوص وتأويلها تأويلات تأباها.. وإنما هو المطلوب تقوى الله والتحرج من تطويع دينه لواقع الشر الجاهلي والهزيمة به، والوقوف به موقف الدفاع، وهو دين مسيطر حاكم يلبي - وهو في مركز الاستعلاء والمبادأة - كل حاجات الواقع وضرواته».

واتساءل بعد ما أسلفت من قول : هل جنحت إسرائيل للسلم؟ هلى بادرت إلى الاستسلام فالمصالحة؟ أم أن الرئيس المصري (المسلم) هو الذي بادر إلى الاستسلام، فكان ذلك العهد العار المعيّـر؟ هل كف اليهود عن تهويد البقية الباقية من اشلاء فلسطين؟ هل تورعوا عن تبديل اسمها فضلاً عن تهويدها؟ هل تزحزحوا قيد شعرة

واحدة عن اعتبار القدس عاصمتهم السرمدية؟ هلى تردد «بيغن» أو «جمجم» أو «غمغم» أو «فأفأ» أو «وأوأ» في إعلانه أمام كارتر والسادات إن القدس الواحدة الموحدة هي عاصمة إسرائيل الأبدية؟ أو لا يزالون يحتلون سيناء والجولان وجنوب لبنان ويزرعون المستوطنات؟ أهذا هو جنوحهم للسلم أيها الراكنون إلى الذين ظلموا؟ ألم يقرأ هؤلاء أو أولئك ويتدبرون قول الله عن السلم المنشود : ﴿.. فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾[1].

فهل اعتزلونا وانسحبوا من بلادنا وعاد إليها المشردون من أهلها؟ وهل كفوا عن التنكيل بأهلنا؟ وهل استسلموا؟ إن في تقتيل شباب «حلحول» وحبس سكانها وتجويعهم وتدمير بيوتهم ابلغ جواب عن هذه التساؤلات.

إن حكم مولاة النظام المصري ومن ظاهره من المحسوبين مسلمين في سجلات الاحصاء للمعتدين المحتلين المغتصبين نجده في الآية الكريمة : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[2]. ألا تنهانا هذه الآية يا من باركتم المعاهدة العار، عن موالاة الذين قاتلونا واخرجونا من ديارنا وظاهروا على اخراجنا؟

---

(١) سورة النساء. الآية / ٩٠

(٢) سورة الممتحنة. الآيتان / ٨ ، ٩

ألا ليت هؤلاء الذين هللوا وكبروا، كلا بل طبلوا وزمروا، والذين صوتوا للمعاهدة، والذين تساقوا والسفاح الصهيوني كؤوس الغرام ورفهوا عنه بليلة... قالت الصحف العبرانية «إنها كانت من ألف ليلة وليلة، وإنه قد قبل الزافنة المغناج من جوقة الراقصات» .. ليت هؤلاء يتدبرون قول القرآن في قوم «بيغن» : ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾[1]... ويقول الإمام القاسمي في تفسير هذه الآية «إي لو لهم نصيب من الملك، فلا يؤتون احداً مقدار نقير لفرط بخلهم، والنقير هو النقرة تكون في ظهر النواة، وهو مثل في القلة والحقارة» وهذه لا تسمح كزازة اليهود واثرتها البغيضة أن تعطيها للناس لو كان لها في الملك نصيب» كما يقول سيد قطب .

ثم إن الذين يسوغون معاهدة الغاصب السفاح لا يفتأوون يرددون : لقد ضحينا بالألوف وخضنا حروباً عديدة. كما لو كانوا وحدهم الذين بذلوا وقاتلوا، وكما لو كان الجهاد كرمى لغير وطنهم ودينهم ومقدساتهم وقوميتهم، وإذا كانت نكسة، تنكروا لعروبتهم، وتجهموا لاشقائهم، وتداعوا إلى اقليميتهم.. وراحوا يمنون علينا ما صنعت مصر، وهم في هذا كله، لا يمثلون روح مصر العربية المسلمة، وقديماً منَّ هذا الطراز من الناس على الرسول الأعظم (ﷺ) إسلامهم فنزلت هذه الآية : ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ

(١) سورة النساء. الآية / ٥٣

إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[1].

وفي عددها رقم ٤٤٥ الصادر في ١٨ جمادي الآخرة عام ١٣٩٩ هـ[2] نشرت تعليقاً آخر تحت عنوان : «لا يا علماء الأزهر لا تشوهوا التاريخ».

حيث قارنت المجلة في تعليقها بين جريمة الصلح وصلح الحديبية وبينت الفارق الكبير. ونتائج كل منهما.. وهذا هو نص التعليق :

«لا يا علماء الأزهر لا تشوهوا التأريخ»

في بيان علماء الأزهر الذي شبّه معاهدة الصلح الآثمة بصلح الحديبية تزوير للتأريخ وتحريف للكلم عن مواضعه وتلبيس على الأمة في دينها... لهذا وجب على كل هيئة إسلامية أن تبيّن زيف هذا الادعاء واظهار الفارق الكبير بين معاهدة الصلح وصلح الحديبية وها نحن ندلي بدلونا :

المقارنة بين جريمة الصلح وصلح الحديبية :

صلح الحديبية قام بتخطيط من الله، والدليل على ذلك أن ناقة الرسول الكريم خلأت ولم تدخل مكة، فقال الصحابة خلأت القصواء فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : «ما خلأت القصواء

(١) سورة الحجرات. الآية / ١٧

(٢) يوافق هذا التاريخ ١٥ (مايو) ١٩٧٩م.

وما هو لها بخلىء ولكن حبسها حابس الفيل»[1] يعني ذلك أن الله لم يأذن بدخولها مكة.

وكذلك رد الرسول الكريم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا أعصي الله ولن يضيعني»[2] يوم احتج عمر على صلح الحديبية وقال : «لم نعط الدنية في ديننا».

أما معاهدة الصلح مع اليهود فكانت بتخطيط عباقرة اليهود وبمؤازرة الصليبية الحاقدة بالمال والعتاد. وبمعونة الشيوعية الملحدة بالطاقة البشرية.

صلح الحديبية ارسل فيه الرسول الكريم عثمان بن عفان إلى مكة بأمور ثلاثة :

الأمر الأول : أن يُطمئن المؤمنين المستضعفين في مكة أن النصر قريب، وهل طمأن السادات المسلمين في الأرض المحتلة؟؟

الأمر الثاني : أن يدعو مشركي قريش إلى الإسلام، وهل دعا السادات اليهود إلى دينه أم أنه أصبح - بسلوكه هذا- كاليهودي.

الأمر الثالث : أن يُطمئن مشركي قريش أن الرسول ما جاء للحرب وإنما جاء معتمراً هو وأصحابه.

لقد حقق صلح الحديبية أكبر اعتراف من دولة الكفر المتمثلة بقادة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب. الجزء / ٤ رقم الكتاب ٥٤ رقم الباب ١٥

(٢) رواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. ج / ١٢ باب صلح الحديبية .. بلفظ «يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً»

مكة ومشركي قريش حقق اعترافاً رسمياً بالدولة المؤمنة الناشئة في المدينة، وذلك لمجرد أن رضي زعماء قريش بالصلح.
أما معاهدة الصلح الآثمة فقد أوقف السادات فيها ملايين المسلمين في مقام كفار قريش وطلب منهم أن يعترفوا بدولة إسرائيل الناشئة.
هل علمتم هذا يا من سوغتم المعاهدة؟

إن صلح الحديبية كان موقوتاً. والدليل على ذلك أن أبا بصير فر من مكة إلى المدينة فأرسلت قريش رجلين في طلبه تنفيذاً لبنود المعاهدة. فأمره الرسول بالعودة معهما فعاد، وعند حدود المدينة جلس الثلاثة في ظل شجرة، فقال أبوبصير لاحد الرجلين : إن سيفك هذا جيد أرني اياه فقام الكافر وهو معتز بسلاحه ووضع السيف في يد أبي بصير. وبلمح البصر أطاح أبوبصير برأسه وفر الثاني إلى المدينة وأبوبصير يشتد خلفه ووصلا إلى الرسول الكريم. فقال الرسول كلمة خطيرة : «ويل أمه إنه مسعر حرب لو كان له أحد»[1] ففهمها أبوبصير وكوّن بها أول قاعدة عسكرية لأول عمل فدائي في الإسلام في قلب الصحراء عند ساحل البحر الأحمر وأخذ يصطاد كل قافلة لقريش تمر به.. وهذا في الميزان العسكري يسمى «الاستنزاف لقوى العدو»... نتج عن ذلك أن تنازل المشركون عن شرطهم وطلبوا من الرسول أن يضم إليه أبا بصير وجيشه. وهذا أول نصر حققه صلح الحديبية لأن هذا التنازل هو بداية الاستسلام من قبل معسكر الكفر.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب. الجزء / ٤ رقم الكتاب ٥٤ رقم الباب ١٥.

بينما نرى السادات بميثاق الصلح، وبعد أن اتفق على مرابطة ثلاث فرق مصرية بين مصر وإسرائيل فإذا به بجرة قلم أمام «كارتر وبيغن» وبسخاء حاتمي ليس له مثيل يلغي فرقتين كاملتين ويكتفي بفرقة واحدة ليثبت لهما حسن نيته ومحبته للسلام – كما يظن –

في صلح الحديبية عقد الرسول حلفاً مع قبيلة خزاعة، فكان هذا الحلف بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير لأن قبيلة بكر – حليفة قريش – قتلت رجالا من خزاعة وهم في جوار الكعبة. فما أن وصل الخبر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جهز جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل ليثأر بهم من أجل حفنة من رجال خزاعة ليسوا على دينه. فهل تحرك السادات بجيشه الباسل ليثأر لدماء الأبرياء في فلسطين ولبنان أم أنه ارسل يعزي اليهود في قتلاهم؟.

نتائج صلح الحديبية :

أ – اعتراف قريش بالدولة الإسلامية الناشئة.

ب التفرغ لفتح خيبر وحرب اليهود.

ج – اظهار قريش وحلفائها بمظهر الخائن، الذي لا يفي بالعهد والميثاق.

د – فتح مكة وتحطيم ٣٦٠ صنماً في الكعبة وما حولها.

هـ – دخول الناس في دين الله أفواجا.

و – انهزام أكبر معقل ديني للطاغوت في جزيرة العرب.

ز – استسلام الجزيرة العربية كلها للدولة الناشئة.

نتائج معاهدة صلح السادات :

أ – تمكين اليهود في الأرض المحتلة واعطاؤهم شرعية التملك.

ب   تشجيع اليهود على تكثيف الهجمات البربرية على مخيمات اللاجئين.

ج ــ جرأة اليهود على الاستهتار بالقرآن الكريم، ودوسه في المسجد الأقصى وفي مسجد الخليل إبراهيم، مما زاد في جرأة الدول الأخرى المعادية للإسلام على اظهار عدائها في أجهزة إعلامها كما فعلت اليابان وغيرها.

د ــ فصل مصر عن جسم الأمة الإسلامية وعزلة شعبها عن هذه الأمة.

هـ ــ تطمين اليهود من دولة عربية من دول المواجهة كانوا يحسبون لها ألف حساب.

و ــ قمع الحركات الإسلامية المخلصة ومصادرة مجلاتها ووسائلها الإعلامية، وارهاب كل حر مخلص يريد أن يدافع عن حقه.

هل هذه المعاهدة الآثمة ياوعاظ السلاطين شبيهة بصلح الحديبية؟؟ وصدق الله وكذب هذا النفر المتخاذل... ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم..﴾[1] الآية الكريمة. وصدق الله وكذب المداهنون : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين

---

(١) سورة المجادلة. الآية / ٢٢

واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون﴾[1].

وهكذا وبهذه الصورة تقف الصحف الإسلامية الملتزمة والثابتة على الحق في وجه كل التيارات المعادية وفي وجه المنافقين، تتصدى وتناقش وتحلل وتوضح للناس الحق والحقيقة والصواب، لا تهادن ولا تتزلف لمخلوق مهما كبر شأنه، لا يهمها سوى ارضاء الله تعالى والدعوة في سبيله، على الرغم مما تواجهه من مشاكل وصعوبات تصل إلى حد اغلاق مقراتها أو سجن اصحابها من قبل السلطات الحاكمة هنا وهناك.

ومما يؤسف له أن «مجلة الأزهر» لسان حال الهيئة العلمية والتراث الثقافي الإسلامي، تنطق بالباطل وتدخل في متاهات السيطرة السياسية أو العسكرية المعادية للإسلام. وتنافق السلطات.

إن المسلم الحق لا يتصور أبداً، أن يرفع علم اليهود الصهاينة في قاهرة المعز، وإلى جوار مآذن الأزهر الشامخة دائماً.. وتخصص لهذا العَلَم – السافل – ولمن ينضوي تحته من اليهود والصهاينة أفضل الحراسات وأرقاها تدريباً من ابناء جلدتنا، إن المسلم ليظل حيراناً من هذا الأمر المؤسف والمؤلم والمخزي في ذات الوقت... ولكن سيبقى أملنا في أهلنا بمصر الإسلام ومصر الأزهر كبيراً.. وما هي إلا إحدى غفلات الزمن سرعان ما تنتهي بمشيئة الله.

وصدق تعالى إذ يقول ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم

---

(١) سورة التوبة. الآية ٣٢

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[1]، ونحن نعلم أنه منذ عام ١٩٤٨ م حيث بداية معاركنا في فلسطين حتى المعاهدة المسماة ظلماً «بالسلام»، كان الصلح مع إسرائيل في نظر علماء الأزهر جريمة وخيانة كبرى. والفتاوى، وقرارات مؤتمر علماء المسلمين الذي دعا إليه الأزهر موجودة ومكتوبة. ولا ندري ما الذي حدث فانقلبت الأمور، وبرزت لنا الآيات والأحاديث التي تقول إن الإسلام يقر الصلح مع إسرائيل. وظهرت أيضاً قصة صلح الحديبية. ونحن نسأل لماذا في هذا الوقت؟ هل أسلام الأمس القريب غير إسلام اليوم؟ لماذا لم تظهر الآيات والأحاديث وصلح الحديبية - التي استغلت في غير مواقعها الصحيحة ـــ إلا في هذا الوقت؟ نسأل الله أن يرحم الأزهر الشامخ بأمجاده ومفاخره وعلمائه الأفذاذ، وألا تكون هذه الغفلة التي اصابته إلا سحابة صيف - كما يقال - ويعود الأزهر بأصالته وعزته. وتعود أيضاً مجلة الأزهر «لسان حال» هذا الصرح العملاق، إلى أصالتها والتزامها، مجلة للثقافة الإسلامية، تدعو إلى الله بصدق وثبات، لا تخشى في الله لومة لائم.

ونجد من المناسب في هذا الصدد أن نورد مقالاً، حول مسألة، «الوجود الصهيوني غير الشرعي في فلسطين» - ورد ضمن - الجزء التاسع لمجلة الأزهر - والصادر في شهر ذي القعدة عام ١٣٩٣ هـ[2]. لنقف من خلاله على ما أصاب الأزهر في غفلة من الزمن وما وقع فيه من الانقلاب والتخبط والانتهازية بين المواقف

---

(١) سورة الممتحنة. الآيتان / ٨ ، ٩

(٢) يوافق هذا التأريخ شهر «ديسمبر» عام ١٩٧٣ م

السابقة والحالية. لمجلة تحمل اسم أكبر صرح شامخ من صروح خدمة الدعوة والثقافة الإسلامية كي لا نبخس الناس حقوقهم ... وفيما يلي نص المقال :

«الوجود الصهيوني غير شرعي في فلسطين»

فلسطين هي الفقرة الوسطى من العمود الفقري في وطننا العربي من المحيط إلى الخليج، والوسط الذي يصل آسيا بافريقية العربية، وهي النقطة التي تصل الجزيرة العربية بالبحر الأبيض المتوسط، والجسر القوي الذي عبرت عليه الدعوة الإسلامية... هذه الفقرة إذا انكسرت من عمودنا الفقري انكسر ظهر الوحدة العربية واختل ميزان القوى في هذا الشرق العربي وأصبحت نقطة خطر يهدد كياننا الاقتصادي والاجتماعي... فيها أولى القبلتين ومسرى نبينا محمد ﷺ. ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾[1].

ما انفكت هذه الآية الكريمة تقرع آذان المسلمين وتنبههم على أهمية هذه البقعة المقدسة وتحرضهم على الاحتفاظ بها. هذه البقعة جزء مهم من البلاد العربية، استوطنها العرب الكنعانيون حوالي ٢٥٠٠ ق م وأنشأوا مع أشقائهم الفينيقيين حضارة زاهرة في كنعان وفينيقية في الفنون والآداب والشرائع وصناعة التعدين وسبك المعادن وصناعة الحلي والنسيج والحلل والمركبات الحربية وبناء القصور

(١) سورة الاسراء – الآية / ١

والآطام، واستعملو الخيل لجر العربات وضربوا في البلاد بالملاحة والتجارة، وأنشأوا الموانىء في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة على الساحل الافريقي وكانوا السابقين في استعمال الألف باء في كتابة الرسائل والتوثيق، وعنهم وصلت إلى الأغريق ولا تزال تحتفظ باسمها العربي في جميع اللغات «ALPHA-but» أما اليهود فإن المؤرخين يكادون يجمعون على أن وجودهم في هذه المنطقة يحيط به الغموض ولم يرد اسمهم بين اسماء الأمم التي كونت حضارات راسخة في وادي الرافدين وعلى سواحل فينيقية وأرض كنعان، اللهم إلا ما ورد في اللوحة الحجرية التي سجل عليها ملك مصر منفتاح في ١٢٢٤ - ١٢٢٥ انتصاراته عليها والتي وجدت في مدينة طيبة وفي نهاية النصوص نص انتصارات حققها ضد الشعوب، ومن بينها شعب إسرائيل الذي يقطن في ناحية جدباء لا أثر للنبات فيها من ناحية من أرض كنعان .

ولم يذكر المؤرخون كياناً لهذه الفئة إلا ماجاء في كتب اليهود المقدسة، وتذكر التوراة تأريخهم مفصلاً وتصف كياناً متأرجحاً بين القوة والضعف مهزوزاً لم تتقبل وجوده الأمم المجاورة لهذه المنطقة وظلت تقاومه حتى أنهته إلى الأبد .

لقد كان اليهود بسلوكهم هدفاً لهجمات المصريين والآشوريين والكلدانيين ومن ثم الاغريق والرومان حتى عادت إلى حضن العرب والإسلام... ففي ٩٢٠ ق . م زحف ملك مصر على أورشليم وطرد هؤلاء المشاكسين وفي حوالي (٧٢٢ - ٧٢١ ق . م) صعد شلمتاحد وحاصر السامرة واستولى عليها وسبى الاسباط العشرة

من قبيلة بني إسرائيل ودفع بهم إلى آشور وأسكنهم في حلج وخابور ونهر جوزان ومدن مادى، وأتى بقوم من بابل وحماة وغيرها وأسكنهم في مدن السامرة.

وهكذا تلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد (ملوك ٢ - ١٧ : ٥ ، ١٤) ويقول المؤرخ فيليب متي : قد أظهر الرحالة بنيامين من بلدة توديلا في القرن الثاني عشر مقداراً كبيراً من الفهم التأريخي حين كتب أن الطائفة اليهودية في جبال نيسابور في شرق إيران ينحدر أفرادها من المسبيين الأصليين. وقد بقي من اليهود سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين، وقد اتخذوا أورشليم مكاناً لهم باسم مملكة يهوذا.

وفي حوالي ٦٠٠ ق . م أصبحت نهباً لغزوات الأمم حولها، يغزوها الكلدانيون والآرميون والمؤابيون والعمونيون وتذكر التوراة أن «يهود» أرسل هذه الأقوام على يهوذا ليبيدها.

وفي حوالي (٥٨٦ ق م) صعد «نبوخذ نصر» فأحرق الهيكل وبيت الملك وهدم أسوار المدينة وسبى أهلها وقاد الرؤساء والصناع والأقيان وملك اليهود ودفع بهم إلى بابل، وبذلك انتهت مملكة يهوذا إلى الأبد. ولم تقم لليهود قائمة بعد.

وعندما اختفت دولة بابل من ميدان السياسة في الشرق الأوسط على يد الفرس حوالي (٥٣٩) ق م، وجد ملك الفرس كورش أن فريقاً من السبي اليهودي لا يزالون موجودين في بابل فاراد أن يستفيد منهم ويستعين بهم على الكنعانيين، فأصدر بياناً يخول من يريد الرجوع منهم ووعدهم أن يعيد لهم بناء الهيكل.

وفي هذه الفترة أملى كهنة السبى التوراة على لسان عزرا وهي غير التوراة التي أنزلها الله على موسى. وقد منحهم الفرس صفة دينية تسمى «الكهانة» لإدارة شئونهم.

ثم جاء الأغريق واكتسح الاسكندر امبراطورية الفرس واستقبل متاعب اليهود، ففي ٣٣٣ انتهت امبراطورية فارس وابتدأ عهد الأغريق فتجاوب اليهود مع الأغريق بادىء الأمر وتبنوا عاداتهم وثقفوا لغتهم وتسموا باسمائهم وكان اتنيوخس القائد الأغريقي يريد أن يصهر ممتلكاته في وحدة ثقافية لأنه يعتبر الهيلينية نقطة التقاء لجميع رعايا دولته ولما اراد أن يفرضها على اليهود وجدهم قد سبقوه إليها، ومع قبول اليهود للهيلينية فقد حصل اختلاف بينهم وبين الرومان في شأن الكهانة، فارسل القائد الروماني أحد ضباطه إلى أورشليم «وهو رئيس محصلي الضرائب» فهدم المعبد وسلب جميع ما فيه وقتل كثيراً من اليهود وهدم بيوتهم وسبى نساءهم وأطفالهم وأخذ جميع مواشيهم ومنع اليهود من احتفالاتهم يوم سبتهم وأقام مذبحاً للآله الأغريقي زيوس فوق الهيكل وقد ضعف شأن اليهود عن أية مقاومة، حتى جاء الرومان ففي حوالي (٦٤ ق . م) زحف القائد الروماني يومى «P mpey» إلى آسيا الصغرى وسوريا ودخل دمشق وفي (٣٧ ق . م) أصبحت أرض كنعان تحت حكم هيرود الكبير.

وفي عام ٧٠ م تقدم تيتوس إلى أورشليم فحاصرها وهدم الهيكل وأحرقه وحمل جميع ما فيه وحمله إلى الامبراطور، ويقول

مؤرخو اليهود إن هذا الحادث يعد مصيبة كبرى لا تشبهه مصيبة وقعت عليهم إلا مصيبة السبي عام ٥٨٦ ق . م.

وفي عهد هادريان خرج عليه رجل يهودي يدعى «بركوبا» ومعناه بالآرامية ابن الكوكب (١٣٢ ـــ ١٣٥م) مدعياً أنه المسيح المنتظر في الاعتقاد اليهودي، فخرج إليه هادريان فقضى عليه، ولفشله سماه اليهود «بركوزيبا» أي ابن الكذب ثم هدم هادريان ما بقى من مدينة أورشليم وسواها بالأرض وبنى مكانها مدينة جديدة سماها «ايليا كابتولوينا» وهي التي تعرف عند العرب «ايلياء» وأبدل المعبد القديم واسكن في المدينة غير اليهود، وبعد قتل بركوزيبا هذا تفرق ما بقي من اليهود في العالم فانتشروا في لبنان وسوريا والعراق واليمن واستمر فريق منهم في هربه حتى وصل شواطىء أوربا.

وأشرقت الدعوة الإسلامية ورأى المسلمون أن الرسالة الإسلامية لم تكتمل ما لم تعد فلسطين إلى الوطن الأم. فانفذ أبوبكر ارسال جيش أسامة عام ٦٣٣ م الذي كان مهيئاً قبل وفاة الرسول وتوالت جيوش المسلمين في تحريرها حتى وقفت جحافل القائد العربي المسلم أبوعبيدة بن الجراح على أبواب القدس. فجاء القوم يعرضون الصلح ويشترطون أن يتولى الخليفة نفسه تسلم القدس، وفي الجابية أمضى عمر العهد واعطى فيه لسكان القدس الأمان في أنفسهم ودينهم وأموالهم ولا يسكن معهم في القدس أحد من اليهود. ومنذ ذلك اليوم طبعت القدس بالطابع العربي الإسلامي كما كانت مطبوعة بالعربي الكنعاني مدة سبعة وعشرين قرناً قبل الميلاد.

وبقيت كذلك عربية إلى ألف وخمسة وتسعين حيث بدأت

الحروب الصليبية وعبأت أوربا قواتها وزحفت على الشرق بمائة وخمسين ألفا احتلوا في طريقهم آسيا الصغرى وكثيراً من المدن في سوريا ووصلت جموعهم إلى القدس فحاصرها أربعون ألفاً منهم ولم تثبت الحامية الإسلامية في ذلك الوقت لقلة عددها واستسلمت بعد حصار دام شهراً ودخلت جيوش أوربا القدس عام ألف وتسعة وتسعين وذبحوا سكانها عن بكرة أبيهم لم يتركوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً وأقاموا فيها دولة لاتينية واحتلوا مدناً كثيرة في سوريا. ولم يدخل اليأس إلى قلوب المؤمنين وظلوا يدافعون ويقامون هذا الجسم الغريب مثلما تدافع العين الباصرة جسماً يدخل في موقعها «إن فلسطين عين البلاد العربية والإسلامية» وأخذت جيوش المسلمين تنتزع من الدخلاء مدينة بعد أخرى حتى برز القائد البطل صلاح الدين وأدرك لأول وهلة أنه لا يمكن القضاء على هذه الفئة المعتدية الغادرة إلا بتوحيد مصر مع سوريا فسار بجيشه إلى سوريا واستولى عليها ومن دمشق مثوى هذا البطل زحف لقتال المعتدين وحاصر طبرية فسقطت بيده ثم اتجه إلى «حطين» ونشبت المعركة الكبرى وأيد الله المؤمنين بنصره ووقع قواد الفرنجة أسرى بيده فأكرم مثواهم ولم يفعل بهم مثلما كانوا يفعلون بأسرى المسلمين.

كانت موقعة «حطين» موقعة فاصلة وأقبلت جنود العادل أخا صلاح الدين من مصر ففتحت المجدل ويافا، وسار الاخوان يرف عليهما علم النصر والمجد وحاصرا مدينة القدس فاستسلمت بعد أسبوع من حصارها في شهر تشرين الأول لعام ألف ومائة وسبعة

وثمانين، وهنا ظهر نبل صلاح الدين فأطلق سراح الأسرى وقبل الفدية وترك للنصارى العرب أملاكهم وسمح لهم في شراء متاع الفرنجة، واهتزت أوربا لهذا الحادث الجلل وأعادت الحرب جذعة واشترك في هذه المرة ثلاثة ملوك من أعظم ملوكهم وهم ملك بريطانيا رتشارد وملك ألمانيا فردريك وملك فرنسا فليب.

وأول حصار وقع منهم كان على عكا وبعد قتال طويل نفذت مؤنة الحامية ففاوضت على الاستسلام واطلاق السراح لقاء فدية وقد أعطاهم ريتشارد فرصة شهر واحد ولما لم يستطيعوا دفع الفدية أمر بذبحهم فذبحوا وكانوا ألفين وسبعمائة أسير، وفي عام ألف ومائة واثنين وتسعين (١١٩٢) اتفق صلاح الدين بعد حروب وغلبة الجيوش المسلمين أن يترك ريتشارد المسجد الأقصى وأن يسمح صلاح الدين للنصارى بالحج وقد أسكن صلاح الدين بعد موقعة حطين القبائل العربية وغادر فلسطين إلى دمشق وتوفى عام ١١٩٣ ألف ومائة وثلاثة وتسعين.

وانتهزت أوربا فرصة غياب صلاح الدين وزحفت مرة رابعة واستولت جيوشها على القدس ثم استردها منهم المسلمون واستطاع الظاهر بيبرس ملك مصر أن يوحد سوريا ومصر وأن يتفرغ لهؤلاء الدخلاء فيرسلهم إلى بلادهم وأسدل الستار في عمود الوطن العربي.

هكذا لعب اليهود في القرون الخالية في احداث القلق والاضطرابات في هذه المنطقة. وتحت شعار الصهيونية نسبة إلى أحد التلول التي تقوم عليها مدينة القدس تحرك الصهاينة في القرن التاسع عشر في تنفيذ خططهم بعد نجاح مؤتمرهم الأول الذي عقد

في مدينة «بازل» من مدن سويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة هرتزل.

والصهيونية حلقة من حلقات التآمر اليهودي والتكتل ضد الشعوب التي يعيشون في ظلالها تثبيتاً لاقدامهم وتعزيزاً لسيطرتهم ظهرت في بلاد العرب أولاً بقيادة كعب الاحبار ثم تكونت السبئية بقيادة عبدالله بن سبأ ولعبت دورها في العالم العربي وانتقلت بنظام جديد وتعبئة جديدة تحت اسم الماسونية في الغرب، وتغلغلت هذه الحلقة حتى شملت أرجاء العالم وعادت مرة أخرى إلى بلاد العرب وهي التي دفعت الصهيونية بيد خفية، فالصهيونية مظهر من مظاهر الماسونية. والماسونيون في جميع البلدان هم الذين يساعدونها ويدفعونها، وهم الذين يجندون لها الصحافة ووسائل الإعلام، وبأموالهم يشترون الذمم ويقدمون للبسطاء وسائل الاغراء.

ولقد لعب الاستشراق الصهيوني دوراً مهماً للحط من شأن العرب والإسلام وكان أبرز المستشرقين - كولد تسيهر - الذي لم يجد شيئاً يحطّ من قدر الرسالة الإسلامية إلا دسه في مؤلفاته، وأخذ تلامذته يهولون أمر الجهاد المقدس ويصورون العرب والمسلمين في أعين الأوربيين بصورة مخيفة ويفهمون الغرب أن الجهاد المقدس موجه ضدهم ومؤمل في كل لحظة، وانتشرت هذه الفكرة على لسان كل مستشرق ناشيء أو خرف، وسارت بين عجائز المقاهي يتحدثن بها وينقلنها إلى أولادهن وأحفادهن، فيجدون فينا خصماً مخيفاً وعدواً لدوداً، ولعبت الرأسمالية الصهيونية في توجيه الاستعمار إلى الشرق دوراً واسع النطاق، وأخذ المستعمرون يجوبون أقطار الشرق الأوسط للتفتيش عن الأسواق التجارية والمواد الخام الأولية.

فكان ذلك مأساة الاستعمار، وبذل دزرائيلي اليهودي الذي كان رئيساً للوزارة البريطانية جهداً عظيماً في وضع جزيرة قبرص تحت الإدارة البريطانية فتنازلت عنها الدولة العثمانية بمقتضى اتفاق منفصل أقره مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، وتمكن هذا الصهيوني الخطر من شراء أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥ عندما نزلت بالخديوي ضائقة مالية.

وفي غمرة هذه التعبئات خامر الصهاينة إنشاء دولتهم فكتب هرتزل إلى السلطان عبدالحميد يطلب منه شراء أراض في فلسطين لقاء أتاوة من المال مستمرة يقدمها إلى السلطنة في كل عام فرفض السلطان هذا العرض بكل اباء إسلامي وشمم.

[وأين نحن اليوم من موقف هذا السلطان المسلم الذي قال : هذه أرض المسلمين وليست أرضي كي اتصرف بها، أين قياداتنا العربية الاسلامية اليوم من هذا القائد الفذ ؟ أين نحن من هذه المواقف الشريفة؟ قيادتنا تنادي اليوم بجزء من أرض المسلمين مقابل الصلح مع العدو؟! وكأن اليهود هم الممتنون والمتفضلين علينا نحن أصحاب الأرض الشرعيين؟].

واستمرت دسائس المحافل الماسونية تعبث من وراء ستار تغري البسطاء بالمال والمناصب والنساء حتى وقعت الحرب العالمية الأولى، فكان الرجل المريض – الدولة العثمانية – التي هدّت أركانها أفاعي الماسونية فريسة لاطماع الاستعمار واستغل وايزمن اختراعه مادة الاسيتون الضرورية للمتفجرات فاشترى من بلفور وعده بهذه المادة. وهو وعد جائر صادر ممن لايملك التصرف في حقوق الغير، أهم مافيه إنشاء وطن قومي لليهود دون الاخلال بحقوق المواطنين الأصليين.

ومع كل عوامل الضعف في شرعية هذا الوعد تعلق به الصهاينة وعبأوا لتحقيقه كل القوى. خاصة وهم يمتلكون مفاتيح ثروات الأمم والسيطرة على المصارف وعلى وسائل الإعلام وعلى توجيه الآداب في السينما والمسرح وعلى امتلاك ناصية السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، فالرئيس الذي لا ينصّبه اليهود في البيت الأبيض يبقى كرسيه يتأرجح من تحته، والسناتور الثري صاحب المعمل الذي لا يتكلم في جهتهم يتدهور اقتصاده، والسياسة الاستعمارية تريد لها مخلب قط وهم مستعدون لذلك. وقد جربوا مثل ألاعيبهم هذه في حروبهم، فهم يستندون إلى الخطف وقصر الوقت، لأنهم لا يستطيعون أن يثبتوا في حروب طويلة الأمد، فمثلهم مثل الثعلب يخطف ويهرب ثم يطلبون الهدنة، وفي الهدنة يماطلون ويكسبون ويستغلون قوى الاستعمار لتبرير أفعالهم وأعمالهم، وإذا شعروا بالاحراج عمدوا إلى الاغتيال والتخريب، وقد اغتالوا برنادوت وذهبت حياته كصوت في واد، وإذا اعدنا النظر في حروبنا معهم نستطيع أن نعرف كيف استطاعوا بناء إيلات وكيف أخذوا يزحفون على الأراضي المحتلة شبراً شبراً، وكيف هيأوا أنفسهم في كسب الوقت وغدروا غدرتهم الأخيرة، بل التي لا نهاية لها حتى تقوم الساعة.

لم يلتفت الصهيونيون إلى مقررات هيئة الأمم المتحدة إيام برنادوت، و لم يلتفت الصهيونيون إلى مقررات مجلس الأمن في إيام يارنج وهذا الأخير منكمش على نفسه حائر لا يدري ماذا يفعل. [بينما نحن العرب المسلمين نلتفت إلى الأمم المتحدة ومجلس

الأمن فيها رغم ما حل ويحل بنا من مصائب، ونستجدي قرارات الشجب والاستنكار والادانة منهما ثم مكانك سرا!] موقف صهيوني يتحدى العالم. وهيئة الأمم قائمة ومجلس الأمن قائم وحق تقرير المصير في إعلان حقوق الإنسان أهم مكسب من مكاسب حضارة القرن العشرين تفتخر به هيئة الأمم المتحدة والكارثة معروضة أمام الجميع : تهجير مواطن شرعي وإسكان مغتصب دخيل مكانه وهدم وابادة، وضمير البيت الأبيض قائم أمام هذه الكارثة يقظ متوثب أمام الغدر.

ـــ هذه الكارثة لم تكن أول قارورة كسرت في قضية فلسطين وإنما هي واحدة من سلسلة متعاقبة ستليها أخريات لا يقطعها إلا وعي عام وتربية جيل قوي يعرف أن مستقبل الأجيال الزاهر منوط بحاضره.

ـــ وتعبئة عاجلة سريعة منسقة في العدة والمال مرتكزة على وحدة الصف والإيمان بحقنا في الحياة.

ـــ وثورة عارمة في ابعاد العملاء الماسونيين، والعملاء المغرر بهم والمخدوعين.

ـــ تهيئة أجهزة إعلام في الغرب لنشر أباطيل هذه العصابة، فإن الغرب يفهم حقيقتها ويعرف قوة تسلطها على ثروته وإدارة بلاده.

ـــ كسب الرأي العام العالمي وتكوين الصداقات مع الأمم بطريق «الدبلوماسية» القوية.

ـــ تكوين قوة عربية إسلامية رادعة تردع الخصم، وخلق جيل متين يحمي الأمة من الدخلاء والعملاء والمعوقين.

ـــ قيام اعلامنا – بكل وسائله – بتعرية طبيعة ذلك التعامل النفاقي

في القرارات الصادرة عن القوى الاستكبارية العالمية – من خلال الهيئات الدولية – المُسيطر عليها – مع موضوع اغتصاب الأراضي وتشريد أهلها، ومع جميع قضايانا العربية الاسلامية العادلة .

وهنا نسمح لأنفسنا أن نقف وقفة المتأمل ونسأل لماذا انهارت إسرائيل إن صح تسميتها دولة في العصور القديمة وانتهى أمرها إلى الأبد وبسرعة قصيرة؟ والإجابة على ذلك أن اليهود كانوا غرباء عن هذه المنطقة وانهم رعاة أغنام وابقار حلوا وسط شعوب لها حضاراتها ونظمها، وانهم جاءوا بنية مبيتة جاءوا ليستأصلوا السكان ويحطموا الحضارات ويغتصبوا الأوطان، وكانوا أسسوا دويلتهم في القديم على حساب أهل البلاد الأصليين وأخذوا يهددون الممالك المجاورة في اقتصادها واجتماعها وسياستها فنفرهم المجتمع المحيط بهم مثلما ينفر الجسم عن الجسم الغريب.

وقد شعرت الأمة العربية ومعها الأمم الأخرى بهذا الاخطبوط الذي أخذ يمد خراطيمه في آسيا وإفريقيا ويغزو البلاد ويقتطع الأوطان ويحتجز منابع الثروات لتكديس الأموال في المصارف «البنوك»، وقد مر بنا سلوكه في حروب ثلاثة، كيف كان يخدع ويراوغ حتى بلغ السيل الزبى؟ وكان للوعي العربي الإسلامي والآسيوي والإفريقي أثر كبير في التنبه لهذا الخطر، وكان تعبير العاشر من رمضان ٦ أكتوبر عن هذا الوعي أعظم تعبير، أوضح للعالم أننا أصحاب حق وطلاّب عدل ... سنواصل السير في تحقيقه حتى النصر الكامل بمشيئة الله.

الفصل الثاني

وظائف الصحافة الإسلامية في هذه المواجهة

(نمـاذج)

لقد كان تمكن دعاة الإسلام من الوقوف والتصدي لمواجهة الاتجاهات والأفكار المستوردة من الشرق والغرب من خلال محاولاتها ومخططاتها الرهيبة بمختلف نواحي الحياة بغية الانقضاض على مبادىء الإسلام وتعاليمه وأفكاره – كان من أبرز مظاهر القرن الخامس عشر الهجري وأعظم طوالعه ... يقول في هذا أنور الجندي(١) : « إن هذه المحاولة قد قطعت شوطاً طويلاً خلال القرن الرابع عشر الهجري عن طريق ارساليات التبشير «التنصير»، ومخططات الاستشراق، وعن طريق أساليب الصحافة، ومن خـلال بـرامج التعـليم، وفي طوايا المسرحيات، وروايات السينما، وفنون الرقص والغناء وعلب الليل، وكلها تستهدف القضاء على الأصالة الإسلاميـة وتمييـع الطوابـع الإسلامية الثابتة، وهدم القيم الأساسية التي قام عليها التوحيد الخالص،

(١) مقال في مجلة الأمة القطرية. العدد / العاشر— شوال ١٤٠١ هـ الموافق آب «أغسطس» ١٩٨١ م.

شرعة الله الخالصة الحقة التي لا يحملها في هذا العصر إلا أهل القرآن وتابعي محمد صلى الله عليه وسلم ومعتنقي الإسلام في « عقيدة خالصة ربانية » قادرة بكمالها على مواجهة الفكر البشري المتجدد بوثنيته وماديته، ودحض اهوائه وشبهاته وتقديم رسالة الفطرة والحق والخير إلى البشرية جميعاً ».

وهذه المواجهة مع الاتجاهات والأفكار المعاصرة المستوردة، بدأت منذ وقت طويل ومازالت قادرة على البذل والعطاء من أجل اعلاء كلمة الله واحقاق الحق وازهاق الباطل وسمومه، مستخدمة كل السبل والوسائل الشريفة، ومن أهمها وسائل الإعلام – سيما الصحافة منها – فتوظف نفسها في التصدي ومواجهة كل ما يخالف عقيدتنا وشريعتنا وقيمنا وأخلاقنا.

الوظائـف :

إن وظائف الصحافة بوجه عام والإسلامية بوجه خاص – كما نراها – تنقسم إلى :

١ ــ ثقافية.

٢ ــ دفاعية.

٣ ــ هجومية.

فالثقافية : هي التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

والدفاعية : فتتم بالرد على ما يثيره العدو من شبهات وأباطيل وما يردده من شائعات أو يطلقه من محاولات للتشويش.

أما الهجومية : فتتم بتبني سياسة الحق والإعلان عنها، وبيان وجهها الصحيح ومنهجها الواضح، مع العناية ببيان أن ما يناقضها أو يخالفها باطل وزيف.

وعليه يتحدد مفهوم وظائف الصحافة الإسلامية في هجومها ودفاعها، بكشفها لحق الإسلام ودين التوحيد وإعلانها عن صحة هذا الدين وحده دون سواه، وإذاعة ونشر ما يؤكد هذه الحقيقة ويصلها بالوحي الالـهي .

وقد يقتضي هذا الشكل من الوظائف استعمال أسلحة الهجوم المباشر، لبيان كل ما يخالف عقيدتنا وشريعتنا، وأخلاقنا وسلوكنا الإسلاميين.

أما الدفاع، فيتطلب من الصحافة الإسلامية أن ترد جميع الشبهات التي يثيرها الأعداء ضد العقيدة الإسلامية وشريعتها الغراء، كشبهة التعدد وإدعاء دنو مكانة المرأة في الإسلام، أو ادعاء عدم ملاءمة الشرع الإسلامي للتطور ... إلى غير ذلك من الدعاوى الظالمة.

المواجهة الأولى بين المسلمين والنصارى :

من البدهيات التأريخية، التي اعترف ويعترف بها مؤرخو النصرانية والإسلام، أن اللقاء الأول بين المسلمين والمسيحيين كان لقاء دعوة بدعوة، دعوة الحق بدعوة الضلال... ومن خلال

«النجاشي» ملك الحبشة، ذلك الرجل الذي أكرم اللاجئين المسلمين وحماهم من أعدائهم، تبرز الصيغة المناسبة للتعامل كلما يتجدد مثل هذا اللقاء في الواقع أو في الصحافة وغيرها، وما ورد في القرآن الكريم بشأن عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه العذراء البتول مريم. وهو ما سمعه النجاشي من فم جعفر بن أبي طالب وبكى له حتى اخضلّت لحيته. وبكى له اساقفته حتى اخضلوا أناجيلهم. ثم قال النجاشي كلمته المعروفة الذائعة بين المسلمين : «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة».

ثم من خلال تعاطف المسلمين مع دولة الروم وتنبؤ القرآن بانتصارها. وهو التنبؤ الذي عجب له مؤرخو النصرانية والدولة البيزنطية. لأن كل الشواهد كانت تخالفه.

ومن خلال ذلك كله – فضلا عن موقف المقوقس عظيم القبط في مصر – تكونت بداية طيبة كان في الإمكان أن تكون فاتحة خير كبير بحيث يكون الأمر «صراع فكر» قبل أن يكون صراع حرب، وما تحليل وشرح الداعية جعفر بن أبي طالب، وما نتج عنه من ردود فعل، وما ذلك التعاطف مع الروم وذلك التنبؤ القرآني ونتيجته، إلا أساليب إعلامية تبرز لنا جلياً في منهج الإعلام الإسلامي عامة، والصحافة بوجه خاص، كوسيلة يجب أن تتبنى اسلوب الدعوة الاسلامية في كل موقف، وما أحرى صحافتنا اليوم أن تنهج هذا النهج وتقتدي به، لتسهم بشكل فعال في خدمة الدعوة إلى الله، مما يتحقق – بالتالي – الإسهام في انقاذ البشرية من الضياع الذي تحياه الآن، وكذا الخدمة في تحقيق أمنها واستقرارها ورخائها وسعادتها.

زيادة ايضاح :

هذا ولا نعني بذلك الغاء العمل بالجهاد والتشجيع عليه، بل نعني ضرورة تقديم ما قدمه الإسلام أولاً، حيث تدل كل الشواهد والقراءات للمؤرخين النصارى بالذات، أن المسلمين كانوا دائماً أكثر تسامحاً وتعاطفاً وانصافاً مع المسيحيين. حيث كانت الاقليات المسلمة في المجتمعات المسيحية.

فيما سبق تقديم لوظائف الصحافة، وقد أوردنا نموذج اللقاء الأول بين المسلمين والمسيحيين لنبين من خلاله الأسلوب الإعلامي الناجح حيث قام الداعية جعفر بن أبي طالب بالتحليل والشرح، وما نتج عنه من ردود فعل، إنه لحري بالصحافة الإسلامية – باعتبارها أهم وسيلة إعلامية – أن تتبنى أسلوب الدعوة في كل المواقف وتنهج هذا المنهج وتقتدي به.

بعد هذا نعرض – فيما يلي – وظائف الصحافة الإسلامية في المواجهة :

١ ــ الوظائف الثقافية للصحافة الإسلامية :

لقد بات واضحاً أن للصحافة الإسلامية دوراً متميزاً وفعالاً في عملية التثقيف، تثقيف المسلمين بثقافة متميزة تقوم على أسلوب تصحيح النظرة إلى الكائن الإنساني وصلته بما حوله من الأشياء والأدوات والكائنات الأخرى، فضلاً عن صلته بما وراء الكون والحياة. وهذه النظرة يصبو بها ويسهر عليها وحي السماء متمثلاً في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وتبدو هذه النظرة

واضحة جلية في الدعوة إلى التعامل مع سائر الناس في كل مكان على نحو لا يعرف الحقد ولا يقدّم الشر، ولا يركن إلى فلسفة وضعية. تزوّر الحقائق، وتبرر للأهواء والشهوات والصراعات الحاقدة مواقفها. بل تقوم على أساس الدعوة بالأساليب التي توائم الفطرة البشرية، وتسمح لجميع العقول والأفكار أن تناقش وتحاور وتقتنع. يقول تعالى ﴿إدعُ إلى سبيل ربـكِ بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..﴾(١)

ويقول سبحانه : ﴿يا أيها الذين أمنوا اتقـوا اللـه وقولـوا قـولا سديداً﴾(٢) ويقول جلّ وعلا : ﴿... فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض..﴾(٣).

وهناك الكثير من الآيات التي تبين طبيعة المنهج الإسلامي في التعامل مع العقائد والشرائع الأخرى، إنه منهج اعتمد وسائل هادئة شريفة وسديدة، منهج يؤمن بأن النصر للحق والحقيقة وحدها.

لقد أدركت بعض الصحف الإسلامية هذه الحقيقة، فبثتها واعتبرتها منهجاً لها ومن وظائفها الأساسية. وحسبنا في هذا المقام أن نعرض نموذجين عمليين للموقف الثقافي في الصحافة الإسلامية.

النموذج الأول :

نشرت مجلة «الدعوة» المصرية في عددها الأول الصادر في

---

(١) سورة النحل - الآية / ١٢٥

(٢) سورة الاحزاب - الآية / ٧٠

(٣) سورة الرعد - الآية / ١٧

شهر رجب عام ١٣٩٦ هـ[1] مقالاً بعنوان «الاقتصاد في الدولة الإسلامية» طلبت فيه ارساء اقتصاد ينظم نشاطنا المادي لزيادة رفاهية البشرية بحيث تكون هذه الرفاهية وسيلة أبداً ودوماً لغاية قصوى هي عبادة الله، وهي المحاولة الدائبة للاتصال بنوره... وفيما يلي نص المقال :

«الاقتصاد في الدولة الإسلامية»

يخطىء الظن من يذهب إلى وجود أي نظام اقتصادي مستقل بذاته منفصل عن المثالية أو المذهبية العامة التي لا قيام لأي مجتمع إنساني بدونها.

حقيقة توجد بعض القواعد العامة التي تحكم بعض المتغيرات المادية في مثل هذا المجتمع، كقانون العرض والطلب، وقانون الغلة المتناقصة وقانون التكاليف النسبية، وهذه علاقات منطقية محدودة جداً، تفسر بعض ظواهر المعاملات الاقتصادية ولا تكاد تحدد معالم «علم» اقتصادي أو تميز اقتصاداً إسلامياً عما عداه.

الاقتصاد أحد أوجه الحياة الجماعية التي يحياها الناس في ظل فلسفة مثالية أو مذهبية معينة، وهو ينصب على دراسة الإنسان حين يصرف جهوده لزيادة رفاهيته المادية وليزيد من طاقته الإنتاجية اشباعاً لحاجاته المادية عن طريق التبادل والمعاملات تحقيقاً لمذهبيته ومثله الأعلى وهدفه في هذه الحياة.

---

(١) يوافق هذا التأريخ شهر «يوليو» ١٩٧٦م.

من أجل هذا اختلف النظام الاقتصادي في المذهبية الرأسمالية عنه في المذهبية الشيوعية، واختلف نظاما هاذين عن النظام الاقتصادي الإسلامي، إذ لكل وجهة هو موليها، وقاعدة متميزة ينطلق منها، ولكل غاية تتطلب أنماطاً معينة من النظم تتجه إلى تحقيقها... وبعبارة موجزة ينصب اقتصاد أي دولة على دراسة المعاملات المادية للإنسان في مجتمعه ليحقق هدف المثالية التي يعتنقها ذلك المجتمع.

من أجل هذا يستحيل علينا أن نتبين معالم الاقتصاد في الدولة الإسلامية دون أن ندرك ادراكاً كاملاً المذهبية الإسلامية : فلسفتها التي تنبني عليها، وأهدافها البعيدة والقريبة، وقواعدها الأساسية التي ترسي عليها أحكامها.

جوهر فلسفة الماركسية :

واضح أن هذا التأصيل أمر لا غناء عنه ولا محيض منه، ويكفي أن نشير اشارة عابرة إلى أن الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي عموماً – الاشتراكي العربي وغير العربي – يقوم أساساً على فكرة فلسفية مضمونها : أن كل حوافز الإنسان نابعة من حاجته لاشباع غرائزه المادية، وأن أهم هذه الغرائز هي حفظ الذات بالقوت، والأمن بالمأوى، والنوع بالتكاثر... أما أن تشمل الحوافز الغرائز المعنوية كغريزة الانتماء والحب والتسامي وما إلى ذلك فهذا ما لاتعترف به الاشتراكية العلمية، وما لا يدخل عندها في حساب، وإذ كانت الثروات محدودة ومطالب الناس ورغباتهم المادية لا حد لها، فلا مناص إذاً عن التكالب على هذه الثروات ولا عن الاحتراب من

أجل الحصول على أكبر قدر منها، ولا عن عداوة طبقة غير مالكة لطبقة مالكة... ثم تستطرد الشيوعية لتبني فوق هذه المقدمة الخاطئة نتائج خطيرة، لعل أبرزها : أنه مادام الناس طبقات يتحاربون وما دامت السعادة والأمن والسلام نشدتهم في الحياة الدنيا، فمن الواجب إذن الغاء مبرر العداوة والحروب، ألا وهي الملكية الخاصة لعناصر الطبيعة ولرأس المال المنتج في مختلف صوره، إذ ما أن تصبح هذه الملكية مشاعة بين الجميع حتى تختفي الطبقات المتصارعة التي كان يستغل القوي منها ضعف الضعيف، وحتى يعيش الناس في مجتمع فاضل لا تمايز فيه بحكم الملكية والغنى بل لا يوجد فيه حاكم ومحكوم.

هذا جوهر فلسفة الماركسية التي تفرعت بهم إلى كثير من صور الاشتراكية والتي شطت بهم إلى تيه الإلحاد وانكار الأديان السماوية، والتي اضطرهم تطبيقها إلى فرض نظم استبدادية فردية وجماعية وإلى ظلم عامة الناس والتفريق الجائر بين «عضو الحزب» الذي يعلن الولاء لهذه المذهبية – وإن اضمر غير ذلك – وبين الفرد العادي الذي تفرض عليه هذه المذهبية، ويساق إليها سوق الأنعام دون طواعية أو اختيار، بدعوى تحقيق رفاهيته المادية وتحريره من ربقة الاستعباد الذي يفرضه النظام الرأسمالي.

وهكذا يقوم هيكل النظام الشيوعي والاشتراكي عموماً على أساس المذهبية الماركسية ويصطبغ الاقتصاد بألوان هذه المذهبية، بل يشتق منها، وتكيف أوضاعه وقواعده وكلياته وتفريعاته ليصل بالمجتمع البشري الذي يطبق فيه إلى تحقيق ما تنادي به الاشتراكية الماركسية كمذهبية، ومثل أعلى تعتنقه الدولة، بصرف النظر عن

كون هذه المذهبية صالحة ومتسقة مع فطرة الكون أم طالحة متعارضة مع غرائز الإنسان وجبلته الأولى.

المثالية أو المذهبية الإسلامية :

التوحيد : الإسلامية مذهبية تدعو إلى الإيمان بوحدة الخالق ووحدة الحق، فهذا الكون موجود ولابدّ له من موجد، وهو كون متسق متصل. مطّرد الحركة في انتظام واتزان، تحكمه قوانين أزلية غاية في الدقة والكمال، ولا يتصور أن يكون ذلك ما لم تكن القوة الخالقة ذات ارادة ووعي وادراك... والإنسان جزء من هذا الكون لا ينفصل عنه، يتأثر به ويؤثر فيه، ولكنه وهب الارادة والوعي من لدن خالقه دون غيره من الكائنات، وبهذا أصبح أكرم ما في الدنيا، وأصبحت الدنيا مسخرة له.

والغاية من حياة الإنسان أن «يعبد» خالقه، والعبادة عقيدة تقر في القلب ويصدقها «العمل».

والعمل : هو الجهد الذي يبذله الإنسان «لمنفعة» البشرية حسب القوانين الأزلية والشرعية الحنيفة.

والمنفعة : هي الصفة التي إن توافرت في شيء جعلته صالحاً لاشباع رغبة مشروعة.

ليست القضية في المذهبية الإسلامية مجرد قضية لتحقيق ربح مادي ولاشباع غرائز حسية، لأن الإنسان بحكم خلقه مركب من مادة وروح، والأصل أن يتسامى الإنسان بروحه ليتصل بنور خالقه، ويستعين بهذا الاتصال حتى يستزيد من العلم بحقائق الوجود والمعرفة

بالقوانين الأزلية التي تحكم علاقات الخلق وسائر المخلوقات، وكلما زاد علم الناس بهذه القوانين، وكلما اتبعوا سنتها، كلما ازداد رخاؤهم وسعدت نفوسهم.

حكمة القوانين الأزلية :

القوانين الأزلية، سواء ما أتى بها وحي السماء وقال بها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو ما استكشفها الناس من يوم عاش آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذه القوانين هي معيار الحق والفيصل بينه وبين الباطل، وبين الخير والشر.

واتباع هذه القوانين «تسبيح» بحمد الله وعبادة له، واستجلاب لمرضاته وسير على هديه، واستشراق لرائع نوره، والحجة الساطعة التي إن سلكها الخلق - ولا حياة سعيدة لهم إلا باتباعها - فإنهم بذلك ينطلقون في الحياة الدنيا في يسر يجنبهم الاحتراب والتباغض والتمايز المادي، وينأى بهم عن خرافة الماركسية واستبداد الرأسمالية ويطهرهم من عبادة «المادة» و «المال» و «الاشخاص».

والمذهبية الإسلامية بهذا المدلول تقرر أن الخلق جميعاً «يسبح» لخالقه، والإنسان ضمن هذا الخلق، ومقتضى التسبيح أن تسير المخلوقات حسب القوانين الأزلية، فلا تحارب بين الأفراد والطبقات، ولا استغلال لفئة فقيرة من قبل فئة غنية، ولا ظلم لمحكوم من حاكمه، ولا تعارض لمصلحة فئة أو فرد من الناس مع فئة أخرى، وإنما يكون كل ذلك حين يتنكب الناس هذه القوانين، وحين يحاولون عدم التقيد بمضمونها وحين يتجاهلونها ويصنعون بدلاً منها قواعد

أخرى من صنع عقولهم القاصرة وخيالاتهم المريضة.

مقتضى الإسلامية : الاتساق والسير المطّرد نحو الغاية بحيث لا يصطدم الأفراد في ركبهم وأنّى لهم الاصطدام والكل يتبع القانون ويلتزم به.

ومقتضى الإسلامية : أن الكون كله متآلف متساند وأن فكرة الاضداد نسبية بحتة، إذ هي في صميمها وصف لطرفين متباعدين وليست وصفاً لنقيضين - كما يزعم هيجل - الذي أوحى إلى ماركس بنظريته الخاطئة ... الحرارة والبرودة : طرفا طاقة حرارية تبدأ من اقصى ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من خفض لهذه الطاقة إلى أقصى ما يتوصل إليه من رفع لها حين تنعكس على غيره، وليستا نقيضين ... والنور والظلام : انعكاس للضوء في أقل وأعظم صورة وليسا في اطلاقهما نقيضين ... والحكمة والسفه : وصفان لتصرف الإنسان في أدنى واسمى حالات الالتزام بالقوانين الأزلية الصحيحة وليسا في كنههما نقيضين.

والخير والشر، والحياة والموت، واليقظة والنوم وكل ما نعرف في هذه الدنيا إنما هي خطوط ممتدة تسمى أولها باسم وتسمى بنهايتها باسم آخر، وكل منها في الحالتين جزء من ظاهرة واحدة ممتدة من طرف إلى طرف في تدرج واستطراد، دون تحارب أو تناقض. وحين نفهم الإسلامية على حقيقتها تتبين لنا هذه الحقيقة الأزلية واضحة جلية، إذ تقول هذه المذهبية بوحدة الخالق ووحدة الخلق. والخالق لا يناقض نفسه إن توحد، والمخلوقات لا تتوحد إن تعارضت، بل إن المتمعن في طبيعة الكائنات يرى أن جوهر الأجسام لا يمكن

أن تفصم ذرات كهاربها المكنونة لها، وإن كل محاولة لكسر قانون وحدتها يؤدي إلى انفجار ذري مدلوله انطلاق تلك الكهارب لتتحد مع غيرها دون هوادة ولا ابطاء.

الإسلامية إذن تقرر وحدة الخلق، ووحدة البشرية. وتنكر مبدأ التناقض والتحارب، وترسي فكرة الاتساق والاتزان النابعة عن اتباع قوانين الفطرة الأزلية.

والوحدة والاتساق والاتزان تعني الكثير.. إنها تعني السلام والأمن، والتعاون والتحاب، والقسط والعدل، إذ حينما تكون الوحدة فثم التضامن بين الناس، وهناك الوشائج مترابطة، والنفوس آمنة... وحينئذٍ فلا تعارض ولا تناحر ولا احتراب.

الإنسان قلب وروح .. لا مسمار أو عجلة :

وحيثما تكون الوحدة يكون التعاون والتساند، وهما موجبان للعمل المشترك في سبيل الغاية، ولئن كان تعاون وتساند فلابدّ من عاطفة كريمة ومحبة، إذ ليس الإنسان مسماراً أو عجلة في آلة، ولكنه قلب ينبض وروح تخفق في جسد يتحرك، إنه شعور لطيف قبل أن يكون رغبة حسية، وهذا الحب والائتلاف بين الأرواح يدفع إلى عمل الخير لذات الخير، ونداء إلى التعاون والإتحاد.

وقانون الوحدة الأزلي يفرض قيام ميزان القسط والعدل، إذ تستلزم وحدة المجتمع أن ينال كل ذي حق حقه، وأن يخضع الجميع لما يستتبعه هذا القانون الرئيس من قوانين فرعية، وليس للعدل مدلول غير ذلك.

الاستخلاف :

حين قررت المذهبية الإسلامية أن هذا الكون مرده إلى خالق واحد بارىء مصور مبدع متقن، وأنه تعالى وحده مالك هذا الملك بما فيه من مادة وروح، ارتضت استخلاف أشرف المخلوقات على ما في السماوات وما في الأرض، ووضع الأمانة بين يديه.

الإسلامية : لا تنظر إلى الإنسان باعتباره «مالكاً» إصيلاً لأي شيء، لا لذاته وجسده ولا لزرع أو ضرع، ولا لأرض أو ماء أو هواء... الإنسان في الإسلامية «خليفة» الله سبحانه في ملكه «وكيل» مكلف برعاية خلقه، مأمور باتباع أوامر خالقه ومالكه وسيده.

وهذا الشق في فلسفة المذهبية الإسلامية بالغ الأهمية والخطورة واجب التأكيد والاعتبار، إذ على أساسه وفي إطار التوحيد والوحدة يعبد المسلم ربه، ويحدد نطاق عمله ومعاملاته، ويرسم معالم علاقاته باخوانه في مجتمعه وبأسرته ومن يعول، وبحكامه ورعيته، بل تحدد كل مجموعة بشرية علاقاتها بغيرها من المجتمعات.

جاء الاستخلاف نتيجة طبيعية لنعمة الله على الإنسان ولما وهبه من إرادة وادراك وحس وشعور، إذ لابدّ لهذه الهبات من موضوعية تنعكس عليها لتظهر بها، وإذ كان الإنسان نفسه مخلوقاً لا يملك خلق نفسه وإذ كانت الكائنات كلها من خلق الله وليس من خلقه، اقتضت حكمة الخالق أن يستعمل الإنسان ارادته وحسه فيما سخر له من كائنات، وجرى قانونه الأزلي على أن يتصرف الإنسان في هذا الخلق كله حسب القوانين الأزلية التي كشف الله

للناس عن بعضها والتي فطرهم على استقصاء مالم يكشف لهم عنها. **الملكية** إذاً في كل صورها وفي كل ما اشتملت عليه راجعة إلى الله وحده، وليست حقاً ولا صفة يختص بهما الإنسان، من أجل هذا كان التعبير الصحيح لما يكتسبه المسلم بماله الحلال من طيبات هو الحيازة وليس الملكية، وإن جرى العرف تجاوزاً على اطلاق لفظ الملكية والتملك.

إن مقتضى الاستخلاف ألا يتصرف الإنسان في نفسه وفي غيره وفي كل ما تحته، أي تصرف إلا بحقه، وواضح أن هذا الحق المقيد للتصرف مرده إلى صاحب النفس وما كسبت يمينه إلى من عهد إلى الإنسان أن يكون خليفة له جل شأنه على خلقه.

مثلنا الأعلى أو مذهبيتنا الإسلامية تقتضي منا أن نرسي اقتصاداً ينظم نشاطنا المادي لزيادة رفاهية البشرية بحيث تكون هذه الرفاهية وسيلة ابداً ودوماً لغاية قصوى هي عبادة الله وهي المحاولة الدائبة للاتصال بنوره والسعي المستمر الذي لا يفتر للانخراط في هذه الوحدة الأزلية عن طريق اتباع قوانين الخليقة، وبهذا وحده يسير الناس في درب الاستكمال البشري ويستمتعون بالسعادة التي هي مرادف للحق والعدل والجمال.

النموذج الثاني :

نشرت مجلة «التربية الإسلامية» العراقية، بعددها الخامس - الصادر في شهر ذي الحجة عام ١٣٩٤هـ[1] مقالاً بعنوان

---

(١) يوافق هذا التاريخ شهر كانون الأول «ديسمبر» ١٩٧٤م

«مقومات الشريعة الإسلامية» بينت فيه أن الشريعة الإسلامية شريعة عامة للبشرية كافة، فهي لا تتصل بعرق معين أو طائفة خاصة، وهي ليست شريعة ضيقة تعبر عن لحظات زمانية أو ظروف مكانية في حياة الإنسان، بل هي تعبير عن فطرة الإنسان واستعداداته منسجمة مع خصائصه الحيوية ومتناسقة مع أهدافه وغاياته، في كل نواحي الحياة ... وفيما يلي نص المقال :

« مقومات الشريعة الإسلامية »

من المسلمات المعروفة عند أهل العلم بالإسلام، أن الشريعة الإسلامية تعتمد في مادتها وصياغتها على القرآن الكريم والسنة النبوية، وما أجمع عليه مجتهدو الأمة، واجتهاداتهم في حدود الضوابط الأصولية المقررة المأخوذة لفظاً أو استنباطاً من نصوصها المتنوعة الكثيرة ــ سواء أكانت قطعية الثبوت قطعية الدلالة، أو قطعية الثبوت ظنية الدلالة، أو ظنية الثبوت قطعية الدلالة – ومن أهدافها العامة المأخوذة من مجموعة النصوص أو من روحها أو مآلاتها.

وعلى ذلك فالشريعة الإسلامية لها جانبان : أولهما دستوري ثابت بمثابة الأسس والأركان وثانيهما : فقهي قانوني، لأنه يمثل عقلية علماء الإسلام واجتهاداتهم في زمن من الأزمان، أو في عصور متلاحقة. وهذا الجانب الثاني ليست له قداسة وعصمة الجانب الأول، لأنه مصطبغ بمظاهر العقل واجتهاده. فعلى الرغم من أنه لم يجر إلا في حدود الضوابط الأصولية، ولم يتبع الهوى المضل، إلا أنه قد يخطأ في فهم النصوص، أو يعتمد على ظروف العصر واعراف

القوم، ومصلحة ذلك الجيل.. فمن هنا يجوز لعلماء الإسلام في العصور التالية مراجعة الرصيد، ووزن الأقوال، واعتبـار المصالح المتجددة، والأعراف الحسنة المستحدثة، والاعتماد على الفهم الأكثر عمقاً وشمولاً. انسجاماً مع المفاهيم المكتشفة في الحياة، ومراعاة الظروف والأحوال.

وهذا هو معنى قول الفقهاء إن الأحكام الفقهية قد تتبدل بتبدل الأزمان أو أن الاجتهاد ماض إلى يوم القيامة أو العرف محكم أو المصلحة معتبرة. وليس معنى ذلك تحرر الفقه الإسلامي في أي عصر من عصوره من تصورات الإسلام الكلية وقواعده العامة المبنية على الأصول التي ذكرناها. بل إنه في عصوره المختلفة يدخل ضمن مصطلح الشريعة الإسلامية بالمعنى الذي قدمناه في أول كلامنا.

ونحن عندما نستعرض مقومات هذه الشريعة نقصد المقومات العامة التي تعود إلى مجموع الشريعة من حيث هي كل لا تتجزأ.

منها : أن الشريعة الإسلامية شريعة الـٰهية أوجدها الله رب العالمين. كما أوجد نظام الوجود، فهي جزء من نظام الكون العام وحقيقة من حقائقه الواقعية. وهذه الحقائق الكونية اشبه ما تكون بمسارات النجوم والمجرات الدقيقة في هذا الكون الهائل، بحيث لو انحرفت عنها لحل الخراب بالعالم.

والحقائق الالـٰهية المودعة في الشريعة لو خرجت الحياة عليها و لم تصطبغ بصبغتها و لم تتحرك في مجالاتها، لاضطربت وتزعزعت وانحرفت، فاصاب الإنسان شلل عام يعطل سيره، ويفسد انسجامه، مع بقية حقائق الوجود التي قلنا إنها تشكل جميعاً نظاماً كونياً

عاماً.. وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ... ﴾[1].

إن العقول الإنسانية في تنظيم الحياة لها دور كبير شريطة الاستناد على أسس واضحة. وهذه الأسس لا يمكن أن تكون من عمل العقل. إذ العقل في كثير من الأحيان يهدم نفسه. فإذا كانت هذه طبيعته، فكيف نعتمد عليه في وضع الحقائق الثابتة كي ننطلق منها إلى رسم صور الحياة ومظاهرها السلوكية.

ولو راجعنا العقول الكبيرة في مجالات الفكر الإنساني من أقدم عصور الحضارة إلى اليوم رأيناها مضطربة في مبادئها وأساليبها في التفكير وأهدافها اضطراباً شديداً.

ومن هنا فقد شاءت حكمة الله ألاّ يترك الإنسان الذي حمل الأمانة من غير توجيه، بل هداه ووضع الحقائق التي يحتاج إليها في أداء دوره في الحياة العامة.

إذن الوحي هو الأساس الذي يهدي، والعقل يفكر في ظله فينتج، وإنتاجه هذا لا يمكن أن يكون هداماً، لأنه يرتبط بالحقائق الأزلية الالـهية الخارجة عن ذاته. ويستنير بها في ظلمات الحيرة والقلق والاضطراب.

وإن اعترضنا معترض فقال : كيف تثبتون إنها حقائق أزلية لا يعتورها التبديل والتحويل؟

قلنا أأنت مسلم أم غير مسلم أم ملحد؟

---

(١) سورة المؤمنون. الآية / ٧١

فإن أجاب بالأول الزم نفسه الزاماً قطعياً بأن كل ما قرره الكتاب والسنة من القواعد والضوابط والأصول والأوامر والنواهي حق لا ريب فيه، وغيره المناقض له المخالف لأصوله باطل لا ريب فيه.

وإن أجاب بالثاني احتجنا لاقناعه إلى مقدمات... أولاها : أن التوحيد الإسلامي بشقيه الربوبي والألوهي، هو توحيد جميع الأنبياء والمرسلين حيث أنهم جميعاً تلقوا من مشكاة واحدة. وثانيتهما : أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الدينية الكاملة الشاملة لجميع نواحي الحياة. وليست هنالك شريعة دينية كاملة غيرها. فالمفروض أن يجدها قريبة من عقيدته محققة لأهدافه الأخلاقية في الحياة. فإن أصر ولم يؤمن بها، فلا أقل أن يؤمن بها من حيث كونها قانوناً لا يخالف أهداف دينه في تحقيق الفضائل والخير واحقاق الحق والعدل في المجتمع الإنساني.

أما إن أجاب بالثالث، وألحد في دين الله، فعند ذلك علينا أن نثبت له وجود الله سبحانه بمقدمات عقلية بسيطة أو مركبة وأدلة علمية حسية، فإذا آمن بالله تعالى سهل علينا اقناعه عقلاً بوجود الوحي والنبوة. فإن جحد فلم يؤمن ندعوه إلى التأمل العلمي في هذه الشريعة وأسسها وأهدافها، فما من خير يحتاج إليه الإنسان إلا دعت الناس إليه وما من شر إلا وحذرتهم منه. ومازال العقل السليم والعلم القويم يؤيدان مقرراته ويدعوان إلى طرقه في فهم الحياة، وليست هنالك حقيقة علمية واحدة في أي ناحية من نواحي الوجود تصطدم مع حقيقة من حقائقه، على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً عليها، مازالت متشبعة الجذور، قوية العود، وارفة الظلال، طيبة الثمر.

ومن تلك المقومات **أن الشريعة الإسلامية شريعة عامة للبشرية جمعاء**. فهي لا تتصل بعرق معين أو طائفة خاصة، ولذلك فإنها ليست شريعة ضيقة اقليمية تعبر عن لحظات زمانية أو ظروف مكانية في حياة الإنسان. وإنما هي تعبر عن فطرته واستعداداته، وتنسجم مع خصائصه الحيوية. (البيولوجية) المتنوعة، وتتناسق مع أهدافه، وتثبت له وجوده وكرامته. ولكنه وجود داخل إطار قيمه الثابتة التي تتصل بتكوينه واعماقه. لأن الإنسان إذا أثبت له وجوداً مستقلا عن النظام العام للوجود شذ عن الطريق وتمرد على الحياة ولم يستطع أن ينسجم مع الكل الذي هو جزء منه، فتتعقد حياته ويشقى وهو يعاني الغربة والفصام.

والواقع التأريخي للإسلام يلقي نظرة ساطعة على هذه المعاني، فلقد جاءت أسسها ومبادؤها معبرة عن أماني الإنسان نحو الارتقاء والتطور الطبيعي، ونحو الأخوة والمحبة الانسانية ونحو المساواة الاجتماعية. ومن أجل ذلك عشقتها الشعوب والأمم التي دخلت في دين الله أفواجاً، ووجدت نفسها فيها بعد طول ضياع.

وإن دراسة متفحصة لأحوال أولئك الذين دخلوا في الإسلام في هذا العصر من الطبقة المثقفة في العالم الغربي ممن تتهيأ لهم الظروف المناسبة لدراسة الإسلام وشريعته، لتوقفنا وجهاً لوجه أمام هذه الحقيقة الواقعية فهولاء يظلون ينتقلون حائرين مضطربين بين الشرائع والأديان والمبادىء والأفكار، ظامئين إلى الحقيقة إلى أن يجدوها في الإسلام وشريعته. عند ذلك فقط يحطون رحال الفكر، ويعيشون لذة الطمأنينة والاستقرار والإيمان في كنف الفطرة السليمة.

ومن هذه المقومات، **شمول هذه الشريعة للحياة كلها**، دقها وجلها، ونظرها إلى الإنسان من حيث هو كل لا يتجزأ. وهذا أمر بالغ الخطورة في حياة الإنسان، لأن مع التجزئة يأتي تخريب بنية الكائن البشري جسدياً ونفسياً وروحياً.

وما شقوة الإنسان اليوم إلا آتية من هذه الفجوة الكبيرة، لأن المبادىء التي تعالج أوضاعه، والأفكار التي تخطط لبناء حياته جزأته، ونظرت كل فكرة إليه من زاوية خاصة، فحجبت نفسها عن الحقيقة بعدم رؤية الزاوية الأخرى، فجاء العلاج ناقصاً وغير مجد، كالإنسان المريض الذي يجتهد برأيه فيأخذ دواءً لوجع بطنه، ولكنه يسبب ورماً في رئته أو تضخماً في قلبه أو شللاً في ساقه : بينما الشريعة الإسلامية تنظر إلى جميع أعضاء البدن وتوازن بينها وتضع العلاج طبقاً لذلك الهدف، فيأتي الشفاء سريعاً، لأن التخطيط راعى مصالح بقية الأعضاء، فحافظ على سلامتها.

وبعد هذه النظرة الكلية المتسقة، قدمت الشريعة الإسلامية تفصيلاتها الكثيرة حول حياة الإنسان ومعالجة متطلبات جوانبها المتعددة. فمن نظام روحي عبادي إلى نظام اجتماعي. ومن نظام سياسي ثوري إلى نظام اقتصادي جماعي. ومن نظام لأوضاع السلم إلى نظام لظروف الحرب. ومن نظام خاص يضبط علاقة المسلمين بعضهم إلى نظام عام يحدد العلاقة بينهم وبين الأمم الأخرى. ومن نظام دستوري كلي إلى نظام قانوني تفصيلي.

ومجمل القول لا تجد ناحية من نواحي الحياة إلا وصبت الشريعة اهتمامها الكبير عليها، ووضعت من الأصول والقواعد

والضوابط والأنظمة ما هو كفيل بوضع أسسها ورسم حياتها بدقة، وحل مشكلاتها ومعضلاتها.

ولم تتوضح هذه المسألة للدارسين من قبل كما توضحت اليوم. فلقد قام العشرات من المتخصصين وأهل الشريعة والقانونيين والاجتماعيين والاقتصاديين بدراسات مقارنة في مختلف نواحي الحياة، وقارنوا النظريات الفقهية بالنظريات القانونية الحديثة، والمذاهب الاقتصادية المتنوعة، والآراء الاجتماعية المتباينة، فوجدوا أنه ما من أمر تحدث فيه القانونيون وغيرهم من المفكرين إلى القرن العشرين إلا ونجد أعمق منها واشمل وأدق في كتبنا الفقهية ودراساتنا التشريعية وموسوعاتنا الفكرية. لا بل إن النظريات القانونية الحديثة في شتى مجالات الحياة قد تأثرت بالشريعة الإسلامية تأثراً مباشراً أو غير مباشر.

يعرف ذلك من يعرفه من أهل الاختصاص ممن يدققون المسائل، ولا يقفون عند ظواهر الأمور هازلين مستهزئين. حتى المؤتمرات الدولية القانونية والتشريعية درست هذه المسألة دراسة دقيقة واعترفت بشمول هذه الشريعة ودقتها وتوازنها وواقعيتها ومرونتها.. فلقد نص قرار المؤتمر القانوني الدولي الذي عقد في لاهاي سنة (١٩٣٨م) على أن الشريعة الإسلامية شريعة دقيقة وجامعة ومتفرعة، يمكن أن تكون أساساً مهماً للقوانين الحديثة. وأقر هذا مؤتمر المحامين الدولي في لاهاي سنة (١٩٤٨) ومؤتمر القانون الدولي في باريس (١٩٥٣) ومؤتمر لاهور الذي سمي بالندوة العالمية للإسلاميات سنة (١٩٥٧).

٢ ــ الوظائف الدفاعية للصحافة الإسلامية :

سبق القول إن للصحافة الإسلامية وظائف دفاعية تتمثل في الرد على كل الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام... وتصورنا لهذه الوظائف هو على النحو التالي :

أ ــ الدفاع عن العقيدة :

« الصحافة الإسلامية في مواجهة الغارة التنصيرية »

ذكرنا – عند التقديم لهذا الفصل – اللقاء الأول بين المسلمين والمسيحيين، ورأينا كيف كانت النتيجة، ومن المناسب هنا أن نواصل كلامنا العام عن التنصير «التبشير» وقوافله. وأسلوب مواجهته في الصحافة. قبل أن نعرض نماذج للوظيفة الدفاعية في الصحافة الإسلامية في مجال العقيدة.

لقد بات واضحاً إن الغارة التنصيرية وقوافلها على العالم الإسلامي عموماً تصور عداء الصليبية المستمر والشرس ضد الإسلام على الرغم من تلك الإعلانات البابوية بين فترة وأخرى عن ضرورة الحوار بين المسيحية والإسلام، التي ما هي إلا أسلوب من أساليب الهجوم ومحاولة الانقضاض الخفي على ديننا وعقيدتنا.

ولا يُريد «المؤلف» في هذا المجال أن يسترسل كثيراً في عرض أو توضيح حقيقة التنصير. ومدى صلته باليهود والشيوعية أو بيان أساليبه وحربه النفسية والفكرية وأعماله الاجتماعية وهجمته الشرسه على عالمنا العربي الإسلامي بوجه عام، لأن هذا ربما يخرجنا – أو يكاد – عن موضوعنا.

ولكن هذا لا يمنعنا من أن نورد مقالين نشرا في بعض صحفنا الإسلامية الملتزمة، طالما نحن في مجال وظائف الصحافة الإسلامية وأظنهما سيغنيانا في هذا الصدد، وسنتبعهما بلمحة موجزة عن واقع العمل التنصرى في بعض أقطار عالمنا العربي والإسلامي، لنقف على بعض حقائق تلك الغارة التنصيرية الوقحة، وذلك بعد أن نقدم نموذجاً عملياً للوظيفة الدفاعية لصحافتنا الإسلامية في مجال العقيدة.

نشرت مجلة «المجتمع» الكويتية مقالاً أو هي في الحقيقة «فتوى» بعددها رقم ٥٢٩ الصادر في ١٥ رجب عام ١٤٠١هـ[1] تحت عنوان «فتوى قديمة جديدة لأكابر علماء العراق» توضح فيها انحراف الشباب المسلم المتخرج من المدارس والكليات الأجنبية والتنصيرية. وتناشد الآباء وتناديهم وتسألهم باسم الإسلام أن يجنبوا أولادهم الذين هم أمانة في أعناقهم وبأن يخرجوا أولادهم من هذه المدارس والجامعات التنصيرية الخبيثة، التي في حقيقتها ما هي إلا أوكار لأعداء الإسلام، يحاربونه من خلالها، بما يضعوه من خطط ومناهج ضد عقيدتنا وديننا وأخلاقنا، منوهين إن البقاء فيها حرام، ويؤدي إلى كفر الأبناء الذي يؤدي بدوره ضمناً إلى كفر الآباء.

وبالنظر لما للموضوع من أهمية، ولكونه يتجدد في كل وقت وحين، كلما سنحت الفرصة للصليبية أن تمدّ مخالبها لمحاربة الاسلام والمسلمين .. متعاونه مع الشيوعية والصهيونية والماسونية وتلاميذها – سيما بين صفوف الشباب – فلعله من المناسب جداً إعادة نشرها عبر مجلة المجتمع الغراء.

---

(١) يوافق هذا التاريخ – ١٩ «مايو» / ١٩٨١ م

وفيما يلي نص «الفتوى» :

«فتوى قديمة جديدة لاكابر علماء العراق»

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

أيها الآباء الاجلاء والأولياء النجباء يبعث اليكم علماء بغداد بتحياتهم ودعواتهم ويرجون الله عز وجل أن يقر عيونكم بابنائكم ويجعلهم من ابناء السلامة والنجابة والبر والوفاء، وهم إذ يبعثون اليكم بهذه التحيات والدعوات يرجونكم أن تعلموا – وإن كنتم ممن لا تخفى عليهم مثل هذه الأمور – ولكنها الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

وأعلموا : أن ابناءكم أمانة الله في اعناقكم وقد وهبكم الله اياهم واكرمكم بهم لينظر كيف تصنعون؟ اتربونهم على حب الله وطاعته وعلى الفضائل والآداب الإسلامية الرفيعة؟ أم تتركونهم وشأنهم أو تضعونهم بأيدي مؤدبين يجردونهم من عقائدهم وينفثون فيهم سموم الضلال والانحلال الخلقي، وأنتم غافلون، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * وأعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾[1].

والفتنة هنا تحمل معنى الاختبار والامتحان، واعلموا أن الابناء

---

(١) سورة الأنفال – الآية / ٢٧ ، ٢٨

منكم ولكم، فإذا نشأوا نشأة صالحة وربوا على الفضيلة والبر والوفاء، كان خيرهم لكم وصلاحهم لصالحكم، وعشتم معهم عيشاً هنيئاً سعيداً. والعكس بالعكس تماماً فإذا تجرد الولد من اخلاقه ودينه، ونشأ على التسيب والانحلال وعدم التقيد بقيود الإسلام فرط الأمر من ايديكم وانصب شره عليكم وخرج عن طاعتكم ولقيتم العنت منه في الدنيا ﴿.. ولعذاب الآخرة أشَدّ وأبقى﴾[1] .

وأعلموا أن الله تبارك وتعالى حيث وضع الأمانة في أيديكم أوصاكم بحفظها وحمايتها من النار، وما حفظها من النار إلا بصدها عن الأسباب والأعمال التي توصلها إلى النار وبئس القرار... قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..﴾[2] والأولاد من الأهل بل هم صفوة الأهل والعشيرة، وقد أمرنا الله بأن نقيهم ونحفظهم كما نقي أنفسنا ونحفظها من أسباب الهوى والسقوط في النار. وإن أعظم هذه الأسباب هو بعدهم عن دينهم وتركهم لأوامره وفضائله، ومنبع الفضائل ومصدر القوة في تربية الابناء والبنات هو الدين وحده فإذا استمسك به الإنسان، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وكان له الدرع الواقي من كل الشرور والآثام.

وإذا تركه واهمله صاحبه، فلا ينفعه ولا يصده قانون ما دام الوازع الباطني قد زال عنه، فقد اصبح صاحبه اشبه بالحيوان المفترس يفعل ما تقتضيه حيوانيته، فلا وازع يردعه ولا قانون يمنعه،

---

(١) سورة طه. الآية - ١٢٧

(٢) سورة التحريم. الآية - ٦

فالدين والأخلاق هما مصدر القوة في الأمة تعيش حرة سعيدة كريمة ما عاش فيها هذان الركنان حيين قويين.

ولقد فطن أعداء الإسلام إلى هذه الحقيقة فأجمعوا أمرهم وكيدهم ووضعوا الخطط والمناهج لمحاربتنا في هذه الميادين بعد أن خابوا وخسروا وفشلوا في محاربتنا بالسيف مئات السنين. وكانوا كلما أوقدوا للحرب ناراً اطفأها الله وأقام دولة الإسلام على الرغم من مكائدهم فعمدوا إلى حربنا من طرق أخرى ووضعوا المناهج التي تكفل بقاءهم وزوالنا، وسعادتهم وشقاءنا، وحريتهم واستعبادنا إلى ابد الآبدين مادمنا منفذين لخططهم ومناهجهم وسائرين في المسالك التي رسموها لنا ودفعونا إلى السير فيها بأيدي وكلائهم ومندوبهم من ابناء جلدتنا وممن تخرجوا على ايديهم، وتتلمذوا على مدارسهم حتى اصبحوا اشد منهم خطراً واعظم كفراً.

إن أعداءنا اليوم يحاربوننا باسم العلم والفلسفة وباسم الأدب والفن، وباسم حرية الرأي وحرية الأديان. وهم بهذا وغيره ينظمون حملاتهم الشعواء ضد عقائدنا وديننا، وأخلاقنا وعاداتنا، ولقد دخلوا علينا من عدة أبواب وإن أعظم هذه الأبواب وأشدها فتكاً وخطراً هو المدارس والكليات التنصيرية والجامعات التي زرعوها في العالم الإسلامي هنا وهنالك وجندوا لها القسس والرهبان يدرسون فيها وينصّرون وينفثون سمومهم في أطفالنا الابرياء وشبابنا النجباء فيجردونهم من عقائدهم وأخلاقهم وينشئونهم على التحلل والفساد.

أيها الآباء إن هذه المدارس والكليات الأجنبية لم تفتح حباً في سواد عيوننا، ولا طمعاً في تهذيبنا كما يزعمون، بل فتحت لتثبيت

قدم الاستعمار في بلادنا وتجريد ابنائنا من مقوماتهم الأخلاقية والدينية حتى تجعلهم كالسوائم لا يفكرون إلا في بطونهم وشهواتهم فتلهيهم هذه الأغراض الدنيئة عن عظام الأمور وتقعدهم عن أسباب المجد ومدارج الكمال، وتزرع في قلوبهم حب أعدائنا وأعداء أوطاننا وديننا من رسل التنصير وأذناب الاستعمار.

وهل يتصور أن إنساناً ما يحارب أو يكره أناساً علموه وهذبوه؟ وهذا ما يريده الأعداء من نشر هذه المدارس وصرف مئات الملايين من الدولارات والجنيهات عليها.

أيها الآباء قد يقول قائل منكم إن التبشير المسيحي (التنصير) قد فشل في ديارنا كل الفشل ولم يستطع حتى الآن أن ينصّر عشرة من المسلمين. وننقل لكم بصدد هذا القول الخطاب الذي القاه القس زويمر في مؤتمر المنصرين «المبشرين» الذي عقد في جبل الزيتون في القدس إبان احتلال فلسطين المجاهدة الشهيدة من قبل القوات الإنكليزية المعتدية.

وقد افصح القس زويمر وهو رئيس المؤتمر في هذا الخطاب عن اغراض التنصير وبرامج التعليم بعد أن سمع إلى خطب كثير من المنصرين اليائسة والدالّة على افلاس التنصير في البلاد الإسلامية، فقام خطيباً محدداً اغراض التنصير بهذه الكلمات قال هذا القسيس وكان رئيس المنصرين في القطر المصري : «أيها الاخوان الأبطال، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فاحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم احسن الأداء، ووفقتم لها اسمى التوفيق،

وإن كان يخيل إلي أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه. أنني أقركم على أن الذين ادخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة .. أما صغير لم يكن له من أهله من يعرّفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية. ولكن مهمة التنصير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً – كذا – وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله. وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما اهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة.

لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكامن التنصير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية. والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد. إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، واخرجتم المسلم من

الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما اراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات.

فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ اسمى المراكز، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء. إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار فاستمروا في اداء رسالتكم، فقد اصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب».

انتهى خطاب القس زويمر وبه انتهى مؤتمر المنصرين المنعقد في القدس بعد أن أخذوا قراراً جماعياً بالاستمرار على خطة السير في الوسائل التنصيرية القديمة يضاف إليها الوسائل الجديدة، وأهمها زيادة عدد المدارس والكليات وتكثيرها في كل مكان، والابتداء من رياض الأطفال والتدرج منها إلى الثانويات فالكليات والجامعات، وقد سيطروا على البرامج في جميع مراحل الدراسة وهيئوا لها جيوش المنصرين من القسس والرهبان ووكلائهم ممن تتلمذ على ايديهم وخرج على أمته ودينه.

أيها الآباء لقد رأيتم نوايا هذه المدارس وقد وصفها أصدق وصف القس زويمر، وشهد شاهد من أهلها، وإن الواقع الذي نلمسه في الشباب المتعطل والمتفرنج المتحلل المتخرج من هـذه المدارس ليصدق الوصف الذي نعتها به هذا المنصر الكبير. فماذا بعد الحق إلا الضلال فهل يسوغ لكم أن تتركوا ابناءكم في هذه المدارس يعيث في عقولهم وعقائدهم ذئاب الاستعمار ورسل الشر والدمار؟

.. إن علماء بغداد في الوقت الذي يضعون فيه هذه الحقائق بين ايديكم يتقدمون إليكم بالفتوى الصريحة وهي «حرمة ادخال ابنائكم وبناتكم في المدارس والكليات التنصيرية، إنكليزية كانت أو أمريكية أو فرنسية أو غيرها من مدارس التنصير، فإنها تؤدي إلى الكفر، ورضاكم بكفر ابنائكم وبناتكم يؤدي إلى كفركم أنتم كذلك، فإن الرضا بالكفر كفر» نعوذ بالله من الكفر والضلال ونربأ بكم أن يصيبكم ما إصاب غيركم من الكفر والانحلال.

وفي الوقت الذي نبعث لكم فيه بهذه الفتوى الصريحة نعود فنناديكم وننادي ضمائركم المؤمنة ونسائلكم بالله وباسم الإسلام والإيمان أن تجنبوا أولادكم هذه المدارس وتخرجوهم منها باسرع وقت ممكن ولا تغرنكم شهاداتها ولغاتها، فما يقع فيه الابناء من الفساد والكفر لا تنفع معه شهادة مهما عظمت ولا لغة مهما سمت. فما قيمة الشهادة إذا حملها صاحبها وهو لص خامل كسول كافر بمجده ودينه وتأريخه وقومه؟ عاق لوالديه، فرح بما لديه من الكفر والضلال والانحلال، ورجاؤنا أن تستجيبوا لندائنا فهو صيحة مخلصة نقدمها إليكم لنعذر أمام الله بإننا بلغناكم ورجوناكم وبينا لكم حكم الإسلام في مثل هذه المدارس الكافرة.

فلا تخيبوا رجاءنا ولا تصموا آذانكم عند ندائنا فهو نداء الحق وصوت الضمير وصيحة الإسلام، وستسألون عما كنتم تعملون. كما ستسألون أمام الله عن هذه الصيحة إن تركتموها تذهب ادراج الرياح، وإننا نذكركم بقول الله تبارك وتعالى ونرجو أن تمعنوا النظر في هذه الآيات وتتفكروا في المصير المحتوم..

قال تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون* لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون* إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربّك من بعدها لغفور رحيم* يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون* وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [1] .

هذا وغيره مما نذكركم به، أما نحن فقد بلغنا ونرجو أن نعذر أمام الله، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

اللهم اشهد بأننا قد بلغنا ما نعلمه في سبيلك فتقبل منا ووفق المسلمين للسمع والطاعة إنك نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين.

بغداد ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ

تواقيع العلماء

أحمد الراوي   نجم الدين الواعظ

---

(١) سورة النحل. الآيات من ١٠٦ - ١١٢

أمجد الزهاوي — عبدالقادر الخطيب
محمد القزلجي — عبدالعزيز الشواف
كمال الدين الطائي — نوري الملا حويش
فؤاد الألوسي — عبدالله الشيخلي
محمد محمود الصواف

أما المقال الثاني :

فقد نشرته مجلة «الاعتصام» القاهرية في عددها الأول الصادر في شهر محرم ١٤٠٠هـ[1].

بعنوان «حديث في مؤتمر السيرة»

تكشف لنا فيه أن كليات إنجيلية أمريكية في العاللم العربي الإسلامي تتحول إلى جامعات تنصيرية صليبية، ففي القاهرة أنشئت كلية إنجيلية لتحارب الأزهر، وأنشئت ثانية في بيروت وثالثة في استنبول من أجل اسقاط الخلافة. مشيرة إلى ما تركز عليه الصليبية العالمية من بعث النعرات والقوميات لزرع العداء بين المسلمين ...

وفيما يلي نص المقال :

«حديث في مؤتمر السيرة»

في القاعة المخصصة للجنة «الدعوة والإعلام» .. المنبثقة من المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية .. كان هناك مقرر اللجنة فضيلة الشيخ محمد الغزالي، وعدد من أعضاء اللجنة .. الدكتور محمد

---

(١) يوافق هذا التأريخ – شهر «ديسمبر» ١٩٧٩ م

البهي، والدكتور محمد عاشور، والدكتور نجيب الكيلاني، والسيد يوسف الرفاعي، والأستاذ راشد الغنوشي رئيس تحرير مجلة المعرفة التونسية.. وعدد آخر من الأعضاء.. وكانت اللجنة قد فرغت من مناقشة مجموعة من الأبحاث التي قدمت إليها ودار الحديث بين المجموعة التي حضرت.. فتكلم فضيلة الشيخ الغزالي عن واقع الدعوة الإسلامية، وما يحيط بها، وما يحاك لها.. وعن القصور الذي يتصف به بعض الدعاة، وعن الإعلام العربي وتبعيته وذيليته، والدور العميل الخياني الذي يلعبه ضد الشعوب المسلمة.. ثم تحدث الدكتور عبدالعزيز كامل عما سماه بالوثنية الفكرية، وعن أهمية كتابه «تجارب العاملين في الحقل الإسلامي» وعن الاختلاف في الظروف الموضوعية التي احاطت بالدعوة الإسلامية في منتصف هذا القرن، والظروف الموضوعية التي تحيط بالدعوة الإسلامية في مستهل القرن الخامس عشر الهجري، وعن الثنائية في حياة الطفل المسلم، والثنائية المقيتة بين الإعلام والأوقاف..

سفينة الشباب إلى أين :؟

ثم تحدث بعد ذلك السيد يوسف الرفاعي (الكويت)، والحق إنه كان أحد الأصوات العالية الصريحة والشجاعة طوال فترة انعقاد المؤتمر.. وسُجل له أكثر من موقف وأكثر من كلمة.. قال السيد يوسف :

ليس الخوف على الشباب الآن أن يتجه إلى الشيوعية أو الرأسمالية.. لأننا نرى الآن سفينة الشباب تتجه على استحياء إلى

شاطىء الإسلام.. ولكن خوفنا ينبع من أن الطريق أمام الشباب ليس مأموناً ولا الوصول إليه مأموناً أيضاً.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هو :

ماذا نستطيع أن نقدمه إلى الشباب حتى نجعل طريقه إلى شاطىء الإسلام مأموناً، ونجعل وصوله إليه مأموناً أيضاً؟

إن هذا السؤال يجب أن تتعقد له ندوات خاصة حتى نهتدي إلى الإجابة الصحيحة والسليمة عن هذا السؤال..

أسرار يكشفها الدكتور البهي :

لأهمية ما ورد في حديث الدكتور البهي .. كان دافعنا إلى الاستشهاد به هنا، فكل اشاراته الموجزة لها دلالاتها في وقتنا الحاضر فهى ابنة الساعة - كما يقال -

فمما نشرته المجلة الآتي :

وكان آخر المتحدثين في هذه الجلسة الضيقة هو الدكتور محمد البهي .. فتساءل في بداية حديثه قائلاً :

من منا يعرف لجان الأمناء في الجامعات الأمريكية؟

وأجاب بنفسه على السؤال :

لقد أنشئت في القاهرة الكلية الانجيلية الأمريكية .. وأنشئت كلية إنجيلية أمريكية في بيروت .. وثالثة في استنبول .. ولكل واحدة من هذه الكليات التي صارت جامعات مجلس أمناء في الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي يقوم بتمويل هذه الجامعات، ويحدد أهدافها .. وهذه الكليات في صميمها كليات تنصيرية فهي في

القاهرة لتحارب الأزهر.. وأنشئت في استنبول من أجل اسقاط الخلافة.. لأن القائمين على هذه الكليات يعتقدون أنه لابد من تقويض الأزهر .. ولابد من هدمه .. وكذلك الخلافة الإسلامية .. فركزوا على القوميات لزرع العداء بين المسلمين، وجامعة الدول العربية هي في الأصل عدو الجامعة الإسلامية.

وطرح الدكتور محمد البهي سؤالا ثانياً هو :

من منا يعرف أندية الروتاري؟ إنها الأندية التي تستقطب العلماء والمفكرين والصحفيين .. وهي لا تستقطبهم فقط بدعوتهم لزيارة الولايات المتحدة .. وإنما تستقطبهم أيضاً عن طريق المال.. والروتاري لا ينفذ فقط إلى رجال الفكر والعلماء، ولكنه يتسلل أيضاً داخل الحركات، مثل حركة تحرير المرأة في بلاد المسلمين، وكثير من الشخصيات الكبيرة هي وسيلة لنقل وتحقيق الارادات الخارجية ضد الإسلام.

وتساءل الدكتور البهي :

من منا لا يعرف المنظمات العالمية الشيوعية والمنظمات الصليبية .. وهي كثيرة أيضاً؟

إنني أطرح هذه التساؤلات لنسأل بها أنفسنا ونعي الحقائق الجوهرية حول هذه التساؤلات.

سـر يكشــف :

لقد اردت يوماً، عندما توليت وزارة الأوقاف المصرية أن أعرف حجم «الوقف الإسلامي» واردت بذلك أن أوضح للأجيال

أن «الوقف الإسلامي» كان كفيلاً بالانفاق على الدعوة الإسلامية .. فهالني الأمر .. ففي سنوات الاستعمار الإنجليز الأولى سنة ١٩١٥ عثرت على وثيقة عبارة عن «رسالة» من المستشار الإنجليزي «دنلوب» الذي كان يعمل مستشاراً للتعليم.. هذه الوثيقة عبارة عن خطاب من وزارة الخزانة إلى شيخ الأزهر تتأسف فيه وزارة الخزانة لأن المبلغ الذي خصص للأزهر قليل .. وقد اعتمدت وزارة الخزانة مبلغ ثمانية آلاف جنيه للأزهر.. ولكن بشرط أن تنقل أوقاف الأزهر إلى وزارة الخزانة.

وتنازل شيخ الأزهر عن نظارة الأوقاف إلى وزارة الخزانة.. ثم أنشئت وزارة الأوقاف التي استمرت بميزانية مستقلة حتى جاءت ثورة يوليو وفي عام ١٩٦٢ صدر قرار بضم الأوقاف إلى الحكومة المصرية.. وعلق الدكتور محمد البهي على ما قال :

إنني أحكي هذا الآن .. لأن رجال الدعوة الإسلامية ورجال الأزهر ليسوا مستقلين الآن منذ أن ضمت الأوقاف .. وانتهى الأمر إلى أن أصبح رجال الأزهر ورجال الدعوة موظفين لدى السلطة .. وأصبح رجال الأزهر أيضاً يتحدثون عن «الاشتراكية» وهي ماركسية من أجل ارضاء الاحزاب والسلطات.

الصليب الأحمر .. والتنصير :

ليتنا اتجهنا اتجاه لجان الأمناء الذين يمولون الجامعات الأمريكية التنصيرية.

هيئة الصليب الأحمر .. هيئة تنصيرية ..

ففي عام ١٩٥١ هاجر كثيرون من مسلمي البلقان إلى النمسا وإلى ميونيخ. وطلب إلى الأزهر أن يمد هؤلاء المهاجرين المسلمين بالدعاة .. وكان عددهم مليونين ونصف .. واراد الأزهر إرسال بعض الدعاة فلم يجد من يتكلم اللغة .. فما كان من هيئة الصليب الأحمر إلا أن طلبت من روما علماء دين مسيحيين لارسالهم إلى هؤلاء فاستجابت الفاتيكان للطلب فوراً وعندها الإمكانات الكبيرة .. فهي تمول نفسها ذاتياً ... واستقلال الكنيسة الكاثوليكية جعلها تدفع برجالها إلى حيث تشاء.

ثم تكلم الدكتور محمد البهي عن جمعية الشبان المسلمين فقال :

لقد أنشئت جمعية الشبان المسلمين في القاهرة .. وكلنا يعرف الدكتور عبدالحميد سعيد الذي أسسها. ولو وصل الأمر بجمعية الشبان المسلمين إلى أن تأخذ من أموال الأوقاف لصنعت الكثير للدعوة .. وأنا ارسلت مائتي ألف جنيه إليها .. الغريب أنه أنشيء في جمعية الشبان المسلمين جمعية للتقريب بين الأديان من عضوين : الشيخ أحمد حسن الباقوري والأب قنواتي .. هذا ما وصلت إليه جمعية الشبان المسلمين في القاهرة.

كيف ننقي جَوّنا ؟ :

وتساءل الدكتور محمد البهي :

كيف ننقي أولاً جونا للدعوة الإسلامية .. وهناك متسللون من الالحاديين إلى الجامعات وغير الجامعات.. ويقدمون من جهات أجنبية إلى أصحاب الرئاسات وإلى الحكومات.. وأنا احتفظ باسماء

عدد من هؤلاء ولا استطيع الآن أن أذكر أي اسم منهم.

لقد كانت هناك جمعية مشبوهة طلب إلّي أن اساهم فيها فرفضت.. وكانت مؤلفة ضد الشيوعية.. وطلب إلي أن اسافر إلى بيروت للتشاور في كيفية ابعاد الشيوعية باسم الإسلام والمسيحية .. ولكني رفضت السفر ورفضت الاشتراك.

باختصار ... إن ما قصدت أن أقوله من هذا كله هو أن التمنيات كبيرة.. نتمنى ولكن نصطدم بالجهات الرسمية .. إن التوصيات التي تصدر عن مثل هذا المؤتمر لا تنفذ. ولكن الأسلوب الواجب اتخاذه هو :

أولاً : التنديد في صحفنا ووسائل الإعلام الأخرى إذا رأينا عملاً ضد الإسلام كما يحدث الآن في مجلة «الاعتصام».

ثانياً : إننا مازلنا حتى هذه اللحظة اتباع غير مستقلين. نحن اتباع للكتاب .. وللأفلام وللتلفاز وللإذاعات الأجنبية.

ونحن اتباع للصحافة الأجنبية .. نحن اتباع للأزياء والموضة .. نحن اتباع للمؤلفات في الدراسات الإنسانية.

إن صحافتنا تنقل عن الصحافة الأجنبية العارية..

فكيف نتحرر أولاً؟

ثم كيف نوجد الداعية المسلم .. وكيف نصنعه بعيداً عن سلطات الحكومات.

هذا هو المطلوب.

بعد هذا العرض الإجمالي للتنصير وأساليبه وأهدافه نعرض

نموذجاً أو صورة للوظيفة الدفاعية في الصحافة الإسلامية في مجال الدفاع عن العقيدة.

نشرت مجلة «الدعوة» المصرية في صفحتها الثانية والأربعين من العدد العاشر، الصادر في غرة ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمائة وسبع وتسعين للهجرة(١). مقالاً تحت عنوان : «إلى متى حملات الهجوم على الإسلام؟» ... تناولت فيه المجلة وضع المسلمين في «أندونيسيا» والهجوم على عقائدهم من جانب النصارى وفي حماية السلطة الأندونيسية. قاصدة من ذلك الدفاع عن الإسلام والتصدى لهذه المواجهة، ولتذكر المسلمين بالخطر المتربص بهم، وتدعو النظم والحكومات بالحسنى إلى تدارك الموقف .. فتقول :

«إلى متى حملات الهجوم على الإسلام؟»

من هانت عليه نفسه هان على الناس. وهكذا أمر المسلمين اليوم وبالأمس القريب وإلى أن يغيروا واقعهم ويزيلوا ما بأنفسهم ويسيروا في الطريق إلى ربهم .. فيعودوا إلى صحيح مواقعهم. والمسلمون في أندونيسيا هم جزء من مسلمي العالم الممتد من المحيط إلى المحيط. زاغ عن الطريق كبراؤهم وندّ عن الهدف عديدهم وأصّل الاستعمار الصليبي ثقافته وحضارته في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم. والأندونيسيون شأنهم شأن المسلمين في كل مكان .. طيبو القلب ضعاف الذاكرة .. وطيبة القلب حين تتخطى معقول حدودها

(١) يوافق هذا التأريخ ــ شهر «مارس» سنة ١٩٧٧ م

وضعف الذاكرة حين يصبح مرضاً ينضب معه معين الذاكرة من قوىٰ التذكر.. تصبح حياة الإنسان حينئذ اسنة راكدة يعيش فيها كل محاور ومناور ويتطاول فيها على القيم كل مخادع ومكابر. ومن أجل ذلك فلا عجب أن نرى عالم المسلمين يموج بكل شاذ ونشاز، ويجري في أندونيسيا ما يجري في غيرها من تطاول على الإسلام والمسلمين وطعن في قيم الإسلام وتأريخ المسلمين وطمس للحقائق الزاهية .. بواقع المسلمين الأليم.

وإذا كان هناك من ابناء الدول الإسلامية وعلى مختلف مستويات المسئولية من يطعن في الإسلام بالقول والعمل فلا عجب أن تطعن فيه عناصر مختلفة من الطوائف المختلفة في جرأة ووقاحة.

وسوكارنو في أندونيسيا يوم أن نادى بالشيوعية مذهباً اقتصادياً واجتماعياً ووضع مبادىء البانتشيلا - طبخة - قبيحة فجة ساوى فيها بين الإسلام الرباني ومبادىء البشر الهزيلة القميئة، إنما كان يوجه للإسلام والمسلمين طعنة حادة.

ولعلها اصابته في النهاية فراح ضحية الجهل والحمق والتفلت والانجراف، وطواه التأريخ كما طوى غيره من الجبابرة ودون ذكرى تفوح منها أي رائحة طيبة.

ولذلك لم أعجب كثيراً - الكلام لكاتب المقال - حين وقع في يدي منشور اصدرته إحدى الجهات المسيحية في أندونيسيا باللغة الأندونيسية موجهاً لعلماء المسلمين وجنود المسلمين يتهم الإسلام بأنه وكر مملوء بالتناقضات باضت فيه وعششت الشيوعية وكل مذهب هدام، ويتهم المسلمين المسئولين وخاصة علماء الدين

بالرشوة والتحلل والسرقة والاستغلال. ويتباهى على المسلمين بأن حكام الولايات وقواد الأمن والجيش لم يعودوا من صفوف الأغلبية المسلمة الساحقة .. بل كلهم من المسيحيين.

وفي صلافة وكبر وعجرفة يدعو المسلمين لاستعراض قوتهم إن كان قد بقي لهم شيء من قوة وإلى التبارز والتعارك إن كان قد بقي لهم بعض من عزم.

وبودي أن يتذكر كل صاحب عقيدة يعيش في عالم الإسلام **عدة خطوط ارساها الإسلام في قلوب ونفوس ابنائه الواعين المخلصين :**

أولاً : إن المسلمين عليهم أن يحترموا كل الديانات السماوية ويعترفوا في اعتقاد يثبت الإيمان أن عيسى رسول الله ونبيه وأن موسى رسول الله ونبيه وفدا برسالتين سماويتين.

ثانياً : إن على المسلمين أن يسعوا أهل الكتاب براً وقسطاً ومعروفاً وعدلا دون تعد لشعائرهم أو تهجم على دور عبادتهم.

ثالثاً : وإن الإسلام الشرعة الخاتمة إلى يوم القيامة لا يسمح لمتطاول بالتطاول على شرائعه أو عقائده أو بالتهجم على ابنائه وأمورهم، ويعتبر ذلك جرماً في القبح والسوء، والسكوت عليه إنما غاية في الضخامة والخطورة.

تلك واحدة والأخرى إننا نحب – وتاريخ الإسلام والمسلمين صفحات ناصعة ملؤها الرحمة والعدل والوفاء بالعهد والوعد مع أهل الذمة – نحب أن نذكر اخواننا الذين اصدروا في أندونيسيا بيانهم المنشور على صفحات الدعوة بأنه إذا كان قد وصل إلى مراكز السلطة والمسئولية من اخوننا المسيحيين في أندونيسيا ذلك

العدد من الشخصيات - وبالطبع اسماؤهم معروفة ومشهورة - فإن ذلك دليل سماحة الإسلام وطبيعة المسلمين السمحة الطيبة. اللهم إلا إذا كان الأمر في نظر هؤلاء القوم يعني غفلة من المسلمين وحمقاً من بعض الجهات وحسن استغلال للفرصة من جانب طرف ثـالـث .. وكل ذلك وارد في مجال الاحتمالات.. خـاصة وأن الأندونيسيين طيبون إلى حد الافراط، اصحاب ذاكرة ضعيفة إلى حد النسيان التام .. وفي جو الطيبة المفرطة والنسيان التام تؤكل الغنم القاصية ويذبح الثور الأبيض فلا يتحرك له رفيقه الأسود .. وهكذا.

ويبقى سؤال هام نوجهه إلى اخواننا أصحاب المناشير الخطرة وهو : من الذي فرض الجهل على الأندونيسيين وافشى الرشوة في حياتهم وافسد عليهم العذاب والتعذيب؟ اليسوا هم الهولنديون؟ وسؤال آخر يترتب على الأول : وهل فعل الهولنديون ما فعلوا بالأندونيسيين بدافع من مسيحيتهم أو في غفلة عن مسيحـيتهم؟ والغريب أن المنشور يتهم المسلمين بالتهجم على المسيحيين في خطب المساجد.. والكل يعلم أن المسلمين في أندونيسيا من الحرمان من المناصب والمسئوليات ومن الإمكانيات المادية والعلمية إلى الدرجة التي لا يسمع لهم فيها صوت بمعارضة أو احتجاج..

وصيغة المنشور تضع الحقائق في وضوح وجلاء .. رغم كل محاولات التغليف أو المداراة.. «والدعوة» تتساءل :

ترى لو أن أقلية مسلمة كتبت هذا عن الأكثرية التي تقيم فيها، ماذا يكون مصيرها؟ وألام ينتهي أمرها، أو لو أن الأكثرية المسلمة

كتبت مثل هذا عن الأقلية غير المسلمة التي تقيم بينها، ماذا كان يوجه إليها من تهم التعصب والتهجم على الأديان؟

لقد كان فيما كتبته أقلية أندونيسيا عن أكثريتها تهجم وغرور، ففيه الدليل القاطع على جمال وجلال معاملة المسلمين لغيرهم إلا أن الهوى يعمي، والأغراض تصم.

«نـص المنشـــور» :

زيادة في إيضاح الصورة - تلك الصورة التي يضمرها الأعداء لهذا الدين وللمسلمين - وتبصيراً بأساليبهم ومكرهم وحقدهم .. إنه لمن المناسب جداً أن نورد النص الكامل لهذا المنشور الخبيث .

السادة الدعاة ورؤساء المنظمات الإسلاميـة والمؤسسات وعلماء الدين والقوات المسلحة لجمهورية أندونيسيا والشباب والخطباء والسياسيون والمسلمون جميعاً.

ـ قد رأينا تصرفاتكم جميعاً المهتمة بطائفتكم (الإسلام) دائماً.

ـ وتحتقرون على ديننا المقدس (النصرانية) كلما سنحت الفرصة وانتم تبالغون وتشوهون سمعتنا.

ـ وكثيراً ما تشتمون عيسى بن الله في الخطبة والتبليغ.

ـ وتذكرون دائماً وبصوت عال على أن ديننا المقدس دين خاطىء غير صحيح.

ـ وتريدون أن تسيطروا على حكومة الجمهورية الأندونيسية.

ـ وتبرزون حسناتكم وتمنون لتستكثروا وانتم طامعون.

ـ وانتم حريصون على أن تفرقوا وحدة الشعب.

ـــ وتحتقرون الأقليات دائماً في هذا البلد.
ـــ وتحبون أن تتمردوا وتعملوا الاضطرابات في كل المجالات.
ـــ واصبح دينكم وكراً للشيوعيين لأن كثيراً منهم يؤدون الصلاة ومعهم أعضاء حركة ٣٠ سبتمبر (حركة انقلاب الشيوعيين الفاشل) الذين حوكموا من طائفتكم (الاسلام)
ـــ وأنتم حريصون على أن تبدلوا مبادىء سوكارنو بمبادىء دينكم.
ـــ وأنتم ضد سوكارنو ودستور خمسة وأربعين.
ـــ وتعلمون أن الإسلام كان عائقاً أمام التنمية.
ـــ دينكم ضد التحديث ودينكم دين تقليدي ورجعي جداً.
ـــ ليس عندكم روح التسامح وأنتم تأكلون بأموالنا (أ.ج.ح.أ) الدول المجتمعة لمساعدة أندونيسيا ومعظمها من دول أوربا الغربية وأمريكا.
ـــ يا أمة الإسلام إننا قد درسنا أحوالكم وأوضاعكم فالآن ماذا تريدون؟
ـــ لا تخطبوا في المساجد فحسب ولكن أعملوا.
ـــ لو ظننتم أن أغلبيتكم قوية فتعالوا إلى مجابهتنا.
ـــ لا تجاهدوا بالكلمات فقط ولكن اثبتوها بالعمل.
ـــ اتفخرون بأموال العرب؟ اين المساعدة من الشرق الأوسط؟ وتعلمون أن خطة التنمية الأندونيسية نجحت بمساعدة «أج.ح.أ» دون مساعدة أموال العرب.
ـــ لا تتكلموا عن الجهاد.
وكيف تريدون الجهاد، ولا مال عندكم، وعلماؤكم ومدارسكم تباع بثمن بخس ولا حزب لكم.

ـ أعرفوا أنفسكم، من يختلس أموال الحجاج «مؤسسة الاخلاص لشئون الحجاج».

ـ علماؤكم طامعون، وحريصون على أكل الرشاوى ويعشقون النساء.

ـ من يبيع الشهادات المزيفة «بوزارة الشئون الدينية».

ـ حاسبوا أنفسكم وأوضاعكم في هذا البلد، قبل أن تعلنوا الجهاد.

ـ من الذي يتولى وزارة الدفاع والأمن؟ ومن قائد الأمن؟

ـ من قائد الشرطة؟ من قائد قوات البحر؟ من رئيس الحكومة انظروا مديري المخابرات؟ انظروا وزراء المصارف الحكومية والأهلية هل هؤلاء من طائفتكم أم من طائفتنا؟

ـ انظروا في عاصمة جاكرتا :

من قائد قوات المنظمة الخامسة؟ من رؤساء الأقسام في مجلس العاصمة؟ من رئيس المجلس الأعلى للعاصمة وغيرها من المسئوليات؟ لماذا لا تبنون المستشفيات بأموال العرب؟ لماذا تهدمت مدارسكم والمساجد؟

ـ تفكروا؟

جاكرتا ١ سبتمبر ١٩٧٦

جمعية الشبان المسيحيين

شارع سام راتو لانجي ٤٥

جاكرتا

التنصير ووسائل الإعلام في لمحة موجزة :

وبعد فالاشارة هنا - بإيجاز - عن قصة الغارة التنصيرية «التبشيرية» أو قل واقع العمل التنصيري التخريبي وسيطرته على وسائل الإعلام في عالمنا العربي الإسلامي من الأهمية بمكان كي نعي دور الصحافة والاعلام في التوجيه والارشاد.

لقد كان أكثر الخطوط تعرضاً للدمار التنصيري الكنسي في عصرنا الحاضر هو خط «**أندونيسيا**».

حيث نجح المنصرون في تنصير أكثر من عشرة ملايين فقير مسلم أندونيسي من مجموع ملسمي أندونيسيا البالغ عددهم أكثر من مائة وعشرين مليوناً.

وقد نشط هذا التنصير في كافة الجزر الأندونيسية وبالأخص جزيرة «جاوة» موطن «٦٥٪» من سكان أندونيسيا والذي يمثل المسلمون فيها نسبة «٨٥٪».

وتذكر لنا مجلة الفكر الإسلامي البيروتية في عدد ذي الحجة ١٣٩٨هـ أن صحيفة « الواشنطن بوست» ذكرت بشيء من البهجة والسرور أن الحكومة الأندونيسية تعمل جاهدة على عزل العلماء المسلمين وساستهم القدماء عن المجتمع وقمع الاتجاهات التي تحاول الحفاظ على إسلامية أندونيسيا، ويحتل النصارى الذين لا يتجاوز عددهم نسبة «٧٪» من مجوع السكان. معظم وأهم المناصب القيادية ذات السيطرة القوية في البلاد.

وعلى سبيل المثال فإن الصحيفتين الكبيرتين اللتين تصدران في جاكارتا إحداهما يسيطر عليها البروتستانت والأخرى الكاثوليك.

ويقوم هؤلاء جميعاً ... الوزراء وعمداء وبعض أساتذة الجامعات وأصحاب الصحف، ومسئولو وسائل الإعلام النصارى بتنفيذ خطة موجهة مرسومة لأغراض التنصير ونصرنة أندونيسيا[1].

وهكذا نجد سيطرة التنصير على مختلف الوسائل وبالأخص أجهزة الإعلام والصحافة ودور العلم والجامعات... لدورها الفعال في التوجيه فيستغلها ليشن بها حربة القذرة على ديننا. مستغلاً أيضاً الهزائم والانقسامات التي يعيشها عالمنا العربي والإسلامي.

كما تذكر مجلة «الاعتصام» في عددها الأول بصفحتها رقم ٤١ والصادر في محرم عام ١٤٠٠هـ[2] إنه بعد أربعة أشهر من نكسة عام ١٩٦٧م والتي كان لأمريكا اليد الطولى في ايقاع هذه الهزيمة، انعقد مؤتمر ممثلي الأديان في نوفمبر ١٩٦٧ م بأندونيسيا التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من «٩٥٪» وفي هذا المؤتمر يعلن «سوهارتو» ميلاد دين جديد يحل محل الإسلام ... وهو دين «البانتشاسيلا» الذي يعترف بلون من الربانية الممتزجة بالعلمانية، والإتحاد بين الأديان، والمساواة بينها، وعبادة القومية ... ومع ذلك فلم يرض المنصرون ... فاطلقت السلطة أيديهم - لغرض التنصير - على المسلمين الفقراء .. ثم أن أمريكا هي التي أوعزت للفاتيكان بفتح جبهة ما يسمى بـ «الحوار المسيحي الإسلامي» [هي جبهة دعائية إعلامية] لشغل الفكر الإسلامي والعاملين بالإسلام، وللدراسة

---

(١) أنظر. عبدالحليم عويس. ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة - طبعة عام / ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م - الرياض ص ١١٢، ١١٣.

(٢) الموافق شهر «ديسمبر» ١٩٧٩ م

نفسياتهم وتطلعاتهم لمعرفة : كيف يمكن تحويرها واجهاضها.

وفي «**نيجيريا**» حيث ركزت الغارة التنصيرية «التبشيرية» عليها باعتبارها أكبر بلد إسلامي إفريقي. كما ركزت على أندونيسيا في آسيا – عدد سكان هذا البلد يبلغ «٨٠» مليون نسمة، نسبة المسلمين فيه ٧٥٪ أي حوالي ستين مليون مسلم. وتمثل النصرانية فيه «٧٪» من تعداد السكان العام – وعلى الرغم من كثرة المسلمين في هذا البلد نجد الغزو التنصيري قائم بكل نشاطه ونسبة المدارس التنصيرية بلغت «٧٠٪» من مجموع المدارس في نيجيريا. ولم يغفل التنصير الوسائل الأخرى من أجل تحقيق هدفه. وكان من أهم ما ركز عليه ونجح في السيطرة عليه، هي الصحافة والإذاعة في جميع أقاليم نيجيريا تقريباً. كما سيطر وامتلك معظم دور النشر والمكتبات بغية توجيهها فيما يخدم مصالحه[1].

وعلى **الساحة العربية** : بدءاً من تقسيم جبل لبنان في القرن الماضي وتقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ م وما يحدث الآن في لبنان ليس عنا ببعيد، فخطط التنصير مرسومة وبنودها تنفذ بكل دقة، وما التعاون القائم بين النصرانية في لبنان وإسرائيل إلا جزء من هذا المخطط الفظيع، وكل هذه النزعات الطائفية تهدف إلى خلخلة الكيان السياسي والاجتماعي للأمة العربية.

أضف إلى ذلك ما عمدوا ويعمدون إليه الآن من إثارة النزعات القومية واحياء الحركات الشعوبية المعادية للعرب والمناهضة

---

(١) أنظر المصدر السابق، عويس – ص / ١١٧

للإسلام. فالفرعونية من خلال حجارة الأهرام في مصر، والفينيقية من خلال خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط. كما لفقوا في العراق دعوة آشورية شأنها شأن الدعوات الجاهلية العنصرية الأخرى. لقد روج لكل هذه الدعوات والنزعات والحركات الأعوان ممن أثر فيهم الغزو الفكري الصليبي.. [أو ممن هم نصارى أصلاً تقلدوا مناصب عليا هنا وهناك ساعدتهم على بث ونشر مثل هذه النزعات والنعرات بكل خبث ودهاء ... أمثال طارق حنا طوبيا عزيز .. الذي تسلم مقاليد وزارة الثقافة والاعلام في العراق عند استلام البعثيين للسلطة .. ثم وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الوزراء، وأمثال بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية في مصر ... وغيرهما ممن تصل نسبة المسلمين في بلدانهم ٩٨٪، إنها نكبة وطامة كبرى والله أن يسيس للمسلمين ويوجههم ثقافياً وإعلامياً النصارى والآشوريون والكفرة].

وبما أن الاستعمار والتنصير ركنان يتطوران ويتلونان مع كل الظروف، فمن هنا ومع ظهور فجر استقلال أمتنا «السياسي» بزغ فجر جديد يوقظ الناس على فكرة العروبة الجماعية كرابطة قومية مناقضة للإسلام، سياسة العروبة التي لا صلة لها بالإسلام لا في مجال العقيدة ولا التنظيم. لأنها دعوة عنصرية نتناء. إذ لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

وبهذا الأسلوب وبهذا التفنن تمكن التنصير الاستعماري من تدويخ أمتنا، وتمزيقها وابعادها عن حقيقتها الوحيدة وكيانها الحضاري ودستورها العظيم المنبثق من القرآن المجيد.

لقد وقف اللورد «جلادستون» يصرخ بمجلس العموم البريطاني وقد أمسك بنسخة من القرآن ويقول «مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان». منذ هذا الوقت وأوروبا تبحث في ظل خيط معاد للقرآن عن وسائل السيطرة على الشرق...[1].

الشيوعية والتنصير في خط واحد :

لقد باتت محاولات أوروبا الآن على مقربة من قلب العالم الإسلامي ومركز الاشعاع الروحي للمسلمين. من «الكعبة المشرفة» .. كما يقول بذلك الدكتور عويس في كتابه «ثقافة المسلم» فهذا **اليمن الجنوبي** أضحى المد الشيوعي الاشتراكي موجوداً ويحكم وفق مناهجه الإلحادية، وأوروبا أو الدول النصرانية تسكت بل تحرس وتبارك وتدعم هذا المد.

بل لعل الحدث الذي نحسبه جد خطير، ذلك الذي تقدمت به روسيا إلى المنطقة، بعد غزوها لافغانستان وتحفزها الشرس للانقضاض على ايران. بتمزيقها من الداخل وبدعوى اليسار الإسلامي الذي يعتنقه ويروج له اعوانها هناك، هذا الحدث الخطير، هو تمكنها بتركيز حكم اشتراكي شيوعي باليمن الجنوبي، وعززته في اثيوبيا، لقد بدأت خطوة متقدمة لتضرب ضربة المخطط القديم عبر التنسيق الذي تم كحلف شرس بين دولتين عربيتين واثيوبيا الشيوعية.

---

(١) انظر نفس المصدر السابق ص ٩٨ — ٩٩

وفي اليمن الشمالي غزو تنصيري – تتبناه أمريكا والسويد وغيرهما. ويتمثل هذا في عدة مخالب قوية. مثل ما يسمى بمكاتب التنمية الدولية الأمريكية. أو مشاريع «ساعد نفسك» أو الجمعية السويدية. أو بيت النشاط الثقافي السويدي أو مستشفى جبلة المعمداني في تعز. أو منظمة «اليونسيف» للتغذية والاغاثة الكاثوليكية أو مشروع تطوير التعليم أو فرقة السلام الأمريكية أو معهد السكرتارية في صنعاء. وغيرها من وسائل وأساليب الغزو الفكري الذي يقف على مقربة من قلب العالم الإسلامي من «الكعبة المكرمة» كما أسلفنا.

وخلف هذا الخط الأول للهجوم تقف خطوط أخرى كثيرة مثل القرن الإفريقي والصومال وجنوب السودان الذي اشتراه التنصير الفاتيكاني في صفقة غريبة.

«وارتيريا» كجزء من هذا الخط تسقط أمام «مانيجستو» الشيوعي. ومن المعروف أن الشيوعية في الحبشة يؤيدها التنصير كما كان يؤيد هيلا سلاسي سواء بسواء، ما دام الأمر يتعلق بالإسلام.

وأخيراً نرى التنصير يلجأ إلى أسلوب آخر وهو أسلوب الالتقاء المباشر بينه وبين ادعياء المادية الجدلية والتفسير الاقتصادي للتأريخ. فالمنصرون يرون أن الفريسة العربية في وضع يسمح للاجهاز عليها. فلا بأس لديهم من الاستعانة بكل القوى من أجل القضاء على المارد الإسلامي.

ففي **«الجزائر»** نرى التقدميون الماديون في خط واحد مع التنصير في الوقوف بوجه حركة التعريب، مع أن الفرنسية لغة استعمارية يجب أن يكونوا من أعدائها.

وهكذا نجد التحام الرأي التنصيري بالرأي الماركسي الاشتراكي في معظم أقطار عالمنا العربي في مشكلة الوجود الإسرائيلي[1].

ما يجب أن تقوم به الصحافة :

منذ صدع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة الحق في مكة المكرمة والمسلمون في معركة مستمرة مع قوى الباطل يواجهون ملة الكفر مجتمعة، وكأنهم اتفقوا على رمي المسلمين بسهم واحد. رغم ما بينهم من خلافات وخصومات التي كادت أن تقضي عليهم. لا لشيء إلا لأن المسلمين أصحاب رسالة سماوية يريدون أن يردوا الناس إليها، وينزلوهم على حكمها. ليردوهم إلى مصدر عزتهم وكرامتهم وسعادتهم :

﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾[2].

فما المعركة التي يخوض المسلمون غمارها اليوم إلا امتداد لتلك المعركة القديمة، بل هي جزء لا يتجزأ من المعركة الكبرى المستمرة بين الحق والباطل. فإذا أردنا أن نكون على مستوى هذه المعركة، وأن يتحقق على أيدينا النصر الذي وعد الله به عباده الصالحين، فلابد من تسخير كل شيء من أجلها وبرؤية واضحة جلية وتصور واع لها... ولعل من أهم الوسائل وأبرزها في ميدان هذه المعركة – معركة الغزو الفكري التنصيري الصليبي – والتي

(١) انظر. المصدر السابق – ص ٧٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧

(٢) سورة البروج – الآية / ٨

يمكن أن تؤدي خدمات عظيمة ودوراً هاماً فاعلاً .. هي «الصحافة».

وفي تصورنا أن الوظائف أو الواجبات الأساسية التي يجب أن تنهض بها «الصحافة» في هذا الصدد مايلي :

(١) بيان المقصد الحقيقي للتنصير الاستعماري في عالمنا الإسلامي، الهادف إلى سلخ أمتنا من دينها وأخلاقها ومقوماتها كي تضعف شخصيتها وكيانها، فيسهل بالتالي السيطرة عليه.

(٢) بيان حقيقة الغارة التنصيرية هذه، في كونها طلائع الجيوش الاستعمارية على أمتنا الإسلامية، وكشف حقيقة هؤلاء المنصرين، بأنهم ليسوا دعاة سلام ورحمة بل هم عيون وآذان للدول الاستعمارية. وموطىء قدم لها في عالمنا. والأيدي الخفية التي قامت وتقوم حتى يومنا هذا بتنفيذ المخططات الاستعمارية في عالمنا الإسلامي، فهم أول من نادى بالنعرات القومية والعنصرية في بلادنا، وأول من روج السفور وحانات الخمر والانحطاط الأخلاقي بين قومنا، وهم الذين أسسوا الأحزاب اليسارية والحركات القومية والاشتراكية في ديارنا، فقد أسس أنطوان سعادة «حزب القوميين السوريين» ثم تلاه جورج عبدالمسيح، وأسس «مشيل عفلق»[1] حزب البعث العربي الاشتراكي، وقسطنطين زريق «القوميين العرب» ومن

(١) تجدر الاشارة إلى أن هذا الصليبي الصهيوني قد حُكم عليه بالاعدام من قبل جناح الحزب - الحاكم في سوريا - ... وقد هرب هذا (العفلق) إلى العراق حيث قاد جناح الحزب هناك حتى مات في منتصف عام ١٩٨٩ م ودفن في العراق .. وخلفه في قيادة جناح الحزب هناك صيهوني آخر هو المدعو «شبلي شميل العيسمي».

بعده جورج حبش وإن أكثر الحركات والأحزاب اليسارية أو الاشتراكية أو القومية الوطنية في عالمنا العربي الإسلامي اليوم، هي من تأسيس النصارى أو اليهود وهم على رأس قيادتها أو من اتخذوا اليهود والنصارى أولياء من ابناء جلدتنا.

وهدف هؤلاء هو شق الصف العربي وتمزيق جبهته الداخلية حماية للصهيونية ولإسرائيل من الخلف.

ولقد زار المسمى ميشيل عفلق - البابا - في الخمسينات فمنحه وسام القبر المقدس قائلاً له «لقد فعلت بالمسلمين ما لم تفعله كتيبة من المنصرين».

(٣) بيان أن المعركة مع أهل الكتاب معركة عقائدية، لا قومية ولا اشتراكية ولا وطنية، وأن تكمن المعاملة في ديارنا على هذا الأساس وأن ننزلهم هذا المنزل، فالله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنو لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[1]﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.. ﴾[2].

(٤) ضرورة لفت انتباه الشباب المسلم لخطورة هذا الغزو التنصيري عن طريق المقال أو الحديث أو التعليق، وحثهم على ضرورة تمسكهم بدينهم وعقيدتهم وتسلحهم بها في وجه هذا الزحف اللعين.

---

(١) سورة المائدة. الآية / ٥١

(٢) سورة البقرة. الآية / ١٢٠

يقول الله تعالى ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾[1] .

ويقول ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا .. ﴾[2] .

وإذا كانت مجلة «الدعوة» المصرية تقف في ميدان الدفاع على النحو الذي أوردناه ، فإننا لا ننسى أنها تحاصر وتصادر من السلطات الحاكمة بدلاً من أن تجد العون والمدد والأمان .

إن موقف الصحافة الإسلامية اليوم يمثل الغربة الحقيقية للمسلم الحق ، ولكن الله الذي وعد بنصر دينه وحفظ وحيه لا بد غالب على أمره ، وهو الأمل الذي يحدو كل عمل إسلامي في هذا العصر ، فلا عجب إذا وجدنا الأمثلة تتعدد وتتكرر ، وتتخذ كافة الأسلحة في صحف إسلامية تسهر وتحرس وتجاهد في سبيل العقيدة الإسلامية .

ب ــ الدفاع عن الشريعة :

بعد أن بيّنا وظيفة الدفاع عن العقيدة في «الصحافة الإسلامية» يأتي دورها في الدفاع عن الشريعة .

---

(١) سورة الصف. الآية ٨ .

(٢) سورة النور. الآية ٥٥

من المعلوم أن نظام الإسلام هو أمثل النظم لتحقيق التقدم الحقيقي في كل ميادين الحياة ، لهذا حرص أعداء الإسلام على إبعاد المسلمين عنه ، أو إبعاده عن حياة المسلمين ، فكانت النظم الوضعية التي أفسدت الحياة وعطلت تقدمها وعرقلت حركة النشاط فيها حتى تمكن أخس الجماعات البشرية وهم اليهود من اقتطاع جزء من الدولة الإسلامية وإقامة وطن لهم فيه ، يفرضون منه سطوتهم وسيطرتهم على القيادة والتوجيه والتشريع في العالم الإسلامي ، وراحوا يهددون بتأديب كل من يحاول النيل من هذا الحق في السطو والسيطرة خصوصاً بعد أن وصلوا إلى مرحلة اصطناع الأذناب والعملاء والحكام في المنطقة العربية .

وتم لهم توقيع ما يسمى بصلح « كامب ديفيد » الذي طبلت له الصحف العميلة والانتهازية المداهنة في كل مكان ، خاصة في مضر والسودان وغيرهما وقتئذٍ ، إلا أن الصحف الإسلامية الملتزمة وقفت موقف الإسلام الصلب ولم تزل تحاول جاهدة صدّ الهجمة الشرسة التي يقودها أعداء الاسلام متمثلة في معاهدة « كامب ديفيد » مشيرة إلى خطورة التسليم بهذا العمل ، المنافي للشريعة الإسلامية ، مؤكدة أن هذا العمل يمثل تفريطاً في الشرع الإسلامي بكل ما تعني هذه العبارة من معنى .

وهنا نعرض نموذجاً مشرفاً للصحافة الإسلامية في هذا الاطار ، يمثل موقف الدفاع عن الشريعة الإسلامية ، والتأكيد على أنها لا تقبل مثل هذا الصلح المشين .

نشرت مجلة « المجتمع » الكويتية بعددها رقم ٥٥١ الصادر في العشرين من شهر محرم عام ١٤٠٢ هـ [1]، مقالا بعنوان « الرفض الإسلامي لسياسة السلام والاستراتيجية البديلة » منادية بضرورة تحكيم شريعة الله في هذا الأمر الهام ، مؤكدة أن الحركة الإسلامية تنادي حكام المسلمين بالعمل الدائب لتحصين جسد هذه الأمة بتطبيق حكم الإسلام في كل جوانب الحياة ...

وفيما يلي نص المقال :

« الرفض الإسلامي لسياسة السلام والاستراتيجية البديلة »

رفض مطلق :

نحن من الذين يؤمنون كل الإيمان بأن إسرائيل لا تريد حلاً مع العرب . اللهم إلا إذا كان من وراء ذلك خطوة تقربها من آمالها .. المرحلية المبرمجة كما يلي :

– السيطرة على أكبر قسم من الأرض الفلسطينية مع الحصول على الشرعية الدولية والمصادقة العربية .

– التوسع المرحلي بضم الضفة الغربية المحتلة نهائيًّا إلى أرض « إسرائيل » .

– الانطلاق من فلسطين ومن خلال « تطبيع سياسي مع الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية نحو تحقيق غزو ثقافي وحضاري للأمة .

---

(١) يوافق هذا التاريخ ١٧ « نوفمبر » ١٩٨١ م

- تحقيق (حلم) إسرائيل الكبرى من (المدينة المنورة) جنوباً إلى آخر لبنان شمالا ، ومن آخر العُراق شرقاً إلى تخوم النيل الشرقية غرباً .

- إخضاع قارتي إفريقيا وآسيا للنفوذ الصهيوني المطلق .

وأمام لهجة السلام السائدة في عواصم العالم وبعض عواصم المنطقة تثبت إسرائيل كل يوم وبكل المقومات والتصرفات تصميمها على المضي بمطامعها إلى النهاية ، دون احترام لقانون أو لاتفاقية أو معاهدة .

إذن فالإسلاميون الذين يرفضون الصلح مع إسرائيل .. بل ويحاربون فكرة الصلح التي هي ليست سوى تأمين على حياة « الدولة الإسرائيلية » ونموها .. يقيمون مبادئ رفضهم على أسس سياسية إلى جانب المبدأ الديني القاطع . وكل ذلك لأنهم يعرفون حقيقة هذا العدو .. ويعرفون إيضاً خفايا السياسة الإسرائيلية في العالم .

المبدأ الديني والرفض :

قلنا إن الإسلاميين يقيمون أسس رفض الصلح مع إسرائيل على مبدأ ديني إسلامي . فقد تحدث القرَآن الكريم كثيراً عن حكم التعامل مع الأمم الصديقة والشعوب العدوة، وأكد أن اليهود أهل غدر وخيانة لا عهد لهم ولا ذمة . وقد اعتبرهم الله سبحانه أشد الناس عداوة للمسلمين لا يشاركهم في هذا العداء الضخم وتلك

الضغينة الحادة إلا الذين أشركوا . قال سبحانه : ﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾[1] .

وإذا كان هذا التحذير كافياً ليجعل الحركة الإسلامية في طليعة الصف المعارض للصلح والسلام مع اليهود ، فإن فقه العلاقة مع العدو يدعو المسلمين وحكامهم اليوم إلى الالتزام بالمواقف التالية تجاه من يغتصب جزءًا من أرضهم :

١ – لا يجوز للمسلمين وهم في دار الإسلام تولية الكافر ليحكم المسلمين لأنه لن يحكم بينهم بما أنزل الله ، وأنى لحكومة بيغن[أو شامير أو بيريز أو غيرهم] أن تحكم مسلمي فلسطين بالإسلام .

٢ – تدخل الأرض بعد الفتح في ملكية المسلمين وعليهم حمايتها وحكم أهلها الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا بما أنزل الله .

٣ – إذا غزا الكافر أرض الإسلام صارت حربه فرض عين على كل مسلم .

٤ – لا يعقد عهد مع الكافر الغازي لأرض الإسلام قبل أن يخرج منها .

ومن أجل هذه البنود يرفض الإسلاميون مجرد التفاوض مع العدو اليهودي ناهيك عن توقيع معاهدة ما معه .

---

(٨) سورة المائدة. الآية ٢٨ .

ملاحظات سياسية :

يتحدد الموقف السياسي للإسلاميين من رفض الصلح مع إسرائيل من خلال تجارب تأريخية ومشاهدات معاصرة ، مؤكداً أن اليهود أمة عدوانية تنطلق في تعاملها مع الشعوب من خلال نظرية التلمود « شعب الله المختار » وتأكدت هذه العدوانية اليهودية في الذهنية الإسلامية من خلال ملاحظات عدة نذكر منها :

١ - ينادي زعماء الأحزاب اليهودية بتطبيق ما يسمى بـ « نظرية الأمن الصهيونية » في حالتي السلم والحرب . وهذه النظرية تقتضي بقاء ميزان القوة العسكرية في جانب المصلحة الإسرائيلية مع بقاء قوة الدينامية السياسية في المنطقة ملكاً لحكام إسرائيل .

٢ - وتقتضي نظرية الأمن الإسرائيلية في حالتي السلم والحرب القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة (الفعلية) بحيث أن زعماء اليهود يعتبرون إسرائيل في حالة حرب مع وجود العنصر الفلسطيني المسلح .

٣ - العمل على زرع القلاقل داخل الدول العربية من خلال وجود نظم متصارعة مع الشعوب ، ودفع الأزمات الحدودية الدائمة بين الدول العربية إلى الواجهة إكمالاً للنظرية الأمنية الصهيونية .

٤ - بناء المستعمرات اليهودية على الحدود المتاخمة للدول العربية بشكل مكثف لتكون هي الثكنات الحربية الجاهزة في حال التوجه من طور السلام إلى طور الحرب والتوسع من جديد .

إن هذه الملاحظات المشهودة في الواقع السياسي لدولة إسرائيل تؤكد عدوانية الشعب اليهودي وحكوماته وأحزابه واتجاهاته للأمة الإسلامية .

وعلى هذا الأساس فإن الإسلاميين لا يجدون أي مبرر سياسي يدفع ببعض الأنظمة العربية نحو عقد صلح مع دولة اليهود العدوة (غير الشرعية) .

مراجعة لمؤتمر بال :

إن من لا يحسن تقدير التخطيط اليهودي في حالة السلم والحرب لن يوصف إلا بقلة الذكاء في أفضل حال من حسن الظن ، ومن لا يعرف حقيقة الموقف اليهودي من السلام المؤقت مع العرب لن يكون جديراً بحكم الأمة ، ومن لا يستفيد من تجارب الأمة مع اليهود هو أحمق مغرق في حمقه ، لقد خبر الإسلاميون التجربة مع العدو الذي نشرت وثائق تخطيطه منذ عام (١٨٩٧ م) ، ففي ذلك العام عقد المؤتمر الأول اليهودي في مدينة (بال) بسويسرا برئاسة الصهيوني الأكبر (تيودور هرتزل) وقد انفض المؤتمر على قرارات أهمها « إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين » ، ويقول هرتزل : إذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال وهذا ما لن أفعله علناً فإنني أقول : في « بال » أقمت الدولة اليهودية ، وإذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت عال ، فسأقابله بسخرية .. ولكن من المحتمل بعد خمسة أعوام ، وبالتأكيد بعد خمسين عاماً ، سيرى العالم كله دولة يهود ... تُرى كم عاماً مرَّت بين ١٨٩٧ وبين

١٩٤٨ حين أعلن اليهود دولتهم ؟ لقد كان (هرتزل) على جانب كبير من الثقة في نظرته المستقبلية وتحديد الهدف والطريق والإمكانات ، الهدف المزدوج المعروف :

١ – إقامة إسرائيل الدولة (أرض وشعب وحكومة) وقد قامت عام ١٩٤٨ م .

٢ – إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات (الوطن القومي الكامل) وأرض الآباء والأجداد .

ويقتضي ذلك العودة إلى خيبر لإعادة الدولة اليهودية إلى الأرض التي أخرجها منها « محمد » ﷺ والمسلمون .

نعم ، هذا هو الهدف المزدوج – المرحلي لمؤتمر بال الصهيوني ، والحركة الإسلامية وهي تشاهد الشق الأول من الهدف اليهودي في الأرض الإسلامية قد تحقق ، تحذر من مغبة الاستمرار في التخبط وعدم الحذر الدقيق مما تخطط له الصهيونية وأعوانها بغية الوصول إلى شق الهدف الثاني .

الرفض الإسلامي :

« مبدأ ديني ومشاهدات سياسية تجعل الحركة الإسلامية مصرة على رفض الصلح »

فاليهود لن يكفوا عن حرب العرب والمسلمين خوفاً من معاهدة واحتراماً لعهد .

– وسياسة السلام لن تُكون لإسرائيل سوى مرحلة هامة وضرورية لتحقيق (نظرية الأمن الصهيونية) التي تقتضي تجريد

العرب من السلاح أو تقليصه في أيديهم مع الحفاظ على تفوقها العسكري المطلق بحيث تكون القوة الضاربة الوحيدة بين أصابع الحكومة اليهودية .

– بعد ذلك يكون المنطلق السهل .. نحو إسرائيل الكبرى التي لن تنسى أن تطيح بجميع العروش من حولها لتحكم المنطقة الصفوة اليهودية « المختارة » .

إن مراجعة ما تمخض عنه مؤتمر بال .. وما تقرر في جميع المؤتمرات اليهودية ضروري لجميع حكام المنطقة الشرفاء ، والحركة الإسلامية تدعو دائماً إلى الوعي السياسي العملي الذي يستفيد من كل ما حمله الماضي من تجارب جعلت الإسلاميين يتخذون موقفاً سياسياً قطعياً يرفض أي مبدأ لفتح الحوار مع الصهاينة أو وسطائهم الدوليين ، فهؤلاء جميعاً لا يفهمون سوى لغة المدافع وهديرها .

اليهود .. واستراتيجية السلام :

يؤكد الإسلاميون أن الصهاينة سيستفيدون من سياسة الصلح أكثر مما يفيدون في هذا العصر المتطور من سياسة الحرب التي توقع فيهم شيئاً من الخسائر ، ونحن نقدم بين يدي حكام عالمنا هذا النص الذي يكشف عن استراتيجية السلام في الذهنية اليهودية العدوة :

يقول روكفلر نائب الرئيس الأمريكي الأسبق :

« إن سياسة أمريكا هي هي لم تتغير منذ سنة ١٩٤٧ م ، وخلاصة هذه السياسة أن إسرائيل لم توجد لتبقى فقط ، ولكن

لتتفاعل مع شعوب المنطقة ، وهذا التفاعل يجب أن يتم (سلمياً) إلا إذا اضطرت إسرائيل للحرب كما حدث في أكثر من مرة .. إن الله أرسل اليهود إلى الشرق لمساعدته على النهوض ، نحن على استعداد لوضع إمكاناتنا لخلق مشاريع إنمائية في المنطقة ، وإن « **الشعوب العربية التي تملك النفط** » تستطيع ويجب أن تستفيد من المعرفة والحضارة المتقدمة في إسرائيل « لخلق تراث وثروة حضاريتين جديدتين » .

وإلى جانب هذا النص نود كجزء من الحركة الإسلامية أن نذكر حكام العالم الإسلامي بما أعلنه مناحيم بيغن بعد أن شكل أول حكومة إسرائيلية طرحت فكرة السلام مع الأنظمة العربية ، فقد قال :

« لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ولا حتى للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد ، حتى ولو وقّعنا معاهدة الصلح » .

من هذا يستفاد ما يلي :

١ – أن الصلح استراتيجية يهودية جديدة .

٢ – وأن هذه الاستراتيجية لن تغفل ما يسمى بتحرير أرض إسرائيل الكبرى من المسلمين .

٣ – وسياسة السلام تستهدف الشعوب العربية الإسلامية قبل أن تستهدف الأنظمة ، وهذا ما شاهده المسلمون جميعاً في سياسة التطبيع بين مصر وإسرائيل .

٤ – وإن من أهداف سياسة السلام الاستراتيجي اليهودي الجديد الوصول إلى منابع النفط وبناء الحضارة المزيفة التي تقودها الصهيونية في المنطقة .

الإسلاميون والاستراتيجية البديلة :

وكما أن الجسم الإنساني يحصن بالدواء فإن الحركة الإسلامية تنادي المسلمين بالعمل الدائب لتحصين جسد هذه الأمة ، وقد طرحت الحركة في كثير من المجالات حلولها المرحلية المتعلقة أمام حكام المسلمين كسياسة بديلة عن سياسة الاستسلام ويقتضي ذلك أول ما يقتضي :

١ – تطبيق الحكم الإسلامي على شعوب العالم الإسلامي في خطوة جادة لبناء الشخصية المسلمة المضحية .

٢ – تعبئة الأمة تعبئة سياسية واضحة وواقية من منزلقات الدعوات الاستعمارية التي تهدف إلى بث الفرقة بين الأمة وتخاذلها .

٣ – تعبئة الأمة تعبئة عسكرية عملية متأنية .

٤ – التنسيق الإسلامي لإيجاد الرأي العام العالمي المتعاطف مع الموقف الإسلامي من الاحتلال الصهيوني الآثم لأراضي المسلمين والمغتصب لحقوقهم .

٥ – وضع كل الإمكانات الاقتصادية والبشرية والعلمية والاعلامية في معركة واحدة موحدة يشنها المسلمون على كافة الأصعدة وفي كل مكان ضد عدو هذه الأمة .

إن ما يراه الإسلاميون ويدعون إليه هو استراتيجية عملية

بديلة يحافظ فيها الحكام أولا على أنفسهم وشعوبهم ، ويحافظون على الأرض التي استخلفهم الله عليها فهم عليها مؤتمنون .

قال تعالى ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[1] .

جـ ــ الدفاع عن الأخلاق والسلوك :

كان المفروض أن تكون صحف العالم الإسلامي كلها تعبيراً وتصويراً لطبيعة الأخلاق أو السلوك الإسلامي ، وكان المتوقع أن يجد الباحث قاعدة سلوكية عامة ومنطلقاً أخلاقياً شاملاً يمثل العمل الإسلامي ويسهر على حمايته ، ويقوم على الترويج له ، والدعاية من أجله ، أو على الأقل كان المفروض أن تكون هذه الصحف ــ في مجموعها أو أغلبها – صورة حية لدعوة الإسلام الأخلاقية ، ولقيمه السلوكية ، لكننا وللأسف الشديد لا نجد إلا صحفاً ومجلات غريبة ونادرة تقوم وحدها ودون تشجيع النظم والحكومات ، بل على الرغم منها ، تقوم بهذا الجهد في تواضع خشية التعرض للهدم أو إغلاق دورها ومقار عملها أو اغتيال اصحابها الملتزمين.

لهذا نستطيع أن نقول وبوافر من الثقة : إن الصحف الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي ، تصرف جل جهدها إن لم يكن كل جهدها في الدفاع عن الإسلام ، ومن ذلك دفاعها عن الأخلاق والسلوك الإسلاميين ، مقاومة بذلك تيار الدعوة إلى

(١) سورة الحج ــ الآية ٤٠

التحلل والإباحية ونبذ الأعراف والتقاليد والقيم الإسلامية ، بدعوى رجعية هذه الأعراف وتلك التقاليد والقيم .

وإذا كان لنا هنا أن نضرب الأمثال فقط - لأن تناول الواقع كله يحتاج إلى مئات البحوث والرسائل - إذا كان لنا أن نضرب لذلك الأمثال ، فما علينا إلا أن نطالع معظم صحف ومجلات العالم الإسلامي في أي وقت وأي مكان لنرى ماذا يراد بالمرأة وللمرأة ، وإلى أي شيء يشدون الشباب ويطالبون مجتمع القرن العشرين .

دعوة الإسلام :

نعلم بيقين أن الإسلام يمثل أعظم نظام يحرك في الإنسان جهوده وينميها ويقوم على حفظها وتوظيفها في خدمة الفرد والمجتمع من خلال قيم ومبادئ ومعالم تضبط الحركة وتحدد العمل وتضمن جودة الإنتاج ، والحرص على استمراره ، وكل فرد في المجتمع المسلم يعرف دوره ..

ولما كان الإسلام هو دين الفطرة .. فالالتقاء بين الفطرة الإنسانية النقية وبين الإسلام وثيق وطبعي ومؤكد لا يلمس الإنسان وتراً من أوتار الفطرة الإنسانية إلا استجابت في فهم سوي وإدراك صحيح وانطبع ذلك سلوكا سويًّا وإنتاجاً صحيحاً .

« **والمرأة المسلمة** » قد لمست ذلك بفطرتها السوية ووعتها بإدراكها النقي الطاهر فعرفت حقيقة دورها وخطورة رسالتها وحرصت على أداء الدور وبذلت كل جهد في سبيل الرسالة ، فلم

تقحم نفسها في مجال لا يتفق وطبيعتها ولا يتلاءم وفطرتها ، كما أنها لم تفرط في مجال هو من صميم اختصاصها قد وجد لتستقيم مع طبعها وتكوينها .

ففي مجالاتها وتخصصاتها نبغت المرأة المسلمة في عصرها الأول وحققت أروع النتائج ، ومن بين ذلك التمريض ومعالجة الجرحى في الحروب ، فعائشة رضي الله عنها وبقية المسلمات أمثال « رفيدة الأنصارية » التي عالجت إصابة سعد بن معاذ في غزوة الخندق و « الربيع بنت معوذ » الأنصارية من بني النجار ، و « كعيبة الأسلمية ، وليلى الغفارية وأم زياد الأشجعية وأم ورقة بنت عبد الله الحارث الأنصارية ... وقد أخرج أبو داود حديثاً عنها « أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما غزا بدراً أتته وقالت له : لو أذنت لي فغزوت معكم فمرضت مريضكم وداويت جريحكم فلعل الله يرزقني الشهادة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِرِّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة »[1] .

ولقد أمر الإسلام بالعلم والتعلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحدد لكل ما يشترك فيه مع الآخر في تعلمه وما ينفرد به مما يتلاءم وطبيعته وتكوينه ودوره ... وحين كانت الفطرة نقية

---

(١) أخرجه أبو داود – برقم ٥٩١ ، ٥٩٢ – في الصلاة – باب إمامة النساء ، وفي سنده عبد الرحمن بن خلاد ، وهو مجهول الحال ، وورد بلفظ « قلت له : يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك ، أمرّض المرضى وأداوي الجرحى ، لعل الله يرزقني الشهادة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِرِّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة ، فكانت تسمى الشهيدة » انظر جامع الأصول – ج/ ٥ ، ص ٥٨٣ » .

بيضاء تقبلت ذلك بشغف ولهفة وحرص ... وحين لوثت الفطرة بمفاتن الغرب الصليبي أو الشرق الشيوعي الاشتراكي الملحد .. دست المرأة نفسها في المصنع ، تغالط حقيقة أمرها وتكوينها ، وتدعي الحرص على المساواة وقدرتها على المنافسة ، وحشرت نفسها في الحافلات العامة وسبل المواصلات المزدحمة الكئيبة ، ولكنها لم تصر على المضي في المغالطة إلى آخر المشوار ، فوقفت في مركبات المواصلات تنتظر أن ينهض هذا أو ذاك .. فهي امرأة لا تستطيع الصبر على الوقوف .. ولا الصبر على احتمال الزحام .. ومن باب الذوق والأدب أن ينهض لها الرجل .

كما أن الكثير من فتياتنا اليوم يشترك في المباريات الرياضية المحلية والاقليمية والدولية بلباس قصير أحياناً - والشباب - على العكس يرتدي اللباس الطويل .. وغير هذا الكثير .

قد يقول قائل : اضطرت المرأة للخروج إلى العمل العام لأن ظروف المعيشة القاسية دعتها إلى ذلك .

إذا سلّمنا بهذا وقلنا نعم .. لكننا نقول هنا ونتساءل أيضاً ما علاقة العمل بلباسها القصير العاري ؟ ثم هل طبيعة عملها لا تتم إلا بهذا اللباس ؟ ونتساءل أيضاً ما علاقة العلم حين تتعلم الفتاة وتدخل الجامعة، ما علاقة التحصيل العلمي بثوبها القصير الضيق ..؟ أو بالبنطلون، أو ما الضرورة التي تدعو إلى هذا وذاك ؟

إنه التخطيط الإفسادي، الذي أريد به أن تكون المرأة سن حربة في الفساد والانحلال داخل المجتمعات الإسلامية .

نكتفي بهذه الإشارات الموجزة ولسنا هنا بصدد التفصيل في هذا الموضوع الخاص بمكانة المرأة في الإسلام وتكريمه لها ، وعن النظرة الصليبية والشيوعية الملحدة لها ، وموقفها أيضاً من مسألة التعدد وما أثير من هجوم على هذه المسألة وعلى الطلاق ، وغير ذلك مما يتصل بهذا الموضوع من قريب أو بعيد ... **مما تصدت له الصحف الإسلامية** ، وعملت جاهدة على مقاومته والدفاع عنه .

فهذه مجلة « المجتمع » الكويتية ترد في عددها رقم ٥٧١ الصادر في ٢٦ رجب عام ١٤٠٢ هـ[١] على ما أثارته مجلة « العربي » الكويتية ، حول مسألة المرأة والمفهوم الماركسي لها ومشاركتها في وسائل الإعلام والتمثيليات والغناء ونشاطاتها في الأندية الرياضية ، وكذلك نشرها لقصيدة نثرية لامرأة ثائرة على تقاليد المجتمع الإسلامي والزواج وعلى والأولاد الذين جعلهم الله رحمة ومودة ، وقد باركت مجلة « العربي » كل هذه النشاطات الفنية والأدبية للمرأة .

وفيما يلي نص المقال الذي جاء تحت عنوان : « ماذا تريد مجلة العربي ؟ » .

« ماذا تريد مجلة العربي ؟ »

إن مجلة « العربي » الكويتية التي تصدر عن وزارة الإعلام هي واجهة لحرب الإسلام في دار المسلمين .

---

(١) يوافق هذا التاريخ ١٩ « مايو » عام ١٩٨٢ م .

ولقد قامت هذه المجلة بنشر مقالات كثيرة ضد الإسلام من أول نشأتها إلى يومنا الحاضر بقيادة رئيسها « أحمد زكي » تلميذ المستشرقين الذي فتح باب المجلة على مصراعيها لنشر المقالات الإلحادية ونشر الفساد والطعن بالإسلام باسم حرية الفكر والقلم ، وكانت هذه المجلة تحمل فوق غلافها صورة لأجمل فتاة في كل عدد من أعدادها ، ولها صولات وجولات فيما يسمونه بتحرير المرأة، وضرب الإسلام باسم التخلف والرجعية ، وهذا كله علناً . ولما ذهب هذا التلميذ المخلص لأسياده المستشرقين جاء بعده تلميذ آخر « أحمد بهاء الدين » الذي كانت له سوابق قديمة بطعنه للإسلام وعلماء الإسلام حين كان مسئولا لأكبر جرائد مصر ، ولا ننسى حملته الشعواء على علماء الدين حين وقف الشيخان الجليلان وهما : محمد أبو زهرة ومحمد الغزالي ليقولا حكم الإسلام في المرأة ، فأخذ هذا الرجل ينشر المقالات ضد هذين العالمين وامثالهما من العلماء الذين تكلموا بصدق وإخلاص .

يقول الكاتب الإسلامي أنور الجندي في كتابه « الصحافة والأقلام المسمومة » حملت الصحافة حملة شعواء على العلماء الذين قدموا حكم الإسلام في المرأة في مواجهة أضاليلهم ، وفي مقدمة هؤلاء محمد أبو زهرة ومحمد الغزالي، فحمل أحمد بهاء الدين على الشيخ أبي زهرة وحمل الصليبي أحمد موسى صبري على الشيخ الغزالي.. يقول بهاء الدين : إن بعض علماء الدين يريدون أن يحتكروا نشر الدين ، وبالتالي يريدون أن يحتكروا تفسير الحياة لأنهم عاشوا حياتهم العقلية أسرى بين جدران كتب محدودة ، ووصف معارضة

الشيخ أبي زهرة للمفاهيم الماركسية المنحرفة في شأن المرة بأنها تؤدي إلى موات هذه الأمة ، ويتباهى بهاء الدين بانحراف الصحافة والإعلام في مسألة المرأة فيقول : إن التلفاز يذيع ساعات طويلة من التمثيليات التي تشترك فيها النساء والأغاني التي تغنيها المطربات ، والدولة ترسل بعثات تذهب بمفردها إلى أوروبا وكذلك مع الأندية الرياضية آلاف من الفتيات .

هذا أحمد بهاء الدين يشترك مع الصليبي موسى صبري [اسمه الحقيقي جرجس موسى أخو شنودة بطرس] ليقوما بحرب ضد الإسلام والمسلمين .

وهذه بعض المقالات الخطيرة التي نشرتها هذه المجلة «العربي» وهاجمت الذات الإلهية : —

ومن هذه المقالات مقال يتهجم صاحبه على الإمام البخاري رحمه الله ، في عددها (٨٧) بتاريخ ١١ شوال ١٣٨٥ هـ تحت عنوان « ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحاً » طعن كاتب هذا المقال على إمام المحدثين البخاري بالكذب والبهتان والافتراء ، على أن صحيح البخاري أصح الكتب بعد القرآن الكريم مع صحيح مسلم وقد تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول .

المقال الثاني :

مقال عبد الوهاب الأفندي الذي نشر في العدد (٢٤٠) لشهر نوفمبر ١٩٧٨ م بعنوان « إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه

قاضياً » ... والقصد من هذا المقال هو رد على الذين يريدون تطبيق الشريعة الإسلامية ، يقول في مقاله المذكور :

إن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتضح في ذهنه أنه بعث هادياً ولم يبعث قاضياً ، وأنه لا جدوى من إقامة الحدود بل هي تتناقض مع رسالة الأنبياء لأن الرسل جاءوا لينقذوا البشرية من عذاب الآخرة وشقاء الدنيا وهؤلاء يريدون أن يجمعوها على الناس ، إلى آخره من الافتراء والبهتان، لأن فكرته هي أن إقامة الحدود ليس جزءًا من الإسلام مع تأويله الآيات والأحاديث النبوية بطرقه الخاصة .

المقال أو النموذج الثالث :

وهو عبارة عن قصيدة نثرية قدمها أحمد بهاء الدين على لسان إمرأة ثائرة على تقاليد المجتمع الإسلامي .

تقول هذه الثائرة :

أكره شر ثغر الأسود
أكره أمي وهي بشرشفها امرأة مطواعة
أولى بي أن أنبش خير الأرض
مع من يهوى الأرض
ونحن أرضا .. وزراعة
أن أسهم في طرد الليل
أن ندفن في الليل الدامي جهلا

وجاعة ..
لا يكفي أن أحبك بالأطفال
أو أن أبقى في القرن العشرين أداة
رضاعــة
يكفيني ما عانيت مدى الأجيال الأولى ...
إذ كنت سريراً وبضاعة
جارية خلف الدور تكابد
أو جارية في أيدي « الشارين »
مباعـــة

هذه قصيدة نثرية من ثائرة على الزواج والأولاد الذين جعلهم الله رحمة ومودة ، إنها ثائرة على الإسلام وعلى نظامه ، فهل هذا فكر حقيقي ؟ إنه فكر ماركسي شيوعي اشتراكي الحادي يتزين بالتقوى والإصلاح .

وإنني أضع – والقول لصاحب المقال – هذه المقالات أمام صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد حاكم الكويت وأعضاء مجلس الأمة الموقر الذي يمثل الشعب المسلم في الكويت وهي أمانة في أعناقكم محاسبين يوم القيامة بهذه الأمانة وخاصة حاكم الكويت لأنه هو المسئول الأول والأخير – في هذا البلد – أمام الله جل وعلا .

يقول جلّ وعلا :

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد

الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ...﴾[١] . ويقول سبحانه :

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما ﴾[٢] .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

﴿ إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، أحفظ ذلك أم ضيّعه حتى سأل الرجل عن أهل بيته ﴾[٣] .

وهذا الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، لما قام في بيته للصلاة فما ملك عبرته .. فسألته زوجه عما أبكاه في الصلاة فقال :

إني تقلدت من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة فخشيت ألا تثبت لي حجة فبكيت .

ويختتم الكاتب مقاله فيقول : ليس فقط مجلة « العربي » إنما أكثر المجلات اليومية والأسبوعية تطعن بالإسلام وإن هؤلاء الكتاب

---

(١) سورة المائدة. الآية ٤٩ .

(٢) سورة النساء. الآيتان ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه عن أنس (الفتح الكبير جـ ٣ صـ ٣٣٧) .

يمارسون أنشطتهم لحرب الإسلام تدميراً وإفساداً ، وهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾[1] .

* ونعرض أيضاً في هذا المقام ما نشرته مجلة « الدعوة » السعودية بعددها رقم ٦٤٨ الصادر في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٩٨ هـ تحت عنوان « مكانة المرأة في الإسلام ووظيفتها في الحياة » .

أشارت فيه المجلة إلى ما ظهر على بعض أعمدة بعض الصحف المحلية من تحمس مصطنع حيال ما أسموه بـ « مشكلة المرأة » ، ونوهت فيه إلى ضرورة طرح مثل هذه القضايا أو المشاكل المزعومة على ذوي الاختصاص من علماء الشريعة الذين أمرنا بسؤالهم عما أشكل ، موضحة بأن المرأة تعيش في ظل الشريعة الإسلامية معززة مكرمة مصانة .

وفيما يلي نص المقال :

« مكانة المرأة في الإسلام ووظيفتها في الحياة »

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ، وبعد فلا يخفى على ذي بصيرة ما منحه دين الإسلام للمرأة من

---

(١) سورة البقرة. الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

كرامة وما ضمنه لها من حقوق تتناسب مع تكوينها داخل البيت وخارجه ، وما زالت بلادنا ولله الحمد تسير على هذا النهج تجاه المرأة فهي تعيش في مجتمعنا معززة مكرمة مع زوجها وأسرتها ومجتمعها تتمتع بحقوقها الشرعية بكل راحة واطمئنان بعيدة عما تورطت فيه المرأة في المجتمعات الأخرى من مشاكل نتيجة لإخراجها عن طورها وحرمانها من مزاولة اللائق بها ، وتكليفها بأعمال الرجال .

نقول هذا بمناسبة ما ظهر على بعض أعمدة بعض الصحف المحلية من تحمس مصطنع حيال ما أسموه بـ « **مشكلة المرأة** » مما أدى ببعض الصحف إلى عقد ندوات حيال هذا الموضوع تستضيف لها بعض الشخصيات لالتماس الحلول لهذه المشكلة المزعومة ، التي تتلخص في أن المرأة طاقة معطلة وهي تشكل نصف المجتمع ، وأن المرأة قطاع غير مستثمر بالشكل المطلوب .

والذي نقوله لهؤلاء أولاً : لا وجود لهذه المشكلة التي زعمتم، فالمرأة ليست معطلة عن عملها اللائق بها فهي تؤدي عملها كاملاً وتؤدي خدمة لمجتمعها لا يقوم بها غيرها ، فهي الزوجة المطالبة بحقوق الزوج ، وهي الأم المربية للأولاد ، وهي القائمة بإدارة البيت والمسئولة عن كل ما يدور فيه ، وهي قبل هذا وذاك التي يجعل الله منها بنين وحفدة ، ولا يخفى ما تلاقيه حيال ذلك من حمل وولادة ورضاعة مما يأخذ الكثير من وقتها ، وهي مع ذلك إذا كان لديها بقية من وقت تزاول الأعمال التي لا تخرج بها عن محيطها

والتي تتعيش من ورائها ، فما زالت إلى عهد قريب تغزل وتنسج وتبيع وتشتري ، وتعمل في المزرعة ، مع التستر والاحتشام ، فمتى كانت المرأة طاقة معطلة وقطاعاً غير مستثمر، إنها الدعاوي الفارغة والأقوال المردودة .

ونقول لهؤلاء ثانياً : إذا قدر وجود مشكلة من هذا النوع أو من غيره فيجب أن تطرح على ذوي الاختصاص من علماء المسلمين ليلتمسوا لها حلاً على ضوء الإسلام الذي تكفل بحل جميع المشاكل ، قال تعالى : ﴿ ... ما فرطنا في الكتاب من شيء ...﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ... ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ... فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[3] .

إننا لا نشك في إخلاص تلك الشخصيات التي استضافتها ندوة الجريدة ، لكننا نقول ليس ذلك من اختصاصهم وإنما هو من اختصاص علماء الشريعة الذين أمرنا بسؤالهم عما أشكل ، والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

* وبعد فإن الفساد الذي تعيشه جاهلية هذا القرن بشرقها وغربها وما تستخدمه في خدمة مآربها من صحافة ووسائل إعلام أخرى تتزايد وفق خطط مرسومة كل يوم تريد أن تصور لهم السلوك

---

(١) سورة الأنعام. الآية ٣٨ .
(٢) سورة النحل. الآية ٨٩ .
(٣) سورة الأنبياء. الآية ٧ .

الواقعي الذي تعيشه هذه الجاهلية على أنه قمة الصواب .

فإذا ما ساور الناس شك في قضية، أو مسألة ما ، على أن هذا الفساد يخالف ما جاءت به شريعة الله ـــ أو ما يقضي به الحق والحقيقة وما تتطلبه الأخلاق والسلوك والقيم ويقتضيه واقع الحال ، نرى أعوان الجاهلية وزبانيتها – يجهزون الأجوبة – ويبثونها ويروجون لها وينشرونها بمختلف وسائل الإعلام المتقدمة التي يملكونها ويسيطرون عليها، – سيما الصحافة – بدعوى التطور وعقلية القرن العشرين ، ونعت المخالفين بالتأخر والرجعية .

بجميع هذه الوسائل والأساليب تحاول الصليبية في الغرب أو الشيوعية والاشتراكية الملحدة في الشرق ، الهجوم وتحطيم كل محاولة للشك أو لبيان ما في هذا الغزو المقيت من شر وهلاك للبشرية جمعاء .

فالإنسان الذي يحاول أن يوضح للناس الحق ويبين لهم الانحراف الذي يعيشون عن طريق الصحافة أو غيرها من وسائل الإعلام، يكون هذا الإنسان وهذه الصحافة في نظر هذه الجاهلية إنساناً رجعياً وتكون الصحافة رجعية متخلفة .

ومن يريد أن يزهق الحق والخير ويحيي الباطل والشر ويدعو لهذا الباطل وهذا الشر ويبث وينشر له .. فسلاحه هو التطور والتقدم .

إن هذا الفساد في السلوك لم يقف عند مجال محدد أو معين ، بل شمل مناحي الحياة كلها – في السياسة والاقتصاد والاجتماع

والأخلاق – ولكن لا يمكن لأية جاهلية مهما أوتيت من القوة والسلطان أن تقر الواقع الباطل وتحجب الحق إلى ما لا نهاية عن البشرية .

يقول تعالى : ﴿ .. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾[1] .

إن ما ذكرناه للوظيفة الدفاعية في الصحافة الإسلامية ما هو إلا على سبيل المثال لا الحصر .. وما سيأتي هو بيان للقسم الثالث من وظائف الصحافة الإسلامية في المواجهة والتحدي ألا وهو « الوظائف الهجومية » .

٣ ــ الوظائف الهجومية للصحافة الإسلامية :

تجيء الوظائف الهجومية في الصحافة الإسلامية في مرتبة الاستثناء وعند الضرورة القصوى حيث لا يجدي غير الهجوم ، ولا يثمر إلا أسلوب الكشف وتوضيح حقيقة العقائد والشرائع والأخلاق المخالفة للإسلام ، بل نستطيع أن نقول إن كشف أساليب الضلال وفضح وسائل الزيف والخداع هي حقيقة الدور الهجومي وصورته ، وحق الصحافة الإسلامية في كشف الباطل وفضح أساليبه ووسائله كحقها في بيان الحق وتزيينه وحث الناس عليه، والذي يدقق في معنى الهجوم الإسلامي يجده صوناً لحق الإنسانية في معرفة الحقيقة من الزيف وتمييز الطيب من الخبيث ، وهو حق لا يحرِّمه

---

(١) سورة الأنفال. الآية ٣٠ .

إلا أعداء الإنسانية ، ولا يعاديه إلا أهل الباطل وطلاب الرذيلة ، وزبانية الشر والطغيان .

هذا ونرى لزاماً علينا أن نقسم هذا المبحث أيضاً إلى ثلاثة أقسام :

أ – قسم – الهجوم على العقائد المخالفة للعقيدة الإسلامية .
ب – قسم – الهجوم على الشرائع المخالفة للشريعة الإسلامية .
جـ – قسم – الهجوم على الأخلاق والسلوك المخالفين للأخلاق والسلوك الإسلاميين .

ونظراً لطول البحث في هذا ، ورغبة في عدم الاستطراد كثيراً نكتفي بطرح الأمثلة والنماذج – بتصرف من قبلنا – ، مكتفين بها للدعوة إلى الإقتداء بالصحافة الإسلامية وتدعيمها وبيان حق الناس في وجودها وتعميمها في البلاد الإسلامية .

أ ـــ عقائد اليهود والنصارى وغيرهما في الصحافة الإسلامية :

سنعرض في مجال الوظيفة الهجومية للصحافة الإسلامية على العقائد المخالفة والمعادية لعقيدتنا الإسلامية نموذجين :

يبين لنا **النموذج الأول** – من خلال المقال الذي نشرته مجلة « الاعتصام » المصرية بعدديها السادس والسابع اللذين صدرا في شهري جمادي الآخرة ورجب عام ١٤٠٠ هـ[1] – حقيقة

(١) يوافق هذا التأريخ شهري « مايو ويونيو » من عام ١٩٨٠ م .

النسب اليهودي وزيف ادعاءاتهم وما يقومون به من أساليب الإفساد والتخريب عبر مراحل تأريخهم نتيجة لتسلطهم وسيطرتهم التامة على أجهزة الإعلام كافتها . مطالبة المؤمنين أن يقرأوا كتاب الله عز وجل بتدبر ليكتشفوا حقيقة اليهود وألاعيبهم وليعرفوا براءة الأنبياء منهم ...

وفيما يلي نص المقال الذي جاء تحت عنوان :

« النسب اليهودي وحقوقه .. بين الزيف والحقيقة »

بلغ الزيف في هذا العصر حدًّا لم يصل إليه في أي عصر آخر غيره .. إذ أصبحت له من المؤسسات والهيئات ، والدول والأشخاص والوسائل ما لا يكاد يعد أو يحصر .. ولقد كان من أثر هذا الزيف أن أصبحنا نسمع في كل يوم – إن لم يكن في كل لحظة – شيئاً يدعم ما يزيفه اليهود ، ويؤكد ما ضللوا به العالم من ادعاءات شتى .. وعلى رأسها ادعاؤهم بأنهم ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام ، وأنهم سلالة داود وسليمان اللذين ملكا فلسطين .. فأصبح من حقهم أن يعودوا إليها ، وأن يقيموا فيها إقامة الوارث لملك الأجداد ، العائد إلى حقه الشرعي ، وأن يعقوب « إسرائيل » الذي نزح منها مع أسرته إلى مصر قد عاد وأبناؤه إليها بنفس المنطق ، ودخلوها فاتحين على يد يوشع .. حتى أقام سليمان الهيكل في القدس ، فدمره « تيطس » ثم حرثه « هارديان » ولم يزل كومة من تراب حتى عهد عمر بن الخطاب ، فأقام عليه المسجد الأقصى .. وها هم

جاءوا إليه ليعيدوه إلى مناطحة السحاب ، كما يظنون أنه قد كان كذلك في أيام داود وسليمان .. إلى غير ذلك من أوهام وأحلام .

ومن الغريب العجيب أن الواقع التأريخي ، وكتاب اليهود المقدس نفسه ، والقرآن الكريم .. كلها تكذب هذا الزيف .. وتنفي حق اليهود في شيء مما يفترون ويزيفون .. ومع ذلك يذيع زيف اليهود وينتشر ، ويروج الباطل ويعلو صوته .

ولعل هذا يرجع إلى تسلط اليهود على أجهزة ووسائل الاتصال الجماهيري .. مع تخصصهم في صنع الشوائع وترويجها ، من خلال الاتصال الشخصي .. ثم تخصصهم في تجنيد العملاء ، واصطناع الصنائع للعمل معهم ، بواسطة منظمتهم الخفية .. المسماة بـ « الماسونية » .

لكن الذي يثير الدهشة حقًّا هو الجدار السميك الذي يحول بين الناس وبين استعمال عقولهم .. حتى على وجه التقويم .. وفي بلاد المسلمين بوجه خاص .

إننا لا شك لن نقبل تفسير غير المسلمين وتفسير العملاء لهذا الحال الذي يقرر ذكاء اليهود وبلادة العقول العربية الإسلامية .. لأن هذا التفسير أيضاً من حافظة الزيف اليهودية .. ولكن علينا أن نتأكد إن كان اليهود أذكياء بالفعل أم لا ؟

هل اليهود أذكياء ؟

إن معرفة الحق في هذا الموضوع من الأهمية بمكان .. لما يترتب

عليها من نتائج يتأثر بها أي بحث آخر في أي موضوع يتصل بجماعة اليهود .

فقد أذاع وأشاع أمر ذكاء اليهود وتفوقهم .. حتى صارت ألسنة العقلاء والمدققين تنطق بمثل هذا الوصف .. طالما كان عن موضوع اليهود المعاصرين .. حتى بات الأمر من المسلمات التي لا تحتمل الشك أو الجدال عند المتطرفين والمعتدلين .. أما الذين لا يسلمون بذكاء اليهود وتفوقهم على من عداهم من الأجناس والشعوب .. فيعترفون بشيء من هذا التفوق أو الذكاء في مجال الإفساد والتخريب .

الواقع يكذب هذا :

ولنا ولهذه الفئة من البشر ما يؤكد واقعهم التأريخي – بما أصابهم من سوء العذاب والتشريد – إن تكرار أسلوبهم في الإفساد والتخريب عبر مراحل التأريخ كان السبب الأول وراء تكرار طردهم وتشريدهم من كل مكان يحلون فيه .

وإذا كانوا رغم ما جرى لهم من وراء أسلوبهم في الحياة ، لم يتعظوا أو يتراجعوا .. بل راحوا يعللون ذلك بحسد الشعوب لهم ، وحقدهم عليهم ، لذكائهم ونقاء جنسهم .. فإنك يا أخي القارىء لا بدَّ أن تصف هذا التصرف وهذا التعليل بالغباء .. « إن صح الوصف بشيء اسمه الغباء » .

وهذا معنى قول الله تعالى في شأنهم :

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون * وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون * ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾[1] .

فلقد عجز اليهود عن الاستفادة من تجارب الماضي ، إلا بما ينتهي بهم دائماً إلى نهاية تعسة .. من إفساد وتزييف وتحريف وضلال وتخريب .. مما أدى بهم إلى مثل ذلك من قبل أكثر من مرة .

مثل المسلمين الآن :

ومثلهم من الشعوب أو أحط منهم .. من لا يستفيد من تجارب الأجيال ، ووقائع التأريخ .. فلا يتعظ بماضي الإنسانية ، ولا يعتبر بسنن الله تعالى وقوانينه في خلقه .. خاصة الشعوب التي تملك رصيداً هائلاً مصدقاً ومحققاً من العالم المحيط الخبير .. هذا الرصيد الذي يشمل من الأحداث والوقائع والنتائج ما يؤكد أن الله تعالى لا يحابي أحداً من الشعوب أو الأمم ، كما لا يظلم الناس شيئاً .. إنما يقيم فيهم سننه العادلة ، وقوانينه الحتمية .. كلما أحسنوا أحسن

---

(١) سورة البقرة. الآيات ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ .

إليهم ، وكلما أساءوا جزاهم بما صنعوا .. حتى يأتي وعد الله ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾[1] .

فإذا فرط المسلمون في الاستفادة من هذا الرصيد .. فقد فرطوا في عقولهم وفرطوا في استخدامها فيما خلقها الله لها .. ولا بدَّ أن يلقوا هذا الجزاء الذي يعانون منه اليوم .. حتى يفيقوا ويعودوا إلى الله تعالى وإلى شرعه .. فيفيدوا من وحي الله عز وجل .. ويستفيدوا من نعمه .. خاصة نعمة العقل التي منحها الله تعالى لجميع الشعوب ، وجعل الجزاء في الدنيا والآخرة رهناً ومقابلاً عدلا بالمدى الذي يستخدم فيه هذا العقل للاستفادة من نعم الله في كونه .. وعلى رأسها وحي الله وشرعه .

خلاصة القول في الذكاء والغباء :

ويكاد المقام ينتهي بنا إلى أن مسألة الذكاء أو الغباء مسألة لا تستقيم إذا جعلناها أمراً خِلْقيًّا (بكسر الخاء وتسكين اللام) ينفرد بها شعب أو تلتصق بأمة .. فالحقيقة واضحة في : أن الله تعالى ساوى بين الأمم والشعوب بوجود مجموعة من القدرات والطاقات العقلية لدى شباب وشيوخ هذه الأمة ، أو هذا الشعب .. وبمقدار ما تستخدم هذه الأمة أو هذا الشعب طاقات وقدرات أبنائها وتشجعها وتنميها ، بمقدار ما تتقدم وتجد العطاء المادي ، والرخاء .. والعكس صحيح .. بمقدار ما تبدد كل أمة من طاقات

---

(١) سورة آل عمران. الآية ٩ .

وقدرات أبنائها ، بمقدار ما تتأخر وتذل وتستخذى . ولهذا يحفل تأريخ كل أمة بالنوعين من التقدم والتأخر .. والأمة العاقلة هي الأمة التي تستفيد من التجارب ، وتتعظ بالأحداث والوقائع ، وتقدر النتائج قبل وقوعها ، استناداً إلى سنن الله تعالى وقوانينه في خلقه . وإذا كان اليهود قد نجحوا في تطبيق جزء من النظرية .. وهو تجنيد طاقات وقدرات شبابهم وشيوخهم في خدمة قضية إفساد الشعوب ، وتخريب بيوتهم وعقولهم ، فقد فشلوا في تقدير النتائج .. وستكون ضدهم حتماً وسبباً في تشريدهم مرة أخرى . وإذا كان المسلمون قد أصيبوا بغفلة في مرحلة من مراحل تأريخهم ففشلوا في تطبيق النظرية ، وراحوا يشجعون كل ما يبدد طاقات وقدرات أبنائهم .. كالرقص .. والغناء .. والموسيقى والتمثيل .. وصنع التماثيل .. والصراع والحقد .. وغير ذلك دون أن يقدّروا النتائج فلا عجب أن تجدهم على هذا الحال ، وأن ينتصر عليهم من طبّق جزءًا من النظرية لأنهم لم يطبقوا شيئاً منها .

ولكن لا يعني هذا أن الحال سيدوم ، وأن الواقع المر سيستمر .. بل لا بدَّ أن يفيق المسلمون يوماً .. وعندها يتغير كل شيء كما تغير على يد سلفهم الصالح « بإذن الله » .

أين الزيف في نسب اليهود ؟ :

ولعلنا لم ننس إننا ما زلنا نعالج قضية الزيف ، وأن ادعاء ذكاء اليهود جزء من هذا الزيف .. ومثله أو أشد منه تبرير هذا

الزيف عندما يأتي بالنتائج التعسة .. ومثله أيضاً أو أشد منه قضية حقوق اليهود المترتبة على الانتساب العرقي ، أو الاتصال في نسب الدم إلى أنبياء الله تعالى ورسله .

فتبرير اليهود للتشريد والعذاب الذي وقع عليهم كنتيجة طبعية لكفرهم وإصرارهم على أسلوب الشيطان في الإفساد والتخريب .. تبرير هذا بحسد الشعوب لهم ، وحقدهم عليهم من شدة ذكائهم وعبقريتهم .. زيف واضح يشبهه في كثير من الوجوه تبرير الأوربيين لما هم فيه من تعاسة روحية مع التقدم المادي .. وتبرير المسلمين لما هم عليه من تبعية وتأخر .. مع ما يملكون من أسباب الرقي والتحضر .. مما هو زيف محض في الحقيقة .

إلا أن المدى الذي وصل إليه خداع النفوس ، وتزييف الحقائق لدى الشعوب .. لطول ما أغرقت فيه واستمرأته .. لا يكاد يضاهي تزييف اليهود لقصة نسبهم ، وما يتصل بها من حقوق .. حتى وجدنا بعض حكام المسلمين يرددون زيف اليهود .. وكأنه حقيقة تربعت على عرشها ، وتزينت بزيها .

النسب العرقي أم النسب الديني ؟ :

وفي غمار هذا الزيف ، والمحاولات التي تجري لإلباسه ثياب الحقيقة وإجلاسه على عرشها ، ننسى الرابطة الحقيقية بين النسب الديني كشرط للحصول على حقوق الإرث والتملك ، وبين عدم كفاية النسب العرقي لنوال أي حق من حقوق الإرث والتملك أيضاً ..

سواء كان الإرث إرثاً مادّياً أو معنوياً ، وسواء كان التملك تملكاً شخصياً أو جماعياً .

وهذه المسألة يجب أن ينتبه إليها المسلمون قبل غيرهم .

فللإسلام في شأن النسب وحقوقه موقف حتمي .. حيث يصل الإنسانية كلها من الناحية العرقية بآدم عليه السلام ، ويأبى أن يرتب على هذا النوع من النسب العرقي أي حق من الحقوق المادية أو المعنوية سوى الشركة في الأصل الواحد والحقوق الإنسانية العامة لهذه الشركة من مساواة أمام القانون ، وعموم الجزاء الدنيوي .. ثوابه وعقابه ، وعموم التكليف بالإيمان ، وشمول الدعوة وإقامة البرهان لهم ، والحجة عليهم، فأوجب الإسلام على المسلمين دعوة الخلق جميعاً إلى الله تعالى ، ولم يمنع من برّ الذين لم يقاتلونا - من غير المسلمين - ولم يخرجونا من ديارنا ولم يظاهروا على إخراجنا .

أما حقوق التوارث للممتلكات ، أو المعاملة الخاصة القائمة على الحب والتكافل والموالاة ، أو الجزاء الخاص بالنظام وإدارة الحياة والمواقع الاجتماعية .. فلا يكفي بشأنها النسب العرقي .. بل لا بدَّ من الإسلام للوصول إلى هذه الحقوق .. إذ لا يرث الكافر مسلماً .. وكذلك التملك الابتدائي لبقعة من للأرض في ديار الإسلام لا يكفي بشأنها مجرد الانتساب إلى العروبة ، أو الجد « فلان » المسلم .. بل لا بدّ من إسلام الشخص أو الجماعة التي تملك هذه البقعة .. فرداً أو مجتمعاً، وإذا فتح الإسلام بلداً ما فإنه يقر الناس على عقاراتهم

وأملاكهم .. لكنه لا يسمح بإقطاع أرض جديدة لهم ، ولا يجيز لهم التصرف بما أقروا عليه من الأرض بالبيع لأجنبي غير مسلم .. بل إن الأرض في نظام الشرع الإسلامي وضعاً خاصًّا ، حيث لا تملك الأرض لأحد ولو كان مسلماً .. إنما تملك وتورث المنفعة فقط .. وتبقى الأرض لله يدافع عنها المسلمون ويرثونها باسم الله ، ويورثها الله من يشاء من عباده الصالحين . كما هي سنته في هذا الشأن ، إنه يورثها عباده الصالحين ، لعمارتها وكشف نعم الله فيها ، ويحرم منها الكسالى ، والمقصرين في الدفاع عنها ، وإعداد العدة لحمايتها .

المهم هنا أن النسب العرقي يشمل البشرية في أب واحد ولا صحة لما زيفه اليهود وعملاؤهم من أنهم انفردوا بأب بعد نوح هو سام بن نوح .. وهو غير الأب الذي ينتسب إليه العرب .. لأن من العرب من تهود ، ومن اليهود من أسلم ، ولا صحة أيضاً لانفصال سارة في النسب العرقي عن هاجر .. لأن الأب الواحد هو آدم ، ثم نوح من بعده ، ولا يعقل أن يفصل الدين اليهودي جميع أبناء سام عن جميع أبناء حام .. فهذه أيضاً مغالطات وتزييفات لا تثبت أمام العلم ولا يسلم بها العقل السليم .. إنما الجدير بالذكر أن الدين يصل المنفصلين عرقياً بنسب أرقى... وأولى وأهم في شرع الله الموحى به إلى جميع الرسل والأمم .. إذ يجمع كل من أسلم في صلة الإسلام وفي صلة العرق عند آدم ونوح عليهما السلام .

كما أن انفصال الرابطة في الدين تقطع الصلة العرقية ، وتنهي أهميتها، وتلغى أية قيمة لها بالمرة ، هذا ما يسلم به اليهود ، أيضاً

لأنه يرضي أهواء اليهودية .. ويسلم به المسلمون .. لأنه مقتضى شرع الله ووحيه، لكن اليهود يناقضون أنفسهم بادعاء يهودية الأنبياء والمرسلين .. وهذا محظ التزييف الخطير .

اليهود ينتسبون إلى إبليس :

ينتهي النسب الديني لليهود المعاصرين جميعاً ، وكل من حَّرف شرع الله ممن قبلهم إلى إبليس .

كما قال لهم المسيح عليه السلام: (إنكم من ذرية إبليس ، وشهوات أبيكم تفعلون) .

أما الذين أسلموا من بني إسرائيل .. سواء مع يعقوب أو يوسف ، أو موسى أو هارون ، أو داود أو سليمان .. فهؤلاء جميعاً أبناء الإسلام ، ونسبهم الديني ينتهي إليه .. وهذا التقسيم هو الذي يوجب الله العمل به ، والسير على منواله .. ألم يعلمنا هذا حين قال الله تعالى لنوح عن ابنه من صلبه ﴿ إنه ليس من أهلك ... ﴾[1]... وحين قال عن الذين أسلموا مع نوح ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾[2] ... وحين قال الله تعالى لإبراهيم ﴿ ... لا ينال عهدي الظالمين ﴾[3] ردًّا على طلب إبراهيم لما قال له المولى ﴿ إني جاعلك للناس إماما ﴾ فطلب لذريته الإمامة قائلا : ﴿ ومن ذريتي ﴾ قال الله جل شأنه ﴿ ... لا ينال عهدي الظالمين ﴾

---

(١) سورة هود ، الآية ٤٦ .
(٢) سورة الصافات ، الآية ٧٧ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

وقد أكد الإنجيل هذا المعنى فيما بقي منه بعد التحريف ..
يقول الزعبي[1] :

« ولقد صرح الإنجيل بقطع صلة اليهود بالنسب الإبراهيمي ، وأرانا قوماً ليسوا من ذريته يتكنون في حضنه ، وقوماً من ذريته يطرحون خارجاً (إنجيل متى ٢ و ١٨ و ٢٥) ذلك لأن الله أعطاهم كرماً (كرم الوحدانية والإسلام) ، فتركوه وعملوا في كرم آخر (كرم الكفر والإفساد والأنانية) (إنجيل لوقا ١٤ ، ٢٠ ومرقس ١٢) .

ولهذا كان موقف إبراهيم مع أبيه كما يصوره القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾[2] وهو معنى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان الأنبياء والرسل ..

كما جاء في قوله تعالى ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[3].

ومعنى قوله تعالى ﴿ ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾[4]

ومعنى قول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ... ﴾[5] .

---

(١) حقيقة الماسونية ، طبعة الدار العربية، ص ١١٠ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١١٤ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٨ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٦٧ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ٢٣ .

فالانتساب إلى الإسلام .. وهو نسب جميع الأنبياء هو الذي يعطي المسلمين حقوق توريث وتوارث بعضهم بعضاً ، ويقطع صلة غير المسلمين بالمسلمين قطعاً بائناً لا يستحقون معه أي حق تجاههم .

أرض فلسطين إسلامية :

وبما أن أرض فلسطين لم تكن في يوم من الأيام مقرًّا مملكواً للإسرائيليين بإسم كفار بني إسرائيل .. لا في القديم ولا في الحديث .. فإن ادعاءهم بشأنها باطل وزيف لا أصل له .. لأن الأنبياء الذين عاشوا فيها ، وصارت لهم فيها سلطة .. كداود وسليمان لم ينالوا هذه السلطة باسم الكافرين من بني إسرائيل .. بل قامت سلطاتهم باسم الإسلام . فمن أسلم استحق ميراث المسلمين ، ومن لم يسلم كيف يطالب بحق الصلة بالذين لعنوه وتبرأوا منه .. وعليه فاليهود أبناء إبليس في العقيدة ، وعمومتهم من الشياطين لا من المسلمين .. ولهذا جاء النهي عن موالاتهم ، كما جاء البيان من الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[1] ، لأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين ... كما جاء بشأنهم ﴿ لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾[2] ، ولأنهم ﴿ ... ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتّقون ﴾[3] .. وما على المسلمين إلا أن يقرأوا القرآن

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥١ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٨٢ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٥٦ .

ليجدوا فيه حقيقة اليهود الواضحة ، وحقوقهم إن كانت لهم حقوق ، وبراءة الأنبياء منهم وممن والاهم .

أما النموذج الثاني : فهو المقال الذي نشرته مجلة « الوعي الإسلامي » الكويتية في عددها رقم ٣١ الصادر في غرة رجب عام ١٣٨٧ هـ[1] ، تحت عنوان : « المسيحية وتأليه المسيح ونظرية الفداء والتثليث » ... تناولت فيه المجلة أيضاً حقائق الأناجيل، وكونها لا تحوي أية إشارة عن التثليث ، ولا عن عقيدة الفداء وألوهية المسيح، ومدى صلة بولس الرسول، الذي يعود إليه الفضل في تحويل المسيحية من دين خاص ببني إسرائيل إى دين عالمي ، مدى صلته بديانة الرومان وديانة قدماء المصريين ... موضحة أيضاً مسألة عقيدة الخطيئة والفداء ، وما تدعيه الكنيسة ، مؤكدة بأن الإسلام لم يعرف الكنيسة ولا الكهنوت ، الأمر الذي حدا بمفكري الغرب الإشادة بعظمة الإسلام .

وهذا نص المقال :

« المسيحية وتأليه المسيح ونظرية الفداء والتثليث »

قلنا إن أناجيل متى ومرقص ولوقا ، لا تحوي أية إشارة عن التثليث ، ولا عن عقيدة الفداء وألوهية المسيح ، وتساءلنا فمن أين

---

(١) يوافق هذا التاريخ — اليوم الخامس من أكتوبر ١٩٦٧ م .

جاءت - إذاً - هذه الأفكار التي لم ترد في الأناجيل ؟ وهنا نردُّ على هذا السؤال .

إنجيل يوحنا :

لقد ذكرت المجلة أن الأناجيل التي يعتمدها المسيحيون أربعة ، وأنها أفردت ... الأناجيل الثلاثة « متى ومرقص ولوقا » بالحديث في أعدادها السابقة ، وفي هذا العدد ستتناول بالحديث الإنجيل الرابع ، « إنجيل يوحنا» .. والمظنون أن هذا الكلام عن هذا الإنجيل سيغنينا عما تحدثت عنه المجلة - في أعدادها السابقة - بشأن الأناجيل الثلاثة سالفة الذكر - لا سيما إننا هنا نقدم النماذج لا التفاصيل — وهي تدحض تلك الدعاوى الباطلة ... فيقول المقال :

يقول ول دورانت عن هذا الإنجيل :

« ولا يدعى الإنجيل الرابع أنه ترجمة ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية ، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية ، وهو يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح[1] .

وغير دورانت من كبار المفكرين يشكّون في نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا حواري المسيح .

والإجماع يكاد ينعقد بين المفكرين على أنه آخر الأناجيل ،

---

(١) قيصر والمسيح ، ص ٢٠٩ .

ويحددون لوضعه أواخر القرن الأول المسيحي ، ويرون فيه انعكاس الآراء الفلسفية التي كانت سائدة في العالم الهلينستي في هذه الفترة ، كما يعبر عنها الفيلسوف اليهودي «فيلو» ، والذي كان يقول : إن الكائنات خارج الله قبل أن توجد كانت أفكاراً في العقل الإلهي ثم تطورت هذه الأفكار إلى كلمة (Logos) وكان «فيلو» يقول عن العقل الإلهي إنه أول ما ولد الله وهو ابن الله من الحكمة العذراء، كما كان يقول إنه عن طريق الكلمة كشف الله عن نفسه للإنسان .

هذه الآراء التي قال بها الفيلسوف اليهودي « فيلو » محاولا فيها التوفيق بين الفلسفة الأفلاطونية والعقيدة اليهودية .. هي التي ألفت الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا على ما يقول ول دورانت، حيث تجري عبارات هذا الإصحاح على الوجه التالي :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله » ، إلى أن يقول :

والكلمة صار جسداً وحل فينا وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الأب مملوءًا نعمة وحقًّا[1] .

وهكذا جاء إنجيل يوحنا بهذه الملامح الجديدة للمسيحية ، ولم يكن إنجيل يوحنا في هذا منشئاً ، بل كان يعكس التطور الجديد الذي طرأ على المسيحية على يد بولس الرسول ، الذي كان بحق

---

(١) ول دورانت ، ص ١٠٥ .

صاحب الفضل في تحويل المسيحية من دين خاص ببني إسرائيل إلى دين عالمي ، ولكنه وهو يفعل ذلك انتقل بالمسيحية من بساطتها الأولى ونصاعة تعاليمها ، إلى هذه الأفكار المعقدة التي صارت إليها في ظل الكنيسة ، والتي يعتبر بولس بحق منشئها وبانيها ، وواضع أساس سلطانها الذي لم يسبق له مثيل .

ولم يكن بولس هذا الذي أحدث في المسيحية كل هذا الأثر والتطور من تلامذة المسيح ، بل لم يكن ممن رأوا المسيح في حياته ، وكان أشد الناس اضطهاداً للمسيحيين ، وكان يسمى « شاول » ولندعه الآن يقدم لنا نفسه وكيفية إيمانه بالمسيح ، كما روى عنه في سفر أعمال الرسل .

بولس الرسول :

« إني رجل يهودي ولدت في طرسوس كليكلية ، لكني ربيت في هذه المدينة (أورشليم) وتأدبت لدى (كاهنها) على حقيقة الناموس الأبوي ، وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم ، وقد اضطهدت هذه الطريقة (المسيحية) حتى الموت مقيَّداً ومسلماً إلى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشيوخ الذين أخذت منهم رسائل إلى الإخوة وانطلقت إلى دمشق لآتي بمن هناك إلى أورشليم موثقين ليعاقبوا ، فاتفق وأنا سائر وقد دنوت من دمشق عند الظهر أن أبرق حولي من السماء بغتة نور عظيم ، فسقطت إلى الأرض ، وسمعت صوتاً يقول لي : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟

فأجبت : من أنت يا رب ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصري[1] الذي أنت تضطهده ، والذين كانوا معي رأوا النور ولكن لم يسمعوا الصوت الذي كلمني[2] ، فقلت ماذا أصنع يا رب ؟ فقال لي الرب : قم وامض إلى دمشق وهناك تخبر بجميع ما رسم عليك أن تفعله » .

ويمضي بولس في قصته ، وكيف أنه أصبح لا يرى ، ثم ارتد مبصراً وكيف حصل له – على حد تعبيره – (انجذاب) وأخذ على عاتقه أن يبشر بيسوع المسيح ابن الله الحي الذي بعثه الله ليكون فداءً للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم .

ولما كانت هذه التعاليم لم يقل بها المسيح ولا واحد من أصحابه المقربين فقد كان طبعياً ألا تلقى رواجاً بين اليهود ، حيث رفضت أكثريتهم الساحقة الاعتراف بأن يسوع هو مسيحهم المنتظر ، فالمسيح في عقيدتهم سيكون ملكاً يعيد سلطانهم على الأرض ، وليس إنساناً عادياً يرفع على الصليب وهم الذين يلعنون من يرفع على الصليب .

ومن هنا فقد اتجه بولس بدعوته إلى شعوب الإمبراطورية الرومانية، ولما كانت الكثرة الغالبة من سكان هذه الإمبراطورية عبيداً أرقاء يعيشون في الألم والعذاب ، فقد وجدوا في القصة التي

(١) أنظر إلى الإجابة وصراحتها من أنه عيسى المولود في الناصرة .

(٢) ذكرت هذه الواقعة عكس ذلك في نفس هذا السفر حيث جاء في الإصحاح التاسع : أما المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا .

حدثهم عنها بولس من أن الله أرسل ابنه الحبيب ليتألم ويتعذب على الأرض كفارة عن ذنوب الخاطئين، وجدوا في هذه الفكرة عزاء لآلامهم وأحزانهم ، كما وجدوا في تبشير بولس باقتراب ملكوت السماء ، وقرب قدوم المسيح لإنقاذهم ، أملاً في التحرر من ربقة الاستعباد ، ونيل الحظوة في السماء .

ولكي يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته لم يفتأ يوصي العبيد بأن يخدموا أسيادهم في أمانة وإخلاص مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعنتوهم .

بل وأن يخضع الكل للسلاطين والحكام في غير تذمر أو احتجاج ، « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فإنه لا سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة إنما رتبها الله ، فمن يقاوم السلطان فإنما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على أنفسهم » .

أيها العبيد أطيعوا سادتكم الجسديين بخوف ورعدة بسلامة قلوبكم كطاعتكم للمسيح ، لا بخدمة العين كما يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين بمشيئة الله من قلوبكم »[1] .

أما وقد جعل بولس سبيل دعوته ضرورة خضوع الناس جميعاً للسلاطين باعتبارهم يمثلون مشيئة الله ، وخضوع العبيد والارقاء لأسيادهم كما يخضعون لله ، فقد تركته السلطات يبشر بدعوته التي لا حرج فيها ولا خطر ، ما دامت تنتهي إلى مضاعفة العبيد لجهدهم في خدمة أسيادهم ، وخضوع الرعايا لحكامهم .

---

(١) بولس. الإصحاح السادس .

وزاد بولس على ذلك كله أن أعفى المسيحيين الجدد من فريضة الختان التي كان اليهود يفرضونها على أنفسهم ، بل وأعفاهم من كل الطقوس والعبادات التي يأخذ بها اليهود، مما يطلق عليه اسم الناموس أو الشريعة .

ويصل في ذلك إلى حد الاختلاف مع تلامذة المسيح وحوارييه وعلى رأسهم بطرس نفسه ، (فالبر أصبح بالإيمان وليس بالناموس) .

بولس وألوهية المسيح :

ولخص بولس المسيحية في الاعتقاد بألوهية المسيح وأنه ابن الله الحبيب ، وقد أنزله الله على الأرض ليتعذب ويموت على الصليب ، فيكون في موته كفارة عن خطايا البشر التي وقعوا فيها نتيجة خطيئة آدم الأولى ، وليرفع عن البشر لعنة الموت الذي كتب عليهم بعد غضب الله على آدم ، وحسب الإنسان أن يؤمن بالمسيح ابن الله لكي يتبرأ من الخطيئة بدون أي عمل آخر ولكي يسلم من الموت .

هذا وفي جانب آخر من المقال الذي نشرته مجلة « الوعي الاسلامي » الكويتية .. أشارت إلى صلة بولس بالرومان وقدماء المصريين وبالمجامع المسيحية في أورشليم ونيقيه والقسطنطينية ...

التثليث :

لا أثر لفكرة التثليث في الأناجيل أو أعمال الرسل ، أو رسائل

الرسل المنبثة في العهد الجديد ، وإذا كنا نجد فيها إشارات لألوهية المسيح أو ربوبيته – كما يقولون – فلن نجد فيها أي إشارة عن قرب أو بعد لتأليه روح القدس ، بل إن إنجيل لوقا أفصح عن أن روح القدس هو جبريل عليه السلام كما يقول القرآن الكريم :

« وفي الشهر السادس من الحمل بيوحنا – أرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود ، اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فقال لها لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية »[1] .

وليس يعنينا الآن من هذه الرواية إلا أن روح القدس الذي خاطب مريم وبشرها بيسوع هو الملاك جبريل .

فألوهية روح القدس إذاً شيء غير وارد في الإنجيل ، ولذلك وجد من كبار المسيحيين في القرون الأولى من قرر أن روح القدس مخلوق ، وبولس الرسول الذي له أربع عشرة رسالة في العهد الجديد مقدسة كلها ، لا يذكر النعمة إلا مقترنة بالأب والإبن فقط « النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح »[2] .

ولا نريد أن نمضي طويلاً في هذه المناقشة التي استوفاها

---

(١) لوقا ــ الإصحاح الأول .

(٢) كورنتس الثانية ــ الإصحاح الأول .

أعظم استيفاء أخونا العلامة الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه (المسيح في القرآن) .

وحسبنا أن نستعرض التثليث كما تقول به المسيحية المقررة تقوم عقيدة التثليث على الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم أو ثلاثة شخوص « الأب والإبن وروح القدس » وهذه الأقانيم الثلاثة ظواهر لحقيقة واحدة ، واحد في ثلاثة ، وثلاثة في واحد ، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها ، ولكن ذلك لا يقال إلا على سبيل التبسيط ، وإلا فعقيدة الثالوث شيء معقد يسلم المسيحيون جميعاً أنه فوق العقل والإدراك ، ذلك أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة له خصائصه وذاتيته التي لا تختلط بالذاتين الآخرين .

« فالأب لاهوت بحت وهو الخالق ، والإبن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادي ، والروح القدس لاهوت محض وهو المطهر المنبثق من الأب » ، فنحن كما ترى إزاء ثلاثة شخوص أو أقانيم - سمّها كما شئت - الكل منها خصيصة ، وتوجد منفصلة بعضها عن بعض فالإبن مولود من الأب ، والإبن يجلس إلى يمين الأب ، وهكذا يجد الإنسان نفسه أمام ما يشبه أن يكون ثلاثة آلهة ، ولكنها في الحقيقة إله واحد ، إنهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة ، وهكذا دواليك[1] .

(١) قارن هذا بنصاعة التوحيد الإسلامي وبساطته وقوته وهو ما يعترف به مفكرو المسيحيين أنفسهم وقادة الرأي فيهم ، حيث يقول القرآن الكريم ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ ، (سورة الإخلاص) .

عقيدة الخطيئة والفداء :

ننتقل الآن إلى العنصر الرئيس الثاني من عناصر المسيحية وهو فكرة الخطيئة والفداء ، والتي كان بولس الرسول هو القائل بها ولم تلبث المجامع المسيحية أن اعتبرتها جوهر الإيمان المسيحي .

تقوم فكرة الخطيئة والفداء ، على ما جاء في التوراة والقرآن ، من أن آدم أبا البشر أخطأ وعصا الله عندما أكل من الشجرة ، وغني عن البيان أن ذلك حدث ليتحقق سابق علم الله من خلق البشر وتكاثرهم وتعميرهم لهذا الكون ، ولذلك فإن القرآن الكريم يقول لنا في بساطة المنطق الإلهي ووضوحه ، إن الله عفا عنه : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾[1] .

أما العقيدة المسيحية فتقول لنا إن الله لم يغفر لآدم خطيئته ، بل أن غضبه لم يقف عند حد آدم ، بل تناول كل ذريته من بعده ، فقضى عليهم أن يعيشوا في الخطيئة أبداً ، وأن يلاحقهم الموت بالتالي .

ولا نتساءل الآن ما ذنب ذرية آدم وهم لم يخطئوا[2] ، وكيف يتفق هذا الغضب مع وصف المسيح له بأنه محبة ورحمة كله ؟ .

لا محل لتوجيه هذه الأسئلة فردهم عليها دائماً حاضر ، وهو

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٢) ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ... ﴾ ، سورة فاطر ، الآية ١٨ .

أن الله لا يسأل عما يفعل ، وعلى كل حال فإن مجيء المسيح هو آية عفو الله عن البشر وتداركهم برحمته ، فقد رأى الله أن يتصالح مع البشر ، فأرسل ابنه الحبيب ليتجسد على الأرض بشراً سويًّا ، ليعيش ويتعذب ويتألم ويرفع على الصليب ويموت فيكون في موته كفارة عن خطيئة آدم وذريته ، ومن هنا يطلق على المسيح اسم الفادي والمخلص .

ولا نريد أن نتساءل أيضاً ألم تكن هناك وسيلة ليظهر الله بها عفوه عن بني آدم إلا هذا الأسلوب ؟ فنحن ممن يسلمون أن الدين أي دين لا يمكن إلا أن ينطوي على أمور يجب تقبلها كما هي ، ولكن السؤال الذي لا يستطيع أي إنسان له عقل أن يرد نفسه عن توجيهه مهما غرق في بحار التصديق والاعتقاد ، هو السؤال التالي :

إذا كان المسيح ابن الله قد نزل على الأرض خصيصاً ليقوم بهذا الدور ، فكيف لم يشر إليه عن قرب أو بعد ، بل كيف لم يلفت الانتباه إليه في وضوح وصراحة ، وهو محور العقيدة ولبها ؟ والمطالع للأناجيل لا يرى في تصرفات أي نبي أو رسول ، حيث يعظ ويهدي إلى الطريق المستقيم ، ويقول لمن يسأله عن الطريق للوصول إلى ملكوت السماء ، أن ينفذ الوصايا العشر .

أما السؤال الثاني الذي يفرض نفسه كذلك تأسيساً على الاعتقاد بنظرية الفداء : هل معنى تكفير المسيح عن أخطاء البشر أن لم يعد ثمة لوم أو تثريب عليهم ، إذا هم عصوا أو أخطأوا

فقد تمت المصالحة بينهم وبين الله ، وكفر المسيح عنهم بدمه ؟

هنا تتولى الكنيسة الرد على هذا التساؤل بهذا القول الذي يفسر لنا سر خضوع مئات الملايين من البشر للكنيسة الغربية ولبابا روما بصفة خاصة، هذا الخضوع العجيب خلال عدة قرون .

تقول الكنيسة :

إن المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر ، قد تمت لحساب الكنيسة ، فجسد المسيح ودمه الذي يكفر عن الذنوب والخطايا ، محفوظ عند الكنيسة ، وهي وحدها التي توزعه على من يعطيها ، فيصبح من الناجين ، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه جسد المسيح أو دمه ، فإنه يصبح من الهالكين ، لا في الآخرة ، وإنما في هذه الدنيا ، حيث كان يحرق بالنار كل من تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان .

ولن يستطيع أي مسلم وربما أي مسيحي شرقي أن يتصور ما الذي تعنيه كلمة الكنيسة وسلطان قساوسة الكنيسة في أوربا القديمة ، فالإسلام لم يعرف الكنيسة ولا الكهنوت ، وهو ما يجعل مفكري الغرب يشيدون بعظمة الإسلام ، والكنيسة الشرقية لم تمارس في كل تأريخها السلطة الزمنية ... ولن تكمتل دراسة المسيحية إلا إذا فصلنا لك الأمر عن الكنيسة وأسرارها التي تحتفظ بها لنفسها ، والتي إن عرفتها الكنيسة الشرقية عبادات روحية ، فقد طبقتها الكنيسة الغربية سلطة زمنية على ملايين البشر نفوذاً وأحكاماً وقصاصاً

وحرماناً وضرائب مالية ، جعلت الباب حيناً من الزمان يتربع على عرش أباطرة الرومان ، ويمارس من السلطة والنفوذ ما لم تحلم به القياصرة في جبروتها .

ب ـ شرائع اليهود والنصارى وغيرهما في الصحافة الإسلامية :

سنقدم في هذا الصدد نموذجين للوظيفة الهجومية في صحافتنا الإسلامية على الشرائع والأنظمة المخالفة لشريعتنا الإسلامية الغراء .

النموذج الأول – يتمثل بالمقال الذي نشرته مجلة « الاعتصام » المصرية بعددها الثالث الصادر في شهر ذي القعدة عام ١٣٩٥ هـ[1] تحت عنوان : « النقيضان لا يجتمعان ... فإما مسلم وإما شيوعي » ، أكدت فيه أن « الإسلام » عقيدة في القلب ، وقانون في الحكم ، ونظام في المجتمع ، وقواعد في الأخلاق ، ودستور للحياة ، ودعوة إلى العلم الصافي من الشوائب المنطلق نحو الحقيقة العلمية والخير العام .

أما الشيوعية – فهي مذهب مادي يؤمن بالمادة وحدها، وما الإنسان إلا آلة مسخرة بينه وبين الدولة ، الفرد وسيلة والدولة هي الغاية، كما أن الشيوعية تسعى للقضاء على حرية الفكر والاعتقاد وحرية البحث العلمي .

فهذا مما يناقض الإسلام وشرائعه ... ونترك هنا المجال

---

(١) يوافق هذا التاريخ شهر « نوفمبر » عام ١٩٧٥ م .

للقارىء الكريم كي يطّلع على نص المقال ... ثم ليتدّبر ويحكم :

« النقيضان لا يجتمعان ... فإما مسلم وإما شيوعي »

من أبسط قواعد المنطق أن النقيضين لا يجتمعان ، ولا يعقل أن يزعم إنسان لنفسه الكفر والإيمان في آن واحد ، أو أن يزعم إنسان لنفسه تمتعه بالحرية وتقيده بأغلال الذل والعبودية في وقت واحد .

إن الإسلام عقيدة في القلب ، وقانون في الحكم ، وقواعد في الأخلاق ، ونظام في الاجتماع ودستور للحياة السعيدة ، لأن الإسلام دين ينظم ويرسم لنا السلوك السوي الذي به نحيا سعداء في الدارين .

أما الشيوعية فإنها مذهب مادي يؤمن بالمادة وحدها ، ويرى أن حركات التأريخ والانقلاب الاجتماعي والفتوحات الدينية كانت لغرض مادي ، وكانت في سبيل التملك والتوسع ، وهذا المذهب الشيوعي يهدف إلى محو الملكية الفردية ، وتمليك الدولة كل المرافق العامة ، تتعهدها وتستغلها وتأخذ من كل على قدر طاقته وتعطيه على قدر حاجته ، وهذا يستلزم حتماً إلغاء المنافسة بين الأفراد وإلغاء الحرية الشخصية ، فهم لا يعملون إلا ما تمليه عليهم الدولة الشيوعية ولا ينتجون إلا ما تريد وقدر ما تريد ، كما أن الشيوعية تعمل على محو الدين من النفوس وتكفر بالله واليوم الآخر وتوقد نار الحرب بين الطبقات بإفهام العمال الفقراء أن أصحاب العمل

والأغنياء ظلموهم وأخذوا كدَّهم وأنه يجب الثورة عليهم . لقد صدر في ١٩١٨/٢/٥ قانون شيوعي نص على فصل الدين عن الدولة بإباحة الإلحاد وتحريم تعليم الدين في المعاهد والهيئات .

ويقول لينين في كتاب أرسله إلى مكسيم جوركي الكاتب الروسي المعروف :

إن البحث عن الله لا فائدة منه ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد وليس لك إله، لأنك لم تخلقه بعد والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق .

وهكذا نرى أن الشيوعية تدعو إلى الكفر والإلحاد ، على نقيض الإسلام فإنه يدعو إلى التوحيد والإيمان ، قال تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾[1].

وفي مجال العلم يكتب الأستاذ كوماروف فاضحاً الشيوعية التي تقيد العلم بقيد الفكرة الشيوعية وهو أحد أعضاء الأكاديمية السوفيتية البارزين يكتب في صحيفة ازفستيا في أول يناير ١٩٣٣ م يقول : « العلم في روسيا لا يكون علماً إلا إذا قيد بالمبدأ الشيوعي وسخر لخدمته وإذا بعد عن هذا النطاق وتحرر من القيد فلا يكون علماً جديراً برعاية الشيوعيين ، بل يصبح وقد زايلته صفة العلم شيئاً جديراً بالمحاربة والإضطهاد » .

---

(١) سورة البقرة – الآيات ١، ٢ ، ٣ ، ٤

وفي عام ١٩٣٠ م أعدم الشيوعيون ثمانية وأربعين من أبرز علماء الاقتصاد في روسيا كان من بينهم العالمان الكبيران ربازانتف ، وكاراتوبجين لاختلافهما في وجهة النظر الاقتصادية بالنسبة للمذهب الشيوعي ، ويقول الأستاذ بجامعة فريبورج : « إنه أثناء طوافه بروسيا أفضى إليه أحد العلماء الروس هامساً : « نحن معشر العلماء لسنا إلا ممثلين ، عليهم أن يؤدوا أدوارهم الكوميدية بطريقة آلية ، ولا تصدق كلمة واحدة مما تقوله صحافتنا » .

وفي سنة ١٩٤٨ م أعلن الرفيق ليزنكو في شهر يوليو من ذلك العام أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تبنت نظرية ميتشورين ، وقررت إغلاق المعامل التي يجري العمل فيها على أساس نظرية مندل ، التي تقول إن الوراثة تتم في الأحياء من نبات وحيوان بطريقة طبيعية والتي تذكر ظروف البيئة ، ثم قال : « وهكذا تتدخل الدولة الشيوعية حتى في طريقة الاستنتاج العلمي ، وفي هذا قضاء على حرية البحث العلمي والاستنتاج الفكري القائم على موضوعية العلم وهذا منتهى العبودية لآدمية الإنسان في النظام الشيوعي .

بينما الإسلام يدعو إلى العلم الصافي من الشوائب ، المنطلق نحو الحقيقة العلمية والخير العام ، فإن أول كلمة نزل بها الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم هي كلمة «إقرأ» ، ولم يجعلها مرسلة في متاهات الظلمات ، بل أنارها بتحديد مجالات الإنارة العلمية وحفظها من كل ما يشوب نقاءها وصفاءها ، فقال جل جلاله ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ حتى تكون الهداية الربانية حليفها ،

والتوفيق الإلهي أليفها ، فتكون عملية التعلم في حفظ دائم من هوى النفس ومداخل الشيطان ، في عبادة الرحمن وخدمة الإنسان لأخيه الإنسان ، ثم تأكيداً لهذه العبودية لله ، قال ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾[1] — وفي عبارة الذي خلق : رد على الشيوعيين المنكرين لوجود الله .

والإسلام جعل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها »[2] منتهى الحرية في البحث ، ونهى عن التعصب في الفكر ، مما لا يدع مجالا للحجر على العقل الإنساني ، ولا توجد مصادرة على المطلوب كما هو منطق الشيوعيين بأن المقدمات لا بدَّ وأن تتفق نتائجها وما يريده المذهب الشيوعي من حتمية نتائج تساعد على التشاحن بين الطبقات .

وفي الوقت الذي قضي على حرية الاعتقاد وحرية البحث العلمي في النظام الشيوعي : نجد الإسلام – كما سلف – ينادي بتحرير فكري في مجال البحث العلمي – وأما في مجال الاعتقاد فقد أعلن الإسلام بما لا يدع مجالا للشك أنه ﴿ لا إكراه في الدين ﴾[3] ، ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[4] ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[5] .

---

(١) سورة العلق ، الآية ١ .
(٢) الذي يظهر لي أن هذا الحديث – لا أصل له – والله أعلم .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .
(٤) سورة يونس ، الآية ٩٩ .
(٥) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

مما تقدم يتضح انتفاء حرية العقيدة وحرية البحث العلمي في النظام الشيوعي ، على نقيض الإسلام ، والنقيضان لا يجتمعان فإما أن يكون الفرد مسلماً أو يكون شيوعياً .

تعقيـــب :

ومن أجل الدفاع عن قيمنا ومبادئنا وعقيدتنا وشريعتنا الغراء فإننا لا نمل من القول أو الإشارة المناسبة في كشف حقائق الأمور ، ونضيف إلى المقال – سالف الذكر – الإضافة الموجزة التالية ، فنقـول : إذا كانت تنظيمـات الـيسار والتجمعـات الماركسيـة والاشتراكية في الساحة العربية الإسلامية ما زالت تنفذ مخططاتها المضللة – وفق سياسة عدم تعجل الثمرة وألا يضيع الممكن في طلب المستحيل – أو الحيطة إذا لزم الأمر والاستعلان بالحقيقة إذا زالت الضرورة ، فهناك مرحلي معلن من الأهداف وهناك خفي ثابت منها ..

يقول لينين في خطابه أمام المؤتمر الأول للعاملات الروسيات : « عندما نناضل ضد خرافات الدين لا بد أن نتخذ الاحتياطات ما هو فوق العادة ، ذلك أن الذين يقحمون في دعايتهم ضد الدين إهانات لمشاعر المتدينين إنما يوقعون كثيراً من الضرر بالقضية التي يناضلون من أجلها ... وبعد أن أحكم الشيوعيون قبضتهم على الأمور – تغيرت النغمات ، وهذا لينين يناقض قوله السابق قائلاً : إن حزبنا هو رابطة التقدميين الواعين المناضلين من أجل تحرير الطبقة العاملة ... ومثل هذه الرابطة لا تستطيع – ولا ينبغي لها – أن

تنظر إلى ما تمثله المعتقدات الدينية من الظلام والجهل وانعدام الوعي نظرة لا مبالاة » .. فالماركسية تفتح أبوابها لبعض المتدينين من المداهنين ، أو من ذوي النوايا الحسنة، وتبارك الإسلام وتعلن ألا تناقض بين الإسلام ومذهب قاعدته الأولى « إن الدين افيون الشعوب » ، وتتفضل فتمنح دين الله وساماً لكونه نظاماً ثورياً إنسانياً في مرحلة ما من التاريخ ، فإن تنظيمات اليسار لا تفعل ذلك حرصاً على الاسلام والمسلمين ولا حباً في الله ورسوله، ولكنه المكر الخفي الذي يتربص بالاسلام الدوائر لينشب فيه اظفاره ومخالبه، المخفية تحت القفازات الحريرية الناعمة الملمس، وليس هذا رجماً بالغيب، ولكن عبرة التأريخ نسوقها لكل مسلم ليمحص ويتدبر ... قال تعالى « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد»[1].

أما النموذج الثاني : فيتمثل بالمقال الذي نشرته مجلة «الوعي الاسلامي» الكويتية، بعددها رقم ٦٨ الصادر في شهر شعبان ١٣٩٠هـ[6] تحت عنوان «هؤلاء ابتغوا الاسلام ديناً».

فبعد أن تقدم لنا المجلة قصة اسلام رجلين وإمرأة .. جاءوا إلى جامعة الأزهر ليدرسوا اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم . وما دار بين ممثلها وبين هؤلاء من حديث طويل ، رووا فيه قصة إسلامهم ، ولمحات من حياتهم السابقة وكيف كانوا يعيشون قبل

(١) سورة ق . الآية ٣٧.

(٦) يوافق هذا التأريخ شهر أكتوبر عام ١٩٧٠ م .

إسلامهم حياة مادية كاملة، وعند اختيارهم دين الإسلام بعد دراسات مستفيضة وقراءات طويلة وجدوه دين العقل والحق، دين البشرية والأسرة.

ثم نتلمس ردودهم على كل الإفتراءات الكاذبة التي يلصقها المشككون بالإسلام وشريعته .

وفيما يلي ما تضمنه المقال أو تضمنته هذه المقابلة :

« هؤلاء ابتغوا الإسلام ديناً ... »

ونبدأ بأول عناصر هذه القصة .. الأخ مصطفى يوسف ، الذي كان يسمى في السابق « ستيفنس كلارك » .. وهو أمريكي الجنسية من مواليد مدينة نيويورك وعمره ٢٢ عاماً .. متخرج من جامعة كولومبيا، قسم الأديان الشرقية ..

يقول الأخ مصطفى .. كانت المادية التي سيطرت على مختلف نواحي الحياة تبعث في نفسي الضيق والاضطراب .. و كنت أبحث عن مخرج ينتشلني من حومة القلق القاتل الذي ألَّم بحياتي .. كنت أبحث عن الحياة الإنسانية الصحيحة التي تحكمها روابط المودة والإخاء والحق والعدل والسلام .. كنت أنشد الاستقرار الروحي الذي يوصل إلى السعادة الحقيقية .. وفي طريق البحث المستمر صادفتني موجة « الصوفية » السائدة بين الشباب المسلم ، فاستهوتني ، ونالت اهتمامي .. وفي نفس الوقت دفعتني لدراسة هذا التصوف .. فالتحقت بجامعة كولومبيا ــ قسم الأديان الشرقية، وكان من الطبعي أن أدرس الأديان عامة ، ومن بينها الدين

الإسلامي ، ولكني تبينت بعد فترة من الزمن أن الدراسة بالقسم المذكور مركزة في البوذية والهندوكية ، فلجأت إلى مكتبة الجامعة التي كانت تحتوي على كثير من كتب التصوف في الإسلام ، وأقطاب المتصوفين . ثم تابعت قراءاتي في المكتبة العامة بالمدينة .. وكان الغزالي من أحد الشخصيات التي قرأت لها ، في كتابه « إحياء علوم الدين » .. وبعض الكتب الأخرى المترجمة .. كما قرأت عدداً كبيراً من التراجم لإشعار جلال الدين الرومي .. وغيرها .

وبعد الدراسة والاطلاع لمست أن كثيراً من تعاليم الأديان ، لا تتفق مع العقل والواقع .. فكيف مثلاً : إذا ضربني أحد على خدي الأيمن ، أدير له خدي الأيسر .. أو يتحول الخمر إلى دم المسيح ولحمه في بدن الإنسان .. وغير ذلك .. إنها مسائل تدخل في باب السحر ولا تدخل في باب الواقع، كما أن المسيح كان يعيش حياة يتعذر على الإنسان أن يحيا مثلها . إنه من عالم آخر ، وينبغي لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه ، ليستطيع أن يفعل مثله .. أما بالنسبة للإسلام .. فمحمد صلى الله عليه وسلم بشر ، وضع موضع الأسوة التي يمكن لكل بشر أن يقتدي بها ، لأنه بشر مثله .. وإيماناً بذلك قررت أن أعتنق الإسلام، فتوجهت إلى تونس حيث قابلت الشيخ الجليل الفاضل بن عاشور من علماء تونس المبرزين ، وأسلمت على يديه ..

ويجيء دور الأخ فارض رحمة الله .. وكان اسمه السابق « فيدور ايفان جفرنور » .. وهو فانزويلي الجنسية من مواليد مدينة

كاراكاس، عمره ٢٧ عاماً ، ومتخرج من جامعة كولومبيا قسم فن الإعلام الجماهيري، وشعبة الإنتاج السينمائي ..

فيقول الأخ فارض .. هجرت أسرتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ودرست في المعاهد العليا هناك ، ثم توجهت إلى إيطاليا حيث تخرجت في أكاديمية الفنون الجميلة بجامعة روما ، وعدت مرة أخرى إلى أمريكا لألتحق بجامعة كولومبيا، قسم فن الإعلام الجماهيري، شعبة الإنتاج السينمائي .. وخلال مراحل دراستي واتصالاتي لمست الكثير من التناقضات داخل المجتمع الأمريكي ، ووسط الطلاب .

وبعد تخرجي كانت معي مهنة ذات دخل عال يحتاجها المجتمع بكثرة ، فعملت في نيويورك ، وهوليود ، وكاليفورنيا ، وشيكاغو ... ومارست كل التقاليد والعادات المتبعة هناك .. وتمتعت بكل الامتيازات المادية من حياة فاخرة ، وغيرها من الأشياء التي يعرفها الناس ، والتي توفرها مهنة السينما .. والغريب أن كل فرد في العالم حين ينظر إلى الأفلام الأمريكية يتمنى أن يعيش الحياة الأمريكية ، وعندما يعرف الناس أنني قادم من أمريكا يدور بأذهانهم هذا المستوى الذي يرونه في أفلامهم .. ولكنني رغم ذلك كله اكتشفت أن ما أعيش فيه إنما هو حلم .. بل حلم فارغ .. أو حلم خطر .. فقد كنت أحلم بالنجاح في الحياة ، ولكنني بعد أن حصلت على هذا المتاع الدنيوي لم أجده شيئاً .. ولم أحصل على السعادة الحقيقية ، بل وجدت أنني كنت في خدعة كبرى ، ولم أجد أمامي طريقاً آخر ، فانغمست مرة أخرى في الشهوات

حتى وصلت إلى مرحلة أحسست أنني أعيش من خلالها في جهنم نفسها .. هذه جهنم التي يتمنى كل إنسان أن يدخلها ..

وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « حفت النار بالشهوات »[1] .. فالسيارات والنساء والخمر ، وكل ما تمتلكه الولايات المتحدة من هذه الشهوات والرغبات المادية .. ولم يعد أمامي غير احتمالين .. إما أن أستمر في هذه الخديعة الجهنمية ، وكان ذلك مستحيلاً بعد أن زاد شقائي ، أو أن أهرب منها إلى طريق آخر .. لكن ما هو الطريق ؟ فلا أعرف .. وخلال هذه المعاناة كان لا بد لي من قوة عليا تخرجني من تلك الحيرة ، ومن ذلك اليأس ، فنظرت عفواً إلى الدين ، وكنت منذ صغري مسيحياً كاثوليكياً ،، ودرست في المدارس الكاثوليكية بمدينة نيويورك ، ولكنها تركت انطباعاً سيِّئاً في نفسي ، ثم درست البوذية والهندوكية ، وبعض الديانات الوثنية ، ولكني لم أطَّلع على الإسلام طوال هذه المدة ، فقد كان من السهل الاطلاع على كل الأديان في أمريكا ، ما عدا الدين الإسلامي .. ويرجع ذلك إلى سببين :

– أولهما : أن المؤسسات اليهودية هي التي تتحكم في وسائل الإعلام من صحافة وسينما ومسرح .. وكل شيء .

– ثانيهما : أنه حدث أن تحول قسم دراسي بأكمله إلى الإسلام وتصادف أن جميع طلبته كانوا من السود .. والسواد هناك يساوي

---

(١) أخرجه مسلم ج/ ٤ ، ص ٢١٧٤ ، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» برقم ٢٨٢٢ ، والترمذي في كتاب «صفة الجنة» – باب حُفت الجنة – رقم الحديث ٢٥٦٢ .

في نظرهم الشيطان ، أو الموت ، والزنوج يمثلون مقدمة الثورة ، وكذلك دينهم يمثل ديناً خطيراً باعتباره مقدمة للثورة .

وبعد أن نظرت في هذه الأشياء ، وفي الأديان الأخرى ، لم أجد ما يشفي روحي ، فتوجهت إلى الله أن يوفقني ويهديني ، وما لبثت أن اتخذت بالفطرة هيئة السجود التي يعرفها المسلمون في صلاتهم .. وشعرت في هذا بالتسليم المطلق لهذه القوة العليا .. وكنت كلما شعرت بالحيرة أتجه إلى الله بمثل هذه الصورة ، حتى رآني بعض الناس ، فأخطروني أن ما أفعله هو نفس ما يقوم به المسلمون في صلاتهم ..

ولما كنت لم أجد مقنعاً فيما قرأته من أديان ، فلم أبحث عن الإسلام إلا بعد مرور شهرين ، فبدأت أقرأ عن الإسلام. ومن أهم ما قرأته كتاب الأستاذ حمودة عبد العاطي « الإسلام تحت المجهر » ففيه على بساطته عمق ودقة ..

وأحاول الآن ترجمته إلى الإسبانية لعل بعض المواطنين في بلادي يطلع عليه ويهتدي به إلى الإسلام ..

ثم قرأت ترجمة لمعاني القرآن ليوسف علي ، فوجدت في القرآن تعبيراً دقيقاً عن أعماق نفسي ، وصورة مطابقة لفطرتي التي تذكرتها وأنا أتدبر في معانيه .. فعندما كنت صغيراً تعودت الذهاب إلى الكنيسة لأعترف لـ « الأب » ببعض الخطايا ، لكني أحسست وقتئذ أن هذا أمر غير طبيعي ، واتجهت إلى الله مباشرة قائلاً له :

إنك لا تحتاج إلى قسيس يقف بيني وبينك ، لأعترف لك بذنوبي .. وبعد ذلك كنت كلما أردت أن أتوجه إلى الله ، توجهت إليه مباشرة دون واسطة قسيس له ..

وهذا معنى أن الله قد خلقنا على الفطرة ، فالأطفال يولدون على الفطرة ، ولكن آباءهم ورؤساء الأديان يوجهونهم توجيهاً آخر ..

وزادت قراءتي للقرآن ، وتشبعت به ، وشعرت بالسعادة لأنني وجدت فيه تلبية لكل حاجاتي الروحية ، فقررت أن أعتنق الإسلام ، وأسلمت .. والواقع أنني كلما قرأت عن الإسلام ازددت يقيناً بهذا الدين ، واكتشفت العديد من جواهر هذا الكنز الذي كان مختفياً عليَّ .. ويكفيني أنه في الوقت الذي اعتبرني فيه المجتمع ناجحاً غاية النجاح كنت أشعر بيني وبين نفسي أنني محطم فاشل .. أما بعد أن أسلمت فإن هذا المجتمع ينظر إليَّ نظرته إلى الرجل الفاشل في الوقت الذي أعتبر نفسي فيه بلغت غاية من أقصى غايات النجاح .

وقد سمعت والدتي عن الإسلام فآمنت به ، وتبعتني فيه .. وإذا كان لي من حديث إلى إخواني المسلمين ، فإنني أرجو لهم أن ينظروا إلى ما في أيديهم من الدين الحق ، وأن يتمسكوا به ، ويحرصوا عليه ، دون أن ينظروا إلى الحياة المادية ، والسعادة المادية الزائلة التي يبثها الشيطان .. وبدلا من أن يستمعوا الجاز والروك آند رول ، عليهم أن يستمعوا إلى صوت المؤذن وهو يناديهم « الله أكبر .. الله أكبر .. حي على الصلاة .. حي على الفلاح » .

أما الأخت عائشة عبد الله .. وكانت تعرف قبل الإسلام باسم « فرجينيا جراي هنري » فهي أمريكية الجنس من سكان مدينة لوي فيل كنتكي، وعمرها ٢٦ سنة ، متخرجة من جامعة كولومبيا ..

تقول الأخت عائشة .. كنت منذ صغري متدينة ، أذهب دائماً إلى الكنيسة البروتستانتية التي أنتمي إليها .. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة .. ولكن أية حياة هذه ومعظم الناس لا يفكر في الموت .. إلا عندما يتقدم في السن ..

وحدث في صغري أن شاهدت كثيراً من قريناتي وأقراني في السن يموتون في بعض الحوادث ، فبدأت أفكر في مصيرهم ، وماذا يحدث لهم بعد موتهم ؟ .. كما أن طريقة الحياة الأمريكية تجعل المرء يشعر في قرارة نفسه أنه سيموت عندما يبلغ الستين من عمره ، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها في المتعة والملذات قبل أن ينتهي كل شيء .. ولم أكن راضية عن هذه الحياة التي تحيط بي .. وبحثت عن سبيل للاستقرار الروحي ، فالتقيت بحركة كبيرة تسمى « الروحية » تؤمن بالحياة بعد الموت ، وعند بعضهم – كما يقولون – مقدرة على الاتصال بعالم الأموات .. ويرون أن هؤلاء من الموهوبين .. ولكن عندما تتفحص وجوههم أثناء غيبتهم ، واتصالهم بهذا العالم الذي يقولون عنه ، أنه عالم روحي ، تجدهم لا يسألونه إرشاداً عن الحياة الروحية ، ولا عن الحياة الطيبة الصالحة ، ولكنهم يسألونه عن النواحي المادية التي لا صلة لها بالدين .. كما يعتقدون

أن كل شيء له تعليل في حياتهم المادية يكون في عالم الأرواح ، أو يكون من عالم الأرواح .

وقلت في نفسي أن عالم الأرواح لا يعقل أن يقتصر عمله في إرشاده على الحياة المادية الزائلة ، ولا شك أن ذلك هو عالم الجن الذي ذكره القرآن .. إلا أنني لم أكن واثقة من ذلك .. وشعرت بأنه ينبغي عليَّ أن أجمع البراهين العقلية الكافية لإثباته ، فدرست في الجامعة مقارنة الأديان لمدة أربع سنوات باستثناء الدين الإسلامي الذي لم يكن يدرس لنا لأن رئيس القسم كان أستاذاً يهودياً يدعى « موريس فريدمان » .. واستمر بحثي عن حقيقة عالم الأرواح مستعينة بخبرتي التي اكتسبتها في الحركة الروحية ، وباتصالاتي بأحد الأساتذة الإنجليز الضالعين في هذا المضمار ، لكنه مع الأسف قتل بعد مدة ، فهزني ذلك من أعماقي ، ووجدت كل شيء حولي يبدو غير حقيقي ، حتى الكتب التي تنشر عن الأديان .. فمؤسسة مثل مجلة « لايف » التي تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتباً عن الأديان مثل البوذية والهندوكية والإسلام وكأنها أديان أثرية غير حية ، لذلك كان اطلاعي على الإسلام ضعيفاً ، ولم أشعر بوجوده إلا بعد أن أسلم زوجي ، فبدأت أقرأ وأدرس الكتب الصوفية ، والتراجم الإسلامية ، وأسأل المسلمين عن تعاليمه حتى وجدت فيه الهداية والحقيقة التي أبحث عنها فأسلمت .. وشعرت عندئذ أن الله قد أنعم عليَّ بأعظم نعمة حين هداني إلى الإسلام .. فقد تغير كل شيء في حياتي .. حتى نظرتي إلى الحياة قد تغيرت .. إنها معجزة كبرى ..

هذه هي قصة ثلاثة من الإخوة جاءوا من الغرب ونزلوا في ضيافة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .. لم تجمع بينهم سوى العقيدة الواحدة .. والهدف الواحد ألا وهو الاستزادة من علوم دينهم الجديد حتى يكونوا في بلادهم مشاعل تضيء الطريق لكل متخبط ، أو حائر .. وليردوا بأنفسهم على الافتراءات الكاذبة التي يلصقها المشككون بالإسلام ..

فهم نماذج حيّة صادقة .. درست وتدبرت وقارنت ثم اهتدت إلى طريق الحق بمشيئة الله وتوفيقه على الرغم من حقارة وإلحاد الوسط الذى كانوا يعيشون فيه ... وحيث السيطرة الصهيونية اليهودية على الاعلام والصحافة ... وما توجهه من سموم وأباطيل.

جـ ــ أخلاق وسلوك اليهود والنصارى وغيرهما في الصحافة الإسلامية :

بمقدار ما كان يتطلب الدفاع عن الأخلاق والسلوك الإسلاميين ومقاومة التيارات التي تدعو إلى التحلل والإباحية ونبذ الأعراف والتقاليد الإسلامية ، نقول بمقدار ما كان يتطلبه ذلك فإن الحاجة للوظيفة الهجومية للصحافة الإسلامية في هذا الوقت هي أكثر من أي وقت مضى بغية التصدي والوقوف بوجه أخلاق وسلوك أعداء الإسلام وكشفها ووضعها في إطارها الحقيقي .

وعليه فسنقدم في هذا المقام نموذجين لهذه الوظيفة في الصحافة الإسلامية .

النموذج الأول ــ يمثله المقال الذي نشرته مجلة « الإرشاد » اليمنية بعددها الثالث ــ الصادر في ربيع الأول من عام ١٤٠٢ هـ تحت عنوان « مجلات الطب وموقفها من الأخلاق » ، أشارت فيه إلى الحرب الشرسة والهجمات المنظمة التي تشن ضد ديننا وقيمنا وأخلاقنا وعاداتنا ، والتي اتخذت مختلف الوسائل والسبل التي تؤدي بها إلى الغاية والهدف، وأهم هذه الوسائل هي وسائل الإعلام وأبرزها الصحافة ، موضحة فيه أنه تحت ستار الطب ومن ورائه أرسلت جحافل الغزو سهامها الموجهة إلى أخلاق أمتنا وقيمها .

وتتساءل المجلة ... أين الرقابة الإسلامية أمام هذا السيل الجارف من السموم ؟ مؤكدة أن الواجب هو حماية المجتمع من الانحراف والتفكك . وأن استقرار الدولة هو من استقرار المجتمع أولا .

وفيما يلي نص المقال :

« مجلات الطب وموقفها من الأخلاق »

الحرب ضد ديننا وقيمنا وأخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا النابعة منه ما زالت محتدمة وجيوش الغزو الفكري المنظم تهاجم في شراسة وبسالة وإصرار منقطع النظير ، متخذة كل السبل المؤدية إلى غايتها ، وأهم وأخطر الوسائل تأثيراً وتوغلاً ونجاحاً وسائل الإعلام بأنواعها .. المقروءة والمسموعة والمرئية .

هذا الهجوم الشرس المدمر قد يكون سافراً واضحاً ، وقد

يكون - حسب الظروف - متخفياً متستراً خلف أقنعة وستائر شتى ، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، والهجوم من خلف الستار أخطر وأشد فتكاً لأن الستار يحجب المهاجم ، ويعمي أبصار الضحايا عن إدراكه ، وإن أدركوه فقد لا يثير الشكوك ويلفت الانتباه ، كما يثيرها ويلفتها الواضح البيّن .

وتحت ستار الطب ومن ورائه أرسلت جحافل الغزو سهامها الموجهة إلى أخلاق الأمة ، وقيمها ، ومنذ ظهور مجلات الطب بأنواعها وأشكالها ظهرت بعض الأقلام المسمومة تدس السم في العسل تحت ستار الثقافة الطبية في أغلب المجلات الطبية المتخصصة حتى تلك التي تدعي التزامها وحرصها على تعاليم الدين وأخلاق الأمة لم تنج من تقديم بعض السموم بشكل أو بآخر .

وأخطر ما تقدمه غالبية مجلات الطب من سموم موقفها من الجنس وما يسمى بالطب النفسي، حيث دعت وتدعو إلى الثقافة الجنسية ووجوب الخوض في مسائل الجنس ومشاكله ، بكل وضوح وصراحة ، أو بذاءة ووقاحة ، فأغرقتنا بسيل عارم من مقالات الجنس ، وتسابقت في تقديم الإثارة الجنسية دون تقيد بالعادات والقيم والأخلاق ، بل لقد ضربت عرض الحائط بتعاليم الدين وقدمت لشبابنا ومراهقينا من الجنسين ما يساعد على هدم قيمهم وأخلاقهم من ثقافة جنسية رخيصة وفتحت باب الإثارة على مصراعيه ، تحت أساليب متنوعة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ ركام الكتابات الداعية إلى حرية تناول مشاكل الجنس

والصراحه الجنسية ، دون تقيد ودون حدود أو ضوابط أو أي اعتبار أخلاقي ، دعت إلى ضرورة تقديم الثقافة الجنسية ، ومعالجة مشاكل الجنس والحب والحديث عنها بوضوح كغريزة من أهم غرائز البشر ، يجب ألا يكون أمرها في طي الكتمان ، وقد استند أصحاب هذه الدعوة إلى نظرية « سيجموند فرويد » في الجنس ، وإلى آراء مدرسته وتابعيه حول الجنس والكتب الجنسية والعُقَد التي تنتج في نظرهم نتيجة التقيد بالأخلاق والدين كعوامل كبت للغرائز .. فتحدثت مجلات الطب بصراحة عن الرغبة الجنسية وناقشتها بحرية تامة ، ومقصودة كشفت مواطن الإثارة الجنسية عند المرأة بإسهاب ، كما قدمت وما زالت تقدم وتنشر سيلاً جارفاً من المقالات والآراء والتحليلات التي تدور حول الجنس ، والمكتوبة بأقلام غربية وكتَّاب أجانب ، تعرضوا للوصف والإثارة والتحريض السافر على الأخلاق والقيم، وعرضوا الصداقة الجنسية والمعاشرة بين الرجل والمرأة كخليلة وبدون زواج وكأنها أمر مألوف وعادي ولا يبعث على الاستنكار ، بل لقد قدمت في صورة محببة مقدسة وحدث العكس أحياناً بالنسبة للعلاقات الشرعية أو الزوجية ، حيث عرضت بصورة منفرة مشوهة تدعو إلى النفور من الزواج ومن كل ما هو شرعي ، لقد نظروا إلى الجنس نظرة منافية ومغايرة لنظرة الدين الإسلامي ، كما كتبوا عن عادات وتقاليد بعيدة كل البعد عن مجتمعنا المسلم ، وعللوا حرية الجنس والخوض فيها تعليلات لا يقبلها العقل والذوق ،

وقدموا لها مزايا أسخف منها .. فقد ورد في احد هذه المقالات عن مزايا هذه الحرية : « أنها قد جعلت المرأة أكثر معالجة لأمور الجنس وأكثر حديثاً عنه من المرأة أيام الاحتشام ، وهكذا صارت تتحدث بصراحة عن مشاكلها في الفراش ... » .

هذا ما شجع الكثير من مراهقينا وشبابنا من الجنسين وجرأهم على الخوض في الجنس والعلاقات بين الرجل والمرأة ، ومن ثم الخروج على التقاليد ، والنفور من العفة والأخلاق ، الأمر الذي دفع بهم إلى الانحلال والخلاعة والفساد وأقدموا على جرائم الأخلاق ، ولبوا نداء الغرائز والشهوات .

٢ ــ رافق هذا السيل الجارف من مقالات الجنس سيل آخر من الصور الفوتوغرافية المثيرة، حيث احتلت الصورة الخليعة في الغالب الأعم مساحة الغلاف .. وتسابقت المجلات إلى تقديم الصور الخليعة المعرية لمفاتن المرأة ، بهدف زيادة التوزيع ومن ثم الكسب المادي السريع ، كما تفننت بعضها في نشر أكبر عدد ممكن من الصور التي تكشف مفاتن المرأة وتعرضها عرضاً رخيصاً ، وقدمت المناظر شبه العارية لجسد المرأة والرجل ، كما صورت الرجل والمرأة في الفراش بأوضاع مختلفة وشبه عارية يتبادلان القبل ، ويغرقان في العناق ، وظهرت دلائل الفتنة والإغراء ومواطن الإثارة سافرة تنادي وتستثير الغرائز والشهوات وتوقظ نداء الجنس قويًّا مدمراً .

٣ ـــ وباسم الطب النفسي توالت الدعوات محمومة لإطلاق الغرائز من عقالها ودعت إلى نبذ الشعور بالخطيئة وتأنيب الضمير لأنها « أحد الأسباب التي تفسد على الكثيرين متعة الإحساس الهادىء بالجنس » أو تسبب الأمراض النفسية والقلق ، كما تعرضت لأمراض نفسية وألوان من الشذوذ والانحراف .. كالسادية .. و .. وهي في مجملها غريبة عن مجتمعاتنا المؤمنة ، ناتجة عن الابتعاد عن الدين وفقدان الغذاء الروحي في المجتمعات المادية الصرفة ، كما عرضت لأمراض العصر الناتجة عن هذا ، وعالجتها بنصائح ووصفات هي أبعد ما تكون عن العلاج الحقيقي .

أما في مجال الصحة النفسية للزوجين فحدّث ولا حرج ، سيل من النصائح الخادعة للأزواج عن كيفية معاملة كل منهما للآخر ، وحول نفس القضية نصائح كتبت لأزواج في مجتمعات وبيئات غريبة عنا ، سواء في عاداتها وتقاليدها ومثلها ودينها أو في نظرتها للزواج ، يكفي للتدليل مقال قدمته إحدى مجلات الطب تحت عنوان : « الزوج الطبيب أكثر من اللزوم » ينصح الأزواج بالقسوة والعنف على زوجاتهم ، والمقال مدعوم بالصور ، ومنها صورة لرجل يضرب زوجته كتب تحتها وبالخط العريض « لكي تتحقق الصحة النفسية لزوجتك عليك بضربها » .

٤ ـــ وقفت مجلات الطب مواقف مخزية فاضحة من « العادة السرية » وشجعت الكثير من الشباب والمراهقين على

ممارستها ، حيث أثبتت أن لا أضرار من ورائها ، وأنها أمر مألوف ، وأن الضرر الوحيد الناتج عنها هو تأنيب الضمير والشعور بالذنب الذي يجب على الشباب عدم التفكير فيه . وقد وصلت بعضها الحد الذي تجاوز الاستهتار والفساد في إجاباتها على أسئلة القراء ، فقد سأل المجلة سائل : كيف تقوم البنات الفتيات بالعادة السرية ؟ لاحظ إلى أي حد وصل تفكير شبابنا ، وإلى أي مدى أصبحت عقولهم مشغولة بالجنس ، وأغرب من هذا موقف المجلة من التساؤل ، فقد أجابت عليه بكل صراحة ووضوح لتصرف عقول فتياتنا القارئات إلى كيفية ممارسة العادة السرية ، وتشرح لهن أي الطرق أقرب للتنفيس عن الغرائز وارتكاب الرذائل .

٥ ـــ موقف المجلات الطبية من العذرية وغشاء البكارة ، وهو موقف يتمثل في التحريض على الانحراف والرذيلة ، فبالإضافة إلى موالاة الحديث عن الفتاة الغربية ونظرتها إلى العذرية ونظرة المجتمع الغربي لها ، وهو الحديث الذي يهدف إلى غرس مفاهيم المجتمع الأوروبي المادي المنحل في التساهل حول هذه القضايا واللامبالاة بها ، ووصم الفتاة التي تحتفظ بعذريتها إلى ليلة الزفاف بالتخلف و ،، و ،، إلخ .

كما شجعت المجلات الفتيات الشاكيات من فقدان العذرية وطمأنتهن إلى أن هناك الغالبية العظمى ممن فقدن العذرية قبل الزواج عشن سعيدات مع أزواجهن .. كما صورت الظاهرة

على أنها طبيعية وعامة في المجتمع وأخيراً شرحت بإسهاب إمكانية الطب الحديث في التغلب على مشكلة العذرية ، وبالتالي إمكانية خداع الزوج ليلة الزفاف و .. و .. إلخ .

٦ ـــ الإسهاب في الحديث عن وسائل منع الحمل ، وكيفية استعمالها وفاعليتها وأنواعها المختلفة والوقاية من أضرارها وكيفية الحصول عليها ، وما يوجد في الأسواق العربية منها ، وهي بهذا تفتح المجال أمام كل فتاة تخشى من ظهور دلائل انحرافها وعلاقاتها اللامشروعة وخطيئتها ، وتتجاهل أن الدعوة إلى استخدام حبوب منع الحمل تحمل في طياتها خطراً شديداً ، فهي دعوة يهودية مدبرة مقصودة لتحديد نسل المسلمين وغير اليهود ، ومن جانب آخر تشير الدراسات وأبحاث العلماء إلى أن انتشار أقراص منع الحمل بدون رقابة أدى إلى انتشار الصلات الجنسية المحرمة « الزنى » دون تحفظ أو تخوف مما نتج عنه زعزعة أركان الأسرة .

٧ ـــ تحرص مجلات الطب على نشر الروايات والقصص المثيرة التي تندرج تحت ما يسمى بأدب الفراش، المحرضة على التهتك والفجور المستهترة بالقيم والمعايير الأخلاقية الواصمة للمجتمع المسلم بالتزمت والانغلاق والرجعية والتخلف ... ففي رواية مسلسلة تنشرها إحدى هذه المجلات التي تدعي الحرص على تعاليم الدين وتقاليد المجتمع الإسلامي ، ورد على لسان البطلة العبارة التالية : « كلما أردت القول إن حياتنا المغلقة ومجتمعنا

المتزمت والرقابة الشديدة علينا ، تفعل فينا مثل هذه الأفاعيل فتتركنا يتنازعنا الأمل والتوجس ... إلخ » وفي نفس الرواية كما في غيرها من الروايات والقصص والمذكرات التي تنشرها بعض مجلات الطب تظهر الإثارة جلية واضحة في وصف اللقاءات الغرامية ، ومفاتن المرأة وأحاسيسها الشهوانية « وراء الباب المغلق لف ساعديه خلف خصرها وراح يؤرجحها ، وكلما تدانى وجهاهما اختطف قبلة طويلة من ثغرها الذي كان وما يزال يقطنه بهذا الضرب من الرحيق الذي يتفجر له جسد المرأة كله لحظة النشوة الكبرى » .. إلى آخر هذا الوصف المجنون للقاءات الغرام ، و « سحق الصدر على الصدر » وعواطف القبلات المجنونة والأحاسيس والمشاعر الحيوانية ، مما يخجل عن التصريح بها وتناولها كل من عنده ذرة من الإنسانية والقيم .

ثم ماذا ؟

ماذا نتوقع من نتائج خطيرة لمثل هذه السموم ؟ فالواقع الحاضر والماضي القريب قد حفل بالكثير مما نتوقعه من نتائج سيئة ، تمثلت في الانحلال والفساد والانحراف عن المثل والمبادئ العليا والإقدام المتزايد على الجريمة الخلقية بين بعض شبابنا ومراهقينا ، بل والجرأة والوقاحة في الحديث عن التهتك والفجور والفحش والميل الغريب إلى التفكير المنحط وأقرب مثل على هذا ما يرد على مجلات الطب نفسها « إن صح زعمها » من أسئلة قرائها واستفسار رأيهم ، فقد

سأل أحدهم عن كيفية الطريق إلى العملية الجراحية التي تحقق له الأمنية التي طالما تمناها وحلم بها ، وماذا عساها ؟ إنه يشتهي أن يتحول إلى امرأة .. كما نشرت عشرات التساؤلات لفتيات يرغبن التحول إلى الجنس الخشن ويتلمسن الطريق إلى عملية جراحية تحقق أغراضهن .

ماذا نتوقع غير ما أعلنته المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي في إحصاءاتها السنوية للجرائم المسجلة في الدول العربية التي أظهرت ارتفاع وتصاعد نسب الجريمة من سنة لأخرى ، وظهور جرائم لم تكن معروفة من قبل في مجتمعاتنا ، وإقدام الأحداث وصغار السن على ارتكاب بعض الجرائم الخلقية بشكل يفوق الكبار أحياناً . والأحداث والمراهقون هم من أبرز زبائن مجلات الطبُ والفن ، وهذه مع بعض صحافة المرأة وبعض الصحف المتخصصة في مجلات أخرى لها تأثيرها الهدام الخطير على أخلاق الأمة .

غير أن السؤال هو : أين الرقابة الإسلامية ؟ وما موقفها أمام هذا السيل الجارف من السموم ؟ وهل كرست كل جهودها وطاقتها في تضييق الخناق على مجلات معينة رفعت شعار الدعوة إلى الله ؟ ثم أليس من وظائف الرقابة حماية الآداب العامة وأخلاق ومثل المجتمع ودينه إلى جانب حماية أمن الدولة واستقرارها ، أليس أمن المجتمع وحمايته جزء من أمن الدولة وحمايتها ؟

إن حماية المجتمع من الانحراف والتفكك هو الأساس ، وباستقرار المجتمع تستقر الدولة ، وتستطيع النهوض بأعبائها

ومسئوليتها ، فهل من أذن صاغية ؟ لعل وعسى ..

ولعلنا لا نجانب الصواب ونحن نضم صوتنا إلى الصوت الذى طالبت به مجلة « الارشاد » اليمنية – إذا ما حمّلنا المسئولية الكبرى «المسئولية الأمنية» أمن الأمة وشبابها – إذا ما حملناها للمرافق الاعلامية كافتها خاصة، وأنها دخلت كل البيوت من أوسع أبوابها..

أما النموذج الثاني ـــ فهو ما جاء بالمقال الذي نشرته مجلة « الأمة » القطرية .. بعددها رقم ١٩ الصادر في شهر رجب من عام ١٤٠٢ هـ[1] بعنوان : « أهداف العدو الإسرائيلي من إنتاج السلاح النووي »

تكشف فيه المجلة دوافع المطامع الصهيونية التوسعية في البلاد العربية ، وتشير إلى الحقيقة اللاأخلاقية من وراء إنتاج السلاح النووي ، ألا وهي ـــ بالإضافة إلى كونها وسيلة مؤثرة وفعالة في الدعاية عن تفوق العدو العلمي والحضاري والصناعي والاجتماعي – فسيساعده إنتاج هذا السلاح على التلويح باستخدامه ضد البلاد العربية ، وتهديدهم به عند سنوح الفرص، وذلك من أجل تحقيق أهدافه السياسية في الاستسلام (استسلام العرب) .

وفيما يلي نص المقال :

« أهداف العدو الإسرائيلي من إنتاج السلاح النووي »

دوافع المطامع الصهيونية التوسعية في البلاد العربية أربعة :

(١) يوافق هذا التأريخ شهر آيار (مايو) ١٩٨٢م .

العامل العقيدي أو العقدي ، والعامل الاقتصادي ، والعامل العسكري ، والعامل السياسي ... ولعل أهم هذه الدوافع الأربعة ، هو العامل العقيدي ، لأن العامل العقيدي للتوسع الصهيوني الاستيطاني ينبع من صميم الديانة اليهودية التي قامت على أساسها العقيدة الصهيونية ، وقام عليها الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية أيضاً ، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأسباب اختيار فلسطين وطناً قومياً دون سائر بقاع الأرض ومطالبتهم بها على أساس أنها الوطن القومي التأريخي للشعب اليهودي .

قال هيرتزل في خطابه الافتتاحي الذي ألقاه في المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ م : « الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح الرجوع إلى أرض اليهود » .

وكتب أيضاً في كراس (الدولة اليهودية) : « الإيمان يوّحد فيما بيننا » ، وقال : « أريد تربية أولادي وتنشئتهم على الاعتقاد بالإله التأريخي » .

واستناداً على العقيدة الدينية اليهودية ، ارتبطت الحركة الصهيونية بمطلبين أساسيين لم تتخل عنهما هذه الحركة في يوم من الأيام ، ولن تتخلى عنهما في حال من الأحوال .

الأول : هو الحصول على ما يسمى بـ (أرض الميعاد) على أساس (من النيل إلى الفرات) .

والثاني : هو إعادة الشعب اليهودي إلى أرضه التأريخية ، لأن

الحياة في (المنفى) أي خارج فلسطين ، مخالفة للدين اليهودي والحياة الطبعية للشعب اليهودي .

ولا يستطيع العدو الصهيوني تحقيق هذين المطلبين اللذين لهما صلة عميقة بالعقيدة الصهيونية إلا بإنتاج سلاح يتفوق به على العرب وهو السلاح النووي .

وقد كانت اليابان متفوقة في البر والجو والبحر على الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥ م) ، وكانت تحتل مساحات شاسعة من البلاد المجاورة ، ولكنها استسلمت فوراً بعد إلقاء قنبلتي (هيروشيما) و (ناغازاكي) ، لأن عدوها استعمل سلاحاً رهيباً لا قِبل لها بمقاومته .

فما تفصيل أهداف الصهاينة من إنتاج السلاح النووي ؟

الأهداف العسكرية الصهيونية :

المعنويـــات

يحاول العدو الصهيوني رفع معنويات قواته المسلحة بخاصة ، وشعبه داخل الأرض العربية المحتلة فلسطين والصهيونيـة العالميـة خارجها بعامة ، ويحطم معنويات القوات المسلحة العربية بخاصة والشعب العربي في أرجاء الوطن العربي بعامة .

والمعنويات العالية عنصر حاسم من عناصر الجيوش والشعوب معاً ، وهي عامل حيوي من عوامل النصر ، لا تقل شأناً عن العوامل المادية الأخرى مجتمعة إن لم تكن أهم منها .

والجيش الذي يتفوق على عدوه بالسلاح كمية ونوعاً ، ترتفع معنويات رجاله من جهة ، وتتحطم معنويات عدوه من جهة أخرى .

ووجود السلاح النووي مع العدو الصهيوني ، هو تفوق ساحق على الأسلحة التقليدية ، لأن قوة السلاح النووي وشدة تأثيره جعل من الأسلحة التقليدية في قوتها وتأثيرها بالنسبة للسلاح النووي كلعب الأطفال .

فإذا أنتجت الصهيونية السلاح النووي ، فاقرأ على معنويات العرب جيوشاً وشعوباً السلام . [إذا لم يفيق العرب من غفلتهم ويعدُّوا العدَّة للتسلح بالمثل] .

لقد ذكرنا أن اليابان في الحرب العالمية الثانية كانت متفوقة على الحلفاء ، وكانت تحارب في مناطق بعيدة عن الوطن الأم ، وكان بإمكانها إدامة زخم الحرب وتثبت للحلفاء مدة طويلة ، وكانت كفتها راجحة على الحلفاء في مختلف جبهات القتال ، وكان العسكريون اليابانيون يقاتلون بشجاعة فائقة ولا يهربون ولا يستسلمون .

ولكن مجرد استعمال الولايات المتحدة الأمريكية السلاح النووي في مدينتين يابانيتين أدى إلى استسلام اليابان للحلفاء دون قيد أو شرط . ويومها أذاع الميكادو امبراطور اليابان بنفسه من محطات الإذاعة اليابانية بيانه المشهور والذي قال فيه : « لقد أصبح

للعدو سلاح لا نستطيع الثبات أمامه ولا مقاومته ، فلم يبق أمامنا غير الاستسلام » .

وانسحب اليابانيون من البلاد الشاسعة التي احتلوها ، ودخلت جيوش الحلفاء (طوكيو) وسعى الميكادو شخصياً إلى زيارة قائد الجيوش الأمريكية المحتلة ، مما لا يزال اليابانيون يذكرونها بالحسرة والحزن إلى اليوم .

إن العدو الصهيوني سيربح معركة المعنويات على العرب ، بمجرد إنتاجه السلاح النووي ، ما بقي العرب في نطاق أسلحتهم التقليدية .

التوسع الإستيطاني :

الصهيونية لا تؤمن بغير القوة ، فهي تعتمد التفوق العسكري قبل كل شيء ، وهذا الهدف حدا بحكام الصهاينة أن يجعلوا من دولتهم دولة عسكرية ، وأن يطبعوا كل ما فيها بالطابع العسكري .

حوكم مرة كاتب صهيوني ، انتقد الاتجاه العسكري البحت في الكيان الصهيوني ، وقد جرت المحاكمة أمام إحدى محاكم (تل أبيب) بتاريخ ٩ نيسان (أبريل) من سنة ١٩٥١ م ، فقال في معرض دفاعه أمام المحكمة : « إني وجدت العناية منصرفة في هذا البلد لخلق شباب متعصب إلى أقصى الحدود ، فهو يربى تربية عسكرية ، ويوجه توجيهاً حربياً إلى أهداف احتلالية ، ويتلقى تعليماً تعصبياً من النوع الضيق جدًّا كالذي يطبق في الدول العسكرية ،

إنهم جعلوا الجيش هنا قبلة الشباب ، ومنحوه مركزاً متميزاً كاليابانيين والنازيين الذين يؤلهون جيشهم ، إنهم في هذا البلد ينشئون الأطفال هذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التي تملكها الدولة ، إنهم يطبعون كل شيء في الدولة بطابع الروح العسكرية ، طابع الغزو والاستعمار » .

وقال ابن غوريون في مقدمة الكتاب السنوي للعدو الصهيوني الذي صدر سنة ١٩٥٠ م ما نصه : « إن إسرائيل لا يمكن أن توافق على إعادة فلسطين إلى أهلها العرب ، فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل إلا بالحرب ، والحرب هذه ستقرر مصير إسرائيل ، فإما زوالها وإما بقاؤها ، ولكي ننتصر في الحرب ، يجب أن نتفوق على العرب فواقاً عسكرياً ساحقاً » .

وقال أيضاً في مقدمة الكتاب السنوي الرسمي للعدو الصهيوني لسنة ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ م ما نصه : « إن الدولة تأسست في جزء من أرض إسرائيل فقط » .

ووقف يوم ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ١٩٥٦ م في الكنيست وقال مزهواً : « إن الحملة على مصر كانت مهمة تاريخية ، وإن هذه المهمة تكللت بالنجاح التام ، وأدت إلى استعادة غزة وسيناء ، وإن هاتين المنطقتين ليستا جزءاً من أرض مصر » ، ويقصد بذلك أنهما جزء من الكيان الصهيوني .

إن التوسع الاستيطاني هدف حيوي من أهداف العدو الصهيوني ، فالصهيونية العالمية لم تستهدف تأسيس كيان صهيوني

في فلسطين فحسب ، بل تستهدف توسيع رقعتها لتمتد من النيل إلى الفرات ، ولتكون هذه المنطقة العربية وطناً قومياً يكفي لاستيطان جميع يهود العالم .

وقد قال ابن غوريون سنة ١٩٥٢ م في (كليفلند) بالولايات المتحدة الأمريكية ما نصه : « إن كل يهودي يقيم خارج إسرائيل منذ تأسيسها يعتبر مذنباً آثماً ومخالفاً لتعاليم التوراة » .

وقال مناحم بيغن زعيم حزب (حيروت) في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين الذي انعقد في القدس خلال كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٩٦٠ م ما نصه : « إن مساحة إسرائيل حالياً لا تتجاوز خمس مساحة الأراضي الإسرائيلية ، وأن على اليهود أن يعملوا على الاستيلاء على الأخماس الأربعة الباقية وضمها إلى دولتهم ، أما هذه الأخماس الأربعة فهي : الضفة الغربية لنهر الأردن ، وقطاع غزة ، وسيناء ، وبعض مناطق البلاد العربية الأخرى المجاورة لإسرائيل » .

وهو الذي قال : « لن يكون سلام لشعب إسرائيل ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه من النيل إلى الفرات ، حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح » ، وهو الذي قال مخاطباً المحاربين القدماء سنة ١٩٦٦ م : « ينبغي ألا تستكين إسرائيليتكم عندما تقتلون أعداءكم ، ولا تأخذكم شفقة أو رحمة حتى ندمر الحضارة العربية المزعومة ، ونشيِّد حضارتنا على أنقاضها » .

وقد صرح هذا الإرهابي المحترف خلال سنوات ١٩٧٧ ،

١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ م ، مرات عدة علناً :

إن الضفة الغربية وقطاع غزة ليستا منطقتين محتلتين ، بل هما منطقتان محررتان ، وأن القدس جزء لا يتجزأ من إسرائيل وعاصمتها إلى الأبد ، وهي خارج نطاق أية مفاوضات » .

إن تهالك بن غوريون وبيغن وغيرهما من حكام الصهاينة على حث يهود العالم للهجرة إلى الكيان الصهيوني ، سببه إيجاد حجة لتسويغ التوسع الصهيوني الاستيطاني بالقوة ، وخلق الظروف الملائمة لهذا التوسع ، فهم يشعرون أن مستقبل كيانهم رهن بتوسعته واستيطانه وطرد العرب منه والقضاء على حضارتهم وإقامة الحضارة الصهيونية على أنقاضها . ولن يستطيع العدو الصهيوني التوسع على البلاد العربية ، واستيطان بلادهم المحتلة بعد طردهم منها ، بدون تفوق ساحق على العرب بالتسليح النووي وبالتفوق العلمي في العلوم التطبيقية لإنتاج أسلحة جديدة متطورة .

حماية الكيان الصهيوني :

كان تأسيس الكيان الصهيوني في البلاد العربية خطأً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، وهذا ما يردده قسم من عقلاء الصهاينة في كتبهم ومؤلفاتهم وبحوثهم ومقالاتهم ، ويردده غير الصهاينة من الأجانب أيضاً الذين يتسمون ببعد النظر ولا يكتفون بالنظرة السطحية العابرة .

فمن الوجهة السياسية : لا يستطيع الصهاينة تأسيس كيانهم

وسط محيط عربي متجانس ، متفوق عليهم بالتعداد السكاني فواقاً ساحقاً ، وإذا نام العرب ساعة لظروف طارئة خاصة ، فلن يناموا إلى قيام الساعة .

ومن الوجهة العسكرية : لا يستطيع الصهاينة الدفاع عن أنفسهم ضد أعداء يحيطون بهم من كل جانب ، وهم أضعافهم نفوساً ومساحة وطاقات ، إذا لم تكن منظمة اليوم ، فلن تبقى غير منظمة غداً .

ومن الوجهة الاقتصادية : لا يمكن أن يعيش الصهاينة إلى الأبد على الإعانات والمساعدات ، وسط أعداء يضربون حولهم حصاراً اقتصادياً شديداً ويقاطعونهم ويقاطعون كل من يتعامل معهم .

وهذه الأخطاء لا يمكن تصحيحها إلا بحرب ، أو حروب تنتهي أخيراً بالقضاء على الكيان الصهيوني مهما طال الشوط ، وبعد المدى .

إن الوقت مع العرب على العدو الصهيوني ، ما في ذلك أدنى شك . والدفاع عن الكيان الصهيوني وتحقيق أهدافه التوسعية الاستيطانية ، لن يتم بدون التفوق في مجال السلاح النووي ، ومحاولة حرمان العرب من إنتاج هذا السلاح الخطير .

الأهداف السياسية :

إجبار العرب على الاستسلام :

العدو الصهيوني لا يؤمن بالسلام ، وكل ادعاء يخالف ذلك يكذبه الواقع ، وتكذبه أهدافه المعلنة ، ولا يتفق مع الفكر الصهيوني عقيدة ومنهاجاً وأسلوباً .

وهدف فرض الاستسلام على العرب ، من أهداف العدو الصهيوني الحيوية التي يسعى جاهداً لتحقيقها ، لكي يتخلص من الوضع الشاذ الذي يستحوذ عليه منذ مولد كيانه سنة ١٩٤٨ م حتى الآن ، وسيبقى مستحوذاً عليه ما بقى الشعب العربي والأمة الإسلامية ، فهو لا يستطيع أن يعيش إلى الأبد بين أعداء يرفضون الاعتراف به ، ويقاطعونه سياسياً واقتصادياً ، مقاطعة لا هوادة فيها ، ويهددون كيانه تهديداً مباشراً وغير مباشر ، ويتربصون به الدوائر .

لقد توقع الصهاينة أن العرب سيذعنون للأمر الواقع بعد مولد كيانهم سنة ١٩٤٨ م ويعترفون به ، ولكن الواقع أثبت عكس ما توقعوه .

ولكي يجبر العدو الصهيوني العرب على الاستسلام ، لجأ إلى وسائل العنف ، فاعتدى اعتداءات كثيرة منذ تأسيس كيانه إلى سنة ١٩٥٦ م ، ظنًّا منه بأنه يستطيع إرهاب العرب ، وإرغامهم على الخضوع لمشيئته ، ولكن تلك الاعتداءات لم تزد العرب إلا إصراراً على الثبات .

ثم كانت مغامرة العدو الصهيوني في حرب (السويس) سنة ١٩٥٦ م إذ زعمت الصهيونية في حينه (أن توازن القوى) بينها وبين العرب قد اختل ، وأنها ستخوض (حرباً وقائية) لكي تحول مقدماً دون هجوم العرب عليهم ، وكان هذا السبب الرئيس لعدوانها على مصر متعاونة مع بريطانيا وفرنسا .

غير أن مغامرة (السويس) لم تخفق في تحقيق أهدافها التي توختها فحسب ، بل أحدثت نتائج معكوسة ، فكانت حافزاً جديداً دفع العرب إلى مضاعفة جهودهم في سبيل النهوض والتحرر من ربقة الاستعمار والتخلف ، فأصبح العرب أشد عزماً ، وأكثر تصميماً على استرداد حقوقهم المشروعة في الأرض العربية المحتلة فلسطين .

وجاءت حرب سنة ١٩٦٧ م ، وتوسعت الصهيونية في الأردن وسورية وقطاع غزة وصحراء سيناء ، فصرح « موشي دايان » حينذاك أنه رابط إلى جانب الهاتف أياماً بانتظار استسلام العرب .. دون جدوى ..

وفقدت الصهيونية أملها في إجبار العرب على الاستسلام ، والاعتراف بكيانها بالعنف الذي تنهض به الأسلحة التقليدية ، فاتجه تفكير حكامها إلى إنتاج السلاح النووي الذي قد يجبر العرب على الاستسلام .

إن إنتاج العدو للسلاح النووي يكون عاملاً في تفوقه السياسي على العرب ، في حالة بقاء العرب محرومين من هذا السلاح .

وسيؤمن هذا السلاح للعدو الصهيوني المبادرة بالعمل ويساعده على التلويح باستخدامه ضد البلاد العربية ، وتهديدهم به عند سنوح الفرص ، من أجل تحقيق أهدافه السياسية في الاستسلام .

كما أنه سيكون سلاحاً رادعاً يضمن سلامة الكيان الصهيوني ، ويحول دون إقدام الدول العربية على مهاجمتها والتعرض لها ، وقد يثبط عزائم قسم من العرب ويحملهم على الرضوخ للأمر الواقع[1] .

رفع مكانة العدو الصهيوني سياسياً :

إنتاج العدو الصهيوني للسلاح النووي ، يرفع مكانته الدولية بين دول العالم فمكانة فرنسا قبل أن تصبح دولة نووية ، غير مكانتها بعد أن أصبحت دولة نووية .

---

(١) ونحن حين نورد هنا هذا الأنموذج إنما نخاطب الأغلبية من الشعوب العربية، صحيح أنها مغلوبة على أمرها لكن لا بد أن تستعيد حريتها وإرادتها يوماً ما — لأن دوام الحال من المحال — أما ما نهجه وينهجه بعض الحكام والمسئولين العرب من نهج سياسي استسلامي ذليل ، مهما حاول هذا البعض ونفر من أصحاب القضية الرئيسين إيجاد التبريرات والادعاءات والدعوات الباطلة لإقامة سلام دائم مع يهود أو إبرام المعاهدات المنعوتة ظلماً بالصلح أو السلام معهم .. فهذا لا يعنينا هنا لا من قريب ولا من بعيد ، ولا هو في عرفنا كمسلمين ، لا نقر — وفق منهج الإسلام وتعاليمه — لليهود حق البقاء على أرض إسلامية حتى قيام الساعة ويندحر الباطل ويندحر اليهود وينتصر الحق ..

وأذا ما دفع الواقع المرير لأمتنا إلى اتخاذ بعض المواقف غير المشرفة، والبعيدة عن روح الإسلام .. وإعطاء التنازلات للغرب واليهود .. فحتما سيأتي اليوم الذي يُرفض فيه هذا الواقع وهذه التنازلات المشينة .. بعبارة موجوزة — إن ما قد يقبله بعض العرب اليوم سيرفضه كل المسلمين لاحقاً لأنه مخالف لتعاليم الاسلام ونظرته لليهود والكفار .

وما يقال عن فرنسا ، يقال عن الصين الشعبية ، والهند أيضاً ..

لقد كانت (القوة) ولا تزال وستبقى ، لها أعظم الأثر في المكانة السياسية لأية دولة في العالم ، فالقوي له مكانته الخاصة المتميزة ، وهي ليست كمكانة الضعيف على أية حال .

وكل زعم يناقض ذلك لغو وهراء .

الـدعـــاية :

يتخذ العدو الصهيوني من إنتاجه السلاح النووي وسيلة مؤثرة فعالة في الدعاية عن تفوقه العلمي والحضاري والصناعي والاجتماعي .

وقد جعل من مؤسساته النووية مركزاً لتدريب طلاب الدول الآسيوية والإفريقية ، ودول أمريكا اللاتينية ، وبعض الدول الأوروبية التي لها علاقات سياسية معه وبحاجة إلى تدريب طلابها وعلمائها أيضاً .

وقد استطاع العدو الصهيوني إيجاد علاقات سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية مع بعض الدول الآسيوية والإفريقية وأمريكا اللاتينية تحت إغراء تدريب طلاب تلك الدول وعلمائها في المؤسسات النووية الصهيونية .

لقد استغلت الصهيونية مؤسساتها النووية استغلالا دعائياً كبيراً وأصبح الطلاب والعلماء الذين خرجتهم في مؤسساتها من أكبر وسائل

الدعاية لها في بلادهم ... [وما الدعاية إلا اداة من أدوات الحرب النفسية .. بل ما هي إلا نمط من أنماط الاعلام الرئيسة الذي لا يستغني عنه أي عمل عسكري حربي].

استهتار العدو الصهيوني :

في يوم الخميس ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩٦٩ م ، حرقت الصهيونية المسجد الأقصى المبارك ، وقد دمر الحريق القسم الجنوبي الشرقي من المسجد ، كما أتى على منبره الأثري .

وأصدر العدو الصهيوني قانوناً جعل بموجبه القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني خلال سنة ١٩٨٠ م .

وتمادى العدو الصهيوني في إقامة المستعمرات في الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان .

وإجراءات تهويد الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان والقدس بخاصة قائمة على قدم وساق .

وقوات العدو الصهيوني تروح وتغدو في جنوب لبنان ، وتقصف مدنه الآهلة ، وتخرب قراه ، وتنسف بيوت اللبنانيين كما تشاء وحين تشاء .

وسجون العدو الصهيوني تعج بالعرب ، والعرب في الأرض المحتلة يعيشون في اضطهاد مقيم ، وزعماؤهم يقتلون ويشردون وتقطع أرجلهم وأيديهم .

والعرب يحتجون أو يتقدمون بالشكوى إلى المنظمات الدولية أو يعقدون المؤتمرات ويصدرون القرارات ، فلا يقيم العدو الصهيوني وزناً للاحتجاجات وللشكاوي وللمؤتمرات ، فالذين يطلقونها لا يقيمون لها وزناً ، فكيف يقيم لها عدونا وزناً ؟

خلاصـــــة :

نخلص من كل ما تقدم إلى أن اليهودية والصهيونية العالمية والتنصير والاستعمار والشيوعية والاشتراكية وما فرختّه من عقائد ومنظمات في عالمنا العربي الإسلامي ، في جملتها ما هي إلا أسلحة خطيرة يستخدمها أعداء الإسلام بخطط ووسائل شتى ومتنوعة من أجل الهجوم والانقضاض على عقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا وقيمنا . فالكفر ملة واحدة لا فرق بين غرب صليبي أو شرق شيوعي اشتراكي .

وما الغارات الإعلامية التي يشنها باستمرار أعداء هذا الدين إلا دليل على تضافر جهودهم من أجل تشويه العقيدة والتشريع والأخلاق الإسلامية .

وكذلك تشويه قضية المسلمين الأولى مع اليهود والصهاينة في « فلسطين » والأراضي العربية التي تحتلها .

وإذا كانت صحافتنا الإسلامية الملتزمة والمجاهدة بحق وعلى الدوام من أجل الدعوة إلى الله .

إذا كانت قد قامت بواجبها نحو خدمة الحق والفضيلة وتزيين ذلك للناس وشدهم إليه وترغيبهم إلى قبوله والعمل به .

كما قامت بالرد على ما يثيره هؤلاء الأعداء من شبهات وأباطيل على ديننا ، وتبنت سياسة الحق والإعلان عنها وبيان وجهها الصحيح ومنهجها الواضح وبيان كل ما يخالف عقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا وسلوكنا الإسلاميين .

نقول إذا قامت صحافتنا الملتزمة بكل هذا فالوقت الحاضر يتطلب مزيداً من الجهد والعطاء والاستمرار في الكفاح والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ، وبيان أن المعركة مع أعداء الله معركة عقائدية لا قومية ولا وطنية ولا اشتراكية ، معركة بين الإيمان والكفر ومعركة بين الحق والباطل ومعركة بين الهدى والضلال .

ثم إذا كان هناك بعض الصحف التي توصف بالإسلامية وتتخذ من الإسلام شعاراً لها .. قد أصيبت بغفلة في بعض الأوقات وتأثرت بالاتجاه الشرقي أو الغربي وراحت تهادن وتنافق للحكام والمسئولين – كأنها أصبحت صحيفة رسمية – فإننا في الوقت الذي ندعو لها بالرحمة والصلاح ندعوها إلى مراجعة نفسها والعودة إلى الخط والمنهج الإسلامي الصحيح والإلتزام به . وألا تخشى في الحق لومة لائم .

يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا

يهدي القوم الظالمين ﴾[1] .

ويقول جل وعلا : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .. ﴾[2] .

ويقول سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .. ﴾[3] .

ويقول أيضاً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ﴾[4] .

فالآيتان الأولى والثانية .. تبينان لنا طبيعة وحقيقة وقوة العداء بين المسلمين وبين اليهود والنصارى .

أما الآيتان الأخيرتان .. فتوضحان لنا طبيعة المنهج الإسلامي الشريف والسديد في التعامل مع العقائد والشرائع والاتجاهات المعاصرة الأخرى .

---

(١) سورة المائدة. الآية ٥١
(٢) سورة البقرة. الآية ١٢٠
(٣) سورة النحل. الآية ١٢٥
(٤) سورة الاحزاب. الآية ٧٠

الخاتمة

أبادر فأؤكد أن بحث موضوع « الصحافة الإسلامية في البلاد العربية في النصف الثاني من القرن العشرين ودورها في الدعوة » يحتاج إلى أضعاف الصفحات التي عرضتها هنا ، فلا يزال موضوع الخبر والقصة والتعليق والتحقيق والصورة الفوتوغرافية والكاريكاتيرية وغيرها من موضوعات الصحافة في حاجة إلى دراسة وإضافات ، رغم أن ما ذكرته بالنسبة للمقال ينسحب على مثل هذه الأمور .

لهذا فإنني أعتبر ما عرضته في هذا الكتاب مجرد مدخل أو مقدمة لبحث موضوع الصحافة ، تفتح النوافذ والأبواب أمام بحوث ودراسات متعددة الجوانب والاتجاهات ، وإذا كان لي أن أقول شيئاً في ختام ما قدمت فهو الدعوة إلى كل الصحف والمجلات التي تصدر في بلادنا الإسلامية أن تتقي الله وتلتزم بأمانة العمل من أجل مبادئ وأهداف وغايات المسلمين .

وأن يتذكر جميع المسئولين عن العمل الصحفي أن الله سائلهم عما تركوه من ثروة في ميدان الفكر والأدب ، وعما خلفوه من نتيجة في ميدان السلوك والعمل .

إن الباحث في ميدان الصحافة الإسلامية ، يكتشف من أول

وهلة غربة هذا النوع من الصحافة ، كما يكتشف على الفور اننا الأمة الوحيدة بين الأمم التي لا تعرف لها هوية ولا اتجاهاً ولا مذهباً ، فبيننا دعاة إلحاد وشيوعية واشتراكية وبعثية وإباحية وفوضوية وطائفية وتشريق وتغريب ، ويسهل أن ترى وتسمع وتقرأ لهم صباح مساء ، ويظهر فيهم داعي الإسلام غريباً في دياره ، شاذًّا في دعوته ، رهين موافقة النظم والحكومات على السماع له ، أو القراءة لكتاباته .

إن الأمر والله جد خطير ، وإن موضوع « دراسة الصحافة الإسلامية » جدير بأن يكتب فيه ويبحث حتى يستوفى حقه في آلاف من الرسائل والكتب . أرجو الله أن يقيض له من يوفيه بعض حقه ، بل أرجو الله أن يقيض للأمة الإسلامية من يشعر الباحثين بأنهم أهل وأصحاب ديار يجدون موائد الصحافة الإسلامية ممتدة من أيد كريمة سخية إلى أيد أمينة تقية .

وحتى نلمح هذا الضوء **أوصي في نهاية هذا المُؤَلَف بما يلي :**

(١) أن تنشأ بالمعاهد والكليات الإعلامية العربية الإسلامية مكتبات خاصة بالصحف والمجلات والدوريات يسهل للباحثين والدارسين الرجوع إليها ، على أن يكون للصحافة الإسلامية وحدها جانب خاص بها إن لم تكن مكتبة مستقلة .

(٢) أن تراسل المعاهد والكليات الإعلامية كافة الصحف العاملة في ميدان الدعوة الاسلامية والتي جندت نفسها لخدمة الإسلام للحصول على ما أصدرته الصحف قديماً وحديثاً .

(٣) أن ترعى المعاهد والكليات الإعلامية نخبة من المتخصصين

في هذا الميدان حتى يصنفوا لها مكتبة متكاملة ترشد الباحثين وتسهل عليهم مهمة البحث في موضوع الصحافة الإسلامية .

(٤) أن يخصص في كل معهد وكلية إعلامية لجنة ترشد الباحثين إلى أماكن يسهل فيها الحصول على مبتغى الباحث من كتابات تتصل بموضوع دراسته .

(٥) ضرورة التعاون والتنسيق بين المعاهد والكليات والأقسام الإعلامية العربية الإسلامية في مختلف بلدان العالم العربي الإسلامي ، والتي توجد فيها مثل هذه المعاهد والكليات وهذه الأقسام .

(٦) تبادل الخبرات والزيارات بين الأساتذة المتخصصين بمجالات الإعلام الإسلامي، وكذلك تبادل الزيارات والجولات الاستطلاعية بين طلاب معاهد وكليات الإعلام الإسلامي وأقسام الصحافة في البلاد العربية الإسلامية .

(٧) إسهام كل معهد أو كلية في كل أنحاء العالم العربي الإسلامي في الدعوة إلى إنشاء جمعية أو أمانة عامة ، خاصة بالكتاب والصحفيين المسلمين الملتزمين، من أجل تنظيم العمل الصحفي الإسلامي .. وتدارس ما يستجد من أحداث على ساحتنا العربية الإسلامية ، وكيفية مواجهتها .

(٨) ضرورة استلهام القيم والمبادىء السامية لامتنا .. في كل ما يبث وينشر عبر وسائل الإعلام، ومنها الصحافة .. والحرص الدائب على تقديم كل ما هو خيّر ونافع .. وذلك بأكبر قدر من الوعي والالتزام والتشويق في المضمون المستمد من

كتاب الله وسنة سيدنا محمد « ﷺ » .

(٩) تضافر جهود علماء الدين والتربية والاجتماع مع علماء الإعلام والقائمين عليه في عالمنا العربي الإسلامي كي يصار إلى معادلة سليمة تمنع استمرار حدوث السلبيات، والسعي إلى تنمية الإيجابيات التي تبثها وتنشرها بعض وسائل إعلامنا.

(١٠) تضافر جهود كل الخيرين لإيجاد مؤسسات صحفية وإعلامية ملتزمة .. تعلم شرف الكلمة وصدقها .. وتقدر بحق الآثار الهامة التي تقوم بها وسائل الإعلام من التأثير والتوجيه والارشاد.

﴿ ... ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم ﴾
﴿ ... ربنا لا تؤاخذنا إن نّسينا أو أخطأنا .. ﴾
سورة البقرة. الآيتان ١٢٧ ، ٢٨٦ .

المراجع

أولا : القــرآن الكريــم .

ثانياً : كتب التفسير والحديث .

أ ــ كتــب التفســير :

١ ــ ابن كثير : إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار الفكر ، القاهرة .

٢ ــ في ظلال القرآن : سيد قطب ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ، دار الشروق ، بيروت .

ب ــ كتــب الحــديث :

١ ــ جامع الأصول : ابن الأثير الجزري ، ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م ، مكتبة الحلواني والملاح ، دمشق .

٢ ــ سنن أبي داود : أبو داود « تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد » ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٥٠ م ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .

٣ ــ سنن النسائي : أحمد بن شعيب النسائي ، ١٣١٢ هـ ، المطبعة الميمنية ، مصر .

٤ ــ السنن الكبرى : البيهقي ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٤ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، دكن ، الهند .

٥ ــ صحيح ابن حبان : ابن حبان (ترتيب علاء الدين الفارسي) ، دار المعارف ، مصر .

٦ ــ صحيح البخاري : الإمام البخاري ، المكتبة الإسلامية ، إسطنبول ، تركيا .

٧ ــ صحيح الترمذي : الترمــذي ، الطبعــة الأولى، ١٣٥٠ هــ ــ ١٩٣١ م ، المطبعة المصرية بالأزهر .

٨ ــ صحيح مسلم : الإمام مسلم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ، دار الفكر ، بيروت .
٩ ــ الفتح الكبير ، جلال الدين السيوطي ، ١٣٥٠ هـ دار الكتب العربية الكبرى ، مصر .
١٠ ــ المستدرك : الحاكم النيسابوري ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٠ هـ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، دكن ، الهند .
١١ ــ المسند : الإمام أحمد « تحقيق الشيخ أحمد شاكر » ، ١٣٦٥ هـ ــ ١٩٤٦ م ، دائرة المعارف للطباعة والنشر . (دون ذكر اسم البلد) .

ثالثاً : كتب اللغة :

١ ــ لسان العرب المحيط : ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت .
٢ ــ متن اللغة : أحمد رضا ، ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٣ ــ محيط المحيط : بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، بيروت .
٤ ــ المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده ، مصر .
٥ ــ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ، مطابع دار المعارف ، مصر .

رابعا : مراجع إعلامية وغير إعلامية عامة :

١ ــ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : الدكتور محمد حسين ، ١٩٨٠ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٢ ــ الأدب في صحافة العراق : الدكتور عناد الكبيسي ، ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م ، مطابع النعمان ، النجف العراق .
٣ ــ الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة . الدكتور عمارة نجيب محمد ، الطبعة الأولى ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠ م ، مكتبة المعارف . الرياض . المملكة العربية السعودية .

٤ ـــ الأسس العلمية لنظريات الإعلام : الدكتورة جيهان رشتي ، ١٩٧٥ م ، القاهرة . مصر .
٥ ـــ الإسلام وعالمنا المعاصر : الدكتور صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ ـــ ١٩٨١ م ، مكتبة المعارف ، الرياض . المملكة العربية السعودية .
٦ ـــ الإسلام : سعيد حوى ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩ هـ ـــ ١٩٦٩ م .
٧ ـــ الإعلام والاتصال بالجماهير ، الدكتور إبراهيم إمام ، ١٩٧٥ م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . مصر .
٨ ـــ الإعلام العربي والدعاية الصهيونية ، هادي نعمان الهيتي ، ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٩ م ، دار الجمهورية ـــ بغداد . العراق .
٩ ـــ الإعلام في صدر الإسلام : الدكتور عبد اللطيف حمزه ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة . مصر.
١٠ ـــ الإعلام والدعاية : الدكتور عبد اللطيف حمزه ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ م ، مطبعة المعارف ، بغداد . العراق .
١١ ـــ الإعلام له تأريخه ومذاهبه : الدكتور عبد اللطيف حمزه ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة . مصر .
١٢ ـــ الإعلام في ضوء الإسلام : الدكتور عمارة نجيب محمد ، الطبعه الأولى ، ١٤٠٠ هـ ـــ ١٩٨٠ م ، مكتبة المعارف ، الرياض . المملكة العربية السعودية .
١٣ ـــ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، الدكتور محيي الدين عبد الحليم ، ١٤٠٠ هـ ـــ ١٩٨٠ م ، مكتبة الخانجي ـــ مصر .
١٤ ـــ بين الأدب والصحافة : فاروق خورشيد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧ م ، دار الفكر العربي . (دون ذكر اسم البلد) .
١٥ ـــ البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسن بن وهب الكاتب ، ١٩٦٧ م ، بغداد . العراق .
١٦ ـــ تأريخ الصحافة العراقية : عبد الرزاق الحسيني ، الطبعة الثالثة ،

١٣٩١ هـ ـــ ١٩٧١ م ، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان .
١٧ ـــ تأريخ الصحافة العربية ، فيليب دي طرازي ، ١٩١٣ م ، المطبعة الأدبية ، بيروت . لبنان .
١٨ ـــ تأريخ الصحافة الجزائرية : الزبير سيف الإسلام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
١٩ ـــ تأريخ الصحافة السورية : شمس الدين الرفاعي ، ١٩٦٩ م ، دار المعارف ، مصر .
٢٠ ـــ تطور الصحافة في مصر : الدكتور أنور الجندي ، (بدون تاريخ ومكان الطباعة) .
٢١ ـــ تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية : عثمان حافظ ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة . المملكة العربية السعودية .
٢٢ ـــ ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة : الدكتور عبد الحليم عويس ، ١٣٩٩ هـ ـــ ١٩٧٩ م ، الرياض .المملكة العربية السعودية.
٢٣ ـــ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية : عبد الله التل ، ١٩٦٤ م ، دار القلم ، القاهرة . مصر .
٢٤ ـــ دراسات في الفن الصحفي : الدكتور إبراهيم إمام ، ١٩٧٢ م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . مصر .
٢٥ ـــ زاد المعاد في هوى خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، ١٣٧٩ هـ ، المطبعة المصرية .
٢٦ ـــ السيرة النبوية : ابن هشام ، ١٣٥٥ هـ ـــ ١٩٣٦ م ، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده ، مصر .
٢٧ ـــ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، صدر الدين علي الحنفي « تحقيق أحمد شاكر » ، مكتبة الرياض ، الرياض . المملكة العربية السعودية .
٢٨ ـــ صحافة بني إسرائيل : محمد عبد العزيز منصور ، ١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م ، مكتبة مدبولي ، القاهرة . مصر .
٢٩ ـــ صور من حياة الصحابة : عبد الرحمن رأفت الباشا ، الطبعة الأولى ،

١٤٠٠ هـ ، دار الأصفهاني للطباعة ، جـدة . المملكة العربية السعودية .
٣٠ ــ الصحافة : الدكتورة إجلال خليفة ، ١٩٧٦ م ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة . مصر .
٣١ ــ الصحافة العراقية واتجاهاتها ، منير بكر التكريتي ، ١٩٦٩ م ، مطبعة الإرشاد ، بغداد . العراق .
٣٢ ــ الصحافة العربية في فلسطين : الدكتور أحمد خليل العقاد ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٦ م . (بدون ذكر مكان الطباعة) .
٣٣ ــ الصحافة العربية في فـلسطين : مـؤسسة الـدراسات الفلسطينيـة ، ١٨٧٦ هـ ــ ١٩٤٨ م ، بيروت . لبنان .
٣٤ ــ الصحافة : بيار ألبير ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م ، بيروت . لبنان .
٣٥ ــ الصحافة رسالة واستعداد وفن : خليل صابات ، الطبعة الثانيـة ، ١٩٦٧ م ، دار الجمهورية . بغداد . العراق .
٣٦ ــ الصحافة الإذاعية : سعد لبيب وكرم شلبي ، ١٩٧٢ م ، مطبعة الجمهورية ، بغداد . العراق .
٣٧ ــ الصحافة والأدب : الدكتور عبد اللطيف حمزه ، ١٩٥٥ م ، مطبعة البرلمان ، مصر .
٣٨ ــ الصحافة في الحجاز : الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م . (بدون ذكر اسم البلد) .
٣٩ ــ الصحفي : فخري كريم ، ١٩٧٧ م ، مطبعة الأديب البغدادية ، دار الأمانة ، بيروت . لبنان .
٤٠ ــ على الأثير : عباس محمود العقاد ، دار الفكر العربي ، القاهرة . مصر .
٤١ ــ العقيـدة والأخـلاق : الدكتـور محمـد بيصار ، الطبعـة الرابعـة ، ١٩٧٣ م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت . لبنان .
٤٢ ــ فقه السيرة : محمد الغزالي ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦ م ، دار الكتب الحديثة ، مصر .
٤٣ ــ قصة الصحافة العربية في مصر : الدكتـور عبـد اللطيـف حمزة ،

١٩٦٧ م ، مطبعة المعارف ، بغداد . العراق .
٤٤ ـ قاموس الصحافة اللبنانية : يوسف أسعد داغر ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت . لبنان .
٤٥ ـ كشاف الجرائد والمجلات العراقية ، زاهدة إبراهيم ، ١٩٧٦ م ، منشورات وزارة الإعلام ، سلسلة المعاجم والفهارس ، بغداد . العراق .
٤٦ ـ لغة الإعلام اليوم بين الإلتزام والتفريط ، الدكتور إبراهيم درديري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض . المملكة العربية السعودية .
٤٧ ـ اللغة العربية ومشاكل الكتابة : البشير بن سلامة ، ١٩٧١ م ، الدار التونسية للنشر ، تونس .
٤٨ ـ لمحات في الثقافة الإسلامية : الدكتور عمر عودة الخطيب ، ١٩٧٣ م ، بيروت . لبنان .
٤٩ ـ ماذا يعني انتمائي للإسلام : الدكتور فتحي يكن ، الطبعة الثانية ، بيروت . لبنان .
٥٠ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، الدكتور محمد حميد الله ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ، دار الإرشاد ، بيروت . لبنان .
٥١ ـ مدخل في الأعلام : نعمان ماهر الكنعاني ، ١٩٦٨ م ، السلسلة الإعلامية ، دار الجمهورية ، بغداد . العراق .
٥٢ ـ المدخل إلى وسائل الإعلام : الدكتور عبد العزيز شرف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، دار الكتاب المصرية ، القاهرة . مصر .
٥٣ ـ المدخل في فن التحرير الصحفي : الدكتور عبد اللطيف حمزة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٠ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة . مصر .
٥٤ ـ معالم في الطريق ـ سيد قطب ، ١٩٦٤ م ، القاهرة . مصر .
٥٥ ـ معلم الصحافة والإنشاء : محمد الدرع ، المكتبة الأموية ، دمشق . سوريا .

٥٦ ــ مفتاح دار السعادة : ابن قيم الجوزية ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض . المملكة العربية السعودية .

٥٧ ــ موجز تأريخ الصحافة السعودية : محمد ناصر بن عباس ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م . (بدون ذكر اسم البلد) .

٥٨ ــ منهج الفن الإسلامي : محمد قطب ، ١٩٧٣ م ، بيروت . لبنان .

٥٩ ــ نشأة الصحافة السورية ، الدكتور إحسان عسكر ، ١٩٧٢ م ، دار النهضة العربية ، القاهرة . مصر .

٦٠ ــ النقد الإسلامي المعاصر : الدكتور عماد الدين خليل ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م ، بيروت . لبنان .

٦١ ــ هذا الدين : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت . لبنان .

٦٢ ــ هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام : الدكتور أنور الجندي . (بدون تاريخ ومكان الطباعة) .

٦٣ ــ وسائل الإعلام نشأتها وتطورها : خليل صابات ، ١٩٧٦ م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . مصر .

٦٤ ــ وسائل وأساليب الاتصال ، زيدان عبد الباقي ، ١٩٧٩ م ، مكتبة النهضة المصرية . مصر .

خامساً : المراجع الأجنبية :

١ ــ الصحافة اليوم : توماس بيري ، (ترجمة مروان الجابري) ، ١٩٦٤ م ، مطابع بدران وشركاه ، بيروت . لبنان .

٢ ــ وسائل الإعلام والمجتمع الحديث : ريفرز وبيترسون وجنسن (ترجمة إبراهيم إمام) ، ١٩٧٥ م ، دار المعرفة ، القاهرة . مصر .

سادساً : الدوريات :

أ ــ المجـلات :

١ ــ الإسراء : العدد الأول ، ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م ، الأردن .

٢ ــ الإصلاح : العدد الأول ، ربيع الأول ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م ، الإمارات العربية المتحدة .
٣ ــ الإرشاد : العدد الأول ، ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م ، الجمهورية العربية اليمنية .
ــ الإرشاد : العدد الثالث ، ربيع الأول ، ١٤٠٢ هـ ، الجمهورية العربية اليمنية .
٤ ــ الأزهر : العدد التاسع ، ذو القعدة ، ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م ، مصر .
٥ ــ الإعتصام : العدد الأول ، ١٣٣٨ هـ ــ ١٩٣٨ م ، مصر .
ــ الإعتصام : العدد الثالث ، ذو القعدة هـ ــ ١٣٩٥ هـ ، مصر .
ــ الإعتصام : العدد الأول ، محرم ــ ١٤٠٠ هـ ، مصر .
ــ الإعتصام : العدد السادس والسابع ، جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ ، مصر .
٦ ــ الأمان : العدد الأول ، ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م ، لبنان .
٧ ــ الأمة : العدد الأول ، محرم ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨٠ م ، قطر .
ــ الأمة : العدد العاشر ، شوال ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م ، قطر .
ــ الأمة : العدد التاسع عشر ، رجب ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م ، قطر .
٨ ــ البلاغ : العدد الأول ، صفر ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م ، الكويت .
٩ ــ البيان : العدد الأول ، ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م ، السودان .
١٠ ــ التربية الإسلامية : العدد الأول ، رجب ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩م ، العراق .
ــ التربية الإسلامية : العدد الخامس ، ذو الحجة ، ١٣٩٤ هـ ، العراق .
١١ ــ جوهر الإسلام : العدد الأول ، محرم ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩ م ، تونس .
١٢ ــ حضارة الإسلام : العدد الأول ، محرم ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م ، سوريا .

١٣ ــ الدارة : العدد الثالث والرابع ، شوال ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م ، المملكة العربية السعودية .

١٤ ــ دعوة الحق : العدد الأول ، ذو الحجة ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م ، المغرب .

١٥ ــ الدعوة : العدد الأول ، ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥١ م ، مصر .

ــ الدعوة : العدد الأول ، رجب ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م ، مصر .

ــ الدعوة : العدد الثاني ، شعبان ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م ، مصر .

ــ الدعوة : العدد العاشر ، ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ، مصر .

١٦ ــ الدعوة : العدد الأول ، محرم ١٣٨٥ هـ ، المملكة العربية السعودية .

ــ الدعوة : العدد ٦٤٨ ، جمادي الأولى ١٣٩٨ هـ ، المملكة العربية السعودية .

١٧ ــ راية الإسلام : العدد الأول ، ذو الحجة ، ١٣٧٩ هـ ، المملكة العربية السعودية .

١٨ ــ الرابطة الإسلامية : العدد الأول ، ١٣٦٥ هـ ــ ١٩٤٥ م ، مصر .

١٩ ــ الرسالة الإسلامية : العدد الأول ، ربيع الأول ، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م ، لبنان .

٢٠ ــ الشبان المسلمين : العدد الأول ، جمادى الأولى ، ١٣٤٨ هـ ــ ١٩٢٩ م ، مصر .

٢١ ــ الشهاب : العدد الأول ، محرم ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٧ م ، مصر .

٢٢ ــ الفكر الإسلامي : العدد الأول ، رمضان ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م ، لبنان .

٢٣ ــ الفيصل : العدد التاسع عشر ، ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م ، المملكة العربية السعودية .

٢٤ ــ مكارم الأخلاق الإسلامية : العدد الأول ، رمضان ١٣١٧ هـ ــ ١٩٠٠ م ، مصر .

٢٥ ــ المجتمع : العدد الأول ، محرم ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م ، الكويت .

ـ المجتمع : العدد (٤٢٩) ، صفر ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، الكويت .

ـ المجتمع : العدد (٥٢٩) ، رجب ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، الكويت .

ـ المجتمع : العدد (٥٥١) ، محرم ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م ، الكويت .

ـ المجتمع : العدد (٥٧١) ، رجب ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، الكويت .

٢٦ ـ المجلة : العدد (١٠٣) ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، المملكة العربية السعودية .

٢٧ ـ منبر الإسلام : العدد الأول ١٣٦٣ هـ ، مصر .

ـ منبر الإسلام : العدد الثالث ، ربيع الأول ١٣٨٣ هـ ، مصر .

٢٨ ـ النداء الإسلامي : العدد الأول ، ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ ، المملكة العربية السعودية .

٢٩ ـ الهدي النبوي : العدد الأول ، ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٨ م ، مصر .

٣٠ ـ الوعي الإسلامي : العدد الأول ، محرم ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ، الكويت .

ـ الوعي الإسلامي : العدد الحادي والثلاثون ، رجب ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ، الكويت .

ـ الوعي الإسلامي : العدد الثامن والستون ، شعبان ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م ، الكويت .

ب ـ الصحف اليومية :

١ ـ الرياض ، العدد (٤١٩٥) تأريخ ١٣٩٩/٤/٢٧ هـ ، المملكة العربية السعودية .

٢ ـ الشرق الأوسط ، العدد (٧٦٢) ، تأريخ ١٩٨٠/١٢/٢٩ م ، لندن .

ـــ الشرق الأوسط ، العدد (١١٧٨) ، تأريخ ١٩٨٢/٢/١٨ م ، لندن .
٣ ـــ المدينة ، العدد (٤٨٣٥) ، تأريخ ١٤٠٠/٤/٣ هـ ، المملكة العربية السعودية .

سابعاً : المحاضرات والندوات :

١ ـــ الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية : مجموعة من الباحثين ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، اللقاء الثالث ، ١٣٩٦ هـ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٢ ـــ محاضرات في الإعلام الإسلامي ووظائفه : الدكتور عمارة نجيب محمد ، المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، ١٣٩٧ هـ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٣ ـــ ندوة المحاضرات : مجموعة من الباحثين ، رابطة العالم الإسلامي ، ١٣٩٠ هـ ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .



الفهرس





